

معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم

لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة
المعنى، والصيغ والأساليب المتشابهة



دكتور محمد محمد داود

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

معجم الفروق الدلالية

في القرآن الكريم

ليان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة
المعنى، والصيغ والأساليب المتشابهة

د . محمد محمد داود

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية.

داود، محمد محمد.

معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم/ محمد محمد داود . - القاهرة :
دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ .

٦٧٦ ص ؛ سم

تدمك: ٦ - ٩٩٩ - ٢١٥ - ٩٧٧

١ - القرآن - المحكم والمتشابه - معاجم

أ - العنوان

٢٢٦، ٦٣٣

الكتاب : معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم

المؤلف : د. محمد محمد داود

رقم الإيداع : ٨٦٣١ / ٢٠٠٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٨

الترقيم الدولي : 6 - 999 - 215 - 977 - I. S. B. N.

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناسر، ولا يُسمح

بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أى قسم من أقسامه ، بأى

شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى من الناسر

الناسر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاطوغلى (القاهرة)

ت: ٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣، ١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٢٥٩٠٢١٠٧ - ٢٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
والمعرض الدائم } ت ٢٢٧٣٨١٤٢ - ٢٢٧٣٨١٤٣

www.darghareeb.com

إهداء

إلى من منحني بحكمته أنبل زادٍ للحياة

أستاذي المهندس / محمد يونس الأشير

الوفاء لك دينٌ لا يقضيه كتابٌ يهدى ولا ثناءٌ يُقدَّم

وحسبك ما عند الله من ذكر ، فذكر الله للعبد أوفى وأبقى

محمد داود ،

مُتَلَمِّتًا

- هذا معجم للفروق الدلالية بين الكلمات القرآنية متقاربة المعنى والأساليب المتشابهة، يعتمد في مادته على القرآن الكريم .
- والاهتمام بالفروق الدلالية وإن كانت له أصول قديمة في العربية إلا أنَّ الدرس اللغوي الحديث قد أسهم من خلال نظرية التحليل التكويني في تحديد الملامح المميزة بصورة دقيقة بين دلالة الكلمات متقاربة المعنى .
- وتقتضى الأمانة العلمية أن أقرر أن استنباط الفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى لون من الاجتهاد يخطئ فيه المجتهد ويصيب، فما كان من صواب فهو من فتح الله العليم وتوفيقه . وما كان من خطأ فهو مني أستغفر الله منه، وأعتذر للقارئ الكريم عنه .
- وأرجو من ربي - تبارك وتعالى - ألا أحرم ثواب الاجتهاد ، وأن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، وأن يجعله باكورة لمعاجم موسوعية شاملة للفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى في العربية ، وأن يكون هذا المعجم فاتحة خير لدراسات تتوفر لهذا الجانب المهم في المعجم العربي .
- كما أرجو أن ينال هذا المعجم اهتمام اللغويين فيتناولوه بالنقد البناء؛ حتى تكون الخطوة التالية لى أو لغيرى أكثر نضوجاً وقرباً من الهدف المنشود .

- ولا يفوتنى أن أعلن عن متعتى الخاصة في رحلتى مع الفروق الدلالية بين الكلمات والأساليب القرآنية، فإن اكتشاف الملمح المميز الفارق بين

دلالة كلمتين أو أكثر أشبه باكتشاف كنز يزيدك سرورًا وبهجة ورضا .

- أيضًا ستسهم رسائل القراء الكرام من مستخدمي هذا المعجم في اكتمال العمل في الطبقات التالية .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د . محمد محمد داود

Email: dr.mohameddawood@yahoo.com

بين يدى هذا المعجم

● الفروق الدلالية من القديم إلى الحديث :

○ فى القديم :

برزت فكرة الفروق الدلالية على أيدى علماء العربية منذ البواكير الأولى للبحث اللغوى عند العرب، ونرى ذلك الحسّ اللغوى المرهف عند علمائنا الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدى وسيبويه والأخفش والكسائى والمبرد والفراء، وغيرهم .

ولعل معجم العين للخليل بن أحمد شاهد قوئى على وضوح فكرة الفروق الدلالية بين كلمات العربية فى عقل هذا العالم الفذّ، الذى استطاع أن يخضع اللغة بكل ما فيها من ثراء هائل وتنوّع ضخم لمنهج عقلى رياضى صارم، ولكنه - فى الوقت نفسه - لا يُهْدِر الملامح الدلالية المميّزة لكل كلمة من كلمات العربية . ذلك أن منهج الخليل فى معجم العين يقوم على أن ثمة محورًا جذريًا لكل مجموعة من الكلمات، وهذا الجذر هو محلّ الدلالة المركزية، ثم تتفرّع عن هذا المركز الدلالى معانٍ أخرى تحمل ملامح وظلالًا دلالية تميّز كل لفظ عن الألفاظ الأخرى .

وعلى مستوى التراكيب اللغوية نجد فى كتاب سيبويه تبصّرات لغوية عظيمة، ماثلة فى ترتيب أبواب (الكتاب)، وفيما أورده فى ثناياه من تفريق بين التراكيب اللغويّة المختلفة .

هذه إشارات عابرة إلى تجلّيات الجهود اللغوية الفذة لعلمائنا الأقدمين، ولعلّ أبرز مثال لهذا الجهد على المستوى المعجمى كتاب "الفروق اللغوية" لأبى هلال العسكري، الذى يكشف عن نظرة ثاقبة لمفهوم التقارب الدلالى (وليس الترادف)، يقول أبو هلال فى مقدمته :

"ما رأيت نوعاً من العلوم وفناً من الآداب إلّا وقد صُنِّف فيه كتبٌ تجمع أطرافه وتنظم أصنافه، إلّا الكلام فى الفروق بين معانٍ تقاربت حتى أشكل الفرق بينها، نحو: العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشية، والغضب والسخط، والخطأ والغلط، والكمال والتمام، والحسن والجمال، والفصل والفرق، والسبب والعلة، والعام والسنة، والزمان والمدة، وما شاكل ذلك . فإننى ما رأيت فى الفرق بين هذه المعانى وأشباهها كتاباً يكفى الطالب ويقنع الراغب، مع كثرة منافعه فيما يؤدى إلى المعرفة بوجوه الكلام، والوقوف على حقائق معانيه، والوصول إلى الغرض فيه؛ فعملت كتابى هذا مشتملاً على ما تقع الكفاية به من غير إطالة ولا تقصير، وجعلت كلامى فيه على ما يعرض منه فى كتاب الله، وما يجرى فى ألفاظ الفقهاء والمتكلمين وسائر محاورات الناس، وتركت الغريب الذى يقل تداوله؛ ليكون الكتاب قصداً بين العالى والمنحط، وخير الأمور أوسطها . وفرت ما أردت تضمينه إياه من ذلك فى ثلاثين باباً" (١) .

وعلى المستوى الصرفى نجد علماء العربية قد فرّقوا بين الصيغ الصرفية المختلفة، وقد تنبّه أبو هلال فى كتابه (الفروق اللغوية) لما تُحْدِثُه الأبنية الصرفية المختلفة من آثار فى المعنى، ومثّل لذلك بقوله:

"ولا يجوز أن يكون فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد، كما لا يكونان على بناء واحد، إلّا أن يجىء ذلك فى لغتين، فأما فى لغة واحدة فمُحَالٌّ أن يختلف اللفظان والمعنى واحد . . . وقال المحققون من أهل العربية: لا يجوز أن تختلف الحركتان فى الكلمتين ومعناهما واحد، فإذا كان الرجل عُذَّةً للشيء قيل فيه: مِفْعَل، مثل: مِرْحَم ومِخْرَب، وإذا كان قوياً على الفعل قيل: فَعُول، مثل: صبور وشكور، وإذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت قيل: فَعَال،

(١) الفروق الدلالية (بين النظرية والتطبيق)، د . عمر عبد المعطى أبو العينين، الإسكندرية: منشأة المعارف، د . ت . - ص ٢٠ .

مثل : عَلام وصَبَّار، وإذا كان ذلك عادة له قيل : مِفْعَال، مثل : مِغْوَان ومِغْطَاء ومِهْدَاء . وَمَنْ لا يتحقق المعانى يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط، وليس الأمر كذلك، بل هى - مع إفادتها المبالغة - تفيد المعانى التى ذكرناها . وكذلك قولنا : فَعَلْتُ، يفيد خلاف ما يفيد أَفْعَلْتُ، فى جميع الكلام، إلّا ما كان من ذلك لغتين، فقولك : سَقَيْت الرجل، يفيد أنك أعطيته ما يشربه، أو صَبَيْتَ ذلك فى حلقه . وَأَسْقَيْتَه، يفيد أنك جعلت له سَقِيًّا أو حَظًّا من الماء . وقولك : شَرَقْتَ الشمسُ، يفيد خلاف غربت، وأشرقَت يفيد أنها صارت ذات إشراق . وَرَعَدْتَ السماءُ : أتت برعد، وَأَرَعَدْتَ : صارت ذات رعد . فأما قول بعض أهل اللغة إن الشَّعْر والشَّعَر، والنَّهْر والنَّهَر، بمعنى واحد، فإن ذلك لغتان^(١) .

كما تنبّه أبو هلال للفروق الدلالية الناشئة عن التركيب اللغوى، وفى ذلك يقول :

"وإذا كان اختلاف الحركات يُوجب اختلاف المعانى، فاختلاف المعانى أنفسها أولى أن يكون كذلك . ولهذا المعنى أيضًا قال المحققون من أهل العربية : إن حروف الجر لا تتعاقب، حتى قال ابن درستوريه : فى جواز تعاقبها إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحكمة فيها، والقول بخلاف ما يوجبُه العقل والقياس . . . ولهذا المعنى قال المبرد : الفرق بين (أَبْصَرْتُهُ) و(بَصُرْتُ به) على اجتماعهما فى الفائدة : أن (بَصُرْتُ به) معناه : أنك صِرْتُ بصيرًا بموضعه، وفَعَلْتُ، أى انتقلت إلى هذا الحال . وأما (أَبْصَرْتُهُ) فقد يجوز أن يكون مرّةً ويكون لأكثر من ذلك . وكذلك (أَدْخَلْتُهُ) و(دَخَلْتُ به)، فإن قلت : أَدْخَلْتُهُ، جاز أن تُدْخِلَه وأنت معه، وجاز ألا تكون معه . ودَخَلْتُ به : إخبار بأن الدخول لك وهو معك بسبيك"^(٢) .

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ضبطه وحققه : حسام الدين القدسى، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م . - ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٣ .

وخلص أبو هلال إلى أن الفروق الدلالية تُعرَف بطرق كثيرة، منها:

- (١) اختلاف ما يُستعمل عليه اللفظان اللذان يُراد الفرق بين معنييهما .
- (٢) اعتبار صفات المَعْنَيْن اللذين يُطلَب الفرق بينهما .
- (٣) اعتبار ما يؤول إليه المَعْنِيَان .
- (٤) اعتبار الحروف التى تُعَدَّى بها الأفعال .
- (٥) اعتبار النقيض .
- (٦) اعتبار الاشتقاق .
- (٧) ما توجه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يُقارِبُه .
- (٨) اعتبار حقيقة اللفظين أو أحدهما فى أصل اللغة^(١) .

● الفروق الدلالية فى البحث اللغوى الحديث:

يقرّر علم اللغة الحديث أن وقوع الترادف فى اللغة لا يعنى التساوى التام بين معنى مفردتين، وإنما يكون ذلك بمعنى تقارب الدلالة، فليس فى اللغة لفظ ينوب عن آخر أو يقوم مقامه إذا أردنا الدقة فى التعبير، بل هناك مجموعة ألفاظ (مقاربة الدلالة)، نحو: (كبير - ضخم - عظيم)، (صغير - ضئيل - حقير)، (الثناء - الحمد - الشكر - المدح) ... إلخ .

وما من شك أن نظرية التحليل التكويني أسهمت بشكل دقيق وواضح فى تحديد الفروق الدلالية والظلال المرهفة بين الكلمات، من خلال تحديد الملامح الدلالية المميزة بين مجموعات الكلمات مقاربة المعنى، التى وإن صحَّ وقوع الترادف بينها فى سياقات مختلفة، فإنَّ هذا لا يعنى (التساوى) بين دلالات الألفاظ المختلفة، وإنما هو وجه من وجوه تقارب المعنى .

(١) الفروق الدلالية، أبو هلال العسكري، ص ١٤ .

وإن كانت المكتبة اللغوية المعاصرة لا تخلو من بحوث جادة فى دراسة الفروق الدلالية دراسة نظرية، إلا أنها تفتقر فى الجانب المعجمى التطبيقى إلى معاجم تسدُّ هذا النقص .

● أهمية معجمات الفروق الدلالية:

ما من شك أن تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات متقاربة المعنى له فوائد أهمُّها:

- الارتقاء بالقدرة اللغوية ودقة التعبير اللغوى وإحكامه عند الكتاب والمتحدثين .
- مساعدة المتلقى على دقة الفهم وعدم الوقوع فى متاهة الغموض .
- الوضوح وأمن اللبس .

● أنواع الفروق الدلالية فى هذا المعجم:

يتضمَّن هذا المعجم ثلاثة أقسام، هى:

(١) القسم الأول: الفروق الدلالية بين معانى الكلمات:

وترجع الفروق الدلالية فى هذا القسم إلى فروق فى الملامح الدلالية:

○ من حيث توسيع المعنى (تعميم المعنى):

نحو : (الخشية - الخوف)؛ حيث تمتاز الخشية بلمح العلم بموجبات الخوف، وأن فيها انقيادًا وامتناعًا، بينما الخوف معنى عام ليس فيه هذان الملمحان .

○ من حيث تضيق المعنى (تخصيص المعنى):

وذلك كالفرق بين (الغيث والمطر) فى الاستعمال القرآنى؛ حيث إنهما فى

الاستعمال اللغوى العادى مترادفان، بينما خَصَّص القرآن الحكيم (الغيث) فى سياقات النفع والخصب والخير، وخَصَّص (المطر) فى سياقات العذاب والنكال .

○ من حيث انتقال المعنى من مجال لآخر:

ومن ذلك تفريق القرآن الكريم بين معنى كلمة (الصُّهْرُ)، وكلمة (النَّسَبُ)، فى الاستعمال اللغوى العادى ترد كلمة (النَّسَبُ) بمعنى القرابة من ناحية الأب، وترد كلمة (الصُّهْرُ) بمعنى القرابة من ناحية الأم . أما الاستعمال القرآنى فقد نقل دلالة كل منهما إلى معنى اصطلاحى إسلامى خاص، هو:

- النَّسَبُ: ما لا يحلُّ تزوّجه من القرابة وغيرها .

- الصُّهْرُ: ما يحلُّ تزوّجه من القرابة وغيرها .

○ من حيث التضاد:

فقد تُدْرِك الفروق الدلالية بين مفردة وأخرى عن طريق التضاد، نحو الفرق بين التمام والكمال، فالتمام يأتى لنفى ضده وهو النقص، ويأتى الكمال لنفى ضده وهو العيب .

(١) القسم الثانى: الفروق الدلالية بين الأبنية الصرفية المتشابهة:

قد تكون الفروق الدلالية ناشئة عن اختلاف الصيغ الصرفية للكلمات، مثل: (قَسَطَ، أَقْسَطَ)، فصيغة الفعل المجرد (قَسَطَ) تعنى الظلم، بينما تُستعمل صيغة الفعل المزيد بالهمزة (أَقْسَطَ) بمعنى العدل .

وكالفرق بين صيغة المفرد وصيغة الجمع فى المفردتين (ريح - رياح)، حيث يُستعمل المفرد فى سياقات الرحمة والعذاب، بينما اقتصر استعمال القرآن الكريم لصيغة الجمع على سياقات الخير والرحمة .

● وكالفرق بين الصيغ الصرفية المختلفة، نحو: (سُخْرِيًّا - سُخْرِيًّا)، فالسُّخْرَى بالكسر: السُّخْرِيَّة والهُزء . والسُّخْرَى بالضم: السُّخْرَة

والاستبعاد ... إلى آخر تلك الفروق الناشئة عن اختلاف الصيغ الصرفية للكلمات القرآنية .

(٢) القسم الثالث: الفروق الدلالية بين التراكيب المتشابهة:

مثل تركيب الفعل مع حرف الجر، ومن ذلك: (أنزل إلى)، (أنزل على)، والمتأمل للسياقات القرآنية التى ورد فيها التركيب (نزل/ أنزل - على) يجد أن الخطاب موجه للنبي ﷺ، والقرآن أنزل (عليه) من جهة العلو . أما التركيب (نزل/ أنزل - إلى) فسياقاته إما فى خطاب الأمة كلها، أو خطاب للنبي ﷺ مقترناً بالتبليغ، أى تبليغ آيات الله ﷻ (إلى) الناس، ويكون ذلك من جميع الجهات، وهو ما يناسبه حرف انتهاء الغاية (إلى) . ومثل ذلك التركيب: (فرَّ من)، والتركيب (فرَّ إلى)؛ حيث يُستعمل (فرَّ من) بمعنى الخوف، بينما يستعمل (فرَّ إلى) بمعنى اللجوء إلى مصدر الأمن .

... إلى آخر صور التنوع التركيبى فى النظم القرآنى الحكيم .

● ترتيب مادة المعجم :

اقتضى الأمر أن يكون الترتيب فى القسمين الدلالى والصرفى ترتيباً هجائياً بحسب الكلمة الأولى من كل مجموعة من مجموعات الكلمات . وقد تكون المجموعة من كلمتين أو من ثلاث أو أكثر، وتُرتَّب كل مجموعة داخلياً ترتيباً هجائياً .

● وقد يتساءل البعض :

لماذا لم توضع كل مجموعة متقاربة دلاليًا تحت مجال دلالى تُسمَّى

باسمه؟

- وهذا لا يناسب ؛ لأننا لا نستوفى ألفاظ المجال الدلالى بالكامل؛ حيث إننا نقتصر على المقارنة بين الألفاظ متقاربة المعنى جدًا حتى يُظنَّ أنَّ لا مجال للتفريق بينهما .

- كما أننا هنا فى إطار معجم يهدف إلى بيان الفروق الدلالية بين الكلمات المتقاربة المعنى، ولسنا فى إطار دراسة لغوية، والفرق بينهما واضح لا يخفى على الباحث اللغوى .

- كما أن التركيز فى بيان الملامح الدلالية يكون على الملامح المميّزة الفارقة بين لفظين أو بين مجموعة من الألفاظ متقاربة المعنى .

• وعلى أيّة حال فهذه رؤية من بين رؤى متعددة يمكن أن يكون عليها معجم الفروق الدلالية، وقد يروق للبعض غيرها .

• أيضًا اقتصرْتُ فى إيراد الشواهد على نماذج منها، ولم أورد كل الشواهد، وإنما أشير إلى تعددها وكثرتها؛ وذلك تخلصًا من ضخامة حجم المعجم .

أما فى القسم التركيبى (الخاص بالأساليب):

فقد رتبْتُ بحسب الظاهرة التركيبية التى ينتمى إليها تعبيران أو مجموعة من التعبيرات المتشابهة، على النحو التالى :

(١) الفواصل القرآنية متشابهة المعنى .

(٢) تنوع أساليب النظم القرآنى (بين التذكير والتأنيث - بين التعريف والتنكير - بين الفعل والوصف - بين المركب الوصفى والمركب الإضافى - بين الحذف والذكر ... إلخ) .

(٣) التقديم والتأخير .

● سبب اختيار النص القرآنى مادة لهذا المعجم :

يرجع اختيار النص القرآنى مادة لهذا المعجم إلى أنَّ القرآن العظيم نص محكم دقيق، وهذا يُسهِّل مهمَّة الباحث فى تحديد الفروق الدلالية بين الكلمات؛ ويرجع ذلك إلى دقة المفردة القرآنية وإحكامها، بحيث لا يُستطاع استبدال لفظة بأخرى، وأيضًا إلى إحكام تراكيبه ودقتها، بحيث لا يمكن تقديم ما أخره البيان القرآنى ولا تأخير ما قدَّمه، ولا يمكن حذف شىء مما ذُكر فيه، ولا إضافة شىء لم يذكره، على نحو ما سنراه فى ثنايا الدراسة التطبيقية .

● يشتمل هذا المعجم على :-

(١٣٥) مادة ، (٥١٢) كلمة ، (٣٥٠) تركيبًا .

● قمت بعمل كشف تحليلى بالكلمات الواردة فى المعجم مرتبة ترتيبًا هجائيًا بحسب جذورها لتيسير الوصول لأية كلمة بالمعجم .

● كيف تستخدم هذا المعجم :

من خلال الكشف التحليلى فى نهاية المعجم يمكنك أن تصل إلى أى مفردة تريد أن تبحث عنها، فمثلاً: كل المفردات الخاصة بحرف الألف تجدها تحت حرف الألف وأمامها رقمان:

- الرقم الأول: يمثل الحرف الأول لجذر الكلمة .

- ثم شرطة مائلة هكذا : / .

- والرقم الثانى: يمثل ترتيب المفردة داخل الحرف ، فمثلاً :

٤/٧ ختم - طبع :

الرقم (٧) يمثل الترتيب الأبجدي للحرف الأول من (ختم)، وهو الخاء،

وترتيبه فى الحروف الهجائية يأخذ الرقم (٧)، والرقم (٤) يمثل ترتيب الكلمتين ضمن الكلمات التى تبدأ بحرف الباء .

● الحروف الهجائية أخذت مايقابلها من رقم مسلسل بداية من حرف الألف (١): وحتى حرف الياء (٢٨).

- ثم أخذت أسماء القرآن رقم (٢٩).

- وأسماء الجنة رقم (٣٠) .

- وأسماء القيامة رقم (٣١).

- وأخذت الصيغ الصرفية رقم (٣٢) .

- وأخذت الفروق الدلالية بين التراكيب المتشابهة رقم (٣٣) .

رموز المعجم:

● بداية فقرة (كلام جديد) .

﴿﴾ قرآن كريم .

هـ سنة هجرية .

م سنة ميلادية .

□ لتحديد مدخل جديد ، مثل : □ ١٣/٢ بسر - عبس .

أولاً

الفروق الدلالية

بين معانى الكلمات القرآنية

عدد المواد (١٣٥)

الحرف	العدد	الحرف	العدد
أ	٢٥	ب	٢١
ت	٣	ث	٣
ج	٩	ح	١٠
خ	٩	د	٢
ذ	١	ر	٦
ز	١	س	١١
ش	٢	ص	٦
ض	٢	ط	١
ظ	-	ع	٨
غ	١	ف	٤
ق	١	ك	-
ل	٣	م	-
ن	١	هـ	-
و	-	ى	-

حرف الألف (١)

(١)	أَبَقَ، قَرَّ، هَرَبَ	(٢)	الأب، الوالد
(٣)	أَتَى، أَعْطَى	(٤)	أَثَاث، مَتَاع
(٥)	أَثَرَ، عَلَامَة	(٦)	الإِثَار، التَّفْضِيل
(٧)	الإِثْم، الجُنَاح، الحُوب، الخطيئة، الذَّنْب، الزَّلَل، السَّيِّئَة، الفَاحِشَة، الفحشاء، المنكر، الوزر	(٨)	الأَجْر، الثَّوَاب
(٩)	إِدَّ، إِمْر، نُكِر	(١٠)	اسْتَأْذَنَ، اسْتَأْنَسَ
(١١)	الْأَسَف، الْأَسَى، الْبَثْ، الْحُزْن، الْحَسْرَة، الْعَم	(١٢)	الْأَثَر، الْبَطَر
(١٣)	أَفَكَ، صَرَفَ	(١٤)	الْإِفْكَ، الْكَذِب
(١٥)	أَلَى، ائْتَلَى، أَقْسَمَ، حَلَفَ، يَمِين	(١٦)	أَمَتَ، عَوَج
(١٧)	الْأَمَل، الرَّجَاء، الطَّمَع	(١٨)	التَّأَمَّل، التَّدْبِير، الاعتبار، التفكُّر
(١٩)	الْأُم، الْوَالِدَة	(٢٠)	الْأَمْن، الطَّمَانِينَة، السكينة
(٢١)	الْأَنَام، الْبَشَر، النَّاس	(٢٢)	الْإِيمَان، التَّضَدِيق
(٢٣)	أَنَسَ، أَحَسَّ، شَعَرَ	(٢٤)	الْأَوْبَة، التَّوْبَة، الْإِنَابَة
(٢٥)	التَّأْوِيل، التفسير .		

□ ١/١ أَبَقَ - فَرَّ - هَرَبَ :

- الإباق فى اللغة: هروب العبد من سيده مستترًا مستخفياً^(١) .
 - والفرار فى اللغة: الانكشاف والروغان والهروب^(٢) .
 - والهرب فى اللغة: الاشتداد والجِدُّ فى الذهاب بعيدًا فى حالٍ من الذُّعر^(٣) .
- وقد وردت كلمة (أَبَقَ) فى القرآن الكريم مرةً واحدة، فى سورة الصافات:

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٧﴾﴾ .

والمعنى أن يونس عليه السلام هرب بعيدًا عن البلد الذى أُوحيَ إليه فيه قاصدًا بلدًا آخر، تخلصًا من إبلاغ رسالة الله إلى أهل (نِينَوى)، خوفًا من بأسهم . وفى الاستعمال القرآنى للفعل (أَبَقَ) استعارة تمثيلية، فقد شُبِّهَتْ حالة خروجه من البلد الذى كلَّفه ربُّه فيه بالرسالة - تباعدًا من كلفة ربِّه - بإباق العبد (هروبه) من سيده الذى كلَّفه عملًا^(٤) .

وقد عَبَّرَ القرآن الكريم بلفظ (أَبَقَ) هنا على سبيل المجاز؛ لأن يونس عليه السلام خرج من غير إذن ربِّه، فَشَبَّهَ فعله بهروب العبد من سيده^(٥) .

- فالملامح الدلالية التى تميِّز الفعل (أَبَقَ) فى الاستعمال القرآنى كما يتبين من هذه الآية الكريمة:
- أن الإباق: تباعد .

(١) مفردات الأصفهاني، مقياس اللغة، تهذيب اللغة، المحكم، اللسان (أ ب ق) .
 (٢) مقياس اللغة، اللسان (ف ر ر) .
 (٣) اللسان (ه ر ب) .
 (٤) التحرير والتنوير ١٧٣/٢٣ .
 (٥) الكشف ٣٥٣/٣، البحر المحيط ٣٧٥/٧ .

- وأنه مرتبط بخروج العبد وإفلاته من سيده .
- وأنه بدون إذن .
- ويراد به التخلص من التكليف .
- وفيه استخفاء واستتار .
- وفيه خوف .

● أما الفرار فالملاحظ في الاستعمال القرآني له في عدة مواضع أنه يجمع بين معانى الخوف، والذهاب بعيداً عن مصدر الخوف، ويختص به التركيب (قَرَّ + مِنْ)، واللجوء إلى مصدر الأمن والنجاة، ويختص به التركيب (قَرَّ + إِلَى)، وذلك كما يظهر من العرض التالى:

١- قَرَّ مِنْ: كما فى الآيات التالية:

- ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ الكهف: ١٨ .
- ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ الشعراء: ٢١ .
- ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الأحزاب: ١٧ .

١- قَرَّ إِلَى: كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الذاريات .

وقد أجمل بعض الباحثين ما يميز الاستعمال القرآني للفظ الفرار فى ثلاثة ملامح دلالية هى: الانكشاف، فالخوف، فالهرب، واستدل على ذلك ببعض آيات القرآن التى ورد فيها اللفظ، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ الكهف: ١٨ .

فها هنا اطلاع أى (انكشاف أمرهم)، فخوف ورعب، فإسراع بالهرب إلى مكان آمن، وكذا قوله ﷻ: ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنَفِرَةٌ﴾ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) المذثر .

فَالْحُمْرُ انْكَشَفَ لَهَا الْأَسَدُ، فَخَافَتْ، فَهَرَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ آمِنٍ^(١).
وَأَمَّا الِاسْتِعْمَالُ الْقِرَائِيُّ لِلْفِعْلِ (الْهَرَبِ) فَفِيهِ مَعْنَى التَّبَاعُدِ، وَالِاسْتِتَارِ،
وَالْجِدِّ فِي ذَلِكَ. وَذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ
وَلَكِنْ نُّعْجِزُهُ هَرَبًا﴾^(٢) الْجَنِّ.

فَالْجَنُّ تَعْلَنَ عَجْزَهَا عَنِ الْإِفْلَاتِ مِنْ قَبْضَةِ اللَّهِ ﷻ سِوَاءَ بَقَا فِي الْأَرْضِ
أَمْ حَاولُوا التَّبَاعُدَ مِنْهَا، وَإِنْ جَدُّوا فِي ذَلِكَ وَاشْتَدُّوا فِي التَّخْفِيّ وَالِاسْتِتَارِ،
حَتَّى لَوْ أَرَادُوا بَلُوغَ السَّمَاءِ^(٣).

● وَنَخْلُصُ مِمَّا سَبَقَ إِلَى أَنَّ الِاسْتِعْمَالَ الْقِرَائِيَّ لِلْأَلْفَاظِ الثَّلَاثَةِ (أَبَقَ - فَرَّ - هَرَبَ) مُتَقَارِبٌ الدَّلَالَاتِ، إِذْ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مَلَاحٍ مُشْتَرَكَةً هِيَ:

١- الْحَرَكَةُ ٢- السَّرْعَةُ ٣- الْخَوْفُ ٤- التَّبَاعُدُ عَنْ مَصْدَرِ الْخَطَرِ

وَتَتِمَّازُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ بِمَلَاحٍ دَلَالِيَّةٍ فَارِقَةٍ لِكُلِّ مِنْهَا، عَلَى النِّحْوِ التَّالِي:

- أَبَقَ: يَخْتَصُّ بِالْعَبْدِ دُونَ الْحَرِّ، وَالرَّغْبَةِ فِي التَّخْلُصِ مِنَ الْمَشَقَّةِ.
 - فَرَّ: يَخْتَصُّ بِمَلْمَحِ الْإِنْكَشَافِ، وَهَذَا عِنْدَ تَرْكِيبِ الْفِعْلِ مَعَ حَرْفِ ابْتِدَاءِ الْغَايَةِ (مِنْ)، وَيَخْتَصُّ بِمَلْمَحِ اللَّجْوِ إِلَى مَصْدَرِ الْأَمْنِ، وَهَذَا عِنْدَ تَرْكِيبِ الْفِعْلِ مَعَ حَرْفِ انْتِهَاءِ الْغَايَةِ (إِلَى).
 - هَرَبَ: يَخْتَصُّ بِمَلْمَحِ الْجِدِّ وَالِاشْتِدَادِ فِي التَّبَاعُدِ عَنْ مَصْدَرِ الْخَطَرِ.
- وَمَلْمَحُ الِاسْتِتَارِ وَالتَّخْفِيّ مَوْجُودٌ فِي الْإِبَاقِ وَالْهَرَبِ، أَمَّا الْفِرَارُ فَقَدْ يَكُونُ خُفْيَةً وَقَدْ يَكُونُ جَهْرًا، وَالْأَكْثَرُ أَنْ يَكُونَ عَلَانِيَةً لَا سِرًّا.

(١) التَّرَادُفُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ)، مُحَمَّدٌ نُورُ الدِّينِ الْمُنْجِدُ، دَارُ الْفِكْرِ الْمَعَاصِرِ: بَيْرُوت، ١٩٩٧، ط ١، ص ١٣٧، ١٣٨.

(٢) انْظُرْ: الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٨/ ٣٥٠.

□ ٢/١ الأب - الوالد:

- الأب فى اللغة: سبب وجود الشئ، أو إصلاحه، أو ظهوره^(١)، وسُمى الأبُ أباً؛ لأنه يقوم على إصلاح الأبناء ورعايتهم بالتربية والغذاء^(٢).
 - والوالد فى اللغة: الأب المباشر، الذى هو سبب وجود الابن^(٣).
- فالوالد خاص، والأب عام.

والاستعمال القرآنى للفظين يُراعى ما لكل منهما من ملامح دلالية خاصة، فالأب يُطلق على الأب المباشر كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يوسف: ٤.

كما يُطلق على الجدّ وإن علا، نحو قوله ﷻ:

- ﴿مِثْلَ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ الحج: ٧٨.

وورد مجموعاً للدلالة على سلسلة الأجداد، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ البقرة: ١٧٠.

- ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْلَامُونَ﴾ الشعراء: ٧١.

وهذا الاستعمال القرآنى مرتبط باتّساع الأصل اللغوى لكلمة (أب) وشمولها لكل ما كان سبباً فى وجود الشئ أو رعايته أو ظهوره.

أمّا (الوالد) فى الاستعمال القرآنى فقد اقتصر على معنى الأب المباشر الذى هو سبب وجود الابن، وفى أكثر المواضع جاء فى صيغة المثنى إيماءً إلى أن الأنثى هى الوالدة على الحقيقة، وألحق بها الأب^(٤)؛ لأنه السبب

(١) مفردات الأصفهاني (أ ب ا).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ ب و).

(٣) انظر: اللسان، مفردات الأصفهاني (و ل د).

(٤) انظر: خصائص التعبير القرآنى، د. عبد العظيم إبراهيم المطعنى ٢٨٣/١.

المباشر فى وجود الابن، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿لَا تَقْبُذُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة: ٨٣ .

واستقراء الآيات التى ورد فيها لفظ (الوالد - الوالدين) يدلنا على دقة التعبير القرآنى؛ حيث إن الوالد - وهو الأب الأدنى (أى المباشر) دون غيره - قد استعمل فى سياقات تقتضى قوة الرابطة والعاطفة، نحو قول الله ﷻ:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ حيث المقام هنا مقام صلة روحية وعاطفية بين الوالد وولده، وقد نبه القرآن الكريم على قوة هذه الرابطة العاطفية فى قوله ﷻ:

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَرَبُّكُمْ يُرْجَىٰ إِلَيْهِمْ رُجُوعٌ ۚ وَالَّذِي أَوْفَدَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْوَالِدُونَ وَالَّذِي يَرْجَىٰ إِلَيْكُمْ رُجُوعٌ ۚ وَالَّذِي أَوْفَدَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ وَلَهُمْ أُولَٰئِكَ الْوَالِدُونَ وَالَّذِي يَرْجَىٰ إِلَيْكُمْ رُجُوعٌ ۚ﴾ لقمان: ٣٣ .

فقد تضمنت الآية نفى النفع والشفاعة بأبلغ وجه، فكأنه قيل: إن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذى ولد منه لم تُقبل شفاعته، فضلاً عن أن يشفع لمن فوقه^(١) .

ولم يرد الوالد مجموعاً فى القرآن الكريم، وفى هذا قرينة على أن هذا اللفظ مقصور على الأب المباشر دون غيره .

● ونخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم راعى فى استعمال هذين اللفظين (الأب - الوالد) الملامح الدلالية المشتركة بينهما، وهى:

● كونهما بمعنى السبب .

● دلالتهما على القرابة .

وقد ميّز الاستعمال القرآنى كلا اللفظين بلامح دلالية فارقة، فاللامح الدلالية الفارقة المميزة للأب:

(١) الترادف فى القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد، ص ١٤٢؛ فروق اللغات،

نور الدين الجزائري، ص ٦٢ .

- دلالة على الأجداد .
- دلالة على الرعاية والتربية .
- بينما تَمَيَّز (الوالد) فى الاستعمال القرآنى بملامح فارقة هى :
- دلالة على الأب المباشر أو الأدنى .
- وهذا بدوره يعنى : قوة الرابطة والصلة العاطفية .

□ ٣/١ آتى - أُعْطِيَ :

- الإيتاء والإعطاء فى اللغة مترادفان، فقد فسرت المعاجم الإيتاء بالإعطاء^(١) .

وأما فى الاستعمال القرآنى للكلمتين فثمة فروق دقيقة بينهما نلّمحها من المقارنات التالية :

- لم يُستعمل الإيتاء إلاّ للشىء الكثير والعظيم الشأن، كالمُلْك والحكمة والرحمة والخير والقرآن العظيم، ومن ذلك الآيات الكريمة التالية :
- ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ البقرة : ٢٥١ .
- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة : ٢٦٩ .
- ﴿فَالْتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ آل عمران : ١٤٨ .
- ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْتَرٍ مِنْ رَبِّىْ وَءَاتَنِى رَحْمَةً مِنْ عِندِهِ﴾ هود : ٢٨ .
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) الحجر .
- بينما قد يكون الإعطاء للشىء القليل، نحو قوله ﷺ :

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ ت ي) .

- ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ ﴿١١١﴾ النجم .

ولم يرد العطاء دالاً على الشيء الكثير إلا مقيداً بما يدل على الكثرة، كما في قول الله ﷻ: ﴿كُلًّا نُّمِذُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَظَمَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾ الإسراء .

فإضافة العطاء إلى الله ﷻ ونفى الحظر عنه - يُفيد كثرة هذا العطاء، وكذا قول الله ﷻ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿٥﴾ الضحى، حيث أُسْنِدَ فعلُ الإِعطَاءِ إلى الله ﷻ، كما وُصِفَ الْمُعْطَى بالرضا بهذا العطاء، ونحو ذلك يقال في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ الكوثر .

حيث صرّح بالشيء المُعْطَى وهو أكثر من الكثير (الكوثر)، كما أن الفعل أُسْنِدَ إلى الله ﷻ، والمخاطب به النبي ﷺ، وكل هذا يفيد أنه عطاء كثير وافر . قال بعض المفسرين في تعليل إيثارة لفظ الإِعطَاء هنا على لفظ الإِيتَاء: لأن بعد الكوثر منازل أعلى، حيث يكون الانتقال إلى ما هو أعظم منه في الجنة^(١) .

● الإِيتَاء فيه قوّة ليست للإِعطَاء؛ لأن الإِعطَاء يتوقف على القبول، بينما الإِيتَاء لا يتوقف على القبول؛ ولذلك أمر المسلمون بـ (إِيتَاء) الزكاة في كثير من الآيات، نحو قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء: ٧٧، النور: ٥٦، المجادلة: ١٣، المزمل: ٢٠) .

بينما عُبِّرَ عن الجزية بـ (الإِعطَاء) في قوله ﷻ: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ التوبة .

وذلك لأن الجزية موقوفة على قبول مِنَّا .

● الإِيتَاء يكون عن طيب قلب، بينما قد يكون الإِعطَاء عن كُرْهٍ؛ ولذلك عُبِّرَ

عن إخراج الزكاة بالإيتاء؛ لأن المؤمن يعطى الزكاة عن طيب قلب، بينما عُبر عن الجزية بالإعطاء؛ لأن الذمى لا يعطى الجزية راضياً، بل مُكرهاً^(١).

● ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين (آتى - أعطى) بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى معنى بذل الشيء، لكن يختص كل منهما بملامح دلالية تميزه:

○ فالإيتاء لا يكون إلا للشيء الكثير والعظيم، بينما قد يكون الإعطاء للشيء القليل أو الزهيد إلا إذا قُيد بما يدل على الكثرة.

○ والإيتاء فيه قوة؛ لأنه لا يتوقف على قبول، بينما الإعطاء يتوقف على القبول.

○ والإيتاء لا يكون إلا عن رضا وطيب نفس، بينما قد يكون الإعطاء عن كُره.

□ ١/٤ أثاث - متاع:

● الأثاث فى اللغة: الكثرة والعِظَم من كل شيء . وقال الخليل: هو اجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر، ومنه: شعر أثيث، أى كثير، ويوصف به النبات الملتف^(٢).

● والمتاع فى اللغة: ما يستمتع به الإنسان من حوائجه^(٣).

وقد ورد اللفظان معطوفين بالواو فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى خَمْسِينَ ﴿٨٥﴾﴾ النحل.

وبين اللفظين عموم وخصوص، فالمتاع: كل ما يُتَفَع به من أكل ولبس

(١) البرهان ٨٥/٤، معترك الأقران ٦٠٥/٣، ٦٠٦.

(٢) اللسان (أ ث ث).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (م ت ع).

وحياة وحديث ، وأنس وغير ذلك^(١) .

والأثاث: الكثير من المتاع، كما يتضح من التفسير اللغوي للفظ .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظ (أثاث - متاع) بينهما خصوص وعموم؛ حيث إن المتاع: كل ما يُتَمَتَّع به ، والأثاث: الكثير من المتاع .

□ ١/٥ الأثر - العلامة:

- الأثر في اللغة: ما بَقِيَ من الشيء^(٢) .

- العلامة في اللغة: السَّمة المميِّزة للشيء^(٣) .

وفي ثنايا التعريف القاموسى للفظين تفرقة دلالية دقيقة بينهما، حيث إنَّ الأثر: ما بقى بعد غياب الشيء أو معظمه؛ وعلى ذلك فقد يكون ظاهرًا، وقد يكون خفيًا يحتاج إلى بحث وفحص للوقوف عليه . أمَّا العلامة ففيها ملمح الظهور المميِّز .

وقد راعى الاستعمال القرآنى هذا الفارق الدلالى بين اللفظين، ولنتأمل الآيات التالية:

- ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ طه: ٩٦ .

أى: قبضة من آثار أقدام فرس جبريل ﷺ عندما هبط ليأخذ موسى ﷺ ، فقبض السامريُّ قبضة من آثار الأقدام . . . وهذا الأثر ليس له وجود الآن، فالملمح المميِّز له إذن هو عدم الظهور . . وقد يكون ظاهرًا مثل أثر السجود

(١) تهذيب اللغة (م ت ع)، القرطبى ٣٢١/١ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ ث ر) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ع ل م) .

كما فى قول الله ﷻ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ الفتح: ٢٩ .
وأثر السجود علامة تكون ظاهرة بالمداومة على الصلاة، وبقلّة الصلاة أو
عدمها يذهب هذا الأثر ويختفى .

إذن فالأثر قد يكون ظاهرًا وقد يكون خفيًا . أمّا العلامة فلا بد فيها من
الظهور والتمييز، كما فى سورة النحل: ﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَالْتَجِمِ هُمْ يَمْتَدُونَ﴾ (١٦) .
قال المفسّرون: "علامات" هى معالم الطرق وكل ما يستدلّ به السائر
من جبل ومنهل وغير ذلك^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (أثر - علامة) بينهما تقارب دلاليّ؛
حيث إنهما يشتركان فى معنى عام هو التدليل على الشئ والإشارة إليه .
إلا أن العلامة تختص بلمح الظهور والتمييز، بينما قد يكون الأثر
ظاهرًا، وقد يكون خفيًا .

□ ٦/١ الإيثار - التفضيل:

- (الإيثار) فى اللغة: تقديم الشئ واختصاصه بالفضل^(٢) .
 - و(التفضيل) فى اللغة: الزيادة فى الفضل والخير^(٣) .
- وقد راعى القرآن الكريم السمات الدلالية الخاصة لكلا اللفظين،
فاستعمل الإيثار بمعنى: تقديم الشئ على غيره، سواء استحق التقديم أو لم
يستحق، فمما يستحق التقديم استعماله فى قول الله ﷻ: ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ

(١) الكشف ٤٠٤/٢، البحر المحيط ٤٨٠/٥ .

(٢) اللسان (أ ث ر) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ف ض ل) .

ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴿يوسف: ٩١﴾ .

ومما لا يستحق التقديم، ما ورد في قوله ﷻ:

- ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٧٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٧٩﴾﴾ النازعات .

فهذا من تقديم الأدنى على الأعلى .

• أما التفضيل فقد استعمل - حينما ورد في القرآن الكريم - بمعنى

الزيادة في الفضل والخير، ومن ذلك قوله ﷻ:

- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾

البقرة : ٢٥٣ .

- ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَعَلَ

اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ النساء .

• ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآني للفظين (أثر - فضل) قد فرق

بينهما وميّز كلاً منهما بملامح دلالية خاصة، وإن تقارب المعنيان واشتركا

في بعض الملامح الدلالية، فالملمح الدلالي المشترك بينهما: التقديم .

واختص التفضيل بتقديم الأعلى على الأدنى .

بينما الإيثار يُستعمل في تقديم الأعلى على الأدنى، وأيضاً في تقديم

الأدنى على الأعلى .

□ ٧/١ الإثم - الجُنَاح - الحُوب - الخطيئة - الذَّنْب - الزَّلَل - السيئة

- الفاحشة والفحشاء - المنكر - الوزر :

• الإثم في اللغة: البُطْء والتأخر عن الخير، مأخوذ من قولهم: ناقة أئمة،

- أى متأخرة فى سيرها ، لأنَّ ذا الإثمِ بطيءٌ عن الخير متأخِّر عنه^(١) .
- والجُنَاح فى اللغة: المَيْل إلى الإثم والجناية والجُرم^(٢) .
 - والحُوب فى اللغة: بمعنى الإثم^(٣) ، وقيل: الإثم العظيم^(٤) .
 - والخطيئة: بمعنى الذَّنْب، وأصلها من خطأ يَخْطُو، أى تعدَّى الشَّيْءَ وذهب عنه، ويقال لمن تعدَّى الخير وتركه: أخطأ وخَطِئَ خَطَأً وخطيئة؛ لهذا القياس^(٥) . وفرَّق ابن منظور بين الخَطَأِ والخطيئة ، فنقل عن بعض اللغويين: الخطأ: ما لم يُتَعَمَّدْ . والخِطْءُ والخطيئة: الذَّنْب على عمد^(٦) .
 - والزَّلَل فى اللغة: الخطأ والذنب؛ لأن المُخْطِئَ قد زَلَّ (أى انزلق) عن نهج الصواب^(٧) .
 - والذَّنْب فى اللغة: الجُرم والمعصية^(٨) .
 - والسَّيِّئَةُ فى اللغة: الذَّنْب القبيح^(٩) .
 - والفاحشة فى اللغة: الذَّنْب القبيح الذى جاوز الحَدَّ فى القبح والشناعة، ومثلها الفُحْشُ والفحشاء^(١٠) .

-
- (١) مقاييس اللغة (أ ث م) .
- (٢) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ج ن ح) .
- (٣) مقاييس اللغة، اللسان (ح و ب) .
- (٤) اللسان، النهاية (ح و ب) .
- (٥) مقاييس اللغة (خ ط و) .
- (٦) اللسان (خ ط أ) .
- (٧) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ز ل ل) .
- (٨) مقاييس اللغة، اللسان (ذ ن ب) .
- (٩) مقاييس اللغة، اللسان (س و أ) .
- (١٠) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ف ح ش) .

- والمُنْكَر في اللغة: ضد المعروف، وهو ما ينكره القلب ولا يسكن إليه^(١).
- الوِزْر في اللغة: الثَّقَل، ومنه سُمِّي الذَّنْبُ وِزْرًا؛ لأنه يثقل صاحبه^(٢).

ومما سبق يتضح لنا أن الاستعمال اللغوي العادى - كما أوردت المعاجم - لم يفرِّق بين أربعة من هذه الألفاظ، وجعل بينها ترادفًا تامًّا، وهى: الإثم، والخطيئة، والذَّنْب، والزَّلَل.

بينما خُصِّصَت السَّيِّئَةُ في الاستعمال اللغوي بصفة القبح، وأشدُّ منها الفاحشة والفحشاء؛ وذلك لأنهما خُصِّصا بوصف آخر هو الشدة: شدة القبح والشناعة.

واختُصَّ المُنْكَر في الاستعمال اللغوي بملمح دلالى آخر هو: إنكار القلب له وعدم سكون النفس إليه، فالنفوس تنكره كأنها لا تعرفه، وكأنما فُطِرَتْ على خلافه فهى تأباه ولا تكاد تعرفه.

واختُصَّ الجُنَاح بملمح دلالى آخر، وهو كونه (مَيْلًا) إلى الإثم، وليس اقترافًا له.

واختُصَّ الوِزْر بملمح الثَّقَل.

والآن لننظر إلى الاستعمال القرآنى الحكيم لكل لفظ من هذه الألفاظ التى بدت في الاستعمال اللغوي العادى مترادفة تمامًا، أو بينها شبه ترادف، لنرى كيف تميَّز الاستعمال القرآنى في وضع كل لفظ من هذه الألفاظ في موضعه المناسب له بحيث لا يصلح غيره (مما يقاربه في المعنى) بديلاً عنه.

• الإثم:

وردت كلمة (إِثْم) في مواضع عديدة من الكتاب الكريم، ومن ذلك

(١) مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (ن ك ر).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (و ز ر).

الآيات التالية:

- ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ وَمَخْرَجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَطْلَهُرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ البقرة: ٨٥ .

- ﴿وَإِن أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ دَوَاجٍ مَّكَاتٍ دَوَاجٍ وَءَاتَيْتُمْهُنَّ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ البقرة: ١٧٥ .

- ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٦ .

- ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا فَقَدْ أَخْتَلَمَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ النساء: ١١٧ .

- ﴿وَرَأَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٦٤ .

- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣١ .

- ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ النجم: ٣٢ .

قال أبو حيان في تفسير آية البقرة رقم (٨٥):

"الإثم فيه قولان: أحدهما أنه الفعل الذي يستحق عليه صاحبه الذم واللوم . والثاني: أنه الذي تنفر منه النفس ولا يطمئن إليه القلب" .

ودلت عبارته بعد ذلك على ترجيحه للمعنى الثاني؛ حيث ساق حديث النبي ﷺ: "الإثم ما حاك في صدرك" (١) .

ونحن نذهب إلى ترجيح الوجه الذي رجَّحه أبو حيان في تفسيره للإثم؛

(١) البحر المحيط ٢/٢٩١، والحديث في: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر

والصلة، باب تفسير الإثم والبر، رقم ٤٦٣٢، مسند أحمد: رقم ١٦٩٧٣،

١٧٢١٣، ١٧٣١٥، ١٧٣٢٠، ٢١١٧٤ .

لأن النبي ﷺ فسّره، والسُّنَّةُ مُبَيَّنَةٌ للقرآن بلا نزاع . وقال النووى: معنى (حاك في صدرك) أى: تَحَرَّكَ فيه وَتَرَدَّدَ، ولم ينشرح له الصِّدْر، وحَصَلَ فى القلب منه الشُّكُّ وخوف كونه ذنباً^(١) .

وفى الإثم معنى التعمُّد كما يتضح من الشاهد الثانى، حيث فُسِّرَ الجَنَفُ بالميل عن الحق على سبيل الخطأ، والإثم بتعمُّد الجور والظلم والأذى^(٢) .

وتشير الآية الثالثة (النساء: ٤٨) إلى عظم وجسامة الإثم؛ حيث جعل الشُّرْكَ بالله - وهو أعظم الذنوب - إثماً عظيماً .

وفى الآية الرابعة (النساء: ١١٢) عُطِفَ الإثم على الخطيئة بأو، وعلى البهتان بالواو، والعطف بـ(أو) يدل على المغايرة فى المعنى بين الإثم والخطيئة، وللمفسرين فى ذلك أقوال عديدة، فبعضهم جعلهما بمعنى واحد، وأكثرهم رجَّح أن المراد بالخطيئة: صغائر الذنوب، وبالإثم: كبائر الذنوب... وثمة أقوال أخرى غير ذلك، على أن الأرجح من بين هذه الأقوال كما يوحى به نَظْمُ الآية الكريمة - حيث العطف يوجب المغايرة، وفى ضوء استقرار النصوص الأخرى التى ذُكِرَ فيها الإثم - أن المراد بالخطيئة: المعصية الصغيرة، والمراد بالإثم: المعصية الكبيرة . وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين^(٣) .

وفى الآية الخامسة (المائدة: ٦٢) يتعاضم معنى الإثم، حتى فسّره البعض فى هذه الآية بكلمة الشرك^(٤) . على أن التفسير الذى اعتمده الزمخشري وغيره للإثم هنا هو: الكذب، بدليل قوله ﷺ فى الآية التالية: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، الموضع السابق .

(٢) الكشف ٣٣٤/١، البحر المحيط ٢٣/٢ .

(٣) انظر: الكشف ٥٦٣/١، البحر المحيط ٣٤٦/٣، التحرير والتنوير ١٩٦/٥، التفسير الوسيط ٤٠٠/٣ .

(٤) انظر: الكشف ٦٢٦/١ .

وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٢﴾ المائدة .

والإثم فى الآية السادسة (الأعراف: ٣٣): عامٌّ فى كل ذنب^(١)، وكذا فى الآية السابعة (النجم: ٣٢)^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن (الإثم) فى الاستعمال القرآنى يتميز بملاحم دلالية خاصة، هى أنه:

- (١) فعل قبيح يستوجب الذمَّ واللوم .
- (٢) تنفر منه النفوس ولا تطمئن إليه القلوب .
- (٣) لفظ عام يشمل صفائر المعاصى وكبائرهما، وغلب استعماله فى الكبائر .
- (٤) فيه تعمُّد .

● الجُناح:

تكرَّر ذكر الجُناح فى مواضع كثيرة من كتاب الله الحكيم، ومن ذلك الآيات التالية :

- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ النور: ٢٩ .
- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الأحزاب: ٥ .

أول ما يلاحظ فى الاستعمال القرآنى لهذه الكلمة أنها وردت منفية فى جميع مواضعها (٢٤ موضعًا)، وهذا يعنى الإباحة لكل ما ذُكر فى تلك المواضع، فنفى الجُناح تخييرٌ بين الفعل والترك^(٣) .

ومعنى الجُناح حيثما وقع فى القرآن الكريم: الميل إلى الإثم، كما فى

(١) الكشف ٧٧/٢، التحرير والتنوير ١٠٠/٨، ابن كثير ٢/٢١١ .

(٢) الكشف ٣٢/٤، البحر المحيط ١٦٤/٨، التحرير والتنوير ١٢١/٢٧ .

(٣) انظر: البحر المحيط ٤٥٧/١، الكشف ٣٢٤/١ .

اشتقاقه فى اللغة؛ إذ هو مشتقٌ من (جَنَحَ) أى مال^(١). ولكن الاستعمال القرآنى للفظ يجعله أعمَّ من الإثم؛ لأن الإثم يقتضى العقاب، أمّا الجُنَاح فيُستعمل فيما يقتضى العقاب وفيما يقتضى الجزر دون العقاب^(٢).

● والملاح الدلالية المميزة للجُنَاح كما يُستفاد من الآيات التى ورد فيها:

١- عموم معناه، فهو أعم من الإثم والذنب .. وغيرهما؛ لأن الجُنَاح قد يقتضى العقاب، أو ما دون العقاب كالزجر.

٢- فيه معنى الميل إلى المعصية وإن لم يقع فيها.

٣- كما يلاحظ أنه استُعمل منفياً فى جميع مواضعه من القرآن الكريم، وهذا يعنى التخيير بين الفعل والترك.

● الحُوب:

وردت هذه الكلمة فى موضع واحد من القرآن الكريم، هو قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى أَنَا أَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّكُمْ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿١٠٠﴾﴾ النساء .

والحُوب هنا: الذنب العظيم الكبير^(٣). قال الزمخشري فى سر استعمال

هذه الكلمة هنا:

"فإن قلت: قد حرّم عليهم أكل مال اليتامى، فلم ورد النهى عن أكله مع أموالهم؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها، كان القبح أبلغ والذم أحق ...

(١) مفردات الأصفهاني (ج ن ح).

(٢) انظر: البحر المحيط ٩٤/٢.

(٣) معانى القرآن للفراء ٢٥٣/١.

والْحُوبُ: الذَّنْبُ الْعَظِيمُ^(١) .

وذكر أبو حيان ثلاثة معانٍ لِلْحُوبِ: الإثم، والظلم، والوحشة^(٢) .

واللفظ يحتمل المعانى الثلاثة معاً، إذ هو إثم على فاعله، وظلم لِمَنْ وقع عليه، ووحشة بينهما، وكل هذا يجعل الْحُوبَ ذنباً كبيراً؛ لما فيه من ظلم وجلب للوحشة والجفاء، وإضاعة للحرمة والحقوق؛ وشهدا لهذا قول النبي ﷺ لأبى أيوب لما أراد طلاق أم أيوب رضى الله عنهما: "إن طلاق أم أيوب لَحُوبٌ"، أى: لَوْحْشَةٌ وإثم^(٣) .

● الْحَطَأُ وَالْخَطِيئَةُ وَالْخَطْءُ:

وردت كلمة (خَطَأً) فى القرآن الكريم مرتين فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَا كَانُوا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ النساء: ٩٢ .

والخطأ هنا كما أوضح أبو حيان فعلٌ غير اختياري، والمعنى: ما ينبغى للمؤمن أن يقتل مؤمناً متعمداً، ولكن يقع ذلك منه خطأ .

وأما الخطيئة فتكرر ورودها فى القرآن الكريم مفردة، ومجموعة (خطايا - خطيئات)، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سِنِيَةً وَأَخْطَتَ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة .

- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

النساء

(١) الكشف ٤٩٥/١ - ٤٩٦ .

(٢) البحر المحيط ١٦١/٣

(٣) الحديث وشرحه فى: النهاية لابن الأثير ٤٥٥/١ .

- ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ طه: ٧٣ .
- ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الشعراء .
- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ١٦١ .
- وقد سبق الكلام على الخطيئة عند الكلام على الإثم، وأن المراد بالخطيئة: صفات الذنوب .

ولعل الآيات الأخرى المذكورة هنا توضّح بجلاء هذا المعنى، ففي آية البقرة (٨١) جُعِلَ مَنْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لَأَنَّ مَنْ كَانَ هَذَا شَأْنَهُ فَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا؛ إِذْ إِنْ الْمُؤْمِنُ لَا تَحِيطُ بِهِ خَطِيئَتُهُ، بَلْ لَا يَخْلُو مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَبِذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بِتَخْلِيدِ مَنْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فِي النَّارِ كَوْنُهُ كَافِرًا، قَدْ تَجَرَّأَ عَلَى كُلِّ الْخَطَايَا حَتَّى أَحْدَقَتْ بِهِ فَلَمْ تَتْرِكْ لَهُ مَفْذًا^(١) .

وفى آية الشعراء (٨٢) أُضِيفَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِمَّا يَقْطَعُ بِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - مَعْصُومُونَ مِنَ الْكِبَائِرِ .

● وهكذا يتضح أن الخطيئة تعنى: الذنب الصغير، وأكثر استعمالها فيما لا يكون مقصودًا لنفسه، بل يكون القصد سببًا لتولّد ذلك الفعل منه، كمن رمى صيدًا فأصاب إنسانًا^(٢) .

● وأما الخطء فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيَ عَنْ نَرُفُهُمْ وَإِنَّا كُنتُمْ لَكُمْ خَطَاءًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٣١ . أَيْ: ذَنْبًا عَظِيمًا^(٣)، وَفِيهِ عَمْدٌ^(٤) .

(١) التحرير والتنوير ١ / ٥٨١ .

(٢) مفردات الأصفهاني (خ ط أ) .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨ .

(٤) التحرير والتنوير ١٥ / ٨٨ .

● الذَّنْب :

وردت كلمة (ذَنْب) مفردة ومجموعة فى العديد من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ آل عمران .

يتضح من هذا الشاهد أن الذنب يشمل ما تقدّم من الفاحشة وظلم النفس؛ فالفاحشة الفعلية متزايدة القبح، وظلم النفس من الصغائر^(١)، أو من الكبائر التى يقتصر ضررها على النفس ولا تتعدّى إلى الغير^(٢) .

● فالذَّنْب : أعم ألفاظ هذا الباب ؛ لأنه يشمل الصغائر والكبائر ، كما يشمل كل ما لا تحمد عُقْبَاهُ ؛ ولذلك قال موسى ﷺ : ﴿وَكَمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ الشعراء . فجعل لهم عليه ذَنْبًا ، أى جناية تُسْتَوْحَم عُقْبَاهَا عندهم^(٣) ، والذَّنْب - فى الأعم الأغلب - يكون بين الإنسان وربّه .

● الرِّزْل :

ورد مشتقات هذا اللفظ فى القرآن الكريم أربع مرات ، ومن ذلك قول الله ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحَةِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٢٨﴾﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ البقرة .

ورد فى تفسير (زَلَلْتُمْ) هنا عدّة تفسيرات ، منها : عصيتهم ، كفرتم ، أخطأتم ، ضللتهم .

(١) الكشف ٤٦٤/١ .

(٢) التحرير والتنوير ٩٢/٤ .

(٣) مفردات الأصفهاني (ذ ن ب) .

ورجّح أبو حيان أنها بمعنى كفرتم، نقله عن ابن عباس، قال: "وهو الظاهر؛ لقوله ﷺ: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾: أى الإسلام، ﴿فَإِنْ زَلَّكُمْ﴾: عن الدخول فيه... وأصل الزلّ للقدم، يقال: زلّت قدمه، ثم يُستعمل فى الرأى والاعتقاد" (١).

ولعل عبارة الراغب الأصفهاني تكشف بعض غموض المعنى فى الزل، قال: "الزَّلَّةُ فى الأصل: استرسال الرّجل من غير قصد، وقيل للذنب من غير قصد: (زَلَّةٌ) تشبيهاً بزَلَّةِ الرّجل... وقوله ﷺ:

- ﴿إِنَّمَا أَسْأَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ آل عمران: ١٥٥ .

أى: استجرهم الشيطان حتى زلّوا، فإنّ الخطيئة الصغيرة إذا ترخّص الإنسان فيها تصير مسهّلة لسبُل الشيطان على نفسه" (٢).

وعلى هذا يكون المراد بقول الله ﷻ: ﴿زَلَّكُمْ﴾ فى سورة البقرة: اتبعتم وسوسة الشيطان وتزيينه الصغائر حتى انزلتكم وأخطأتم .

● ومجمل القول أن المراد بالزلّ فى الاستعمال القرآنى: الخطأ الصغير غير المقصود، الذى يجرُّ فاعله إلى ما هو أعظم .

● السَّيِّئَةُ:

وردت كلمة (السَّيِّئَةُ) فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، مفردة، ومجموعة، ومن ذلك الآيات التالية: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣) البقرة .

- ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّ بُنْتُ لَأَقْنَى وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٤) النساء .

(١) البحر المحيط ١٢٣/٢ .

(٢) مفردات الأصفهاني (زل ل) .

والسيئة فى الاستعمال القرآنى: الفعل القبيحة، وهى ضد الحسنة،
والحسنة والسيئة ضربان:

○ أحدهما بحسب اعتبار العقل والشرع نحو المذكور فى قول الله ﷻ:

- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦) الأنعام: ١٦٠ .

وحسنة وسيئة باعتبار الطبع وما يستقبله^(١)، كما فى قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ. وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ (١٣١) الأعراف: ١٣١ .

ومن الشواهد السابقة يتضح أن السيئة فى القرآن الكريم هى: الذنب القبيح الذى يسوء صاحبه، ويسوء فى عيون الناس، أى يُستَقْبَح، وهو المعنى اللغوى للفظ، ولكن غلب استعماله فى القرآن الكريم للدلالة على ما يكون بين الإنسان والناس .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظ (السَّيِّئَة) فى الاستعمال القرآنى يتميز بملامح دلالية خاصة، هى أنه:

- ١- فعل قبيح .
- ٢- بين الإنسان والآخرين .
- ٣- تشين صاحبها .

● الفاحشة - الفحشاء:

لفظ الفاحشة يدلّ فى أصل معناه على ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، أو كما قال ابن فارس: "الفاء والحاء والشين كلمة تدل على

(١) مفردات الأصفهاني (س و أ) .

قبح فى شىء وشناعة" (١) .

وقد تفرّع عن هذا المعنى العام جملة معانٍ قرآنية حدّدها السياق اللغوى أو سياق الموقف؛ فهى تارة تعنى اللواط، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٥٤) النمل .

- وتارة تعنى الزنا كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ النساء: ١٥ .

وتارة تعنى مطلق العقل القبيح، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٢٥) آل عمران .

وقد سبق فى المعنى اللغوى أن الفحشاء هى: ما يتجاوز الحد فى القبح من المعاصى والذنوب .

● وهى كذلك حيثما وردت فى القرآن الكريم؛ وعلى ذلك فالملاحح الدلالية لهذين اللفظين المترادفين، هى:

- الفعل القبيح .
- شدة الاستهجان .
- التعمد .
- شدة الاستنكار والنفور .

● المُنْكَرُ:

تكرر ذكر المُنْكَرِ فى القرآن الكريم، ولعل أوضح شاهد لتفسير معناه هو قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

المُنْكَرُ: كل فعلٍ تحكم العقول الصحيحة بقبحه (٢)، وهو عام فى كل

(١) مقاييس اللغة (ف ح ش) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ن ك ر) .

مكروه تنفر منه القلوب وتأباه النفوس المعتدلة^(١)، كأنها لا تعرفه من شدة قبحه وبُعده عن السلوك السويّ المستقيم .

وعلى هذا فالْمُنْكَرُ: أشد الذنوب وأفظعها بعد الفاحشة التي هي اسم جامع لكل عمل تستفظعه النفوس لفساده، من اعتقاد باطل أو عمل مفسد للخلق... إلخ^(٢) .

● الوِزْر:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة، منها قول الله ﷻ:
- ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَأَرْزُ وَزَرًا أُخْرَى﴾ الأنعام: ١٦٤ .
والمشار إليه بالوِزْر في القرآن الكريم: حال صاحب الذَّنْب، وما يتحمله من عِبٍّ وثقلٍ يرهقه ويؤذيه .

- فكأن الوِزْرَ هو الإحساس المصاحب للذنوب ووطأته على نفس صاحبه .
- ونخلص مما سبق إلى دقة الاستعمال القرآني لتلك الكلمات، إلى حدّ يعجز عنه البشر .

فهذه كلمات تقاربت معانيها في العربية إلى حدّ الترادف أو التطابق التامّ، لكن لكل منها في الاستعمال القرآني الحكيم ملامح وسمات خاصة لا نجدها في الخطاب العادي . وسبحان الله الذي فصل آياته وأحكمها، هذا الإحكام الذي تذهل له العقول، وتخضع له القلوب، وتخضع الأعناق .

فكل هذه الألفاظ تدل على فعل يستوجب اللوم والذمّ، لكن لكل منها سياقه الذي لا يصح فيه غيره ولا يغنى عنه فيه مُقَارِبُهُ.

○ فالإثم عام في كل الذنوب، وإن غلب استعماله في الكبائر .

(١) التحرير والتنوير ٢٥٧/١٤ .

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

○ والجُنَاحُ أعمُّ من الإثم؛ لأنه يشمل الوقوع في المعصية، كما يشمل الميل إليها دون مقارفتها .

○ والْحُوبُ: إثم وظلم ووحشة وجفاء .

○ والخطيئة: ذنب صغير ليس فيه عَمْدٌ، والْخِطَاءُ ذَنْبٌ فيه عمد .

○ أما الذَّنْبُ فيشمل كل جُرْمٍ تُسْتَوْحَمُ عاقبته في الدنيا والآخرة .

○ والزَّلَلُ: الانزلاق إلى الذنوب والمعاصي، مما يجزّ الإنسان من الصغيرة إلى الكبيرة .

○ والسَّيِّئَةُ: الذنب القبيح الذي يسوء صاحبه ويراه الناس سيئًا، ففيه معنى المجاهرة .

○ والفاحشة: ما اشتدَّ قبحه وتجاوز الحدَّ في الشناعة من المعاصي والذنوب، وتستكره النفوس وتأباه الفطرة السليمة .

○ والمُنْكَرُ: ما تُنْكَرُهُ القلوب وتستفظعه النفوس، ولكنه أخفُّ من الفاحشة التي لا يخفى على أحد قبحها وشناعتها .

○ والوِزْرُ: يُقَالُ الذنب على فاعله، فهو منظور فيه إلى شعور مقتدره، وبخاصة يوم القيامة حين يحمل كل إنسان ما كسب من خير أو شرٍّ، فيكون للشر ثقله ووطأته التي هي بمنزلة حمل ثقل يحمله فوق ظهره . . فسبحان مَنْ هذا كلامه!!

□ ٨/١ الأجر - الثواب:

● الأجر في اللغة له معنيان: جزاء العمل، وجَبْرُ الْعَظْمِ المكسور .

ويجمع بين المعنيين أن أجرة العامل بمنزلة تعويض يتلقاه جزاء ما بذله من

كَدُّ وجهه، فهذا التعويض كأنه شيء يُجَبَّرُ به كما يُجَبَّرُ العظم المكسور^(١).
 • والثواب فى اللغة: العَوْدُ والرجوع، يقال: ثاب يَثُوب إذا رَجَعَ^(٢)، ومن هذا المعنى أخذ الثواب بمعنى الجزاء على العمل؛ إذ الجزاء لَوْنٌ من رجوع أثر العمل على فاعله.

والاستعمال القرآنى للكلمتين يَقِفْنَا على استقلال كل منهما بملاح دلالية تميزه.

فالأجر فى القرآن الكريم لابد أن يسبقه عمل وجهه وبذل، سواء أكان الأجر فى الآخرة، كما فى قول الله ﷻ: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة .
 - ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (يونس: ٧٢، هود: ٢٩، سبأ: ٤٧).

أو كان هذا المقابل دنيوياً، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿فَتَأْتُوهُمْ أَجُورُهُمْ فَرِيضَةً﴾ النساء: ٢٤.

سُمى مهر الزوجة أجراً؛ لإثبات أحقيته.

- ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَفَيْتَ لَنَا﴾ القصص: ٢٥.

وقد يكون الأجر من الله ﷻ، كما قد يكون من الناس، ولا يكون الأجر إلا بالخير كما فى جميع المواضع من الكتاب الحكيم.

أما الثواب فى الاستخدام القرآنى فقد يكون بالخير، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران .

(١) مقاييس اللغة (أ ج ر).

(٢) مقاييس اللغة (ث و ب).

وهذا هو الغالب، لكن قد يكون بالشر كما في قول الله ﷻ:

- ﴿فَأَثْبِكُمْ غَمًّا يَغِيْرُ﴾ آل عمران: ١٥٣ .

وذلك لأن الثواب - كما سبق - مشتق من الرجوع، والجزاء رجوع على المرء بما فعل إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًا فشرٌ، أما الأجر فهو تعويض يُعطى مقابل جهد أو بذلٍ؛ ولذلك لا يكون شرًا قط .

كما أن الثواب لا يكون إلّا من الله ﷻ .

● ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين (أجر - ثواب) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في ملمحين دلاليين هما:

● المكافأة .

● كلاهما قد يكون في الدنيا أو في الآخرة .

بينما اختص الأجر بلامح فارقة هي:

● أن يسبقه جهد أو بذل .

● قد يكون من الله ﷻ ، أو من الإنسان .

● لا يكون إلّا بالخير .

على حين تميز الثواب باللامح الفارقة الآتية:

● أنه لا يكون إلّا من الله ﷻ .

● قد يُستعمل في الشر .

□ ٩/١ إِذْ - إِمْر - نُكْر (نُكْر):

لا تسعفنا المعاجم اللغوية بفارق واضح بين هذه الألفاظ، كما يلي:

- الإِدْ فى اللغة: الأمر العظيم الشديد العجيب الفظيع^(١) .
- والإِمْر فى اللغة: المنكر العظيم الشنيع^(٢) .
- والنُّكْر فى اللغة: الأمر الشديد^(٣)؛ لأن القلب لا يسكن إليه فكأنه يُنكره ولا يعرفه^(٤) .

وقد ورد لفظ (الإِدْ) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۖ تَتَشَقَّى الْأَرْضُ ۖ وَخَرُّوا لِلْجِبَالِ هَذَا ۝٩٠﴾ مريم .

أى: شيئًا عظيمًا منكرًا فظيعًا، حتى إِنَّ السماوات والأرض والجبال تستعظمه لشدة هوله وفظاعته ونكره^(٥)، فقد بلغ من فظاعة هذا القول أن يؤثّر فى الجمادات ويُغيّر كيانها^(٦).

وأما كلمة (إِمْر) فجاءت فى القرآن الكريم مرة واحدة أيضًا، فى قول الله ﷻ:

﴿فَإِن طَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧٦﴾ الكهف .

أى: شيئًا عظيمًا، والإِمْر مأخوذ من قولهم: أَمِرَ الأمرُ، أى عَظُمَ^(٧) .

أما كلمة (نُكْر) فتكررت فى القرآن الكريم أربع مرات:

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ د د) .

(٢) اللسان (أ م ر) .

(٣) المحكم، اللسان (ن ك ر) .

(٤) مقاييس اللغة (ن ك ر) .

(٥) الكشف ٥٢٥/٢ .

(٦) التحرير والتنوير ١٧١/١٦ .

(٧) الكشف ٤٩٣/٢ .

- ﴿قَالَ أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ الكهف : ٧٤ .
- ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ (٨٧) الكهف .
- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ (٦١) القمر .
- اختلف في النكر : هل هو أشدُّ من الإِمر أم أخفُّ منه؟ فقيل : النكر أشدُّ؛ ولذلك وُصِفَ به فعلُ القتل الذي حدث فعلاً ولا يمكن تدارُكُه، بينما وُصِفَ خرقُ السفينة بالإِمر؛ لأن خرقها يمكن تدارُكُه بالسدِّ .
- وقيل : بل الإِمر أشدُّ؛ ولذا وُصِفَ به خرق السفينة، بينما وُصِفَ قتل الغلام بالنكر؛ لأن قتل نفس واحدة أهونُ من إغراق أهل السفينة^(١) .
- والذي يبدو لنا أن النكر أشدُّ من الإِمر؛ لأن الإِمر يُوصَفُ به الشيء العظيم سيِّئاً كان أم حسناً، أمّا النكر فلا يُوصَفُ به إلّا ما تنكره القلوب وتستقبحه العقول .
- وأشدُّ منهما (الإِدُّ)؛ لأن فيه معنى العجب والفضاعة والنكارة والشدّة .
- ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (إِدَّ - إِمْر - نُكْر) متقاربة المعاني؛ حيث تشترك جميعها في العِظَم والعجب والفضاعة، لكن هذه الألفاظ تدرّج في التعبير عن هذا :
- فأولُّها وأشدُّها الإِدُّ؛ ولذا ورد في التعبير عن فضاعة الشرك بالله .
- ثم النُّكْر، وهو وسط بينهما؛ ولذلك جاء في التعبير عن فضاعة القتل .
- ثم الإِمر، وهو أقلُّها؛ ولذلك استُعْمِل في التعبير عن خرق السفينة، وهو أمرٌ قد يُفْضَى إلى إغراقها ومَن فيها، ولكن يمكن تدراكه بسدِّ الخرق .

□ ١٠/١ الاستئذان - الاستئناس:

• الاستئذان فى اللغة: طلب الإذن . وأصل الإذن: الإعلام بالشئ^(١)، وجاءت صيغة الاستفعال للدلالة على الطلب، كأنه يطلب سماعه والسماح له بما يطلبه .

• والاستئناس فى اللغة: طَلَبُ الأُنْس وعدم الوحشة والنفور . والأُنْس: كل شئ خالف طريقة التوحُّش^(٢) .

وقد راعى القرآن الكريم هذا الفارق الدلالى اللطيف بين اللفظين، فجاء الاستئذان بمعنى طلب الإذن بالشئ والترخيص فيه، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَفَاتٍ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ النور: ٥٨ ، ٥٩ .

والآية تقرّر حكماً شرعياً؛ لذا جاء لفظ الاستئذان مقصوداً، إذ المراد طلب الأمر وإباحة الشئ، وليس إزالة الوحشة أو النفور .

على حين جاء الاستئناس فى مقام الأدب وتعليم خُلُقِ المعاشرة والمخالطة بين الناس وتأليف قلوبهم، وذلك فى قوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ النور: ٢٧ .

وإن كان المقام هنا مقام تشريع واجب الاتباع، فإن فيه - علاوة على ذلك - تعليم أدب رفيع للمؤمنين، فليس المراد طلب الإذن فحسب، ولكن

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (أ ذ ن) .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (أ ن س) .

يُرَادُ أيضًا إزالة الوحشة والنفور . ففي لفظ الاستئناس هنا كناية لطيفة عن الاستئذان، أى أن يطلب الداخل إذنًا من شأنه ألا يكون معه استيحاش، وفي التعبير بلفظ الاستئناس إيحاءً إلى عِلَّةٍ مشروعَةٍ الاستئذان، وذلك عَوْنٌ على توفير الأُخُوَّةِ الإسلامية^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الاستئذان - الاستئناس) في القرآن الكريم بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى طلب السّماح، وينفرد الاستئناس بملمح زوال الوحشة والتلطف في الطلب .

□ ١١/١ الأسف - الأسى - البت - الحزن - الحسرة - الغم:

- الأسف في اللغة: المبالغة في الحزن والغضب^(٢) .
- والأسى في اللغة: الحزن^(٣) .
- والبت في اللغة: تفريق الشيء وإظهاره، ومنه سُمِيَ الحُزْنُ؛ لأنه شيء يُشْتَكى وَيُبَيَّن وَيُظْهَر^(٤) .
- والحُزْنُ في اللغة: نقيض الفرح^(٥)، مأخوذ من الحَزَن، وهو ما غَلُظَ من الأرض وَخَشُنَ^(٦) .
- والحسرة: التلهّف على أمرٍ فات، مأخوذة إمّا من قولهم: حَسَرَ عنه ثيابه

(١) التحرير والتنوير ١٨/١٩٧ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ س ف) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (أ س ا) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (ب ث ث) .

(٥) اللسان (ح ز ن) .

(٦) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (ح ز ن) .

أو دِرْعَه، أى: أزاله وخلعه فانكشف؛ وذلك لأن شِدَّة التلهف والندم فيها كشف لحال صاحبها، فيظهر أمره جليًا عليه .

وإِذَا أن تكون مأخوذة من قولهم: حَسَرَتِ الناقَةُ أو الدابةُ، إذا انقطع سيرُها ولم تعد تقوى على السَّير، وحَسَرَ البصرُ إذا كَلَّ؛ لأن الحسرة حزن وندم شديدان تجعل صاحبها حسيّرًا أى كليلًا ضعيفًا لا يقوى على احتمال ما هو فيه من حال الحزن والندم، إعياء وضعفًا كالدابة الحسرى^(١).

• والعَمُّ فى اللغة: الكَرْب الشديد الثقيل، وأصله بمعنى التغطية والإطباق، يقال: عَمَمْتُ الشَّيْءَ أى غَطَّيْتُهُ، ومنه: غَمَّ الهلالُ، أى لم يتبين وحالٌ دون رؤيته غيمٌ يحجبه^(٢) .

ومما سبق يتضح أن هذه الألفاظ متقاربة المعانى، فأعمُّها الحزن، ويرادفه الأسَى، وبقية الكلمات لها ملامح دلالية تميزها:

- فالأسَى: يميزه الامتزاج بين الحزن والغضب، بالإضافة إلى ملمح الشدَّة .

- والبَثُّ: يميزه ملمح الظهور والإفضاء بمكنون النفس إلى الآخرين .

- والحَسْرَةُ: تجمع بين الحزن، واللهفة، والندم، والضعف، بالإضافة إلى تعلُّقها بما فات، مع ملمح الشدَّة أيضًا .

- والعَمُّ: يميزه ملمح الإطباق، أى ثقل الحزن على نفس صاحبه حتى يشملها فيكاد أن يغطيه .

وقد راعى القرآن الكريم ما بين هذه الكلمات من ملامح دلالية فارقة، على النحو التالى:

(١) مقاييس اللغة، النهاية، مفردات الأصفهاني، اللسان (ح س ر) .

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، النهاية، اللسان (غ م م) .

● الأسف:

وردت هذه الكلمة فى خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ إِنِّي اسْمًا خَلَقْتُنِي مِنِّي بَعْدَىٰ﴾ الأعراف: ١٥٠ .

- ﴿فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١) الكهف .

اختلف المفسرون فى معنى الأسف، فقال بعضهم:

الأسف: أشد الغضب .

وقال بعضهم: الحُزن .

وقال بعضهم: الجَزَع .

وقال بعضهم: التلهُّف^(١) .

واحتج القائلون بأن الأسف هو الغضب بقول الله ﷻ:

﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَآغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٥) الزخرف .

أى: لَمَّا أَغْضَبُونَا .

واحتج القائلون بأن الأسف هو الحُزن بحديث عائشة رضى الله عنها:

قالت: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ» . أى حزين^(٢) .

وجمع الواحدى بين الغضب والحزن فى معنى الأسف فقال: والقولان

متقاربان؛ لأن الغضب من الحزن، والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره

ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت، فتسمى إحدى

هاتين الحاليتين غضباً، والأخرى حزناً^(٣) .

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٤٨، الكشف ٢/١١٨، البحر المحيط ٤/٣٩٤ .

(٢) تفسير الرازى (مفاتيح الغيب) ٤/٣٠٢ .

(٣) نقله أبو حيان فى: البحر المحيط ٤/٣٩٤، والرازى فى تفسيره: ٤/٣٠٢ .

وفسّر الزمخشري الأسف بأنه أشد الحزن والحسرة والجزع، مع دوام تلك الحال بصاحبها واستمرارها وإن تقادم عهدها^(١)، وذلك في كلامه على قول الله ﷻ: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْتَاسِفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَيُّضَتَ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (١٢١) يوسف .

والقول ما قال الزمخشري؛ فسياق الآيات يؤكد هذا المعنى، فإن حزن يعقوب على يوسف - عليهما السلام - كان حزناً شديداً تطاول عهده، وبلغ به الجزع أن كُفَّ بصره . . إلى آخر ما هو معروف من قصة يوسف ﷺ .
أما قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اٰتَيْنَاهُم مِّنْهُمۡ فَاَعْرِفْنَهُمْۢ اَجْمِيعَ﴾ (٥٥) الزخرف، فقد نُقل فيه تفسيران لابن عباس: أحدهما: أغضبونا، والثاني: أحزنوا أوليائنا المؤمنين^(٢) .

فالأسف هنا يحتمل المعنيين: الغضب والحزن .

ولذلك يمكننا أن نقول: إن الأسف في القرآن الكريم يجمع بين عدة معانٍ: الحزن، والغضب، والجزع، ودوام هذه الحال وشدتها .

● الأسى:

وردت هذه الكلمة في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

- ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٣١) المائدة .
- ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٨٠) المائدة .
- ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ اٰتٰىكُمۡ رِسَالَتِي رَئٰى وَاَصْحٰتُكُمْ فَيَكْفُرُوْنَ بِهَا فَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ (١٢٣) الاعراف .
- ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتٰىكُمْ﴾ (٢٣) الحديد .

(١) الكشف ٣٣٨/٢ .

(٢) البحر المحيط ٢٣/٨ .

والمفسّرون - فى معظمهم - على أن الأسى مرادف للحزن، أو الحزن الشديد^(١).

وزاد الزمخشري فى تأويل آية الحديد: المنهى عنه هنا: الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله وزجاء ثواب الصابرين^(٢).

وهذا الذى ذكره الزمخشري هو الأقرب لسياق الآيات؛ فكل المواضع التى استعمل فيها الأسى ارتبط بما فات، كما أن فيها نهياً أو استنكاراً، والحزن وحده لا يُستنكر، فلا بد أن يكون "الأسى" شيئاً آخر أو نوعاً من الحزن يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله.

ونخلص من ذلك إلى أن الأسى فى الاستعمال القرآنى: حزن شديد فيه جزع وذهول، وهو مستنكر.

● البَثُّ:

وردت كلمة (البَثُّ) - بمعنى مقارب لمعنى الحزن - فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ يوسف: ٨٦.

قال أكثر المفسرين: البَثُّ أشد الحزن؛ سُميَ بذلك لأنه من صعوبته لا يطيق حمله فيثبته أى ينشره^(٣).

وعطف البَثُّ على الحزن قرينة على اختلاف معناهما، والملمح المميّز للبَثِّ - بالإضافة إلى الشدة والصعوبة - هو: الإفضاء به وإظهاره.

(١) الكشف ١ (٦٠٦، ٦٣١)، ٢ (٩٧) الله البحر المحيط ٣ (٤٥٩، ٥٣١)، ٨ (٢٣٥) الله

التحرير والتنوير ٦ (١٦٨، ٢٦٧)، ٩ (١٥).

(٢) الكشف ٤/٦٦.

(٣) البحر المحيط ٤/٣٣٩، الكشف ٢/٣٣٩.

● الحُزْن:

وردت مادة (الحُزْن) فى القرآن الكريم ٤٢ مرة، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿قُلْنَا أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة .

وتكررت جملة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فى عدّة مواضع من كتاب الله ﷻ: (البقرة: ٦٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، المائدة: ٦٩، الأنعام: ٤٨، الأعراف: ٣٥، يونس: ٦٢، الأحقاف: ١٣) .

ويتضح من الآيات التى تكررت فيها هذه الجملة القرآنية الارتباط بين الخوف والحزن، وفى هذا يقول أبو حيان:

"قدّم عدم الخوف على عدم الحزن؛ لأن انتفاء الخوف فيما هو آتٍ أكّد من انتفاء الحزن على ما فات" .

ثم ساق أبو حيان عدّة أقوال للمفسرين فى تفسير هذه الجملة، يُفهم منها أن الخوف متعلّق بالمستقبل، بينما يتعلّق الحزن بالماضى والحال، أى لا يخافون العذاب الذى ينتظره العصاة فى الآخرة، ولا يحزنون لفوات المرغوب فى الماضى والحال^(١) .

ومِمَّا يُقَوِّى هذا التفسير وكون الحزن مرتبطًا بالماضى والحال دون المستقبل قول الله ﷻ: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ آل عمران: ١٥٣ .

ثم إن (الحزن) مفهوم عامّ يشمل الثقل منه والخفيف، وما يذهل الإنسان وما لا يذهله؛ ولذلك نفى الله ﷻ عن المؤمنين أن يصيبهم الحزن، أى حزن كان .

● الحَسْرَة:

وردت كلمة (الحَسْرَة) ومشتقاتها - بمعنى الحزن - في القرآن الكريم تسع مرات، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ البقرة: ١٦٧ .

- ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ آل عمران: ١٥٦ .

فُسِّرَت الحسرة بعدة عبارات:

- التلهُّف^(١) . - أشدَّ الندم^(٢) . - الحزن الشديد^(٣) .

- أشدَّ درجات الندم والغمِّ على ما فات^(٤) . - انكشاف حال الندامة^(٥) .

وقال الراغب الأصفهاني:

- الحسرة: الغم الشديد المنهك المنكشف حال صاحبه على ما فرط^(٦) .

وجمع الدكتور محمد سيد طنطاوي هذه المعاني جميعاً للحسرة فقال بعد أن أورد كلام الراغب الأصفهاني المذكور:

"فالحسرة هي الهمُّ المُضنى الذي يُلقَى على النفس الحزن المستمر والألم الشديد"^(٧) .

ويؤخذ مما سبق أن الحسرة: أشد الحزن، ويصحبها الندم، وانكشاف

(١) القرطبي ٢/٢٠٦ .

(٢) العمدة في غريب القرآن، ص ٦٨ .

(٣) التحرير والتنوير ٤/١٤٢ .

(٤) التفسير الوسيط ١/٤٤٤ .

(٥) تفسير الرازي ٤/٢٣٨ .

(٦) مفردات الأصفهاني (ح س ر) .

(٧) الوسيط ٣/٤١٤ .

الحال، والضعف والإعياء، مع مملح الدوام .

● الغَمّ:

وردت كلمة (الغَمّ) في القرآن الكريم ست مرات، منها قول الله ﷻ:

- ﴿فَأَنْبَأَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ﴾ آل عمران: ١٥٣ .

- ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الحج .

والآية الأولى تفيد أن الغَمّ أشدُّ من الحزن؛ ذلك أن الغَمّ اتصل بهم وشغلهم بأنفسهم طلباً للنجاة من الموت، فصار ذلك الغم المتصل بهم - من جهة خوف القتل - سبباً لانتفاء الحزن على فائت، كأنما قيل: صاروا في حالة من الغَمّ والهَمّ بحيث لا يخطر لهم ببال حزنٌ على شيء فائت ولا مُصابٍ وإنْ جَلَّ^(١) .

كما تشير الآية الثانية إلى عِظَمِ الغَمّ؛ لأنه جاء في وصف حال أهل النار، أعادنا الله من النار وغمّها .

وعلى ذلك فالغم: حزن شديد ثقيل يذهل صاحبه ويُطبق عليه .

● ونخلص مما سبق إلى أن بين هذه الألفاظ تقارباً في المعنى، فبينها ملامح دلالية مشتركة هي: الشعور بالحزن - الارتباط بالماضي أو بالحال دون المستقبل والشدة . ولكل منها ملامح دلالية فارقة، على النحو التالي:

● الأسف: يتميز بالملامح التالية:

- الجزع (عدم القدرة على الاحتمال) .

- دوام الحزن واستمراره . - تجدّده وإن تقادم عهده .

- الجمع بين الحزن والغضب .

● الأَسَى: يتميز بالملامح الدلالية التالية:

- الجزع .
- الدهول .
- الاستنكار .

● البَثّ: يتميز بالملامح الدلالية التالية:

- عدم القدرة على الاحتمال .
- الإفضاء به وإظهاره .

● الحزن: أعمُّ الألفاظ المذكورة .

● الحُسرة: تتميز بالملامح الدلالية التالية:

- الشدة .
- الجمع بين الحزن والندم .
- الضعف والإعياء .
- انكشاف الحال .
- الدوام .

● الغَمّ: يتميز بالملامح التالية:

- الثقل .
- الشمول والإطباق .
- الدهول .

□ ١٢/١ الأشْر - البَطْر:

● الأشْر في اللغة: الحِدَّة، من ذلك قولهم: هو أشْر، أى يَطْرُ مُتَسَرِّعٌ ذُو حِدَّةٍ^(١).

وقد أورد اللغويون عدَّة معانٍ أخرى للأشْر، جاء في اللسان:

(١) مقاييس اللغة (أ ش ر) .

الأَشْر: المَرَح، والأَشْر: البَطَر .

وفى حديث الزكاة وذكر الخيل: "وَرَجُلٌ اتَّخَذَهَا أَشْرًا وَمَرَحًا" .

الأَشْر: البَطَر، وقيل: أَشَدُّ البَطَر^(١) .

وقال الراغب: الأَشْر: شدة البَطَر^(٢) .

● والبَطَر فى اللغة: الطغيان عند النعمة، وفى الحديث: "الكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ"، وقيل: الدَّهْشُ والحيرة^(٣) .

وجمع الراغب الأصفهاني بين هذه المعانى فقال: البَطَر دَهْشٌ يعترى الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحققها، وصرفها إلى غير وجهها^(٤) .

وقد وردت كلمة (أَشِر) فى القرآن الكريم مرتين مقترنة فيهما بالكذب، وذلك فى قول الله ﷻ: ﴿أَتَلَقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿١٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْآثِرِ ﴿١٦﴾﴾ القمر .

الأَشِر هنا: الذى يريد العُلُوَّ على الناس والتعاضم والتكبر عليهم بما ادَّعاه من كَذِب^(٥) . واقتران الوصفين (كَذَّاب - أَشِر) يوحى بوجود ارتباط معنوى بينهما، وذلك أن الكَذَّاب - فى مثل هذه الدعوى - يريد التعاضم والتكبر على الناس . فالأَشِر إذن: طغيان وتكبر وتعاضم، فهو أَشَدُّ من البطر .

وأما البطر فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

(١) النهاية، اللسان (أ ش ر) .

(٢) مفردات الأصفهاني (أ ش ر) .

(٣) النهاية، اللسان (ب ط ر) .

(٤) مفردات الأصفهاني (ب ط ر) .

(٥) الكشف ٣٩/٤، البحر المحيط ١٨٠/٨ .

- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأنفال: ٤٧ .

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ بَطِرَ مَعَاشَتُهُمْ فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَنْتَهِ عَنْ بَعْثِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص: ٥٨ .

البطر: سوء احتمال النعمة، وهو أن لا يحفظ حقَّ الله فيها^(١) .

وسياق الآيتين في ذكر من أساءوا التصرف في نعمة الله ووجَّهوها في غير حقها، طغيانًا وكبرًا^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الأشْر - البَطَر) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى: الطغيان عند النعمة، والتكبر .

● إلا أن (الأشْر) أشدُّ من البَطَر، وكأنَّ الأشْر من شدة طغيانه عند النعمة قد دهش وتحير؛ فلم يحفظ هذه النعمة، وراح يصرفها في غير وجهها في حِدَّة ونشاط عارم .

□ ١٣/١ أَفْكَ - صَرَفَ:

● أَفْكَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَأْفِكُهُ أَفْكًَا: صَرَفَهُ عَنْهُ وَقَلَبَهُ^(٣) .

● وصرفه عن الشيء: رَدَّه عَنْ وَجْهِهِ^(٤) .

فالكلمتان مترادفتان في الاستعمال اللغوي، إلا ما ذكره ابن منظور في مادة (أ ف ك) حيث ذكر المعنى المتقدم، ثم عَقَّبَ بقوله: وَقِيلَ: صَرَفَهُ بِالْإِفْكَ .

(١) الكشف ١٨٦/٣ .

(٢) الكشف ١٦٢/٢، ١٨٦/٣ .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (أ ف ك) .

(٤) اللسان (ص ر ف) .

فعلى هذا يكون الأفك نوعاً من الصرف والتحويل، ولكن باستخدام الإفك (أى الكذب) وسيلة لذلك . والاشتقاق يؤيد هذا المعنى الذى ذكره ابن منظور، وإن أوردَه بعبارة (وقيل ...) الدالة على أنه قولٌ ضعيف .

والمتمائل للسياقات القرآنية التى وردت فيها كلمة (أَفْكَ) يرى أنها جاءت فى ذم الكفار والمكذبين، كما فى الآيات التالية:

- ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظَرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّ يُؤَفَّكَوْٓتَ ۝٧٥﴾ المائدة .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَىِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤَفَّكَوْنَ ۝٩٥﴾ الانعام .

- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكَ لَنَىٰ قَوْلٍ مُّخْلِيفٍ ۝٨ يُؤَفَّكَ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ۝٩﴾ الذاريات . وتكررت جملة ﴿فَأَنَّى يُؤَفَّكَوْنَ﴾ فى عدة مواضع أخرى .

وجاء مرة واحدة على لسان الكفار مخاطبين نبي الله هوذا ﷺ وذلك فى قول الله ﷻ: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأْكَمَنَّ عَنْ ءَالِمِينَ فَأَيْنَا بِمَا نَعِدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝٣٣﴾ الأحقاف .

وذلك لأنهم كانوا يكذبونه، بدليل ختام الآية: ﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعِدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ .

فجميع السياقات التى وردت فيه كلمة (الأفك) بالفتح فى القرآن الكريم مرتبطة بمعنى (الإفك) بالكسر، أى الكذب، وهذا يؤيد ما أورده ابن منظور كما تقدّم .

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّى يُؤَفَّكَوْنَ﴾ العنكبوت: ٦١ ، معناه: كيف يُضَرَفُونَ عن الحق فى الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق فى المقال إلى الكذب، ومن

الجميل في الفعل إلى القبيح . وقوله ﷺ: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ ، استعملوا الإفك في ذلك لَمَا اعتقدوا أن ذلك صرفٌ من الحق إلى الباطل ومن الصدق إلى الكذب^(١) .

بينما استعمل الصَّرَفَ في القرآن الكريم لمُطْلَقِ التحويل والرد، وجاء مسنداً إلى الله تعالى، كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّدَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَرَقَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ آل عمران .

- ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَسُكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ التوبة .

- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُوَّ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَصَوَّغَ اللَّهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْغَاظِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ يوسف .

- ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿١٥٦﴾ الفرقان .

وفي جميع هذه المواضع لا يجوز (أفك) بدلاً من (صَرَفَ)؛ لأن المعنى: ردُّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره^(٢)، وليس فيه تقييد بوصف الكذب كما في الآيات التي ورد فيها (أفك) .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (أفك - صَرَفَ) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى: ردُّ الشيء من حالة إلى أخرى أو تغييره .

● ويتميز (الأفك) بلمح دلالي فارق: أن وسيلته هي الكذب . فالأفك أخصُّ من الصَّرَف .

(١) مفردات الأصفهاني (أ ف ك) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ص ر ف) .

□ ١٤/١ الإفك - الكذب:

- الإفك فى اللغة: صرف الشئ عن وجهه المستحق له، ثم استعمل للقول الذى لا وجود له فى الحقيقة، فهو مبالغة فى تصوير الباطل فى ثوب الحق^(١).
- والكذب فى اللغة: نقيض الصدق^(٢).

فالمعنيان متقاربان، يجمعهما معنى: الخُلُو من الحقيقة، وعدم الصدق.

وقد راعى القرآن الكريم الأصل اللغوى للكلمتين، فاستعمل الإفك بمعنى: الكذب والإثم العظيم، كما فى قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ النور.

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَّخْرُوجُونَ﴾ الفرقان: ٤.

والإفك فى الآيتين: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه، فهو بُهتانٌ يُفجأُ الناسَ، وهو مشتق من الأفك (بفتح الهمزة) وهو قلب الشئ، ومنه سُمى أهل سدوم وعمورة وأدمة وصبويم (قرى قوم لوط): أصحاب المؤتفكة؛ لأن قُراهم ائتفكت، أى قُلبت وخُصِف بها فصار أعلاها أسفلها، فكان الإخبار عن الشئ بخلاف حاله الواقعية قلباً له عن حقيقته؛ فسُمى إفكاً^(٣).

أما الكذب فقد ورد فى مواضع كثيرة من كتاب الله، ومن ذلك قوله ﷻ:

- ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٦﴾﴾

البقرة.

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (أ ف ك).

(٢) اللسان (ك ذ ب).

(٣) التحرير والتنوير ١٨ / ١٦٨.

- ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٩) الأنعام .
والكذب هنا: نقيض الصدق، ولكنه أقلُّ من الإفك؛ لأن الإفك كذب وإثم عظيم، وصُرِّفَ للحقِّ بتحويله إلى باطل، أو بتحويل الباطل إلى حقٍّ .
● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الإفك - الكذب) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى: الكذب، والفارق بينهما فارق في الدرجة؛ حيث اختصَّ الإفك بوصف المبالغة في الكذب وشِدَّتَه، وذلك بتصوير الباطل في صورة الحق، أو تصوير الحق في صورة الباطل .

□ ١٥/١ آلى - اتلّى - أقسم - حلف - يمين:

- آلى في اللغة واتلّى كلاهما من مادة (أ ل و - أ ل ي)، أصلان: أحدهما الاجتهاد والمبالغة، والآخر: التقصير .
فالأول الاجتهاد في الحلف، يقال: آلى يؤلى إذا حلف، وآلى يألو إذا قَصَّرَ^(١) . وصيغة (اتلّى) للمبالغة^(٢) .
- والحلف في اللغة: أصله الملازمة، يقال: حالف فلان فلاناً: إذا لازمه، والحلف من ذلك؛ لأن الإنسان يلزمه الثبات عليه^(٣) .
- وأقسم في اللغة: مأخوذ من القسامة، وهى أيمانٌ كانت تُقسم على أولياء المقتول إذا ادَّعوا دمَ مقتولهم على ناسٍ اتَّهموهم به، ثم صار اسماً لكل قسم^(٤) .

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، النهاية، اللسان (أ ل و) .

(٢) مقاييس اللغة (أ ل و) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (ح ل ف) .

(٤) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (ق س م) .

• واليمين فى اللغة: مأخوذ من اليد، سُمِّيَ الحَلَفُ يمينًا؛ لأن المتحالفين كان أحدهما يصفق بيمينه على يمين صاحبه^(١).

وقد ورد الفعل (آلى) فى القرآن الكريم مرةً واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن قِسَابِهِمْ رَبُّهُمْ أَزْبَعَ أَشْهَرُ﴾ البقرة: ٢٢٦ .

والإيلاء: الحَلَفُ على الامتناع من الجماع^(٢).

وهو يشتمل على الأصلين اللغويين للمادة: الحلف، والتقصير؛ لأنه حلف أن يقصّر فى الوطء، وفيه ضرار بالمرأة .

والفعل (اِئْتَلَى) ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ النور: ٢٢ .

معنى ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: لا يحلف على ألا يحسن إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقصّر فى أن يحسن إليهم^(٣).

فالكلمة تحتمل الداليتين؛ لأنه حلف أن يقصّر فى الإحسان إلى من يستحق الإحسان، وصيغة (افتعل) تدل على المبالغة، وهذا هو الفارق بين (آلى، اِئْتَلَى).

• أما الحَلَفُ فحيثما ورد فى القرآن الكريم دلّ على الحنث والكذب فى اليمين^(٤)، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَحَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (ى م ن) .

(٢) الكشف ٣٦٣/١، البحر المحيط ١٨١/٢ .

(٣) الكشف ٥٦/٣ .

(٤) الترادف فى القرآن الكريم، ص ١٧٤، نقلاً عن: الإعجاز البيانى للقرآن، د . عائشة عبد الرحمن، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

لَكَذِبُونَ ﴿١٧﴾ التوبة .

- ﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ التوبة .

وبهذا يكون للحلف ملمح دلالي خاص يتميز به، وهو اشتماله على الحنث، ولا يستعمل الحلف في القرآن إلا مقترناً بالكذب أو الحنث باليمين^(١).

وأما الْقَسَمُ، فالسياقات القرآنية التي ورد فيها تدل على أن المراد به: الأيمان الصادقة؛ ولذلك جاء موصوفاً بالعظمة في قول الله ﷻ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَفَسُّدٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ الواقعة .

وجاء في الشهادة حيث لا يحل الحنث باليمين، كقول الله ﷻ:

- ﴿يُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لِينِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ المائدة .

وحين يُسند الْقَسَمُ في القرآن الكريم إلى المجرمين والكافرين فإنهم في ظنهم صادقون^(٢) وإن كانوا في الحقيقة كاذبين، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَقْسُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنَنَّ بِهَا﴾ الأنعام: ١٠٩ .

- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الروم: ٥٥ .

كما أن كل قَسَمٍ إلهي في القرآن الكريم جاء معه فعل، فهذا الفعل هو (أَقْسَمَ) دون غيره من الحلف أو اليمين . وهذه قرينة على وجود ملمح الصديق في القسم .

أما اليمين فمعناها: القسم المؤكد بأن يضع المُحَالِفُ أو المُعَاهِدُ يمينه في يمين صاحبه، وباستقراء آيات القرآن الكريم التي وردت فيها كلمة (الأيمان)، نجد أنها جاءت في سياق العهد المؤكد بالقسم، ومن ذلك قول الله ﷻ:

(١) الترادف في القرآن الكريم، ص ١٧٤ .

(٢) الموضوع السابق .

- ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَلِيلًا مِمَّا أَلْكَفَرِ
إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ التوبة: ١٢ .

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "فإن قلت: كيف أثبت لهم الأيمان في قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ﴾ ثم نفاها عنهم؟ قلت: أراد أيمانهم التي أظهرها، ثم قال: ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ على الحقيقة، وأيمانهم ليست بأيمان" (١) .

- ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (ألى - اتلى - أقسم - حلف - يمين) بينها تقارب دلالي، حيث تشترك جميعاً في معنى: التوكيد .
- ويختص الفعلان (ألى - اتلى) بمعنى التقصير المصاحب للقسم، ويزيد (اتلى) بصيغته الصرفية ملمح المبالغة .
- ويختص الحلف باقترانه بالكذب أو إضمار الكذب فيه .
- ويختص القسم باقترانه بالصدق .
- أما اليمين فهي في الأصل علامة على القسم والعهد، ثم أطلقت على القسم والعهد المؤكد الموثق بوضع اليمين في اليمين رمزاً لقوة اليمين والتزام الوفاء بها .

□ ١٦/أمت - عوج:

- الأمت في اللغة: اختلاف في طبيعة المكان، بين ارتفاع وانخفاض، وغلظ ورقة (٢) .

(١) الكشف ١٧٧/٢ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ م ت) .

• والعَوَج في اللغة: الميل والانحناء في كل شيء مستقيم، ثم استُعير للزيف والانحراف والفساد في الرأي والدين والخلق^(١).

وقد ورد (الأُمت) في القرآن الكريم مرة واحدة، معطوفاً على العوج، في قول الله ﷻ: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ﴾ طه .

والمراد بالعِوَج: الميل والانحناء ولو كان طفيفاً لا يُدرك بحاسة البصر^(٢).
والأُمت: التواء (البروز) اليسير^(٣).

وظاهر كلام أبي حيان أنه يميل إلى تفسير العَوَج بالميل والانحناء فيما كان منخفضاً، والأُمت بالميل والانحناء فيما كان مرتفعاً . والمعنى أن الأرض يومئذ تكون مستوية استواء تاماً، ليس فيها هبوط (عَوَج)، ولا ارتفاع (أُمت) . وهو التفسير الذي ارتضاه ابن كثير ونقله عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة، وغير واحد من السلف^(٤).

والملاحظ في الاستعمال القرآني للفظ (العَوَج) أنه قد يأتي وصفاً للأشياء كما في الآية المذكورة، وقد يأتي وصفاً للمعاني كما في قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ ۗ﴾ طه: ١٠٨ .

أى يتبعونه لا يتخلّفون عن دعوته، بل يستوون إليه من غير انحراف^(٥).

وقوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُمُ عِوَجًا ۗ﴾^(٦)
الكهف .

أما (الأُمت) فلم يُستعمل في القرآن الكريم سوى مرة واحدة في الآية

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ع و ج) .

(٢) الكشف ٥٥٣/٢، البحر المحيط ٢٩٧/٦ .

(٣) الكشف ٥٥٣/٢، التحرير والتنوير ٣٠٨/١٦ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٦٥/٣ .

(٥) الكشف ٥٥٣/٢ - ٥٥٤ .

المذكورة، لوصف الأرض بالارتفاع، أو الاختلاف بين ارتفاع وانخفاض، على نحو ما سبق في تفسيره .

● ونخلص مما سبق إلى أن العِوَج يشمل الميل والانحناء بالمفهوم الحسّي، كما يشمل الميل المعنوي، أي الزين والانحراف . . على حين يقتصر الأمت على وصف الميل والانحراف الحسّي . فاللفظان يشتركان في ملمح دلالي هو: الاختلاف والانحراف .

● ويفترقان في ملمح فارق هو: أن العِوَج يشمل الانحراف الحسّي والمعنوي معاً، بينما يقتصر الأمت على الميل والاختلاف الحسّي دون المعنوي .

□ ١٧/١ الأمل - الرجاء - الطمع :

● ذكر ابن فارس أن أصل مادة (أ م ل): الثبّت والانتظار^(١) .

وذكر في معنى الرجاء أنه رُبّما عُبرَ به عن الخوف، وساق شاهداً على ذلك قول الله ﷻ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقَارًا﴾ ﴿١٣﴾ نوح .

أي: لا تخافون له عظمة، أو بمعنى المبالاة والاكتراث، فيكون معنى الرجاء في الآية: ما لكم لا تبالون ولا تكثرثون^(٢) .

وخصّص ابن فارس معنى الطمع بالرجاء القوي^(٣) . وزاد ابن منظور في الطمع ملمحاً دلالياً آخر هو الحرص^(٤) .

(١) مقاييس اللغة (أ م ل) .

(٢) مقاييس اللغة (رج و) .

(٣) مقاييس اللغة (ط م ع) .

(٤) مقاييس اللغة (ط م ع) .

وَيَتَحَصَّلُ من أقوال اللغويين في الكلمات الثلاث أن بينها تقارباً دلالياً يكاد يبلغ حد الترادف، إلا أن الأمل يتميز بملمح طول الزمن، والرجاء يُستعمل في معانٍ أخرى كالخوف والمبالاة، والطمع يتميز بملمح الحرص .

● وقد وردت كلمة (أمل) في القرآن مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَمْعُوا وَيَلْهَبُوا الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾﴾ الحجر .
- ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٦﴾﴾ الكهف .

والمراد بالأمل في الآية الأولى: توقُّع الخير وطول الأعمار واستقامة الأحوال في الدنيا، وألا يلقوا في الآخرة إلا خيراً^(١) .

وجاء الأمل في الآية الثانية في سياق تفضيل العمل الصالح على زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وأنَّ العمل الصالح الدائم الباقي خيرٌ من المتاع الفاني من وجهين: فهو خيرٌ في ثواب صاحبه، وفيما يأمله صاحبه ويتوقعه من خير في الآخرة^(٢) .

ونلمح في الآيتين ملمح طول المدة، فالأمل توقُّع للخير ثابت في قلب صاحبه لا يتحوَّل، ومن هنا دُمَّ صاحب الأمل في الدنيا، ومُدِّح صاحب الأمل في الآخرة .

● أما الرجاء فقد تكرر في القرآن الكريم، ومن شواهد:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ البقرة .
- ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

(١) الكشف ٢/ ٣٨٦ .

(٢) البحر المحيط ٦/ ١٣٣ .

وَرَجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^(١) وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧٢﴾ النساء .
 - ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿٧٣﴾ نوح .

فالرجاء فى آيتى البقرة والنساء معناه: ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله^(١) . ومعنى الرجاء فى آية نوح: الخوف^(٢) .

وجمع الراغب بين المعنيين بأن الرجاء (الذى هو ترقب الخير وتوقع حصوله) يتلازم مع الخوف^(٣) ، وكان من يتوقع الخير ويرقبه يخاف ألا ينال رجاءه . ونلمح من هذا أن الرجاء ليس حالة دائمة، بل هو مقترن بأحوال بعينها من أحوال النفس، وبخاصة حال الخوف .

• وأما الطمع فقد تكرر فى القرآن مرات عديدة، ومن شواهد:

- ﴿أَفَنظْمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ البقرة .

- ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ المائدة .

- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ الاعراف .

قال أبو حيان: الطمع تعلق النفس بإدراك مطلوبٍ تعلقًا قويًا، وهو أشد من الرجاء؛ لأنه لا يحدث إلا عن قوة رغبة وشدة إرادة^(٤) .

ولعل من أجمع ما قيل فى التفرقة بين الكلمات الثلاث قول المناوى:

(١) التحرير والتنوير ٣٣٨/٢، ١٩٠/٥ .

(٢) الكشف ٤٦٣/٤، البحر المحيط ٣٣٩/٨ .

(٣) مفردات الأصفهاني (رج ١) .

(٤) البحر المحيط ٢٦٩/١ .

مَنْ عَزَمَ عَلَى سَفَرٍ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ يَقُولُ: أَمَلْتُ الْوَصُولَ، وَلَا يَقُولُ: طَمِعْتُ؛ لِأَنَّ الطَّمَعَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْقَرِيبِ، وَالْأَمَلَ فِي الْبَعِيدِ، وَالرَّجَاءَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَنَّ الرَّاجِيَ يَخَافُ أَلَّا يَحْصُلَ مَأْمُولُهُ^(١).

● وَنَخْلُصُ مِمَّا سَبَقَ إِلَى أَنْ أَلْفَاظَ (الْأَمَلَ - الرَّجَاءَ - الطَّمَعَ) فِي الِاسْتِعْمَالِ الْقِرَائِيَّ مُتَقَارِبَةً دَلَالِيًّا؛ حَيْثُ تَشْتَرِكُ جَمِيعُهَا فِي مَعْنَى: تَوَقُّعُ الْخَيْرِ. وَيَخْتَصُّ كُلُّ لَفْظٍ مِنْهَا بِمَلَاحِظَةٍ دَلَالِيَّةٍ تَمِيزُهُ:

- فَالْأَمَلَ يَخْتَصُّ بِمَلْمَحِينَ دَلَالِيْنِ هُمَا: طَوْلُ الزَّمَنِ، وَيُبْعَدُ الْمَطْلُوبُ.
- وَالرَّجَاءَ يَتَمَيَّزُ بِالتَّلَازُمِ مَعَ الْخَوْفِ.
- وَالطَّمَعَ يَتَمَيَّزُ بِمَلْمَحِينَ هُمَا: قُوَّةُ الرِّغْبَةِ، وَقَرَبُ الْمَطْلُوبِ.

□ ١٨/١ التَّأْمَلُ - التَّدَبُّرُ - الْإِعْتِبَارُ - التَّفَكُّرُ:

● التَّأْمَلُ فِي اللُّغَةِ: التَّثَبُّتُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّظَرُ^(٢)، قَالَ زَهِيرٌ:

تَأْمَلْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَائِنِ تَحْمَلُنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْهُمِ^(٣)
وَقَالَ الْمَرَّارُ:

تَأْمَلْ مَا تَقُولُ وَكُنْتَ قَدْ مَأْمَلْتَ قَطَامِيًّا تَأْمَلُهُ قَلِيلُ^(٤)
الْقُطَامِيُّ: الصَّقْرُ، وَهُوَ مُكْتَفٍ بِنَظَرِهِ وَاحِدَةً^(٥).

(١) التوقيف، ص ١٢.

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (أ م ل).

(٣) شرح ديوان زهير، صنعة الإمام أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م)، ط ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م، ص ٩.

(٤) البيت في مقاييس اللغة (أ م ل)، وأورده في اللسان بلا نسبة (مادة/ ق ط م).

(٥) مقاييس اللغة (أ م ل).

فالتأمل: التثبت من الأمر، ويكون ذلك بالنظر بالعين كما في بيت زهير، كما يكون بالعقل والتروى في الأمر كما في بيت المرار .

• والتدبر في اللغة: أن يُدبر الإنسان أمره، مأخوذ من الدبر وهو آخرُ الشيء؛ وذلك لأن الإنسان ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخره^(١) .

ومنه قول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ النساء: ٨٢، محمد: ٢٤ .

قال الزمخشري: تدبر الأمر: تأملهُ والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيها^(٢) .

ولكن التدبر مرتبط بأصله اللغوي؛ ذلك أن تأمل القرآن والآيات هو إنعام النظر والفكر فيها، أما التدبر فهو تفكيرٌ طويلٌ يلتم بالغايات، فالأمر بتدبر القرآن والآيات أمرٌ بإطالة التفكير فيها حتى يبلغ الفكر نهايته ويصل إلى مقاصد القرآن العظيم والغاية من آيات الله ﷻ . قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"معنى ﴿يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يتأملون دلالاته، وذلك يحتمل معنيين:

- أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله .

- وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق"^(٣) .

• وعلى كلا المعنيين فإن التدبر يدُ على إطالة التأمل والتفكير، حتى يصل إلى إدراك مقاصده وغاياته، وكونه من عند الله ﷻ .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (د ب ر) .

(٢) الكشف ٥٤٦/١ .

(٣) التحرير والتنوير ١٣٧/٥ .

● فالتدبُّر - إذن - مرتبط بالنهايات والعواقب، في حين أن التأمل مرتبط بالبدايات وتفاصيل الأمر .

لذلك أثر القرآن الحكيم لفظ التدبُّر على لفظ التأمل في مثل هذه السياقات .

● والاعتبار في اللغة مأخوذ من مادة (ع ب ر)، وأصلها يدل على النفوذ والمُضَيُّ في الشيء، يقال: عَبَرْتُ النهرَ عبورًا، وَعَبَرُ النهر: شَطُّهُ، والعبرة والاعتبار مأخوذان من عَبَرَى النهر؛ لأنَّ كل واحد منهما عَبْرٌ مُساوٍ لصاحبه، فإذا قلت: اعتبرت الشيء، فكأنك نظرت إلى الشيء فجعلت ما يعينك عبْرًا لذلك، فتساويا عندك^(١) .

● وأما التفكير في اللغة فاشتقاقه من الفِكر، وهو إعمال الخاطر في الشيء وتأمله^(٢) .

إذن فالاعتبار مساواة شيء بشيء، أو على حدِّ قول الراغب وغيره: الحالة التي يُتَوَصَّلُ بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد^(٣) .

وهذا هو المعنى الذي وردت به كلمة الاعتبار والعبرة في القرآن الكريم، نحو قوله ﷺ: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الحشر .

- ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران: ١٣ .

- ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١ .

وأما التفكير فهو أعمُّ من ذلك؛ لأنه لا يقتصر على معرفة ما غاب وبطنَ قياسًا على ما ظهر، بل التفكير يكون في آيات الله ﷻ وخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وفي قصص الأمم السابقة وأحوالهم، كما يتبين

(١) مقاييس اللغة (ع ب ر) .

(٢) الصحاح، اللسان (ف ك ر) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ع ب ر)، النهاية (ع ب ر) .

- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣١﴾﴾ البقرة .

- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الأنعام .

- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ الروم .

فالتفكر إذن تأملٌ بالبصيرة في آيات الله ﷻ .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (التأمل - التدبر - الاعتبار - التفكر) بينها تقارب دلاليّ؛ حيث تشترك جميعها في معنى عام هو: التأمل بالعقل والبصيرة .

● ويتميز التدبر بملح الإحاطة والشمول وإطالة الفكر؛ ومرجع ذلك إلى أصله الذي اشتق منه وهو الدُّبر؛ أى آخر الشيء، فاستُعير للنظر في غايات الأمور وعواقبها، ولا يكون ذلك إلا بإطالة الفكر وشموله وإحاطته .

● والتأمل يخلو من هذه الملامح الدلالية، ولكنه ينفرد بملح دلاليّ آخر هو: دلالته على إطالة النظر بمعناه الحسّي، أى النظر بالعين، والتدبر لا يُستخدم في النظر الحسّي .

● والملح الدلالي الذي يميّز الاعتبار هو: قياس الغائب على الشاهد .

● و التفكر لا يقتصر على معرفة ما غاب ويطنّ قياساً على ما ظهر، بل هو عامّ، فالتفكر يكون في آيات الله ﷻ وخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وفي قصص الأمم السابقة وأحوالهم .

□ ١٩/١ الأم - الوالدة:

• الأم في اللغة: كلُّ شيء يُضَمُّ إليه ما سواه ممّا يليه^(١)، ويقال لكلِّ ما كان أصلاً لوجوده شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه: أمّ، فالأمّ قد تكون الوالدة التي ولدت، أو التي ولدت مَنْ ولدت (أى الجدة)؛ ولهذا قيل لحواء: هي أمنا . وأمّ الكتاب: اللوح المحفوظ؛ وذلك لأنّ العلوم كلّها منسوبة إليه ومتولّدة منه . وأم القرى: مكة؛ لما روى أنّ الدنيا دُجيت من تحتها، وكل مدينة هي أمّ ما حولها من القرى، وأمّ الكتاب: الفاتحة؛ لكونها مبدأ القرآن^(٢) . . . وغير ذلك مما أُضيف إلى أمّ، فالمعنى لا يخرج عما سبق .

• والوالدة في اللغة: التي وَلَدَتْ^(٣) .

وقد راعى القرآن الكريم هذه الأصول اللغوية للكلمتين، فقد جاءت كلمة (أمّ) بمعنى: الأمّ التي ولدت، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ﴾ القصص: ٧ .

كما جاءت للإشارة إلى صفة الأمومة السابقة على مرحلة الولادة، نحو قول الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ لقمان: ١٤ .

- ﴿إِذَا أَنْشَأَكَ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا أَنْشَأَ أَجَنَّةً فِي بَطْنٍ أُمَّهُتُكُمْ﴾ النجم: ٣٢ .

وذلك لأن الأمّ لا تستحق اسم الوالدة إلّا بعد أن تلد، فأما الحامل فهي والدة على سبيل المجاز، باعتبار ما سيكون .

كذلك استعملت كلمة (أمّ) للدلالة على المُرْضِعة وإن لم تكن هي الوالدة، نحو قول الله ﷻ: ﴿وَأُمَّهُتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ النساء: ٢٣ .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ م م) .

(٢) مفردات الأصفهاني، مقاييس اللغة، اللسان (أ م م) .

(٣) اللسان (و ل د) .

وأُطلق اسم الأمهات على أزواج النبي ﷺ على سبيل التشبيه؛ فهنَّ للمؤمنين مثل الأمهات، قال الله ﷻ:

- ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦ .

كما استعمل القرآن الكريم لفظ الأم في الدلالة على الأصل الذي يضم الفروع، كما في قول الله ﷻ: ﴿هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ آل عمران: ٧ .

- ﴿وَلْيُنْذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الأنعام: ٩٢ .

أما كلمة (الوالدة) فالملاحظ في الاستعمال القرآني لها أنها ارتبطت حينما وردت بصفة الوالدية - أو الحمل والولادة - التي هي أعلى درجات القرابة وأوثقها؛ ولذا عُلقَتْ بها أحكام خاصة مثل البرِّ وأحقية الرضاعة^(١) .

وقد وردت كلمة (والدة) في القرآن الكريم أربع مرات: ثلاث منها بصيغة المفرد في الآيات التالية: ﴿لَا تُضَاكِرْ وِلْدَةً﴾ البقرة: ٢٣٣ .

- ﴿أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ﴾ المائدة: ١١٠ .

- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْكَ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ مريم .

ومرة بصيغة الجمع في قوله ﷻ:

- ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ البقرة: ٢٣٣ .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (أم - والدة)، بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في ملمح دلالي هو: الدلالة على الأصل .

● وبينهما ملامح دلالية فارقة، فالملامح الفارقة التي تميّز كلمة (أم) هي عموم معناها؛ حيث تدل على معانٍ شتى: الوالدة، المُرضِعة، الحامل، الأصل، أزواج النبي ﷺ .

(١) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، د. أحمد مختار عمر، ص ١١٦ .

- بينما استُعملت كلمة (والدة) بدلالة أخصّ، فاقْتَصَرَ استعمالها في وصف الوالدة، وذلك في سياقات تُرتَّب أحكاماً شرعية خاصة بهذه الصفة .

□ ٢٠/١ الأمن - الطمأنينة - السكينة:

- الأمن في اللغة: سكون القلب والنفس^(١) .
 - والطمأنينة في اللغة: السكون^(٢) . وَخَصَّ به الراغب الأصفهاني: السكون بعد انزعاج^(٣) .
 - والسكينة في اللغة: الثبوت والاستقرار والسكون^(٤) .
- هكذا تكررت كلمة السكون في تفسير الألفاظ الثلاثة . ولكن الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ يفرِّق بينها بملاحح دلالية مميزة، على النحو التالي:
- الأمن:

تكرر ذكر الأمن ومشتقاته في القرآن الحكيم، ومن شواهد:

- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ البقرة: ١٢٥ .

- ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ﴾ النساء: ٨٣ .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: الأمنُ حفظ الناس من الأضرار، وحراسة البلاد، وتمهيد السبيل، وإنارة الطرق: أمن، والانتصاف من الجناة، والضرب على أيدي الظلمة، وإرجاع الحقوق إلى أهلها: أمن، فالأمن يُفسَّر

(١) مقاييس اللغة (أ م ن) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ط م ن) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ط م ن) .

(٤) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (س ك ن) .

فى كل حال بما يناسبه^(١) .

وهذا التفسير مشتمل على المعنى اللغوى للأمن، وهو سكون القلب والنفس، ويصاحب ذلك بالضرورة زوال الخوف والاضطراب .

● الطَّمَأْنِينَةُ:

وردت فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن شواهدا:

- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿١٨﴾ الرعد .

- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ النحل .

الطمأنينة: زيادة سكون القلب، وذلك بحصول العلم اليقين الناشئ عن الرؤية، فالخليل إبراهيم عليه السلام مؤمن بالله، ولا يريد أن يرى ليؤمن، بل ليزداد يقيناً ويسكن فكره وخاطره بذلك اليقين^(٢)، فلا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشُّبُهَةِ عن القلب^(٣) والطمأنينة أقوى من الأمن، يتضح ذلك فى وصف القرية بأنها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ .

فالأمن: انتفاء الخوف والسلامة من العدو .

والطمأنينة: الدَّعة وهدوء البال^(٤)، أى ثبوت ذلك الأمن ورسوخه واستقراره فى النفوس .

(١) التحرير والتنوير ٢٠٩/١ .

(٢) البحر المحيط ٢٩٨/٢ - ٢٩٩ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٩/٣ .

(٤) التحرير والتنوير ٣٠٥/١٤ .

● السَّكِينَة:

من شواهدا في القرآن الكريم:

- ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ٢٦ .

- ﴿هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ السَّكِينَةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ الفتح: ٤ .

فسَّر المفسِّرون السَّكِينَة بالسَّكُون والطمأنينة^(١). وزاد أبو حيان فجعل نزول السَّكِينَة: كناية عن التباسهم بطمأنينة الإيمان واستقرار ذلك في قلوبهم، وسكون نفوسهم، وربط بين معنى السَّكِينَة في قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وإخبار النبي ﷺ بنزول الملائكة فعبر عن ذلك مرة بالسَّكِينَة ومرة بنزول الملائكة، وهم دَوُو السَّكِينَة؛ لأن إيمانهم في غاية الطمأنينة^(٢).

● ويؤخذ من هذا أن السَّكِينَة أرفع درجات السَّكُون والطمأنينة .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (الأمن - الطمأنينة - السَّكِينَة) متقاربة دلاليًّا؛ حيث تشترك جميعها في سكون النفس وعدم اضطرابها .

وتتدرج هذه المعاني في القوَّة:

● فالسَّكِينَة أعلاها وأشدُّها رسوخًا .

● والطمأنينة مرحلة وسط بين الأمن والسَّكِينَة .

● والأمن أعمُّ هذه الألفاظ؛ إذ هو سكون القلب، فإذا ما زاد هذا السَّكُون ورسخ في القلب صار طمأنينة، فإذا استقرَّ غايةً الاستقرار والثبات والهدوء صار سَكِينَة .

(١) انظر: الكشاف ١/٣٧٩، التحرير والتنوير ٢/٤٩٣ .

(٢) البحر المحيط ٢/٢٦١-٢٦٢ .

□ ٢١/١ الأنام - البشر - الناس :

- الأنام فى اللغة: ما ظهر على الأرض من جميع الخلق^(١) .
- والبشر فى اللغة: الإنسان، مأخوذ من البشرة، وهى ظاهر جلد الإنسان وسُمى البشر بشراً لظهورهم^(٢) .
- والناس فى اللغة: أصله (أناس)، قد يكون من الإنس ومن الجن^(٣) .
- وقد ورد لفظ (الأنام) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:
- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ الرحمن .
- الأنام: كُلُّ ما ظهر على الأرض من دابة؛ وعن الحسن: الإنس والجن^(٤) .
- وقال ابن عباس: بنو آدم فقط، وعن قتادة وابن زيد والشعبي: الحيوان كُلُّه^(٥) .
- وقال الشيخ الطاهر بن عاشور بعد أن ساق الأقوال المتقدمة: وسياق الآية يُرجِّحُ أنه المراد به الإنسان؛ لأنه فى مقام الامتنان والاعتناء بالبشر^(٦) .
- والذى نُرجِّحه ما رُوِيَ عن الحسن، وهو الإنس والجن؛ لأن الخطاب فى سورة الرحمن لهما .

- أما البشر فقد تكرر ذكره فى القرآن كثيراً، ومن شواهدة:
- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ آل عمران: ٤٧ .
- ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَبَّلْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ هود: ٢٧ .

(١) مقاييس اللغة (أ ن م) .

(٢) مقاييس اللغة (ب ش ر) .

(٣) مقاييس اللغة (ن و س) .

(٤) الكشف ٤٤/٤ .

(٥) البحر المحيط ١٩٠/٥ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٤١/٢٧ .

والبَشَر - كما ذهب أصحاب المعاجم اللغوية - هو الإنسان؛ اعتبارًا بظهور البشرة (أى ظاهر الجلد)، بخلاف الحيوانات التى عليها الصوف أو الشعر أو الوبر، وخصّ فى القرآن كلُّ موضعٍ اعتُبر من الإنسان جُثته وظاهره بلفظ البَشَر، نحو قوله ﷻ^(١):

- ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الفرقان: ٥٤ .

- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّى خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ص .

• وأما (الناس) فيقتصر معناه على بنى آدم، ومن شواهد قوله ﷻ:

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة .

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلٰهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِى يُّوسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ ⑥ وَالنَّاسِ ⑦﴾ سورة الناس .

• ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ: (الأنام - البَشَر - الناس) متقاربة دلاليًا؛ لاشتراكها فى معنى: المخلوق الحى .

واختصَّ كلٌّ منها بملمح دلالىٍّ مميز:

• فالأنام يشمل الإنس والجن .

• والبَشَر يختص بالإنسان، ولكن باعتبار ظهوره، ولذلك استعمل فى سياقات دالة على القدرة والإعجاز، فى تخليق بشر ظاهر الهيئة من الماء أو الطين .

• والناس: اسم عامٌ لبنى آدم .

□ ٢٢/١ الإيمان - التصديق:

لم يفرّق اللغويون بين الإيمان والتصديق، وجعلوهما مترادفين ترادفًا تامًا، وفي ذلك يقول الأزهري: اتَّفَقَ أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق .

ثم نقل إجماع المفسرين على أن كلمة (مؤمن) في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ يوسف: ١٧، معناها: مُصَدِّقٌ^(١) .

بيّد أن بعض العلماء أنكروا الترادف التام بين اللفظين، كابن تيمية الذي قال بأن الإيمان أخصّ من التصديق؛ لأن الإيمان تصديق يُستعمل على نحو مخصوص، ولأن كل مُخْبِرٍ عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صَدَّقْتُ، كما يقال كَذَبْتُ . وأما لفظ الإيمان فلا يُستعمل إلا في الخبر عن غائب، ولهذا يقال للشهود: صَدَّقْنَاهُمْ، ولا يقال: آمَنَّا لَهُمْ؛ ذلك أن الإيمان مشتق من الأمن أو الأمانة؛ ولذلك فهو يُستعمل في خبر يُؤْتَمَنُ عليه المخبر، ولم يُستعمل لفظ (آمَنَ) في القرآن إلا في هذا النوع . . . وقوله ﷻ: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ٦١، أى: يُصَدِّقُهُمْ فيما أخبروا به ممّا غاب عنه، وهم مأمونون عنده، فاللفظ متضمّن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة .

ومن أوجه الفرق أيضًا أن لفظ الإيمان في اللغة لم يُقابَلْ بالكذب كما قُوبِلَ به لفظ التصديق، وإنما قُوبِلَ به لفظ الكُفْر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختصّ بالكذب فحسب، وإنما قد يكون (الكُفْرُ) تكذيبًا، وقد يكون مخالفة وامتناعًا بلا تكذيب . ولَمَّا كان الأمر كذلك لزم أن يكون الإيمان تصديقًا مع موافقة وموالاته وانقياد، لا مجرد التصديق .

ومن أوجه الفرق أيضًا ما قال به بعضهم^(٢) من أن الإيمان أصبه في اللغة

(١) تهذيب اللغة، المحكم، الصحاح، مقاييس اللغة، اللسان (أ م ن، ص د ق) .

(٢) انظر: مقاييس اللغة، اللسان (أ م ن) .

من الأمن الذى هو ضد الخوف، وعلى ذلك يكون معنى (آمَنَ): صار داخلاً فى الأمن، وأنشدوا فى ذلك بيت النابغة:

والمؤمن العائذات الطيرَ يَمْسَحُهَا رُجْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ^(١)

وخلص ابن تيمية إلى أن الإيمان أصله التصديق، ولكنه تصديق مخصوص، كما أن الصلاة دعاءٌ مخصوص، والحج قصد مخصوص، والصيام إمساكٌ مخصوص^(٢).

وابن تيمية يقصد بعبارته الأخيرة أن الإيمان معناه اللغوى التصديق، ولكن الشرع خصَّصه فى نوع بعينه من التصديق كما شرحه فيما سبق ذكره، ومثَّلَ لذلك بأن معنى الصلاة فى اللغة: الدعاء، ولكنه دعاء مخصوص بالطريقة المحددة التى عيَّنها الشارع للصلاة من توجُّه إلى القبلة وتكبير وقيام وركوع وسجود وتسليم. وكذلك الصيام فى اللغة معناه الإمساك، ولكنه نوع بعينه من الإمساك هو الإمساك عن شهوتى البطن والفرج. والحج فى اللغة معناه القصد، ولكنه قصد مخصوص بالبيت الحرام دون غيره.

واستقراء الآيات الكريمة التى وردت فيها الكلمتان مصداق لكلام ابن تيمية، فقد ذُكر الإيمان فى الكثير من الآيات بهذه المعانى المذكورة، ومن الآيات الجامعة لتلك المعانى قول الله ﷻ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ﴾^(١) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۚ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ

(١) جاء فى نضرة النعيم (٢/٦٤٩) أن هذا البيت ليس فى الفتاوى، وأن المحقق ترك فى موضعه بياضاً، ولكن فى نضرة النعيم: (والسَّند) بالنون، والصواب ما أثبتناه: (والسَّعد) وفقاً للأستاذ عبد السلام هارون، حيث ذكر فى حاشية مقاييس اللغة (١/١٣٥) أن فى الأصل: (والسَّند) بالنون، والصواب. كما فى ديوان النابغة. : (والسَّعد) بالعين، وهى أجمَّة بين مكة ومنى.

(٢) فتاوى ابن تيمية ٢٨٦/٧، ٢٩٧ باختصار وتصرف.

الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾ الأنفال .

فاشتمل الإيمان على صفات عدّة تكون في المؤمن، منها تصديق الله ورسوله في كل ما أخبر به، وعدم الشك، والجهد في سبيل الله، ووجل القلوب عند ذكر الله ﷻ، وزيادة الإيمان بسماع آيات الله تلى، والتوكل على الله، وإقامة الصلاة، والإنفاق^(١) .

أمّا التصديق فليس في مفهومه ما تقدّم من صفات ولوازم الإيمان، ومن شواهد في القرآن الكريم:

- ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ الزمر .

- ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الصافات .

الآيتان تتحدثان عن صدق النبي ﷺ الذي جاء بالحق وصدق به وصدق المرسلين من قبله^(٢)، وإيثار لفظ التصديق هنا جاء في مقابلة تكذيب الكافرين .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآني لكلمتي (الإيمان، والتصديق) يجعلهما متقاربتين في الدلالة؛ حيث يشتركان في معنى عام هو التصديق بالقلب .

ويختص الإيمان بملامح دلالية تميزه، هي:

- ١- أنه يختص بالغيب دون المشاهدة .
- ٢- أنه يجمع بين التصديق والأمانة والأمن .
- ٣- أنه يتضمن مع التصديق الموافقة والمولاة والانقياد .
- ٤- أن له لوازم ومظاهر على نحو ما تقدّم .

(١) الفتاوى ١٩/٧ .

(٢) الكشاف ٣٣٩/٣، ٣٩٨/٣ .

□ ٢٣/١ آنسَ - أحسَّ - شعرَ:

- تدور مادة (أ ن س) في اللغة حول معنى: ظهور الشيء . يقال: آنستُ الشيء، إذا رأيته . ويقال: آنستُ الشيء، إذا سمعته^(١) .
 - وتدور مادة (ح س س) في اللغة حول معنى: إدراك الشيء بالحواس، وهى اللَّمْسُ، والذَّوقُ، والشَّمُّ، والسَّمْعُ، والبصر^(٢) .
 - وتدور مادة (ش ع ر) حول معنى: العِلْمُ بالشيء^(٣) .
- هكذا تقول المعاجم اللُّغوية، ولا نظفر منها بباطل، اللهمَّ إلّا في معنى (آنسَ)، حيث يقتصر على الرؤية والسماع . أما (أحسَّ) و(شعر) فمطلق في العلم بالشيء أو إدراكه .

فلننظر الآن كيف استعمل القرآن الحكيم هذه الألفاظ:

• آنسَ:

- ورد الفعل (آنسَ) في القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:
- ﴿وَابْتَغُوا الْيَنبَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النساء: ٦ .
- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَابِئُكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْسِكُمْ إِشْرَافٍ فَبِئْسَ لَكُمُ تَصَدُّقَاتُ ﴿٧﴾﴾ النمل .

معنى ﴿ءآنَسْتُمْ﴾ فى آية النساء: علمتم، وأصل الإيناس: رؤية الإنسان - أى الإنسان - ثم أُطلق على أوّل ما يتبادر من العلم، سواء فى المبصرات،

(١) مقاييس اللغة (أ ن س) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ح س س) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ش ع ر) .

أو في المسموعات . . ولعلّ اختيار ﴿ءَاسْتُمْ﴾ هنا دون (عَلِمْتُمْ) للإشارة إلى أنه إنْ حَصَلَ أَوَّلُ العلم برشدهم يُدْفَعُ إليهم ما لهم دُونَ تَرَاخٍ وَلَا مَظِلٍّ^(١) .

فالإيناس يتميز بملمح البداية، أي أَوَّلُ العلم بالشىء .

● أما الفعل (أَحْسَ) فقد ورد في القرآن ثلاث مرات، في الآيات التالية:

- ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ٥٢ .

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ مريم .

- ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ الأنبياء .

الإحساس: العِلْمُ بالحواسِّ، وهو عِلْمٌ لا شبهة فيه^(٢) .

فالفعل (أَحْسَ) يُراد به: العلم المؤكَّد القاطع؛ لأنَّه مُدْرِكٌ بالحواسِّ .

● وأمَّا الفعل (شَعَرَ) فقد تكرر في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهد:

- ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة .

- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة .

- ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ١٩٠ .

قال الزمخشري: الشعور: عِلْمُ الشىءِ عِلْمَ حِسٍّ، من الشُّعار، ومشاعر الإنسان حَوَاسُّه^(٣) .

وقال أبو حيان: الشعور: إدراك الشىء من وَجْهِ يَدِيقٍ، مُشْتَقٌّ من الشُّعار، وهو ثَوْبٌ يَلْبَى الجَسَدَ^(٤) .

(١) التحرير والتنوير ٤ / ٢٤١، ٢٤٢ .

(٢) الكشف ١ / ٤٢٢ .

(٣) الكشف ١ / ١٧٥ .

(٤) البحر المحيط ١ / ٥٣ .

وفى كلام النبي ﷺ ما يؤيد تفسير الزمخشري، قال ﷺ للأنصار: " أَنْتُمْ الشُّعَارُ، وَالنَّاسُ الدُّنَارُ "، فالشُّعار: ما لامَسَ البدن، والدُّنار: ما ظهر^(١).

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (أَنَسَ - أَحَسَّ - شَعَرَ) متقاربة دلاليًا؛ لاشتراكها فى معنى: العلم بالشىء .

● ويختص (أَنَسَ) بمعنى: بداية العلم بالشىء .

● ويختص (أَحَسَّ) بمعنى التأكيد واليقين .

● ويختص (شَعَرَ) بمعنى: العلم الدقيق الخفى .

□ ٢٤/١ الأوبة - التوبة - الإنابة:

● الأوبة فى اللغة: اسم مرّة من آب يؤوب أوبًا، أى رجّع^(٢)، وتكون الأوبة مصدرًا كالأوب والإياب أيضًا^(٣).

● والتوبة فى اللغة أيضًا: الرجوع، وكذا التوب^(٤). وخصّه بعضهم بالرجوع عن المعصية إلى الطاعة^(٥).

● والإنابة فى اللغة: لزوم الطاعة والإقبال على الله والرجوع إلى أمر الله^(٦). فهذه الألفاظ الثلاثة تشترك فى معنى الرجوع. وأعمّها لفظ (آب يؤوب

(١) النهاية، (ش ع ر، د ث ر).

(٢) مقاييس اللغة (أ و ب).

(٣) اللسان (أ و ب).

(٤) مقاييس اللغة (ت و ب).

(٥) تهذيب اللغة، اللسان (ت و ب).

(٦) اللسان (ن و ب).

أَوْبًا وَأَوْبَةً وَإِيَابًا)، فهو يشمل كل رجوع . ويختص لفظ التوبة بالرجوع عن المعصية إلى الطاعة، بينما يختص لفظ الإنابة بلزوم الطاعة ودوام الإقبال على الله والرجوع إلى ما أمر به .

ولم يفرّق المفسّرون بين الأوبة والتوبة، ففسّروا كلمة (أَوَاب) بمعنى تَوَاب، وذلك في قوله ﷻ:

- ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٧٥﴾﴾ -
الإسراء: ٢٥ .

- ﴿أَصِيرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ - ص: ١٧ .

وتكرر لفظ (الأَوَاب) في: (ص: ١٩، ٣٠، ٤٤، ق: ٣٢) .

قال الزمخشري: ﴿لِلأَوَّابِينَ﴾^(١) . ومثل ذلك قال جمع من المفسّرين^(٢) .

ولكن نقل الزمخشري عن سعيد بن المسيّب ملمحًا آخر في معنى الأَوَاب، وهو: المبادرة بالتوبة^(٣) .

وقد استعملت مادة (أ و ب) في القرآن الكريم لمطلق الرجوع، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٧٥﴾﴾ الغاشية .

والمواضع التي خُصّص فيها معنى الأَوْب في الرجوع عن المعصية إلى

(١) الكشاف ٢/٤٤٦، ٣/٣٦٣، ٣٦٥ .

(٢) العملة، ص ١٨١، ص ٢٥٩، مفردات الأصفهاني (أ و ب)، البحر المحيط ٦/٢٩، ٧/٣٩٠، تحفة الأريب، ص ٤١، القرطبي ١٧/٢٠، بهجة الأريب، ص ٢٤٢، التحرير والتنوير ١٥/٧٦ .

(٣) الكشاف ٢/٤٤٦ .

الطاعة، مقيدة بالسياق الوارد في ذكر المبادرة بالرجوع عن الذنب إلى الطاعة، فيبقى اللفظ على عمومه .

● وأما التَّوْبَةُ في القرآن الكريم فيلخص لنا الراغب الأصفهاني معانيها في قوله: التَّوْبُ: ترك الذنب على أجمل الوجوه... والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما قَرَطَ منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكن أن يُتدارك من الأعمال بالإعادة... وتاب إلى الله: تذكَّر ما يقتضى الرجوع، نحو قوله ﷻ:

- ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٤) المائدة .

- ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور: ٣١ .

و(تاب الله عليه): قبل منه توبته ، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ البقرة: ١٨٧ .

- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رُدُّوا رَحِيمٌ﴾ (٧٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٧٨) التوبة .

فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على العبد^(١) .

وأما ورود التوبة غير مقيدة بـ (إلى) أو (على) فمعناه الندم^(٢)، نحو قول الله ﷻ:

(١) مفردات الأصفهاني (ت و ب) .

(٢) نضرة النعيم ١٢٧١/٤ .

﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٣﴾﴾ التوبة .

● فالتوبة - إذن - مختصة بالذنب، وتتعدد معانيها طبقاً للتراكيب اللغوية التي ترد فيها، فالتركيب (تاب إلى) معناه رجوع العبد عن ذنبه إلى طاعة الله، والتركيب (تاب على) مختص بقبول الله التوبة عن عباده، ووروده غير مقترن بحرف جر يتضمن معنى الندم على الوقوع في الذنب .

● أما الإنبابة في القرآن الكريم فجاءت بمعنى: الرجوع إلى الله في جميع الأقوال والأفعال^(١)، كما في الآيات التالية:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: ٨٨ .

﴿قُلْ إِنْكَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ الرعد: ٢٧ .

﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ﴾ لقمان: ١٥ .

قال الزمخشري: "أناب" معناه: أقبل إلى الحق، وحقيقته: دخل في نوبة الخير^(٢) .

إذن فالإنبابة رجوع دائم إلى الله، وإقبال على الخير .

● ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ الثلاثة (الأوب - التوبة - الإنبابة)

بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك في معنى عام هو: الرجوع .

● وأعمُّ هذه الألفاظ (آب: أَوْبًا - أَوْبَةً)، فهو مطلق الرجوع .

● وأخص منه التوبة؛ لأنها تتميز بصدورها عند الذنب، سواء أكانت رجوعاً من العبد عن المعصية إلى الطاعة، أم قبول الله ﷻ توبة عبده، أم ندماً على الذنب .

(١) البحر المحيط ٢٥٥/٥ .

(٢) الكشف ٣٥٩/٢ .

● وأما الإنابة فهي رجوع إلى الله وإقبال عليه وصدور عن أمره في كل قول وفعل . فتميّز الإنابة بملمح الإقبال على الله والصدور عن أمره .

□ ٢٥/١ التأويل - التفسير :

- التأويل في اللغة: عاقبة الشيء وما يؤول (أى يرجع) إليه^(١) . مأخوذ من قولهم: آل الشيء يؤول إلى كذا، أى رجع وصار إليه . والمراد بالتأويل: نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ^(٢) ، أو هو: جمع معانى ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه^(٣) .
- والتفسير في اللغة: بيان شيء وإيضاحه^(٤) ، مأخوذ من الفسر، وهو رفع الغطاء عن الشيء^(٥) .

وتكرر ذكر التأويل في كتاب الله ﷻ، ومن ذلك قوله ﷻ :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ آل عمران .

﴿وكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يوسف: ٦ .

وقد اختلف المفسرون في المراد بالتأويل في آية آل عمران، والذي نظمثن إليه بعد مراجعة أقوال العلماء أن التأويل: تفسير ما غمض معناه مما يحتاج إلى

(١) مقاييس اللغة (أ و ل) .

(٢) النهاية (أ و ل) .

(٣) تهذيب اللغة (أ و ل) .

(٤) مقاييس اللغة (ف س ر) .

(٥) اللسان (ف س ر) .

إعمال الفكر والغوص إلى دقائق المعنى وأعماقه، وصرف اللفظ عن ظاهره^(١).

وتأويل الأحاديث: تعبير الرؤيا، ويصح أن يكون المراد به: معرفة معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها^(٢).

وكلا التفسيرين يحتمله لفظ الآية، وعلى كل فإن تفسير الرؤيا يقتضى علماً واسعاً وتبصراً عميقاً؛ لما تحتوى عليه الرؤيا من رموز وإشارات غامضة تحتاج إلى من يقض مغاليقها ويغوص في أعماق بواطنها.

وعلى ذلك فإن التأويل مختص بما غمض معناه واشتبهت مقاصده، ولا يقدر عليه إلا المتمكنون الراسخون في العلم.

أما التفسير فلم يرد في كتاب الله سوى مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان.

فالتفسير هو: البيان الواضح بكشف الحجة والدليل^(٣).

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (التأويل - التفسير) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في ملمح البيان والتوضيح.

● على حين يتميز التأويل بملمح دلالي فارق، هو اختصاصه ببيان ما غمض معناه واشتبهت مقاصده واحتاج إلى تعمق وتبصر.

(١) انظر: الإتيان للسيوطي ٣/٦٧٧ - ٦٨٥، الكشف ١/٤١٣، تفسير الفخر الرازي ١٨٤/٧، البحر المحيط ٢/٣٨٤ - ٣٨٥، التحرير والتنوير ٣/١٦٢ - ١٦٨، الوسيط ٣/٤١ - ٤٦.

(٢) الكشف ٢/٣٠٣، التحرير والتنوير ١٢/٢١٦.

(٣) الكشف ٣/٩١، التحرير والتنوير ١٩/٢٣.

حرف الباء (٢)

(١)	يَبْرُ، جُبَّ	(٢)	البائس، الفقير، المسكين
(٣)	اَنْبَجَسَ، اَنْفَجَرَ	(٤)	البَحْر، اليم
(٥)	البخل، الشَّح	(٦)	بدا، برز، ظهر
(٧)	البديع، البارئ، الخالق، المُصَوِّر، الفاطِر	(٨)	البدَن، الجَسَد، الجِسْم
(٩)	التَّبَذِير، الإِسْرَاف	(١٠)	بَرَأَ، خَلَقَ
(١١)	بُرْهَان، حُجَّة، دَلِيل	(١٢)	البُزُوع، الطُّلُوع
(١٣)	بَسَرَ، عَبَسَ	(١٤)	الاستَبْشَار، البَهْجَة، الحُبُور، الشُّرُور، الفَرَح
(١٥)	الإِبْصَار، الرُّؤْيَا، النَّظَر	(١٦)	بَعَثَ، أَرْسَلَ
(١٧)	بَغْضَاء، شَنْآن، قِلَى، كُرْه، مَقْت	(١٨)	البَغْي، الطُّغْيَان، الظُّلْم، العُتُو، العُدُوان
(١٩)	بَكَّة، مَكَّة	(٢٠)	الابتلاء، الفِتْنَة
(٢١)	ابْتَهَلَ، دَعَا		

□ ١/٢ بُئِرَ - جُبَّ:

• البُئِرُ والجُبُّ فى اللغة معناهما واحد، وقيل: الجُبُّ هى البُئِرُ التى لم تُظَوَّ، وقيل: هى الجيدة الموضع من الكلاء، وقيل: هى التى لم يحفرها الناس^(١). ولم يُفَرِّق ابنُ فارس بينهما^(٢).

واختار الزمخشري فى معنى الجُبِّ: البئر التى لم تُظَوَّ (أى لَمْ تُعَرَّشْ بالحجارة)^(٣).

وقد وردت كلمة (بُئِرَ) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:
- ﴿فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾^(٤) الحج .

والسياق هنا سياق تذكير وترهيب بما كان من آثار الأمم السابقة، فهذه آبار فيها الماء ولكنها مُعْطَلَةٌ لا يَرِدُهَا أحد، وتلك قصورٌ خلت من ساكنيها^(٥). والتسمية بالآبار هنا تناسب عمران القرية وقصورها المشيدة وأهلها الأثرياء .

• أما كلمة (جُبَّ) فقد وردت فى القرآن الكريم مرتين، فى سورة يوسف:
- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٦) .

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَرْحَمْنَا إِلَهُهُ لَتَتَّبِعْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٧) .

(١) اللسان (ج ب ب).

(٢) مقاييس اللغة (ج ب ب).

(٣) الكشف ٣٠٤/٢.

(٤) الكشف ١٧/٣.

الجُبِّ هنا كما قال الزمخشري: البئر التى لَمْ تُعْرَشْ بالطوب والحجارة ونحوها . قال الراغب الأصفهاني: وتسميته بذلك إمّا لكونه محفوراً فى جُبُوب (أى فى أرض غليظة)، وإمّا لأنّه قد جُبَّ، والجَبُّ: قطع الشىء من أصله^(١) .

● ولعل الوجه الثانى فى اشتقاق (الجُبِّ) هو الأرجح، وهو ما ذكره الزمخشري فى تفسيره آية يوسف (رقم ١٠)، وثمّة مناسبة لاستعمال لفظ الجُبِّ هنا دون البئر؛ وذلك لأن إخوة يوسف كانوا يريدون التخلص منه بإلقائه فى أى حفرة من الأرض عميقة، فلا يعينهم البحث عن (بئر) أى حفرة مُعْرَشَةٍ بالطوب ونحوه، وكانوا فى صحراء، وأكثر الآبار فى الصحراء غير معروشة . والله أعلم . أمّا البئر المذكورة فى آية الحج فهى بئر مطوية معروشة أنشأها أهل القرية أصحاب القصور المشيدة ليستقوا منها الماء .

□ ٢/٢ البائس - الفقير - المسكين:

- تدور مادة (ب أ س) حول معنى: الشدّة والمشقة والمكروه . والبائس: المُبْتَلَى، وقال سيبويه: البائس من الألفاظ المُتَرَحِّمِ بها كالمسكين^(٢) .
- والفقير فى اللغة: ضد الغنى^(٣)، واختُلف فى معناه، فقال ابن سيده: وَقَدْرُ ذلك أن يكون له ما يكفى عياله^(٤)، وقال ابن السكيت: الفقير: الذى له بُلْغَةٌ من العيش، قال الراعى يمدح عبد الملك بن مروان ويشكو إليه:

(١) مفردات الأصفهاني (ج ب ب) .

(٢) اللسان (ب أ س) .

(٣) اللسان (ف ق ر) .

(٤) المحكم (ف ق ر) .

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلْوِيَّتُهُ وَفَقَّ الْعِيَالُ فَلَمْ يَتْرَكْ لَهُ سَبْدٌ

فهذا الفقير له ما يكفى عياله . والمسكين الذى لا شىء له .

وقال يونس: الفقير: أحسن حالاً من المسكين . وقال أبو عمرو بن

العلاء: الفقير: الذى له ما يأكل، والمسكين الذى لا شىء له^(١) .

فتعددت تفسيرات الفقر، وتناقضت فيما بينها، على أننا إذا اهتمدنا

بالاشتقاق اللغوى لكلمة (فقير)، وجدنا أنه مشتق من مادة (ف ق ر)،

ومعناه: المفقر الذى نُزِعَتْ فقره من ظهره فانقطع ضلُّه من شدة الفقر^(٢)؛

وعلى هذا يكون أشدَّ حالاً من البائس والمسكين .

واختلف فى المسكين على نحو ما أوضحنا فى الكلام على الفقير . وقد

ذهب جمهور السلف من أئمة الفقه والتفسير إلى أن الفقراء والمساكين صنفان

يجمعهما الإقلال والفاقة، واختلفوا بعد ذلك أيهما أشدَّ حالاً، على نحو ما

تقدَّم . والذى نُرجِّحه ما ذهب إليه الشافعى وأحمد بن حنبل (من الفقهاء)،

والأصمعى وأحمد بن عبيد وعلى بن حمزة الأصبهاني وابن الأنباري (من

علماء اللغة)، وهو أن الفقر أشدُّ فاقةً وأسوأ حالاً . وهو ظاهر عبارة

الزمخشري فى الكشف^(٣)، والراغب الأصفهاني فى المفردات^(٤)،

واستدلوا بقول الله ﷻ:

- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ الكهف: ٧٩ .

فأخبر أنهم مساكين وأنَّ لهم سفينة . وقول الله ﷻ:

(١) اللسان (ف ق ر) .

(٢) تهذيب اللغة (ف ق ر) .

(٣) الكشف ١١/٣ .

(٤) مفردات الأصفهاني (ف ق ر) .

- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ البقرة: ٢٧٣ .

فهذه الحال التي أخبر بها عن الفقراء هي دون الحال التي أخبر بها عن المساكين . وكذلك قول الراجز:

هَلْ لَكَ فِي أَجْرِ عَظِيمٍ تُؤَجِّرُهُ
تُغِيثُ مِنْكِنَا قَلِيلًا عَسْكَرُهُ
عَشْرُ شَيْءٍ سَمِعُهُ وَبَصَرُهُ
قَدْ حَدَّثَ النَّفْسَ بِمُضِرٍ يَخْضَرُهُ

فأثبت أن له عشر شياؤ، ومع ذلك وصف نفسه بالمسكين . وأما قول الراعي:

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلُوبَتُهُ وَفَقَّ الْعِيَالِ فَلَمْ يَثْرَكْ لَهُ سَبْدٌ

فإنه لا يدلُّ على أنَّ للفقير ما يكفي عياله؛ لأنه قال: " كانت حلوبته "، أي فيما مضى، ثم صار فقيرًا بعد أن لم يَثْرَكْ له سَبْدٌ . قال عليُّ بن حمزة بعد أن ساق الشواهد المتقدمة:

ولذلك بدأ الله ﷻ بالفقير قبل من يستحقُّ الصدقة من المسكين وغيره، وأنت إذا تأملتَ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِرِمْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٦٠، وجدته ﷻ قد رتبهم فجعل الثاني أصلح حالًا من الأول، والثالث أصلح حالًا من الثاني، وكذلك الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن . ووافق الأصمعيُّ وابنُ حمزة في هذا قولَ الشافعيِّ (١) .

(١) انظر: اللسان (س ك ن) .

• وأما كلمة (البائس) فقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ۝﴾ الحج .

فالبائس: الذي أصابه بؤس، أى شدة^(١) .

وتأكيد البائس بالفقير يدل على أن الفقر أشد حالاً من البؤس، على نحو ما بيّناه في التفسير اللغوي للألفاظ الثلاثة . ويأتى المسكين فى منزلة بين الفقر والبؤس؛ وذلك لاقتراب حاله من الفقير فى السوء والعدم .

• ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (البائس - المسكين - الفقير) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك جميعها فى معنى الحاجة وضيق الحال، وتختلف فى درجة الشدة:

• فالفقير أشدهم بلاءً وسوء حالٍ .

• يليه المسكين .

• ثم البائس .

□ ٣/٢ انْبَجَسَ - انْفَجَرَ:

• الانبجاس فى اللغة: انشقاق الأرض وخروج الماء منها^(٢) .

• والانفجار فى اللغة: انشقاق الشئ انشقاقاً واسعاً^(٣) .

(١) الكشف ١١/٣، البحر المحيط ٣٦٥/٦ .

(٢) اللسان (ب ج س) .

(٣) اللسان (ف ج ر) .

فاللفظان يشتركان في معنى عام هو الانشقاق، ويختص الانبجاس بخروج الماء، بينما الانفجار عامٌ في معنى الانشقاق، سواء كان بخروج الماء أو غيره، كما أن في الانفجار معنى السعة .

وقد ورد اللفظان في القرآن الكريم بداليتين متقاربتين:

• الأول في قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنبِجْكَ الْحَجَرُ فَأَنْجَسْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ الاعراف: ١٦٠ .

الانبجاس دون الانفجار في الكثرة والسعة والغزارة، وتلك هي المرحلة الأولى لخروج الماء من الحجر^(١)، فالمخرج ضيق، والماء لم يبلغ بعد مستوى الكثرة والغزارة .

وسياق استعمال لفظ الانبجاس في الآية فيه إشارة إلى المعجزة التي أيد الله ﷻ بها نبيه موسى ﷺ، وقومه ينظرون إلى الماء وهو ينبع من الحجر منذ بداية انشقاقيه وخروج الماء منه، وقبل أن تعتاد عيونهم رؤية الماء، فهم يشاهدون اللحظة الأولى لخروج الماء من الحجر، وتلك لحظة الدهشة والإعجاز .

وأما لفظ الانفجار فتكرر كثيراً في القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنِيبٌ فَلَنفَجَرَنَّ الْأَنْهَارَ جَلَلَهَا تَفْجِيرًا﴾ ﴿١١﴾ الإسراء .

- ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ الكهف: ٣٣ .

- ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ القمر .

وسياق الآيات المذكورة واضح فيه معنى الكثرة والقوة والغزارة .

ولكن لفظ الانفجار قد ورد في ذكر قصة المعجزة التي أيد الله بها نبيه موسى ﷺ وهو قول الله ﷻ:

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ البقرة: ٦٠ .

فلم عبّر القرآن في هذا الموضع باستعمال لفظ الانفجار، مع أن هذه الآية وآية الأعراف كليهما تصف الحادثة نفسها؟

أشار المفسرون إلى أن الانفجار - بدلالته على الكثرة - ناسب في آية البقرة؛ لأنها جاءت في سياق تعداد النعم التي أنعم بها الله ﷻ على نبيه موسى ﷺ وعلى قومه، فاستعمل في هذا الموضع اللفظ المختص بملمح الكثرة والسرعة^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآني للكلمتين (انْبَجَسَ - انفَجَرَ) قد أوردهما بداليتين متقاربتين؛ حيث يشتركان في معنى الانشقاق، ويفترقان في ملامح تميز كلٍّ عن الآخر:

● فالانْبِجَاسُ: أول ظهور الماء وبدايته، وفيه دلالة على ضيق المخرج وقلة ما ينبع من الماء .

● والانْفِجَارُ: المرحلة الثانية بعد ظهور الماء، وفيه دلالة على السعة والقوة والكثرة .

□ ٢/٤ الْبَحْر - اليم:

● الْبَحْرُ في اللغة: السَّعة والانبساط، ومنه بَحَرْتُ الناقةَ، أى شَقَقْتُ أذُنَهَا،

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/١٠١، كشف المعاني، ص ٦٠ .

وَسَمَّوْا كُلَّ مَتَوَسِّعٍ فِي شَيْءٍ بَحْرًا، فَقِيلَ لِلْفَرَسِ بَحْرٌ بِاعْتِبَارِ سَعَةِ جَرِيهِ، وَقِيلَ لِلْجَوَادِ بَحْرٌ بِاعْتِبَارِ سَعَةِ عَطَائِهِ . وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَاءِ الْمَلْحِ خَاصَّةً دُونَ الْعَذْبِ، كَمَا فِي قَوْلِ نُصَيْبٍ:

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الْأَرْضِ مِلْحًا فِزَادَنِي إِلَى مَرَضِي أَنْ أَبْحَرَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ^(١)

• وَالْيَمُّ فِي اللُّغَةِ: الْبَحْرُ أَيْضًا، وَيُسْتَعْمَلُ لَمَّا كَانَ مَاءُهُ مِلْحًا وَلِلنَّهْرِ ذِي الْمَاءِ الْعَذْبِ^(٢) .

فَالْفَارَقُ الدَّلَالِيُّ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالْيَمِّ فِي الِاسْتِعْمَالِ اللَّغَوِيِّ هُوَ مِلْحُ السَّعَةِ وَالْانْبِسَاطُ فِي الْبَحْرِ .

وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْبَحْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ:

- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ (٥٥) البقرة .

- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١١٩) الكهف .

وَيَبْدُو مِنَ الْآيَتَيْنِ مِلْحُ السَّعَةِ وَالْانْبِسَاطُ، وَهَذَا جَلِيٌّ فِي آيَةِ الْكَهْفِ .

أَمَّا الْيَمُّ فَالْآيَاتُ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا لَا تَحْتَمِلُ هَذَا الْمِلْحَ الدَّلَالِيَّ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ:

- ﴿أَنْ أَتَذَرِهِ فِي الْأَنْبُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكُمْ﴾ طه: ٣٩ .

وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ: نَهْرُ النَّيْلِ^(٣) .

(١) مفردات الأصفهاني، مقاييس اللغة، اللسان (ب ح ر) .

(٢) اللسان (ي م م) .

(٣) الكشف ٥٣٦/٢ .

وَقَصَّرَه أبو حيان على البحر العذب، أى النهر^(١) .

وثَمَّة نكتة لطيفة وهى أن فى عنوان تفسير أبى حيان القرطبى: "البحر المحيط" دلالة على الكثرة والسعة والامتداد، ولَمَّا أراد أبو حيان - رحمه الله - أن يشرح بعض ما جاء فى تفسيره، سَمَّى هذا الشرح المختصر: "النهر المادّ من البحر المحيط"، أى هو شىء يسير متفرّع من شىء أعظم منه وأوسع .

● ونخلّص مما سبق إلى أن لفظى (بَحر - يَم) بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى الدلالة على الماء الجارى .

● إلّا أن البحر يختصّ بملح السعة والانبساط والكثرة، فبينهما عموم وخصوص .

□ ٥/٢ البُخل - الشُّح :

● البُخل فى اللغة: ضد الكَرَم، وهو إمساك المال والمقتنيات عمّا لا يحقّ حَبْسُها عنه^(٢) .

● والشُّح فى اللغة: أشدُّ البخل، وفيه حرص، ويشمل المال والمعروف^(٣)، كما أنه عادة متأصّلة ثابتة فى نفس الشحيح^(٤) .

وقد تکرّر ذكر البخل ومشتقاته فى مواضع عديدة من الكتاب الحكيم، منها قول الله ﷻ :

(١) البحر المحيط ٢٣٨/٦ .

(٢) مفردات الأصفهاني، اللسان (ب خ ل) .

(٣) النهاية لابن الأثير (ش ح ح) .

(٤) مفردات الأصفهاني (ش ح ح) .

- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ آل عمران: ١٨٠ .

- ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءُ تَدْعُونَ لِئَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ محمد: ٢٨ .

وقد اقترن البخل فى الاستعمال القرآنى بالمال، فهو حبس المال دون غيره من الخير والمعروف، وقد نقل أبو حيان آراء المفسرين فى آية آل عمران، وخلاصتها أن الآية نزلت فى البخل بالمال والإنفاق فى سبيل الله، وقيل: نزلت فى مانعى الزكاة المفروضة، وقيل: فى النفقة على العيال وذوى الأرحام . وجاءت الآية فى سياق التحريض على بذل الأرواح فى الجهاد، والتحريض على بذل الأموال فى الجهاد وغيره^(١) .

ومما يؤكد اختصاص البخل بمنع المال خاصة عن مستحقه قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِنْ تَوَيْمُوا وَتَنَفُّوا يُؤْذِكُمْ أَجُورُكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٦٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيُخَفِّصْكُمْ تَبَخَّلُوا وَنُخْرِجْ أَضْفَنَكُمْ ﴿٦٧﴾﴾ محمد .

وأما الشُّح فقد ورد فى القرآن الكريم خمس مرات، منها قول الله ﷻ:

- ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ النساء: ١٢٨ .

- ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩، التغابن: ١٦ .

وتدل الآيات التى وردت فيها كلمة (الشُّح) على أن الشُّح طبع متأصل فى النفس، وحرص النفس على الحقوق وقلة التسامح فيها، كما تحتل كلمة (الشُّح): البخل بالمال، وعدم التسامح فى الحقوق الأخرى من غير المال^(٢) .

(١) البحر المحيط ١٢٧/٣ .

(٢) البحر المحيط ٣٦٤/٣، الكشف ٥٦٨/٢، التحرير والتنوير ٢١٧/٥، مفردات الأصفهاني (شرح ح) .

- ونخلُص مما سبق إلى أن لفظي (البُخل - الشُّح) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في ملمح المنع والحبس .
- بينما يتميز الشُّح بالملامح الدلالية التالية:
- الشدة .
- الحرص .
- كونه عادة وطبعًا متأصلًا في النفوس .
- يشمل المال وغيره من الخير والمعروف .

□ ٦/٢ بدا - بَرَزَ - ظَهَرَ:

- لم تُسجَل المعاجم اللغوية فارقًا كبيرًا بين هذه الألفاظ الثلاثة؛ حيث تكرر التعبير بالظهور في تفسير (بدا، بَرَزَ)، كما ذُكِرَ البُدُو في تفسير الظهور^(١) .
- ولكن ذكر ابن فارس فارقًا في الظهور حيث جعل أصل مادة (ظ ه ر): القُوَّة والبروز^(٢) . وذكر ابن منظور فارقًا في البروز في هذه العبارة: وكلُّ ما ظهر بعد خفاءٍ فقد بَرَزَ^(٣) .

وبذلك نجد أن المواد الثلاث تشترك في معنى عام هو الوضوح والانكشاف . وتتميز مادة (ب ر ز) بدلالاتها على الظهور بعد خفاء، بينما تتميز ماد (ظ ه ر) بملمح القُوَّة .

وقد تكرر الفعل (بدا) ومشتقاته كثيرًا في القرآن الكريم، ومن شواهد:

- ﴿قَالَ يَكَادُمُ الَّذِينَ هُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ب د و، ب ر ز، ظ ه ر) .

(٢) مقاييس اللغة (ظ ه ر) .

(٣) اللسان (ب ر ز) .

- السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمَ مَا يُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُيُونَ ﴿٣٢﴾ البقرة .
- ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتَوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٣٣﴾ البقرة .
- ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلِآيَاتِ لِيَسْجُنُوهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٥﴾ يوسف .

والملاحظ أن الفعل (بَدَأَ) قد اقترن في أكثر المواضع بكلمات دالة على الإخفاء (أَخْفَى - كَتَمَ - أَسَرَّ - وَارَى) . وفي هذا الاقتران التقابلي إشارة إلى أن البُدُوَّ ضدُّ الخفاء والكتمان .

وجعل الراغب الأصفهاني البُدُوَّ: ظهورًا بَيِّنًا^(١) . أى: ظهر لهم هذا الرأي، وهو أن يسجنوا يوسف عليه السلام، بعد ما ظهرت لهم براءته بالآيات، وهى الشواهد البيِّنة^(٢) .

أما الفعل (بَرَزَ) ومشتقاته، فمن شواهدة فى القرآن الكريم:

- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِئَرًا وَكُنْتَ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ البقرة .
- ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴿١٥٤﴾ آل عمران: ١٥٤ .
- ﴿وَيَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ الكهف .
- أكثر استعمال الفعل (بَرَزَ) فى الحرب والشدة، يقال: بَرَزَ الفارس لخصمه، أى خرج من الصف وصار بالبراز من الأرض وهو: ما ظهر منها واستوى^(٣) .
- وقوله ﷻ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف: ٤٧، أى: منكشفة ظاهرة؛

(١) مفردات الأصفهاني (بدا) .

(٢) انظر: الكشاف ٣١٩/٢ .

(٣) البحر المحيط ٢/٢٦٨، ٣/٩٠ .

لذهاب ما كان يسترها من جبال وشجر وعمارة^(١)، واستعمال لفظ البروز هنا؛ لما فيه من الدلالة على الشدة؛ لأنه في مقام وصف أهوال القيامة .
وإذن فالبروز يتميز بملمح الشدة .

وأما الظهور فقد استعمل فعله (ظَهَرَ) في القرآن الكريم، وجاء من مشتقاته الوصفان (ظاهر، ظاهرة)، ومن شواهدهما:

- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ الأنعام: ١٥١ .

- ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ مَا لَا يُعَلِّمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُ مِنْ الْقَوْلِ﴾ الرعد: ٣٣ .

- ﴿وَأَسْخَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَيَاطِنُهُ﴾ لقمان: ٢٠ .

قال الراغب الأصفهاني: ظَهَرَ الشيء أضله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى، ثم صار مستعملاً في كل بارز مُبْصِرٍ بالبصر والبصيرة^(٢) .

ولكنَّ للظهور معنى آخر هو الغلبة على العدو، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْحُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾

الكهف .

فالظهور يُستعمل بداليتين:

١- انكشاف الشيء وبيانه . ٢- القوة والغلبة .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (بدا - برز - ظَهَرَ) متقاربة دلاليًا؛ حيث تشترك جميعها في ملمح عام هو الوضوح والانكشاف .

● ويختص البدؤ بملمح البيان، بينما يختص البروز بملمح الشدة والبأس، ويختص الظهور بإطلاقه على معنى آخر هو الغلبة والقوة .

(١) البحر المحيط ١٣٤/٦ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ظ ه ر) .

□ ٧/٢ البديع - البارئ - الخالق - المصوّر - الفاطر :

• البديع فى اللغة: المُبْدِع، وهو مَنْ يُنْشِئُ صَنْعَةً على غير مثال ولا اقتداء بسابق^(١).

• والبارئ فى اللغة: الخالق، يقال: بَرَأَ اللهُ الْخَلْقَ يَبْرِؤُهُمْ بَرَاءً وَبُرُوءًا، أى خَلَقَهُمْ^(٢)، وجعل بعض علماء اللغة للفظ البارئ ما ليس للخالق من الاختصاص بخلق الحيوان^(٣). وسوّى ابن سيده بين البرء والخلق، وأن ذلك يكون فى الجواهر والأعراض^(٤).

• والخالق فى اللغة: اسم فاعل من (خَلَقَ)، والخلق: التقدير، قال زهير:
وَلَأَنْتَ تَفْرِى مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُحَى الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِى
ومنه الخُلُقُ، وهى السَّجِيَّة؛ لأن صاحبه قد قُدِّرَ عليه، وفلان خَلِيقٌ بكذا، أى هو مَمَّنْ يُقَدَّرُ فيه ذلك، والَخَلَاقُ: النَّصِيبُ؛ لَأَنَّهُ قُدِّرَ لكلِّ أَحَدٍ نَصِيبُهُ، وَخَلَقُ الكَذِبِ: اختراعه وتقديره فى النفس^(٥).

• والمُصَوِّرُ فى اللغة: اسم فاعل من "صَوَّرَ" الشَّيْءَ، أى: أعطاه صورته وهَيْئَتَهُ وصفته، وهو من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذى صَوَّرَ جميعَ الموجودات وربَّها، فأعطى كلَّ شَيْءٍ منها صورة خاصة وهَيْئَةً مفردة يَتميز بها^(٦).

• والفاطر فى اللغة: اسم فاعل من (فَطَرَ). وأصل الفَطْرُ: فتح شَيْءٍ

(١) مقاييس اللغة، مفردات اللغة، اللسان (ب د ع).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ب ر أ).

(٣) اللسان (ب ر أ).

(٤) المحكم (ب ر أ).

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (خ ل ق).

(٦) النهاية، اللسان (ص و ر).

وإبرازه^(١)، ومنه فَطَرَ نَابُ البعير، أى شَقَّ وَطَّلَعَ . وَفَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ: خَلَقَهُمْ وبدأهم، قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : ما كنت أدرى ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُهَا، أى أنا ابتدأتُ حَفَرَهَا^(٢) .

هكذا تتقارب معانى تلك الألفاظ، ويتميز بعضها بملمح دلاليّ خاصّ، كما نرى فى اختصاص الإبداع بملمح عدم المثال، وكاختصاص المصور بملمح إنشاء الصورة والهيئة .

لكن الاستعمال القرآنى الحكيم لهذه الألفاظ يفرّق بينها تفرقة دقيقة، على النحو التالى:

● البديع:

وردت مادة (ب د ع) فى القرآن الكريم أربع مرّات، فى الآيات التالية:

- ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١ .

- ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾ الأحقاف: ٩ .

- ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ الحديد: ٢٧ .

البديع فى قوله ﷻ: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: صفة مشبّهة معناها: بدّعتُ سماواته وأرضه، أى: جاءت فى الخلق على شكل مُبتدَع لم يسبق له نظير^(٣) .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:

"البديع مشتقٌّ من الإبداع، وهو الإنشاء على غير مثال؛ فهو عبارة عن إنشاء المنشآت على غير مثالٍ سابق، وذلك هو خلق أصول الأنواع وما يتولّد

(١) مقاييس اللغة (ف ط ر) .

(٢) اللسان (ف ط ر) .

(٣) البحر المحيط ١/٣٦٤، الكشف ١/٣٠٦ .

من متولّداتها، فخلق السماوات إبداعاً، وخلق الأرض إبداعاً، وخلق آدم إبداعاً، وخلق نظام التناسل إبداعاً^(١).

والبِدْعُ بمعنى البديع، كالخِلْ بمعنى الخليل، ومعنى قوله ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾: ما كنتُ مُحدِّثاً شيئاً لم يسبقونى إليه^(٢).

● ولكن استعمال (البِدْع) لم يرد فى وصف الله ﷻ، فهو مقصور على المعنى المذكور، أى إحداث شىء غير مسبوق. وأمّا البديع فهو من أسماء الله الحسنى، أى: ذو الخَلْقِ المُبتَدِعِ الذى لم يسبق له نظير.

● البارئ:

وردت كلمة "البارئ" فى القرآن الكريم ثلاث مرات:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ إِنَّكُمْ لَأَنْفُسُكُمْ بِأَعْيَادِكُمْ أَلْعَجَلُ فُتُوبًا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْلُبُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ البقرة: ٥٤.

- ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الحشر: ٢٤.

وورد الفعل (يرأ) بمعنى الخَلْقِ مرة واحدة فى القرآن الكريم:

- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الحديد: ٢٢.

جاءت آية البقرة فى سياق خطاب موسى ﷺ لقومه لما اتخذوا العجل وعبدوه؛ لذلك جاءت كلمة (بارئكم)، أى: توبوا إلى منشئكم وموجدكم من العدم؛ إذ موجد أعيان الأشياء هو الموجد حقيقة، وأمّا عَمَلُ العجل واتخاذُه فليس فيه إبراز الدّواتِ من العدم، فنَبّه بلفظ (البارئ) على الصانع الموجد^(٣)،

(١) التحرير والتنوير ١/٦٨٦.

(٢) عمدة الحفاظ (ب د ع)، التحرير والتنوير ١٧/٢٦.

(٣) البحر المحيط ١/٢٠٦.

واختصَّ هذا الموضع بذكر (البارئ) ؛ لأن معنى البارئ: الذى خَلَقَ الخَلْقَ بريئاً من التفاوت ومتميزاً بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة ؛ فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذى (برأهم) بلطف حكمته على الأشكال المختلفة، أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عبادة البقر التى هى مثَلٌ فى الغباوة والبلادة^(١) .

● ويختص لفظ البارئ بوصف الله ﷻ، فهو أَخْصُ من الخالق؛ إذ البرءُ خَلَقٌ بترتيب مُسْتَوٍ^(٢)، وفيه معنى تمييز المخلوقات بعضها من بعض بأشكال مختلفة^(٣)، كما أنه لا بُدَّ فى معنى (برأ) من حدوث المخلوق، فهو خلق حادث لا مُقَدَّر، ويدل على هذا قول الله ﷻ:

- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الحديد: ٢٢ .

أى: نُحْدِثُهَا وَنُوجِدُهَا؛ لأن تقدير المقادير سَبَقَ الإيجاد والإحداث^(٤) .

● الخالق:

وردت مادة (خ ل ق) فى كثير من آيات القرآن الحكيم، من ذلك:

- ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ البقرة: ٢٩ .

- ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢ .

- ﴿الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ الانفطار.

وقد لَخَّصَ الراغب الأصفهاني معانى (الخَلْق) فى القرآن على النحو التالى:

(١) الكشف ٢٨١/١ .

(٢) عمدة الحفاظ (ب ر أ) .

(٣) الكشف ٨٧/٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣١٤/٤، البحر المحيط ٢٢٥/٨ .

○ إيجاد الشيء من عدم، ولا يكون هذا إلا لله ﷻ .

○ استمداد شيء من شيء آخر، وهذا يجوز إطلاقه على غير الله ﷻ، فقد جعله ﷻ لعيسى عليه السلام فقال ﷻ :

- ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ المائدة: ١١٠ .

التقدير: ولا يكون الخلق لغير الله ﷻ، إلا على سبيل الظن والتوهم والزعم، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿لَا بَدِيلَ لِمَا يَخْلُقُ اللَّهُ﴾ الروم: ٣٠، أى: لما قدره وقضاه .

○ الكذب، وهو نوع من اختراع الكذب وتقديره فى النفس - كما سبق ذكره - ومنه قول الله تبارك اسمه: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءً﴾ العنكبوت: ١٧ .

وكل موضع استعمل فيه الخلق فى وصف الكلام فالمراد به الكذب^(١) .

● وعلى ذلك فإن لفظ الخلق فى القرآن الكريم تتعدّد معانيه بحسب سياقاته، ومرجعها جميعاً إلى التقدير، أو الإيجاد، أو استمداد شيء من شيء، أو تليف الكذب واختراعه .

● المُصَوِّر:

ورد اسم الله (المُصَوِّر) فى آية واحدة من القرآن الكريم، هى قوله ﷻ:

- ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤ .

فالخالق: القادر الموجد من العدم، والبارئ خَصَّ بوصف الله ﷻ، وهو خَلَقَ بترتيب مستوٍ، ثم التصوير بعد ذلك^(٢)، فالخلق أعم من البرء، والبرء أعم من التصوير، ويختص الاسم المُصَوِّر بإعطاء الشيء صورته وهيته بعد تقديره وترتيبه ترتيباً مستوياً، فالمعتبر فيه ظهور الصور، كقول الله ﷻ:

(١) مفردات الأصفهاني (خ ل ق) .

(٢) عمدة الحفاظ (ب ر أ) .

﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ غافر: ٦٤، وقوله ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ الانفطار .

أى: أوجدك من العدم، فجعلك سوياً سالم الأعضاء، فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت، كل هذا الترتيب يؤول إلى معنى التصوير، أى إعطاء المخلوق صورة من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصّر والذكورة والأنوثة^(١)... إلخ .

• والملاحظ فى الاستعمال القرآنى لمادة (ص و ر) بمعنى الخلق أنها ارتبطت - فى أكثر المواضع - بخلق الإنسان، وفى هذا تنبيه على حسن صورة الإنسان وإتقانها، وأن المعتبر فى استعمال لفظ التصوير دون الخلق أو البرء... أو غيره، هو الإشارة إلى الصورة والهيئة .

• الفاطر:

تكرر ذكر مادة (ف ط ر) فى القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَلَئِنَّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الأنعام: ١٤ .
 - ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) الأنعام: ٧٩ .
 - ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ خَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم: ٣٠ .
- فالفاطر من أسماء الله الحسنى، ومعناه كما سبق ذكره: الذى بدأ الخلق ابتداءً .

وفيه معنى آخر يفهم من آية الروم، قال الراغب: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ إشارة إلى ما فَطَرَ أى أَبْدَعَ وَرَكَّزَ فى الناس من معرفته ﷻ، وفِطْرَةُ اللَّهِ هى ما رَكَّزَ فيه من قوته (يعنى الإنسان) على معرفة الإيمان، وهو

(١) مفردات الأصفهاني (ف ط ر)، وانظر: البحر المحيط ١٧٢/٧ .

المشار إليه بقول الله ﷻ: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ الزخرف: ٨٧ .
وعلى ذلك يختص الفَظْر بملمح دلالي مستقل هو معنى القابلية للإيمان بالله .

● ونخلص مما سبق إلى أن لهذه الألفاظ ملمحًا دلاليًا مشتركًا هو: الإيجاد، سواءً أكان الإيجاد إحدائيًا أم تقديرًا .

ولكل واحد منها ملامح دلالية فارقة، على النحو التالي:

● البديع: يختص بإحداث شيء على غير مثال سابق، وفيه معنى الإحكام والإتقان .

● البارئ: يختص بالمُوجِد على الحقيقة، وهو الله ﷻ، كما يختص بمعنى التسوية والترتيب، وتمييز المخلوقات بعضها من بعض .

● الخالق: له معاني متعددة، ويتميز عن غيره من الألفاظ المقاربة بالملامح التالية:

● يكون بمعنى التقدير . ● يُستعمل في الخير والشر .

● وقد يُوصَف به غير الله ﷻ .

● المَصَوِّر: يختص بملمح إعطاء المخلوق صورة من الصور، وفيه معنى الإتقان .

● الفاطر: يختص بملمح القابلية للهداية والإيمان .

□ ٨/٢ البَدَن - الجَسَد - الجِسْم:

● البَدَن في اللغة: الجسد الضخم . ومنه البَدَنَةُ، وهي الناقة أو البقرة التي يُضْحَى بها؛ سُمِّيت بذلك لأنهم كانوا يُبَدِّنُونَهَا (أى يُسَمِّنُونَهَا)، ومنه قولهم:

رجلٌ بادنٌ وامرأةٌ بادنٌ للضخم منهما^(١) .

● والجَسَدُ فى اللغة: ما دَلَّ على تَجَمُّع واشتداد، من ذلك جسد الإنسان^(٢) .

● والجِسْمُ فى اللغة: جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغيرها من الأنواع العظيمة الخَلْق . ففيه أيضًا معنى الضخامة^(٣) .

هكذا نرى أن الاستعمال اللغوى العادى لم يفرق بين هذه الألفاظ، وإن كان بعض اللغويين قد خصَّصوا البدن بأنه: ما سِوَى الرأس والأطراف من الجسد^(٤) . وخصَّصوا الجسد بجسم الإنسان دون غيره^(٥) . والجِسْمُ عام فى الدواب جميعها^(٦) .

لكنَّ الاستعمال القرآنى لهذه الألفاظ يجعل لكل منها موقعه الذى لا تغنى عنه كلمة أخرى، فالبدن ورد فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ يونس: ٩٢ .

أى: بجسمك كاملاً غير منقوص^(٧) .

هذا مجمل ما قاله المفسرون فى البدن، وهو أنه الجسم الضخم، سواء أكان فيه روح أم لا .

أما الجَسَدُ فقد ورد فى القرآن الكريم أربع مرات:

(١) مفردات الأصفهاني، النهاية، اللسان (ب د ن) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ج س د) .

(٣) اللسان (ج س م) .

(٤) اللسان (ج س م) .

(٥) اللسان (ج س د) .

(٦) اللسان (ج س د) .

(٧) الكشف ٢/٢٥٢، البحر المحيط ٥/١٨٩ .

- ﴿وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ الأعراف: ١٤٨ .
- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ طه: ٨٨ .
- ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾ الأنبياء .
- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿١٤﴾﴾ ص .

وأكثر المفسرين على أن الجسد: الجسم الذي لا روح فيه، وهو يرادف الجثة . هذا قول المحققين من أئمة اللغة مثل أبي إسحاق الزجاج^(١) .

وأما الجسم فقد ورد مرتين في القرآن الكريم، في الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ البقرة: ٢٤٧ .
- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ المنافقون: ٤ .

والملاحظ في الآيتين الكريمتين أن الجسم فيهما خاص بالإنسان، وأنه وصف محمود، على حين جاء البدن في سياق ذكر فرعون - بعد موته - وجاء الجسد في وصف العجل التمثال مرتين، وفي نفى الوصف بالجسد عن الملائكة المكرمين مرة، وفي وصف الوليد الذي وُلِدَ لسليمان ﷺ مرة، وهو شقُّ رجل يكاد يخلو من الروح .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (البدن - الجسد - الجسم) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك في ملمح عام هو وصف هيئة كائن ذي ثلاثة أبعاد . ولكل منها ملمح دلالي يميزه عن غيره:

- فالبدن يتميز بالضخامة . ● والجسد يتميز بالخلو من الروح .
- والجسم يتميز بالحياة والروح والجمال .

□ ٩/٢ التبذير - الإسراف:

• التبذير في اللغة: نثر الشيء وتفريقه، مأخوذ من بذر الحبوب للزراعة، وكلُّ ما فرَّقته وأفسدته فقد بذَّرته، واستُعيِّر لتضييع المال؛ لأن فاعل ذلك يشبه - في الظاهر - مَنْ يلقى البذر في الأرض ولا يعرف مآل ذلك^(١).

• والإسراف في اللغة: مجاوزة القصد وترك الاعتدال في كل شيء، والإسراف في المال: إضاعته أو وضعه في غير موضعه^(٢).

فاللفظان متقاربان في الدلالة؛ إذ يجتمعان في معنى الإضاعة والتفريق.

وبتأمل الاستعمال القرآني للفظين (بذر - أسرف) نجد أن الأول منهما قد خصَّ به إضاعة المال دون غيره^(٣)، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذِرْ يَبْذِرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ﴾ الإسراء.

وتحديد معنى التبذير بإضاعة المال في الآيتين يرجع إلى ورودهما في شأن الزكاة، والمراد: آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ حَقَّهُمْ من الزكاة، ولا تضيِّع مالك فيما نهى الله عنه من المبالاة والتفاخر^(٤).

بينما استعمل القرآن الكريم لفظ الإسراف في المال وغيره، فمن استعماله في معنى إضاعة المال ووضعه في غير موضعه قول الله ﷻ في صفة عباد الرحمن:

- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۖ﴾ الفرقان.

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (ب ذ ر).

(٢) مفردات الأصفهاني، اللسان (س ر ف).

(٣) مفردات الأصفهاني (ب ذ ر).

(٤) الكشف ٤٤٦/٢.

ومن استعماله في معنى مجاوزة الحد والإفراط في المعاصي قول الله ﷻ:

﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الزمر .

● ونخلص مما سبق إلى أنَّ لفظي (التبذير - الإسراف) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في الملمحين التاليين:

● أن كليهما وصف مذموم .

● دلالة كليهما على الإفراط ومجاوزة الحد .

مع وجود ملامح دلالية فارقة بينهما:

● فالتبذير خاص بإضاعة المال .

● والإسراف عامٌ في المال وغيره من الذنوب والمعاصي والقتل وغير ذلك .

فبين اللفظين عموم وخصوص .

□ ١٠/٢ بَرَأً - خَلَقَ:

● (بَرَأً) في اللغة: خلق على غير مثالٍ سابق، ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الكائنات الحيّة ما ليس لغيرها، وقُلِّمًا تُسْتَعْمَلُ في غير الحيوان، فيقال: بَرَأَ اللَّهُ النَّسَمَةَ، وخلق السماوات والأرض^(١) .

وذهب بعض العلماء إلى أن أصل (بَرَأً) مهموز، بمعنى: خلق على غير مثال: وبعضهم ذهب إلى أن أصلها (بَرَى) غير مهموز، مأخوذ من البرى وهو

(١) النهاية، اللسان (ب ر أ) .

التراب، أى: خلق الله الناس من تراب^(١).

وعلى كلا التوجيهين فإن المعنى العام للفظ هو: خلق الحيوان خلقاً أولياً، وعلى غير مثال سابق.

• و(خَلَقَ) فى اللغة يدور حول معنيين:

- الأول: التقدير، أى تقدير وجود الأشياء قبل وجودها^(٢).

- والثانى: إيجاد الشئ على مثال لم يُسبق إليه^(٣).

• وقد ورد الفعل (بَرَأَ) مرة واحدة فى القرآن الكريم، فى قول الله ﷻ:

- ﴿مَّا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ الحديد: ٢٢.

تشير الآية الكريمة بقول الله ﷻ: ﴿فِى الْأَرْضِ﴾ إلى المصائب العامة كالقحط وفيضان السيول وتلف الأموال، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ﴾: إشارة إلى المصائب اللاحقة لذوات الناس من الأمراض وقطع الأعضاء والأسر فى الحرب، وموت الأحباب... إلخ. . والكتاب مجاز عن علم الله تعالى^(٤).

فاستوعب الفعل (بَرَأَ) خَلَقَ هذه الأحداث جميعاً، ولكن البرء هنا معناه: الإيجاد عن تقدير وعلم سابق؛ فهو أخص من الخلق؛ لأن الخلق يشمل دلالتى التقدير، والإيجاد، كما سبق.

كذلك ورد اسم الله ﷻ (البارئ) فى القرآن الكريم مرتين فى قول الله ﷻ:

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (ب ر أ).

(٢) مفردات الأصفهاني، اللسان (خ ل ق).

(٣) مفردات الأصفهاني، اللسان (خ ل ق).

(٤) الكشف ٦٦/٤، التحرير والتنوير ٢٧/٤١٠-٤١١.

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٩٤﴾﴾

البقرة .

ومرة في قوله ﷺ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٤ .

فالاسم (الخالق) معناه: المقدر لما يوجد، و(البارئ): المميز بفضه من بعض بالأشكال والهيئات المختلفة^(١) .

• وأما (خَلَقَ) في القرآن الكريم فيتسع معناه ويشمل التقدير السابق للأشياء، وإيجادها، ويستوعب الحى وغيره، كما يظهر بجلاء من قول الله ﷻ:

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ البقرة .

• ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (بَرَأَ - خَلَقَ) يُظهر اشتراكهما فى معنى: إيجاد الأشياء .

• والملح الدلائلى المميز لكلمة (بَرَأَ) هو: تمييز الأشياء بعضها من بعض بإعطائها هيئات متفاوتة كى تتباين .

• فى حين أن الملح الدلائلى المميز لكلمة (خَلَقَ) هو استخدامها فى معنى التقدير .

□ ١١/٢ البرهان - الحجة - الدليل:

• البرهان فى اللغة: فارسى معرّب، أصله (بران) أى: اقطع ذلك الشئ^(٢) .

(١) الكشف ٨٧/٤ .

(٢) المعرب للجوالقى (ب ر ه) .

واشتُقَّ لمعنى الحجة الفاصلة القاطعة التى تقتضى الصدق المؤكَّد والدليل الذى لا شكَّ فيه^(١) .

• والحُجَّة فى اللغة: مأخوذة من الحَجَّ - أى القصد - لأداء معنى: الوجه الذى يكون به الظَّفَر عند الخصومة^(٢) .

• والدَّلِيل فى اللغة: الهادى الذى يُهْتَدَى به^(٣) .

وتشترك هذه الألفاظ جميعًا فى معنى: الوضوح والفصل والتمييز .

وقد راعى الاستعمال القرآنى تدرُّج المعانى فى هذه الألفاظ، فاستعمل البرهان بمعنى الحُجَّة الفاصلة التى تقتضى الصدق المؤكَّد، والدليل الذى لا شكَّ فيه، كما فى قول الله تعالى:

- ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١١١ .

- ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ الأنبياء: ٢٤ .

- ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ أَنْتُمْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ النمل: ٦٤ .

واستعمل الحُجَّة بمعنى الدليل المُبَيِّن للمَحَجَّة - أى القصد المستقيم - فى مواجهة خصم مخالف معاند^(٤)، كما فى قوله ﷺ:

- ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الأنعام: ١٤٩ .

وأما الدليل فقد استُعْمِلَ فى القرآن الكريم بمعنى: العلامة التى يُهْتَدَى بها^(٥)، كما فى قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَيْكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ

(١) تهذيب اللغة، اللسان (ب ر ه ن) .

(٢) تهذيب اللغة (ح ج ج) .

(٣) اللسان (د ل ل) .

(٤) التحرير والتنوير ٤٦/٣ .

(٥) الكشف ٩٤/٣ .

سَاكِكًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿١٥﴾ الفرقان .

ونخلُصُّ مما سبق إلى أن :

- البرهان : الحُجَّةُ الفاصلة والدليل الذى لا شكَّ فيه .
- الحُجَّةُ : الدليل الذى يُستخدم فى مواجهة خصم .
- الدليل : العلامة المبيِّنة لصدق الدعوى .

وتشترك الألفاظ الثلاثة فى ملمح الوضوح والصدق، بينما تختلف فى فروق دلالية دقيقة :

- فالبرهان : أخص من الدليل والحُجَّة ؛ لتوكيده بصفة القطعية واليقين .
- والحُجَّة : أخص من الدليل ؛ خُصِّصَتْ بملمح مواجهة الخصم .
- والدليل : أعمُّ هذه الألفاظ الثلاثة، وهو بمعنى العلامة التى تُرشد وتَهْدِي .

□ ١٢/٢ البُزوغ - الطُّلوع :

- أصل مادة (ب ز غ) فى اللغة : الشَّق، يقال : بَزَعَتِ السُّنُّ، أى ابتدأت فى الطُّلوع، وبَزَغَ السَّيْطَارُ الدَّابَّةَ - إذا شَقَّ جلدُها بالمِشْرَطِ، ومنه بَزَعَتِ الشَّمْسُ، وبَزَغَ النُّجْمُ والقمرُ، أى بدأ طلوعها كأنها تَشُقُّ بنورها الظلمة شَقًّا^(١) .
- وأصل مادة (ط ل ع) فى اللغة : الظهور والبروز^(٢) .

وقد راعى الاستعمال القرآنى للفظين هذا الفارق الدلالى الرَّهيف بينهما، فجاء البزوغ بمعنى أول الظهور، كما فى قول الله ﷻ :

(١) اللسان (ب ز غ) .

(٢) مقاييس اللغة (ط ل ع) .

- ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ الأنعام .

أى رأى إبراهيم عليه السلام القمر والشمس فى أول طلوعهما ؛ لأنه كان يترقب طلوعهما ، فرآهما فى أول طلوعهما ، وهو البزوغ^(١) .

أما الطلوع فقد استعمل للدلالة على تمام الظهور ، كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُورٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الكهف : ١٧ .

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿١٦﴾﴾ الكهف .

- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ طه : ١٣٠ .

فى آية الكهف رقم (١٧) يتحدّد معنى الطلوع بأنه ارتفاع الشمس وتما ظهورها ؛ وذلك بقريتين :

- الأولى : قوله ﷻ : ﴿وَتَرَى﴾ ، والرؤية غير الترقب ، فقد عبّر بالبزوغ بمصاحبة الترقب ؛ لأن المترقب ينتظر أول ظهور الشيء . بينما عبّر بالطلوع بمصاحبة الرؤية ، التى قد لا تكون قصديّة ، والرأى حينئذ يرى ما تمّ واكمل ظهوره .

- الثانية : قوله ﷻ : ﴿تَزْوُورٌ﴾ أى تميل^(٢) ، والشمس لا ترى متمائلة إلا بعد ارتفاعها فى الأفق .

وفى الآية رقم (٩٠) من سورة الكهف يتحدّد معنى الطلوع بتمام الشروق ، بقريته قوله ﷻ : ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ، ولا يتخذ السُّرُّ

(١) البحر المحيط ٤/١٦٧ ، الكشاف ٢/٣١ .

(٢) الكشاف ٢/٤٧٥ .

وقاءً من الشمس إلّا إذا تم ظهورها واشتدَّ حرُّها .

وأما الآية رقم (١٣٠) من سورة طه فقد فسَّرها بعض المفسِّرين بأن المراد بالتسبيح: "قول: سبحان الله وبحمده، من بعد صلاة الصبح إلى ركعتي الضحى" (١) .

وهذا يعنى ارتفاع الشمس، فالوقت من بعد صلاة الصبح إلى الضحى هو وقت تمام الظهور والانتشار .

● ونخلص ممّا سبق إلى أن لفظي (البزوغ - الطلوع) يتفقان في ملمح دلاليٍّ مشترك هو: الظهور والبروز .

● لكن البزوغ يختص بملمح دلاليٍّ فارق هو: بداية الظهور . بينما الطلوع هو: تمام الظهور .

□ ١٣/٢ بَسَرَ - عَبَسَ:

● كلا اللفظين في اللغة مترادفان، فهما بمعنى التقطيب والتجهُّم وكلاهما الوجه (٢) .

ولكن ورود اللفظين معطوفين في القرآن الكريم يدلُّ على أن هناك فارقاً بينهما؛ لأن العطف يُوجب المغايرة، وذلك في قول الله ﷻ:

- ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ المدثر .

فالعبوس: تقطيب الوجه . والبسر أشدُّ من ذلك، ومعناه: كَلَحَ وجهه وتغيَّر لونه خوفاً وكمدًا (٣) .

(١) نقله أبو حيان عن ابن عطية، في: البحر المحيط ٢٩٠/٦ .

(٢) اللسان (ب س ر، ع ب س) .

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٣٠٩ .

وفى الآيات بياناً لتدرُّج مشاعر السخط والكراهية، حيث يبدأ ذلك بالنظر، ثم عبوس الوجه أى ظهور ملامح الكراهية عليه، وهو التقطيب والتجهُّم، ثم يزداد ظهور ملامح الكراهة والسخط فيتغير لون الوجه وتنقبض أساريره وتبدو كلاحته .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (العبوس - البسر) يشتركان فى ملمح عام هو الكراهة وظهور ملامحها على الوجه، إلا أن البسر أقوى وأشدُّ .

□ ١٤/٢ الاشتيشار - البهجة - الحبور - السرور - الفرح :

● الاشتيشار فى اللغة: مأخوذ من مادة (ب ش ر) التى يدل أصلها على ظهور الشيء مع حسن وجمال، فالبشرة: ظاهر جلد الإنسان، ويقال: بَشَرْتُ فلاناً أَبَشَّرَهُ تبشيراً فاستبشر^(١)، أى ظهر على وجهه ملامح الفرح مع نضرة وحسن وطلاقة .

● والبَهجة فى اللغة: الحُسن والنَّضرة^(٢) .

● والحُبور فى اللغة: النعمة وحسن العيش مع السرور والجمال والبهاء^(٣) .

● والسرور فى اللغة: الفرح، وأصل مادة (س ر ر) الخفاء، ومن ذلك السرُّ^(٤)؛ وذلك لأن السرور يكون فى القلب ولا تظهر علاماته على ظاهر الإنسان .

● والفرح فى اللغة: خلاف الحزن^(٥)، وهو أن يجد الإنسان فى قلبه خفة،

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ب ش ر) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ب ه ج) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ح ب ر) .

(٤) انظر: مقاييس اللغة، اللسان (س ر ر) .

(٥) مقاييس اللغة (ف ر ح) .

والفرح أيضًا: البَطَر^(١).

● ويؤخذ مما سبق أن الاستبشار والبهجة والخبور تأتي مترادفة؛ حيث تشترك هذه الألفاظ الثلاثة في: الحسن، والجمال، وظهور أثر ذلك على ظاهر الإنسان، ولعل في الخبور ملمحًا زائدًا هو النعمة .

● بينما يتميز السرور عن هذه الألفاظ بكونه خفيًا؛ لاشتقاقه من السرّ، ويختلف الفرح عنها بدلالته على معنى مغاير هو البَطَر .

أما في الاستعمال القرآني فقد وردت هذه المفردات بملامح دلالية مختلفة وإن كانت متقاربة، على النحو التالي:

● البُشْرَى والاستبشار:

تكرّر ذكر البُشْرَى والتبشير والاستبشار في القرآن الكريم كثيرًا، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ البقرة .

- ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾﴾ آل عمران .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْلُونَ وَيُقْلِلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾﴾ التوبة .

(١) اللسان (ف ر ح) .

الاستبشار: سرور ظاهر؛ لأن الخبر السارَّ (البُشْرَى والبشارة) يؤثر في النفس وتظهر آثاره على بَشَرَةِ الوجه^(١)، كما أنَّ فيه معنى الحُسن الظاهر على الوجه أيضًا؛ لأنَّ السرور القلبى يُلقى على الوجوه بهاءً وإشراقاً؛ ولذلك وُصفت وجوه المؤمنين يوم القيامة بالاستبشار، قال الله ﷻ:

- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ﴾ عبس .

كما استعمل التبشير في إخبار المؤمنين بما يسرُّهم في الدنيا والآخرة^(٢).

● البَهْجَة:

وردت مادة (ب ه ج) في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات التالية:

- ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج : ٥ .

- ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ق .

- ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهِ حَدَائِقَ ۚ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ النمل : ٦٠ .

البَهْجَة: الجمال والحسن؛ لأن الناظر فيها يتهجج، أى يُسرُّ ويفرح^(٣).

● فالبَهْجَة - إذن - جمال وسرور ونضارة ظاهرة، والملاحظ أن هذا اللفظ في القرآن الكريم خُصَّ بوصف النبات، بما له من نضرة وحسن يُشيع السرور في قلب الناظر إليه .

(١) الكشف ٢٥٤/١ ، البحر المحيط ١٠٩/١ .

(٢) التبشير أيضًا قد يُستعمل في الحزن والمكروه، نحو قول الله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وذهب ابن فارس والزمخشري إلى أن ذلك من قبيل العكس في الكلام الذى يُقصد به الاستهزاء . (الكشف ١٥٥/٣ ، البحر المحيط ٨٩/٧) .

(٣) الكشف ١٥٥/٣ ، البحر المحيط ٨٩/٧ .

● الحُبُور:

جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ الروم .
- ﴿أَدْخِلُوا الْجَنَّةَ أُنثَىٰ وَأَزْوَاجَكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ الزخرف .

قال الزمخشري: يقال: حَبَّرَهُ، إذا سَرَّه سرورًا تهلَّلَ له وجهه وظهر فيه أثره . واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسارِّ، فعن مجاهد رضي الله عنه: يُكْرَمُونَ، وعن قتادة: يُنْعَمُونَ، وعن ابن كيسان: يُحْلَوْنَ، وعن وكيع: السَّماع (أى الغناء) فى الجنة^(١) .

وقال الزجاج: تُكْرَمُونَ إكرامًا يُبَالِغُ فيه، والحَبْرَةُ: المبالغة فيما وُصِفَ بجميل^(٢) .

● فالحُبُور - إذن - يجمع المسارَّ كُلِّها من حسن وجمال وسرور وزينة ولذة ونعمة، مع ظهور آثار ذلك فى الوجوه، فالقرآن الكريم جمع للمؤمنين فى الجنة كل أنواع النعيم .

● السُّرُور:

وردت كلمة (سرور، مسرور) فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿فَوْقَهُمْ أُنْحَاسٌ مِنْ ذَوِّ الْعُتْرَةِ لَوِىَ الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْبُحُورِ ﴿١١﴾﴾ الإنسان .
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقَلُبُ إِلَيْكَ أَهْلَهُ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٥﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿٧﴾﴾

(١) الكشف ٢١٧/٣، ٤٦٥/٣ .

(٢) معانى القرآن وإعرابه، الزجاج، شرح وتحقيق/ عبد الجليل عبده شلبى، القاهرة: دار الحديث - ط ١ - ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م - ٣٦٦/٣ .

إِنَّكُمْ كَانَتْ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٢﴾ الانشقاق .

جاءت لفظة (سرورًا) في آية الإنسان في سياق وصف حال المؤمنين يوم القيامة في مقابل حال الفُجَّار، فبدلاً من عبوس الفُجَّار يُعْطَى الله ﷻ المؤمنين نضرة في الوجوه وسرورًا في القلوب^(١) .

● فالسرور - إذن - يختص بالقلوب، وهو فرح خالص خفي، ويظهر أثره بشراً وحبوراً .

● الفرّح :

تكرّر ذكر الفرّح في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وأكثر استعماله في القرآن الكريم في اللذة العاجلة^(٢)، ومن ذلك الآيات التالية :

- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ آل عمران .

- ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الأنعام .

- ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ المؤمنون .

وندر إطلاق الفرّح في القرآن الكريم وصفاً محموداً للمؤمنين، فمن بين اثنين وعشرين موضعاً ذُكِرَ فيها الفرّح، كان فيها وصفاً محموداً في ثلاثة مواضع فحسب، وهي الآيات التالية :

- ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ آل عمران .

(١) الكشف ١٩٧/٤ .

(٢) انظر: مفردات الأصفهاني (ف ر ح) .

- ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨) ﴿يونس .
 - ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤١) ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ
 مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٩) ﴿الروم .

وذلك لأن رحمة الله وفضله ونصره للمؤمنين يُورث خفةً في القلب، كما
 يُورث شعوراً خفياً وهو المُسَمَّى بالسُرور .

ولا تَعَارُضَ بين فرح المؤمنين بما آتاهم الله، وبين قول الله تعالى: ﴿لَا
 تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ القصص: ٧٦؛ لأن الأول: فرح المؤمنين بالملأذ
 الأخروية، والآخر: فرح غير المؤمنين بالملأذ الدنيوية^(١) .

● فالْفَرَح أكثر استعماله في القرآن جاء في معرض الذم، لتعلقه بالملذات
 العاجلة، ولارتباطه بالبطر، وقل استعماله في معرض المدح؛ ليجمع الله
 لعباده المؤمنين اللذة مع النعمة والكرامة .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (الاستيشار - البهجة - الحبور - السُرور
 - الفرح) متقاربة دلاليًا؛ حيث تشترك جميعها في: الشعور المتولد عن
 حصول نفع أو اندفاع ضرر، أو توقُّع ذلك .

وتباين الملامح الدلالية التي تميِّز كل لفظ من هذه الألفاظ، على
 النحو التالي:

- الاستيشار: يتميِّز بملمح البهاء والإشراق الظاهر في الوجوه .
- البهجة: تتميِّز بملمح الجمال، وما يبعثه من سرور في قلب الناظر إليه،
 وهو في القرآن خاص بوصف النبات ونضرتة .
- الحبور: اجتماع المسارِّ كلها ظاهرة وباطنة، فهو دالٌّ على العموم .

- السُّرور: يتميز بالخفاء، فهو فرح خالص مكتوم فى القلب .
- الفَرَح: يتميز بارتباطه باللذة العاجلة، وقد يصاحبه بَطَرٌ فيكون مدمومًا، فإن لم يصاحبه بَطَرٌ فهو محمود .

□ ١٥/٢ الإبصار - الرؤية - النَّظَر:

- أصل مادة (ب ص ر) فى اللغة: وضوح الشيء، يقال: بَصُرْتُ بالشيء: إذا صِرْتُ به بصيرًا عالمًا، وأَبْصَرْتُهُ: إذا رأيته^(١) .
- وأصل مادة (ر أ ي) فى اللغة: العلم بالشيء، إمَّا بالعين أو بالقلب^(٢) .
- وأصل مادة (ن ظ ر) فى اللغة: تأمُّل الشيء ومعانيته^(٣) .

هكذا تعطينا المعاجم اللغوية بعض الملامح الدلالية لهذه الألفاظ المتقاربة، ولكنها ملامح غير حاسمة فى الفرق بينها .

فالإبصار يتميز بالوضوح، والرؤية تتميز بالعلم، والنظر يُميِّزه التأمل .
ونحن - إذن - بإزاء ثلاثة مستويات تبدأ بالنظر أى التأمل فى الشيء ومعانيته، ثم إبصاره أى وضوحه للعين أو للعقل، ثم رؤيته وهى العلم به:
○ نَظَر = (تأمل) .

○ إبصار = (وضوح الشيء المنظور إليه) .

○ رُؤية = (علم بالشيء) .

(١) مقياس اللغة، اللسان (ب ص ر) .

(٢) المحكم، اللسان (ر أ ي) .

(٣) الصحاح، مقياس اللغة، اللسان (ن ظ ر) .

وقد استعملت مادة (ب ص ر) في القرآن الكريم كثيراً، ودارت معانيها حول الإدراك بحاسة البصر (وهى العين)، والإدراك بالبصيرة وهى القلب أو العقل^(١)، ومن شواهد البصر بالجراحة قول الله ﷻ:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ النحل .

﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ يَتَّبِعُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٧٩﴾﴾ مريم .
ومن شواهد البصر بالقلب، أى العلم بالشىء، قول الله ﷻ:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾﴾ البقرة .

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَبُّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ الأعراف .

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ يونس .
توضّح آية الأعراف (رقم ١٩٨) بجلاء أن النظر غير الإبصار، فهم (ينظرون)، وفى الوقت نفسه (لا يبصرون) .

فالنظر هنا صورة ظاهريّة؛ لأنهم صوّروا أصنامهم فى هيئة الناظر بحدقته إلى الشىء، ولكنهم لا يدركون هذا الشىء^(٢) .

إذن فالنظر هو التحديق بحاسة الإبصار نحو الشىء، ولكن هذا فى حدّ ذاته لا يؤدّى إلى إدراك الشىء .

فالنظر تحديق، والإبصار إدراك .

(١) مفردات الأصفهاني (ب ص ر) .

(٢) الكشف ١٣٨/٢ .

أما الرؤية فتستعمل للإدراك بحاسة البصر، وللإدراك بالفكر والعقل^(١)، فمن الإدراك بالحاسة قول الله ﷻ:

- ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ﴿٣١﴾ مريم .

- ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ﴿٦٦﴾
 ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧٧﴾
 ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْقِرُ مِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ الانعام .

ومن الإدراك بالفكر والعقل قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ أَعْمَلُهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفُتَّانِ تَكْصَعْنَ عَلَىٰ عِصْبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٤٨﴾ الانفال .
 - ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ النجم .

ولكن للرؤية مزية على الإبصار؛ فالرؤية علم ثابت لا شك فيه؛ ولذلك عبّر بها عن العلم اليقيني في نحو قول الله ﷻ:

- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَبِثَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ التكاثر .

والنظر أدنى مراتب الإدراك بالعين؛ لأن الناظر قد لا يبصر ولا يرى، يقال: نظرت إلى كذا، إذا مددت طرفك إليه، سواء رأيته أو لم تره^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (البصر - الرؤية - النظر) متقاربة دلاليًا؛

(١) مفردات الأصفهاني (رأى) .

(٢) مفردات الأصفهاني (نظر) .

حيث تشترك جميعها فى معنى تأمل الشيء لإدراكه .
ولكن لكل منها درجة فى الإدراك :

- أعلاها الرؤية التى تتميز باليقين .
- ثم الإبصار الذى يتميز بالوضوح .
- وأدناها النظر الذى قد يكون توجه العين إلى الشيء دون رؤيته ، وقد يكون تدبراً مع رؤية الشيء .

□ ٢ / ١٦ بَعَثَ - أَرْسَلَ :

● أصل البعث فى اللغة : الإثارة والتوجيه والتنبيه^(١) ، ثم يختلف البعث باختلاف ما عُلق به ، فتارة يكون عامّاً فى معنى التوجيه والإثارة كما يقال : بعثت البعير ، أى سَيَّرْتُهُ ، وبعثت رسولاً ، أى وجَّهْتَهُ . والبعث إيقاظ من النوم ، وتنبيه من الغفلة والضلالة ، وإحياء الله للموتى بعث لهم^(٢) . وتجتمع هذه المعانى فى التوجيه والتنبيه .

● وأصل الإرسال فى اللغة : توجيه الشيء برفق وتؤدّة ورحمة ، ومنه الترسل فى الكلام والمشى ، أى الهدوء والتأنى وعدم العجلة ، ومنه قولهم : على رسلك ، أى تَرَفَّقْ وتَأَنَّنْ فى القول أو الفعل ، والاسترسال : الطمأنينة والسكون .

وبهذا يتضح أن البعث والإرسال يشتركان فى معنى لغوى عامّ هو التوجيه .
ويختلفان فى : أن البعث يتميز بملمح التنبيه والإيقاظ .
والإرسال يتميز بالرفق والتؤدّة والهدوء .

(١) اللسان (ب ع ث) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ب ع ث) .

والاستعمال القرآنى للكلمتين يدور حول المعانى اللغوية المذكورة، ولكن لكل سياق ملامح دلالية تميز اللفظ .

وبتأمل المواضع التى ورد فيها البعث فى القرآن الكريم، نجد أنه ورد بالمعانى الآتية:

• مطلق التوجيه، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ المائدة: ٣١، أى: قَيَّضَهُ^(١) .

• توجيه الرسل بوحي الله تعالى وأمره، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ النحل: ٣٦ .

• إيقاظ النائم، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ الأنعام: ٦٠ . أطلق لفظ البعث على اليقظة؛ لأن النوم من جنس الموت^(٢) .

• إحياء الموتى، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَأَمَّا تِلْكَ الْأُمَّةُ الَّتِي كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ الْأُولَىٰ فَأَعْتَبُوا﴾ البقرة: ٢٥٩ .

أما الإرسال فى القرآن الكريم فقد ورد بمعانٍ مقاربةٍ للمعانى اللغوية المذكورة، وجُلُّها يختصُ بمعنى التوجيه المصحوب برحمة ورفق وأناة؛ ولذلك استعمل فى المعانى الآتية:

• إرسال الرسل، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﷻ الأنبياء .

(١) مفردات الأصفهاني (ب ع ث) .

(٢) الموضوع السابق .

• توجيه الخير كالرياح والمطر ونحوهما، ومن ذلك قوله ﷺ:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الفرقان: ٤٨ .

أى: وجهها وسخّرها لخير العباد^(١) .

وهكذا نجد أن لفظ الإرسال قد ارتبط - فى الاستعمال القرآنى - بالرحمة والرفق، إلا ما كان الفعل فيه مركباً مع حرف الاستعلاء (على) كما فى قوله ﷺ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ مريم .

- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ الفيل .

وهنا تغيرت الدلالة المعجمية للفظ الإرسال؛ حيث اكتسبت من حرف الاستعلاء معنى القوة والقهر والتسليط والعذاب .

• ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى لكلمتى (البعث - الإرسال) يشترك فى ملمح دلالتى عام هو: التوجيه .

وبين الكلمتين ملامح دلالية فارقة هى:

• البعث: يتميز بملمح التنبيه والإيقاظ والإثارة .

• الإرسال: يتميز بملمح الرفق والرحمة، إلا فى المواضع التى جاء مركباً فيها مع حرف الاستعلاء (على) .

□ ١٧/٢ البَغْضَاء - الشَّنَان - القَلَى - الكُرْه - المَقْت:

• البَغْضَاء فى اللغة: شدة البُغْض، خلاف الحب^(٢) .

(١) مفردات الأصفهاني (ر س ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ب غ ض) .

- وَالشَّنَّانُ فِي اللُّغَةِ: الْبُغْضُ^(١)، مَعَ التَّجَنُّبِ وَالتَّقَرُّزِ وَالْقُبْحِ^(٢) .
- وَالْقَلَى فِي اللُّغَةِ: التَّجَافَى عَنِ الشَّيْءِ وَتَرْكُهُ^(٣)، لَشِدَّةِ الْكُرْهِ لَهُ^(٤) .
- وَالْكُرْهُ وَالْكَرَاهَةُ وَالْكَرَاهِيَةُ فِي اللُّغَةِ: خِلَافُ الْحُبِّ^(٥) .
- وَالْمَقْتُ فِي اللُّغَةِ: أَشَدُّ الْبُغْضِ، وَهُوَ بُغْضٌ عَنْ أَمْرِ قَبِيحٍ رَكِبَهُ^(٦) .

هَكَذَا لَا تُسَعِفُنَا اللُّغَةُ بِفُرُوقٍ دَلَالِيَّةٍ دَقِيقَةٍ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ، كَمَا يَتَضَحُّ مِنْ تَسَاوَى مَعَانِي (الشَّنَّانِ وَالْقَلَى وَالْمَقْتُ)، وَأَنَّ الْبَغْضَاءَ لَا تَخْتَلِفُ عَنِ الْكُرْهِ إِلَّا فِي مَلَمَحِ الشَّدَةِ فِي الْبَغْضَاءِ .

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَرَدَ لَفْظُ الْبَغْضَاءِ عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨ .

﴿وَالْقِيَنَاءَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ المائدة: ٦٤ .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْغَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ المائدة: ٩١ .

الْبَغْضَاءُ كَمَا يَتَضَحُّ مِنَ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ: شِدَّةُ الْكُرْهِ؛ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَ الْعَدَاوَةِ لَفْظًا فِي آيَتِي الْمَائِدَةِ ٦٤، ٩١، وَمُضْمُونًا فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ الْيَهُودَ وَمَا يَضْمُرُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ بُغْضٍ يَظْهَرُ فِي فَلَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَمَا يَخْفُونَ فِي قُلُوبِهِمْ أَكْبَرَ مِمَّا يَظْهَرُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ^(٧) .

(١) اللسان (ش ن أ) .

(٢) مقاييس اللغة (ش ن أ) .

(٣) مقاييس اللغة (ق ل و) .

(٤) المحكم، اللسان (ق ل أ) .

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (ك ر ه) .

(٦) مقاييس اللغة، النهاية لابن الأثير، اللسان (م ق ت) .

(٧) البحر المحيط ٣٩/٣ .

فالبغضاء كراهية شديدة، مرتبطة بالعداء .

• أما السَّنَان فقد تكرر في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات التالية:

- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ المائدة: ٢ .

- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا﴾ المائدة: ٨ .

- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر .

السَّنَان: أن تبغض الشيء بُغْضًا شديدًا مع تَقْدُرٍ له^(١) .

ففي السَّنَان زيادة على الكُرْه والبغض ملمح الشَّدَّة، وملمح التَقْدُر؛ ولذلك جاء في سياق النَّهْي عن الظلم والحُضْ على العدل، حتى وإن كان ذلك مع من تبغضونهم أشدَّ البغض وترونها أقدارًا تتقَرَّر لها نفوسكم .

ووصف بها مَنْ كان يبغض رسول الله ﷺ، وهو العاص بن وائل في رواية، وأبو جهل في رواية، وعقبة بن أبي معيط في رواية ثالثة، وأيًا كان هذا الشأن لرسول الله ﷺ، فقد كان البُغْض متمكَّنًا من نفسه، وفيه نوع من الاستهانة برسول الله ﷺ حيث كان يقول: دَعُوهُ؛ إنما هو رجلٌ أبتَر لا عَقَبَ له، لو هلك انقطع ذِكْرُهُ واسترحم منه^(٢) . ولهذا عُبرَ بلفظ (شأنى) الدالُّ على شدة البغض، مع التَقْدُر والتجَنُّب .

• وأما القَلَى فقد ورد في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْفَالِينَ﴾ الشعراء .

- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ الضحى .

جاءت آية الشعراء على لسان سيدنا لوط عليه السلام مخاطبًا قومه الذين كانوا

(١) الكشف ٥٩٢/١، مفردات الأصفهاني (ش ن أ) .

(٢) الكشف ٢٩١/٤، البحر المحيط ٥١٩/٨، ٥٢٠ .

يأتون الرجال من دون النساء، ومعنى الْقَلَى: البغض الشديد كأنه بُغْضٌ يَقْلَى
الفؤاد والكبد؛ وذلك لِعَظَمِ معصيتهم^(١).

هكذا جعله الزمخشري مشتقاً من قَلَى يَقْلَى، وهو القياس كما ذكر ابن
فارس^(٢).

وهناك وجه آخر للقَلَى، وهو أن يكون من (قَلَا يَقْلُو قَلَوْا)، من قولهم:
قَلَّتِ الناقةُ براكبها، أَيْ رَمَتْ بِهِ، فكأنَّ المَقْلُوَّ هو الذى يقذفه القلب من شدة
بغضه له^(٣).

ويرجح هذا التأويل ذكر التوديع معطوفاً على الْقَلَى فى سورة الضحى،
والمراد أن الله ﷻ لم يترك نبيه ﷺ ولم يبغضه كما ادَّعى ذلك كفار قريش .
إذن فالْقَلَى: بُغْضٌ شديد مصحوب بالترك والنفور .

● وأما الكُرْه فهو أعمُّ هذه الألفاظ، وهو كما جاء فى المعاجم: خلاف
الحُبِّ، ومن شواهد القرآنية قول الله ﷻ:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ البقرة: ٢١٦ .

- ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا
كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩ .

- ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ الأنفال .

● وأما المَقَّت فقد تكرر فى القرآن الكريم ست مرات منها:

(١) الكشف ١٢٥/٣ .

(٢) مقاييس اللغة (ق ل و) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ق ل ي) .

- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكُمْ كَانَتْ فَجِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٧) النساء .

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٥) غافر .

- ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢٣) الصف .

المَقْتُ: أشدُّ البغض، ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه: (مَقْتِي)؛ لكونه ممقوتاً في كل قلب^(١)، وهو لمن ارتكب فعلاً قبيحاً منافياً للمروءة^(٢) .

فالمَقْتُ أشدُّ هذه الكلمات وأخصُّها؛ لأنه يتضمن الكراهية، مع الشدة، والقبح، ومنافاة المروءة .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (بُغْضَاء - شَنَّان - قَلَى - كُرْه - مقت) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك في أنها جميعاً تناقض الحُبَّ، وفيها عدم رِضًا .

● والكُرْه أعمُّ هذه الألفاظ .

ولسائرهما ملامح دلالية تميّز بعضها عن بعض:

● فالبُغْضَاء: شدة الكراهية .

● والشَّئَان: بُغْضٌ شديد ونجْبٌ وتقذُّر .

● والقَلَى: بُغْضٌ شديد مع ترك ونفور .

● والمَقْتُ: بغْضٌ شديد مع قبح الممقوت ومنافاته للمروءة .

(١) الكشف ٣/٣١١ .

(٢) الكشف ١/٥١٥، وانظر: مفردات الأصفهاني (م ق ت) .

□ ١٨/٢ البَغْي - الطُّغْيَان - الظُّلْم - العُتُو - العُدْوَان :

• البَغْي في اللغة: الفساد والشدة، يقال: بَغَى الجُرْحُ إذا فَسَدَ، وبَغَى المطرُ إذا اشْتَدَّ . ثم أُطلق البَغْيُ على التعدَّى ومجاوزة الحدِّ بغير حق، وقصد الفساد^(١).

• والطُّغْيَان في اللغة: مجاوزة الحدِّ في كل شيء، يقال: طَغَى الماء وطَغَى السيلُ إذا جاء بماء كثير، وطَغَى البحرُ: هاجت أمواجه . وطَغَى الإنسانُ طُغْيَانًا: جاوز القدر في الكِبَر والمعصية والكفر^(٢).

• والظُّلْم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه، قال كعب:

أنا ابنُ الذي لَمْ يُخْزِنِي في حَيَاتِهِ وَلَمْ أَخْزِهِ حَتَّى تَعَيَّبَ في الرُّجُمِ

أقولُ شبيهاتٍ بما قالَ عالمًا بِهِنَّ وَمَنْ يُشَبِّهَ أَبَاهُ فما ظَلَمَ

أى: ما وضع الشبه في غير موضعه .

ويقال: لزموا الطريق فلم يظلموا، أى لم يحيدوا عنه . ومنه أخذ معنى الظلم وهو الميل عن القَصْد^(٣).

• والعُتُو في اللغة: التكبر والتجبر والعصيان^(٤).

• والعُدْوَان في اللغة: تجاوز ما ينبغى أن يُقْتَصَرَ عليه، وهو الظلم الصُّراح^(٥).

هكذا لا تسعفنا المعاجم اللغوية بفروق دلالية واضحة بين هذه الألفاظ، فقد تكررت عبارة (مجاوزة الحدِّ أو القَدْر) في تفسيرها جميعًا .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ب غ ي) .

(٢) مقاييس اللغة، تهذيب اللغة، المحكم، اللسان (ط غ ي) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ظ ل م) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (ع ت و) .

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (ع د و) .

وفيما يلي نعرض للاستعمال القرآنى لهذه الألفاظ وما بينها من فروق دقيقة فى القرآن الحكيم .

● البغى :

تكرر ذكر البغى ومشتقاته فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهد الآيات التالية :

- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ قُلُوا الَّذِينَ يَخْتَفُونَ لَا هُمْ فِيكُمْ بِشَيْءٍ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ لَا هُمْ فِيكُمْ بِشَيْءٍ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ لَا هُمْ فِيكُمْ بِشَيْءٍ﴾ البقرة: ٩٠ .

- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ الأعراف .

- ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ لَا يَفْعَلُ اللَّهُ لَعْفًا عَفُورٌ ﴿١٦﴾﴾ الحج .

البغى فى الآية الأولى: الحسد والظلم^(١)، وفى الآية الثانية: الظلم والكبر والتعدى^(٢) .

● فالبغى يتضمن كل أنواع الظلم والتعدى والكبر معاً .

● الطغيان :

تكرر ذكر الطغيان ومشتقاته فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية :

- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة .

- ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ طه: ٢٤، النازعات: ١٧ .

(١) الكشف ٢٩٦/١، البحر المحيط ٣٠٥/١ .

(٢) الكشف ٧٧/٢، البحر المحيط ٢٩٢/٤ .

- ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَاقٌ ۚ ﴿١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْفَ ۖ ﴿٢﴾﴾ العلق .

الطغيان: الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في المعاصي^(١) . وفيه إفراط ومبالغة في الشر والكبر^(٢) .

وقد اقترن الطغيان بالكفر في كثير من آيات القرآن الكريم، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَزِيدَتْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ﴾ المائدة: ٦٤، ٦٨ .

- ﴿وَأَمَّا أَفْكَارُهُ كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ﴾ الكهف .

كذلك استعمل لفظ (الطاغوت) - وهو مشتق من الطغيان - اسمًا لكل متعبد وكل معبود من دون الله ﷻ^(٣)، نحو قوله ﷻ:

- ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ﴾ البقرة: ٢٥٧ .

- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ﴾ النحل: ٣٦ .

● فالطغيان: تجاوز الحد والغلو في ذلك، ويشمل الإفراط في المعصية والكبر والكفر، وهو بذلك أشد من البغى .

● الظلم:

كثر ورود الظلم في القرآن الكريم وتعددت معانيه بحسب السياقات، ولكن هذه المعاني المتعددة كلها تدور حول معنى: منع الحق ومجاوزته، ووضع الشيء في غير موضعه، ويكون الظلم من الكبائر، ويكون من الصغائر؛ ولذا قيل لآدم عليه السلام: (ظالم)، وقيل في إبليس: (ظالم)، وإن كان بين الظلمين بؤن بعيد . والظلم على ثلاثة أقسام:

(١) الكشف ١٨٨/١-١٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٨٦/١ .

(٣) مفردات الأصفهاني (ط غ ي) .

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، كما في قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣١﴾﴾
لقمان .

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ الانعام .

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ الانعام .

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ هود .

الثاني: ظلم بين الإنسان وبين الناس، كما في قوله ﷻ:

- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوءَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ النحل .

- ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾﴾ الشورى .

الثالث: ظلم الإنسان لنفسه، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَانْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدَنَّ لَهُنَّ مِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴿٢٣١﴾﴾ البقرة: ٢٣١ .

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ النساء: ٦٤ .

- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٦) .
النساء .

وهذه الأقسام الثلاثة هي في الحقيقة ظلم للنفس؛ فإن الإنسان أول ما يَهُمُّ بالظلم فقد ظلم نفسه، وقوله ﷻ:

- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (١٧) . الزمر .
يتناول الأنواع الثلاثة من الظلم^(١) .

● فالظلم - إذن - هو الميل عن القصد، والتعدى سواء أكان صغيراً أم كبيراً، حيث يتراوح الظلم ما بين أكبر الكبائر وهو الشرك بالله ﷻ، وبين ارتكاب صفائر الذنوب .

● العُتُو:

تكرر ذلك العُتُو في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها الآيات التالية:
- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أُنْتُنَا إِمَّا نَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٧) . الأعراف: ٧٧ .

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (٧٨) . الفرقان .

- ﴿أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقُكُمْ بَلْ لَبُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٧٩) . الملك .

● العُتُو: المبالغة في الكِبَر أو الفساد أو الكفر^(٢) . ولكنه لا يبلغ مبلغ البغى والطفيان .

(١) مفردات الأصفهاني (ظ ل م) .

(٢) تحفة الأريب، ص ٢٢٤ .

● العُدْوَان :

تَكَرَّرَ ذكر العدوان ومشتقاته في القرآن الكريم كثيرًا ، ومن شواهدة :
 ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِينِكُمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِيمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ البقرة : ٨٥ .

- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة : ٢ .
 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَلْتَجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ المجادلة : ٩ .

وقد فُسِّرَ العدوان بالتعدّي في حدود الله ، وبالظلم الصّراح^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (البغى - الطغيان - الظلم - العتوّ - العُدْوَان) متقاربة دلاليًا ؛ حيث تشترك جميعها في معنى عام هو : مجاوزة الحدّ ، ولكنها على درجات :

● فأشدّها الطُّغْيَان ؛ لاشتماله على مجاوزة الحدّ والمبالغة في الكِبَر والمعصية والشرّ والكفر .

● يليه في الشدة البَغْي ؛ لاشتماله على التعدّي والفساد والظلم .

● ثم العِتْوُ ؛ لأنّه مبالغة في الكِبَر أو الفساد أو الكفر .

● ثم العُدْوَان ؛ لأنّه تعدّد لحدود الله ، وظلم صّراح .

● ثم الظُّلم ، وهو أدناها ، وتتفاوت درجاته من صفائر الذنوب إلى كبائرها إلى الشرك بالله ﷻ .

□ ١٩/٢ بَكَّة - مَكَّة :

كلا اللفظين في اللغة علمٌ على أمّ القُرى .

واشتقاق بَكَّة فيه أقوال :

- أنها سُمِّيت بذلك لأنها تَبْكُ (تقهر وتكسر) أعناق الجبابرة إذا ألدوا فيها بظلم .
- أو لأنَّ الناس يتباكُون (يتزاحمون) فيها ويأتون إليها من كل وجه .
- أو لأنَّ الحجاج يتباكُون ويتدافعون في أثناء الطواف، وهذا الوجه يرجح أن المراد بيكَّة : موضع البيت الحرام .
- وقيل إن بَكَّة هي مَكَّة بإبدال الميم باءً، كما في قولهم : سَبَدَ رأسه وسَمَدَ رأسه، وضربة لازب ولازم^(١) .

وأما (مَكَّة) فاشتقاقها - كما ذهب الخليل - من قولهم : تَمَكَّكْتُ العَظْمَ، أى أخرجت مُحَّهُ؛ سُمِّيت بذلك لأنها وسط الأرض كالمخ الذى هو أصل ما فى العظم .

وذهب بعض العلماء إلى أنها مشتقة من : مَكَّ الفصيلُ ضرعُ أمه وتَمَكَّكُهُ، أى امتصَّ جميع ما فيه وشربه كلَّه^(٢) .

تلك هى الأوجه اللغوية لاشتقاق اللفظين .

أما فى القرآن الكريم فقد ورد لفظ (بَكَّة) فى قول الله ﷻ :

- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ آل عمران .

وجاء لفظ (مَكَّة) فى قول الله ﷻ :

(١) انظر هذه الأوجه فى : اللسان (ب ك ك)، مفردات الأصفهاني (ب ك ت) .

(٢) انظر : مفردات الأصفهاني، اللسان، تهذيب اللغة (م ك ك) .

- ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾

الفتح: ٢٤ .

وتدلنا الآيتان الكريمتان على أن كلا اللفظين (بكة - مكة) عَلِمَ على أم القرى ومهبط الوحي شرفها الله ﷺ .

لكن الاستعمال القرآني للفظين قد راعى التدرُّج التاريخي في استعمال الكلمتين علماً على أم القرى، قال العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور في هذا الصدد بعد أن ساق بعض أقول العلماء في الاسمين:

"والظاهر عندى أن (بَكَّة) اسم بمعنى البلدة وضعه إبراهيم عليه السلام علماً على المكان الذى عِيَّهَ لِسُكْنَى ولده بِنْيَّةً أن يكون بلدًا، فيكون أصله من اللغة الكلدانية لغة إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنهم سَمَّوْا مدينة "بعلبك" أى: بلد بعل، وهو معبود الكلدانيين . ومن إعجاز القرآن اختيار هذا اللفظ عند ذكر كونه أوَّل بيت، فلاحظ أيضًا الاسم الأول" (١) .

والذى ذهب إليه الشيخ الطاهر هو ما تُرَجِّحه؛ لاستناده إلى التركيب اللغوى لكلمة (بَكَّة) التى تعادل المقطع (بك) أى بلدة أو مدينة، كما فى (بعلبك) أى بلدة بعل معبود الكلدانيين .

● ونخلص ممَّا سبق إلى أنَّ (بَكَّة) هى الاسم القديم، ثم أُبدِلَت الباء ميمًا فى الاسم الحديث فصارت (مَكَّة)، واستقر هذا الاسم الجديد علماً على أم القرى .

● لكن القرآن لمَّا ذكر أولويَّة البيت الحرام وكونه أوَّل بيت مقدَّس، ناسب ذلك ذكر الاسم القديم، ولمَّا تعرَّض القرآن للوقائع الحديثة كما فى آية الفتح التى تقصِّ وقائع فتح مكة، جاء بالاسم العربى الذى استقر علماً على أم القرى .

□ ٢٠/٢ الابتلاء - الفِتنَة:

- الابتلاء فى اللغة: الاختبار والتجريب والامتحان، يكون بالخير والشر^(١).
- والفتنة فى اللغة أيضًا: الامتحان والاختبار^(٢).

صرّحت بعض المعاجم وكتب اللغة بالتسوية بين اللفظين فى الدلالة، فمثلاً يقول الراغب الأصفهاني:

"جُعِلَتِ الفتنَة كالبلاء فى أنهما يُستعملان فيما يُدْفَعُ إليه الإنسانُ من شدّة ورخاء، وهما فى الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً"^(٣).

ولا نكاد نظفر من كتب اللغة بأكثر من هذا .

وفى القرآن الكريم جاء الابتلاء بمعنى الاختبار بالضّراء، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ البقرة .

وهنا استُعمل الابتلاء بمعنى الامتحان بشيء مكروه هو بعض الخوف والجوع ونقص الأموال والثمرات . كذلك استُعملَ الابتلاء بمعنى الاختبار بالسّراء كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿قَلَّمَ نَفْسُوكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلَّهْمُ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ الأنفال .

وجمع القرآن معنى الخير والشرّ فى الابتلاء كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء: ٣٥ .

(١) النهاية، اللسان (ب ل و) .

(٢) اللسان (ف ت ن) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ف ت ن) .

وأما الفتنه فكان أكثر استعمالها في القرآن الكريم في معنى العذاب، نحو قوله ﷺ:

- ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١ .
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ التوبة: ٤٩ .
- ﴿يَوْمَ مُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ الذاريات .
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فُمْ لَمْ يَبُوءُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّم وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾ ﴿١٤﴾ البروج .

وندر استعمال الفتنه في القرآن بمعنى الاختبار بالسراء كما في قوله ﷺ:

- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فِتْنَةً وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ الأنفال .

وذلك اعتبارًا بما ينال الإنسان من الاختبار بهم^(١)، وما سيؤول إليه حال الواقع عليه الاختبار من اضطراب وألم وعذاب .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:

"الفتنة لفظ يجمع معنى مرج واضطراب أحوال أحدٍ وتشتت باله بالخوف والخطر على الأنفس والأموال، على غير عدل ولا نظام، وقد تُخصَّص وتُعمَّم بحسب ما تُضاف إليه أو بحسب المقام . . . ولما كانت هذه الحالة يختلف ثبات الناس فيها بحسب راحة عقولهم ومقدرتهم على حسن المخارج منها، كان من لوازمها الابتلاء والاختبار، فكان من المعاني التي يُكْنَى بالفتنة عنها كثيرًا؛ ولذلك تسامح بعض علماء اللغة ففسَّر الفتنة بالابتلاء، وجرَّاه على ذلك قول الناس: فتنتُ الذهب أو الفضة، إذا أذابها بالنار لتمييز الرديء من الجيِّد، وهذا الإطلاق - إن لم يكن مولَّدًا - فإنَّ معنى الاختبار غير منظور إليه في لفظ الفتنة، وإنما المنظور إليه ما في الإذابة

(١) مفردات الأصفهاني (ف ت ن) .

من الاضطراب والمرج^(١) .

وقد لاحظ الراغب الأصفهاني في الاستعمال القرآني للفظ الفتنة أن الفتنة تكون من الله ﷻ، ومن العبد، كالبليّة والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك؛ ولهذا يذمُّ الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان نحو قوله ﷻ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١، وقوله ﷻ: ﴿مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِقَاتِلِينَ﴾ الصافات . أى مُضِلِّينَ^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الفتنة أشد من الابتلاء، بل هي أثر من آثاره قد يحدث أو لا يحدث، فالأموال والأولاد والأزواج وغير ذلك من النعم هي ابتلاءات، قد تؤول إلى فتنٍ إذا اغترَّب بها المنعم عليه، وقد لا تكون كذلك إذا ما أدَّى الإنسان حقَّ الشكر لله عليها .

● كما أن الفتنة أخصُّ من الابتلاء إذا كان الفاعل لها غير الله ﷻ، فهي دائماً مِحْنٌ ومضارٌّ مهلكة كالعذاب والإحراق والإضلال . . أما الابتلاء فيكون بالخير كما يكون بالشرِّ، سواء أكان الفاعل هو الله ﷻ، أم كان من المخلوقين .

□ ٢١/٢ ابْتِهَالٌ - دَعَا:

● الابتهاال في اللغة: نوع من الدعاء فيه اجتهد ومبالغة^(٣)، وأصله من البُهْلَة أى اللعنة، وذلك أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم مِنَّا^(٤) .

(١) التحرير والتنوير ٦٤٣/٢ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ف ت ن) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ب ه ل) .

(٤) اللسان (ب ه ل) .

• والدعاء فى اللغة: أن تُمِيلَ الشئَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك^(١). وعَبَّرَ ابن منظور عن هذا المعنى بالاستغاثة^(٢).

وقد ورد الابتهاال فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران .

ومعنى الابتهاال أن يقولوا: لعنة الله على الكاذبين مِنّا ومنكم، مأخوذ من البَهْلَة وهى اللعنة والتَّرك، هذا أصل الابتهاال، ثم استعمل فى كل دعاء يُجْتَهَدُ فيه وإن لم يكن التَّعَانًا^(٣).

فاقتصر استعمال الابتهاال فى القرآن الكريم على أصل معناه .

أما الدعاء فقد تكرر فى القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهد:

- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦ .

- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ آل عمران .

- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت .

والدعاء متعدّد المعانى فى القرآن الكريم، حيث ورد بمعنى التسمية كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ النور: ٦٣ .

(١) مقاييس اللغة (دع و) .

(٢) اللسان (دع ١) .

(٣) الكشف ٤٣٤/١ .

وذلك لمن كانوا يخاطبون النبي ﷺ قائلين: يا محمد، يسمونه باسمه،
ف قيل لهم ذلك حثاً على تعظيمه ﷺ .

كما ورد بمعنى السؤال، كقوله ﷺ:

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَبْشُرُونِ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقِيلِهَا وَقَسَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ البقرة: ٦١ .

والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده، كما في قوله ﷺ:

- ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٥٠ يونس .

وجاءت الدعوة في القرآن بمعنى الرِّفعة والذكر، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿لَا جَرَمَ أَنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ غافر: ٤٣ .
هذا ما ذكره الأصفهاني في معاني الدعاء^(١) .

ومن معاني الدعوة أيضاً: الاستجابة، كما في قوله ﷻ:

- ﴿لَمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ١٧٠ الرعد .

أورد الزمخشري في قول الله ﷻ: ﴿لَمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ عدة معاني لكلمة
(دعوة)، هي:

١- أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قَطُّ، ومن حق المعبود
بالحق أن يدعو العباد إلى طاعته .

٢- وقيل: معناه: ليس له استجابة دعوة .

(١) مفردات الأصفهاني (دع ١) .

٣- وقيل: ليس له دعوة مستجابة، جُعِلَت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة فيها كالدعوة .

٤- أو سُمِّيَت الاستجابة باسم الدَّعوة كما سُمِّيَ الفعل المُجَازَى عليه باسم الجزاء في قولهم: كما تدين تُدان^(١) .

والملاحظ أن الاستجابة مذكورة في الأوجه الثلاثة (٢، ٣، ٤)، وهو ما اقتصر عليه الطاهر بن عاشور في قوله: أى لا يملك إجابة الداعين^(٢)، وهو ما نرجّحه من معنى الدعوة في هذه الآية .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الابتهاال - الدعاء) بينهما تقارب دلاليّ؛ حيث يشتركان في معنى: الطلب والسؤال .

● إلّا أن الابتهاال خاصّ باجتماع القوم يدعون على الظالم أو الكاذب من الفريقين .

● بينما الدعاء عامٌّ في عدة معانٍ هي:

١- التسمية .

٢- السؤال .

٣- الحث على قصد الشيء .

٤- الاستجابة .

(١) الكشف ٣/ ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ١٥ .

حرف التاء (٣)

(١)	تَحْت، أَسْفَل	(٢)	تَلَا، قَرَأَ
(٣)	التَّمَام، الكَّمَال		

□ ١/٣ تَحْت - أَسْفَل:

• أصل كلمة (تَحْت) في اللغة: إحدى الجهات الست المحيطة بالجِرم ، ... نقيض (فَوْق)^(١) .

• وأصل كلمة (أَسْفَل) في اللغة: نقيض العُلُو^(٢) .

والتماثل للمعنى اللغوي لكلا اللفظين يظهر له التقارب الشديد بين دلالة الكلمتين (تَحْت - أَسْفَل)، ولا نكاد نشعر بفارق ما بينهما .

ولنتأمل الاستعمال القرآني للفظين، لنرى أن القرآن الكريم أوردهما بداليتين متقاربتين، كما يظهر من الآيتين التاليتين:

- ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٧٩﴾ مريم .

- ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ الأحزاب: ١٠ .

فاللفظان في كلتا الآيتين يشتركان في معنى الإشارة إلى الجهة، والانخفاض .

غير أن القرآن الكريم قد أثر التعبير بلفظ (أَسْفَل) في آية الأحزاب للدلالة

(١) اللسان (ت ح ت) .

(٢) اللسان (س ف ل) .

على التشابك والالتحام فى الحرب؛ لأن كلمة (أَسْفَلَ) تُستعمل فى وصف شىء مُتَّصِل ببعضه ببعض كما يقال: أَعْلَى الشجرة وأسفلها .

وأما (تَحْتَ) فتُستعمل فى المنفصل أو ما يمكن انفصاله^(١)، وهذا ظاهر فى الآيات القرآنية، كما فى هذه الآيات:

- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ النساء .

- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ المائدة: ٦٦ .

- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الفتح: ١٨ .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (تحت - أسفل) فى الاستعمال القرآنى يشتركان فى الإشارة إلى جهة الانخفاض، ويفترقان فى ملمح دلالتى مميز لكل منهما، وهو:

● أن (تَحْتَ) تُستعمل فى التعبير عن المنفصل أو ما يمكن انفصاله .

● وأن (أَسْفَلَ) تُستعمل فى التعبير عن المتصل ببعضه ببعض .

□ ٢/٣ تلا - قرأ:

● التلاوة فى اللغة: الاتِّباع، يقال: تلاه يتلوه تُلُوًّا، أى تبعه^(٢) .

ثم خُصِّصَت دلالة الكلمة فى معنى قراءة القرآن؛ لما فى قراءة القرآن من

(١) مفردات الأصفهاني (ت ح ت) .

(٢) اللسان (ت ل ا) .

تتابع الآيات بشكل منتظم^(١) .

• والقراءة فى اللغة: جمع الشيء وضم بعضه إلى بعض . وقراءة الكلام تعنى ضم حروفه بعضها إلى بعض والتلفظ بها مجموعة^(٢) .

وعلى هذا تكون القراءة أعَمّ من التلاوة؛ لأن التلاوة فيها ملمح دلاليّ زائد هو ملمح الاتّباع، فالتلاوة قراءة على نحو مخصوص .

وقد راعى الاستعمال القرآنى هذا الفارق الدلالى بين القراءة والتلاوة، على نحو ما يظهر من الآيات التالية:

- ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ البقرة: ٢٥٢ .

- ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتُبُ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ البقرة: ١٢١ .

- ﴿قُلْ تَمَكَّلُوا أَتَدُلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام: ١٥١ .

معنى قول الله ﷻ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ، أى: يتبعونه بالعلم والعمل^(٣).

ولم يخرج عن هذا المعنى فى القرآن الكريم سوى قوله ﷻ:

- ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ البقرة: ١٠٢ .

وأجاب عنه الراغب الأصفهاني بقوله: واستعمل فيه لفظ التلاوة؛ لما كان يزعم الشيطان أن ما يتلونه من كتب الله^(٤) .

أما القراءة فهى مجرد التلفظ بالكلام من قرآن وغيره، سواء علم القارئ بما يقرأ أو لم يعلم، وسواء عمل به أو لم يعمل، ويشهد لهذا المعنى قوله ﷻ:

- ﴿اقْرَأْ كَتَبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء .

(١) الدلالة والكلام، ص ٤٢٥ .

(٢) اللسان (ق ر أ) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ت ل ي) .

(٤) مفردات الأصفهاني (ت ل ي) .

- ﴿أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ الإسراء: ٩٣ .
- ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ عِلْمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنْهُ﴾ المزمل: ٢٠ .
- كما يؤكد هذا المعنى وصف النبي ﷺ للخوارج بقوله: "يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم (أو حناجرهم)"^(١).

- ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآني للفظي (التلاوة - القراءة) وإن كانا متقاربين في المعنى، إلا أن بينهما ملمحاً دلاليًا فارقاً، وهو:
- أن للقراءة معنى عامًا، هو مجرد التلفظ بكلام مجموع بعضه إلى بعض .
- وأن للتلاوة معنى خاصًا؛ إذ هي قراءة وأتباع معًا .

□ ٣/٣ التَّام - الكمال:

- التَّام في اللغة: انتهاء الشيء إلى غايته، وهو ضد النقصان^(٢) .
 - والكمال في اللغة: حصول ما فيه الغرض والغاية من الشيء^(٣) .
- فاللفظان متقاربان في المعنى، ولكن لفظ التَّام يوحي بوجود نقص قبله، أما الكمال فهو صفة متأصلة في الشيء تشير إلى خُلُوه من العيب وأنه قد حَقَّقَ غرضه المرجوَّ منه .
- إذن فالكمال يأتي لنفي العيب بأنواعه (والنقص نوع من العيب)، والتَّام

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم ٣٣٤١، مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ترتيب القراءة، رقم ١٣٥٨ .

(٢) اللسان، مفردات الأصفهاني (ت م م) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ك م ل) .

يأتى لنفى النقص .

وعليه فإن قول الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣ . يفيد إتمام النعمة؛ بوصولها إلى منتهاها بحيث لم يعد هناك نقص ولا حاجة إلى غير دين الله وهو الإسلام، ويفيد إكمال الدين، أى تحقيق الغرض والغاية منه على أفضل ما يكون دون أى شائبة ولا عيب .

وبين لفظى (التَّام - الكمال) عموم وخصوص، فالكمال يتضمن معنى التمام ويزيد عليه، ولعل هذا هو الذى مهّد لورود الكلمتين مترادفتين فى بعض السياقات، كقوله ﷻ:

- ﴿وَاتَّبِعُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِلُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِذْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصْيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة: ١٩٦ .

واستعمال لفظ (كاملة) هنا فيه دلالة التمام، وزيادة إحسان العبادة؛ أى يتضمن الكم والكيف معاً .

● ونخلص مما سبق إلى أَنَّ الكمال: وصف يتضمن التمام (أى الخلق من النقص)، ويزيد عليه بنفى كل عيب أو شائبة .

● فالتَّام يأتى لنفى النقص، والكمال يأتى لنفى العيب .

حرف الثاء (٤)

(١)	تثريب، لؤم	(٢)	ثُعبان، جانّ، حَيّة
(٣)	ثياب، لباس		

□ ١/٤ تثريب - لؤم:

• التثريب فى اللغة مأخوذ من (التَّزْب)، وهو شحم رقيق يغطى الكرش والأمعاء؛ وذلك لأنه لؤم شديد وتقيح للفعل وتوبيخ وتأنيب لصاحبه، فكان ذلك قد بلغ منه كل مبلغ وأصاب ثَرْبُهُ، كما قيل: شغفه، أى بلغ حُبُّه الشَّغاف، وهو غلاف القلب^(١).

• واللؤم فى اللغة: العذل والعُتب^(٢).

وقد وردت كلمة (تثريب) فى القرآن الكريم مرّة واحدة، فى قول الله ﷻ:

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ١٧

يوسف .

ولعلّ القرآن الكريم أثر لفظ (التثريب) على لفظ اللؤم هنا؛ لأن المقام مقام عتاب، فهو لا ينفى عتبه عليهم، وإنما نفى شدة اللوم والتقيح والتقريع . وقد عاتب يوسف ﷺ إخوته فعلاً، فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُصْذِقِينَ﴾ ٢٠ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ

(١) الصحاح (ث ر ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ل و م) .

وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتَ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَأَوْتَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ يوسف .

فلما اعترفوا بأنهم كانوا خاطئين، خاطبهم يوسف ﷺ بنفى التثريب عنهم، ولم يَنْفِ وقوع اللوم منه عليهم .

ولفظ (اللُّوم) ومشتقاته ورد في القرآن الكريم أربع عشرة مرة، ومن شواهد قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ يوسف: ٣٢ .

- ﴿فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إبراهيم: ٢٢ .

- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ﴾ القلم: ١٦ .

وحيث ورد اللوم في القرآن فالمراد به العتب والعذل، ولكنه لا يصل إلى حدّ التقريع والتوبيخ والتأنيب والتقبيح كما هو التثريب .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (التثريب - اللُّوم) متقاربان دلاليًا؛ حيث يشتركان في معنى: إبداء عدم الرضا بالفعل .

● ويختص التثريب بملح الشدة وملح التقبيح، بينما اللُّوم غير عنيف، فهو أقرب إلى العتاب الرقيق .

□ ٢/٤ تُعْبَان - جَانَّ - حَيَّة:

● الثُّعْبَان في اللغة: الحَيَّة الضخم الطويل^(١)؛ وأصل مادة (ث ع ب) الدلالة

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ث ع ب) .

على امتداد الشيء وانبساطه، فسُمِّي الثعبان بهذا الاسم نظرًا لضخامته وامتداده خَلْقًا وحركة^(١).

- والجانُّ في اللغة: نوع من الحَيَّات دقيق الحجم خفيف الحركة^(٢). قال ابن فارس: فأما الحَيَّة الذي يُسَمَّى الجانُّ فهو تشبيه له بالواحد من الجانِّ^(٣).
- والحَيَّة في اللغة: جنس الحيوان المعروف، يُطلق على الذكر والأنثى، مشتقٌّ من الحياة؛ لطولِ حياته^(٤).

وفي القرآن الكريم استُعملت هذه الكلمات الثلاثة في ذكر معجزة من معجزات موسى ﷺ؛ حيث انقلبت عصاه حَيَّة.

فأما الثعبان فجاء ذكره مرتين بلفظ واحد في قول الله ﷻ:

- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧، الشعراء: ٣٢].

وأما الجانُّ فورد في القرآن مرتين بلفظ واحد أيضًا، في قوله ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يُعْقَبُ﴾ [النمل: ١٠، القصص: ٣١].

وأما الحَيَّة فذكرت في القرآن مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمْوُتُ﴾ [٢٦] فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى [٢٧] طه.

تساءل الزمخشري: فإن قلت: كيف دُكرت بالفاظ مختلفة، بالحَيَّة والجانُّ والثُعْبَان؟ ثم أجاب قائلًا:

أما الحَيَّة فاسمٌ جنسٍ يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير. وأما الثعبان والجانُّ فينبغي أنهما تنافيا؛ لأن الثعبان: العظيم من الحَيَّات، والجانُّ:

(١) مقاييس اللغة (ث ع ب).

(٢) اللسان (ج ن ن).

(٣) مقاييس اللغة (ج ن ن).

(٤) اللسان (ح ي ا).

الدقيق . وفى ذلك وجهان:

أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً، وأريد بالجانَّ أوَّل حالها، وبالثعبان مألها .
والثانى: أنها كانت فى شخص الثعبان (أى فى ضخامة حجمه) وسرعة حركة الجانَّ^(١) .

وبهذا أيضاً أجاب الزجاج^(٢) وأبو حيان^(٣) .

بيد أن المتأمل فى السياقات القرآنية التى وردت فيها هذه الألفاظ يمكنه أن يخرج بجواب آخر عن سرِّ التعبير بكل واحد من هذه الألفاظ:

- أما الثُعْبَان فجاء فى سياق حديث موسى ﷺ مع فرعون وملئه، ومطالبة فرعون لموسى ﷺ أن يأتى بآية (أى معجزة بيّنة)، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۖ﴾ .

لقد أثر النص القرآنى استخدام كلمة (ثُعْبَان) الدالة على الضخامة، وما يصحب ذلك من فزع قلوبهم نتيجة رؤيتهم لهذه المعجزة البيّنة الواضحة للناظرين مجسّدة فى هيئة (ثُعْبَان) ضخمة مفرعة .

- وأما كلمة (حية) فجاءت فى معرض ذكر كلام الله ﷻ وأمره لموسى ﷺ أن يُلْقِى عَصَاهُ .. والله ﷻ سأل موسى ﷺ:

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَىٰ ۖ﴾ طه . فأجاب موسى:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتُئِ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۖ﴾

[طه] . أى: منافع كتلك التى يُتَنَفَّع بها من كل عصا مثلها .

(١) الكشف ٥٣٤/٢ .

(٢) إعراب القرآن ومعانيه للزجاج ٤١٩/٤ .

(٣) البحر المحيط ٢٣٥/٦ .

إِلَّا أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَاءَ أَنْ يَلْفِتَهُ إِلَى سِرِّ إِلَهِيٍّ عَظِيمٍ هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى إِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَالْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، وَأَنْ هَذَا مُمْكِنٌ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ آثَرُ الْقُرْآنِ فِي هَذَا السِّيَاقِ التَّعْبِيرَ بِلَفْظِ (حَيَّة)، ثُمَّ أُرْدِفَ ذَلِكَ بِالْوَصْفِ (تَسْعَى) . إِنَّهُ وَجْهٌ آخَرٌ مِنْ وَجْهِهِ الْمَعْجِزَةِ، رَأَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، رَأَى السِّرَّ الْإِلَهِيَّ فِي صَيُورَةِ الْمَيِّتِ حَيًّا، ثُمَّ انْقِلَابَ الْحَيِّ إِلَى مَيِّتٍ .

وَأَمَّا لَفْظُ (الْجَانُّ) فَجَاءَ فِي سِيَاقِ ذِكْرِ حَالَةِ الْخَوْفِ الَّتِي انْتَابَتْ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رَأَى الْعَصَا تَهْتَزُّ وَقَدْ دَبَّتْ فِيهَا الْحَيَاةُ وَالْحَرَكَةُ السَّرِيعَةُ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ غَرَابَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَشْهَدُ عَجَبًا لَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ قَبْلُ، إِنْ الْأَمْرُ هُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ يَشْهَدُ الْمَعْجِزَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْكُبْرَى - خَارِجٍ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ مُعْتَادٌ، فَكَأَنَّ مَا يَرَاهُ أَمَامَهُ لَيْسَ عَصَاهُ، بَلْ هُوَ (جَانُّ) مَفْرُوعٌ بِحَرَكَتِهِ السَّرِيعَةِ وَتَحَوُّلَاتِهِ الْعَجِيبَةِ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ، حَتَّى إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَأَى هَذَا ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ .

لَقَدْ جَاءَتْ كَلِمَةُ (جَانُّ) هُنَا لَوْصِفَ تِلْكَ الْحَالَةَ الَّتِي اعْتَرَتْ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَفْاجِئَةِ وَالْعَجَبِ وَالْخَوْفِ وَالِاضْطِرَابِ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ الْمَجْهُولِ .

وَالْإِعْجَازُ اللَّغَوِيُّ فِي اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ (جَانُّ) هُنَا يَكْمُنُ فِي أَنَّهَا تُصَوِّرُ كُلَّ هَذَا بِدَقَّةٍ وَبِإِشَارَاتٍ مُوحِيَةٍ عَمِيقَةٍ الدَّلَالَةِ . . فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ مَادَّةِ (ج ن ن) الَّتِي تَدُورُ أَلْفَاظُهَا حَوْلَ مَعْنَى: السَّتْرُ وَالْخَفَاءُ^(١)؛ وَذَلِكَ لَمَّا ذَكَرْنَا مِنْ غَرَابَةِ هَذَا الْأَمْرِ وَكَوْنِهِ غَيْرَ مَأْلُوفٍ، حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ الْجِنِّ .

وَنَحْنُ هُنَا نُرْجِّحُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ فَارَسٍ مِنْ أَنَّ تَسْمِيَةَ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْحَيَّاتِ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِالشَّيْطَانِ .

وَاسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ (كَأَنَّهَا) فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿كَأَنَّهَا جَانُّ﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْجَانَّ لَيْسَ هُوَ الْحَيَّةُ وَلَا الثَّعْبَانُ، بَلْ الْمُرَادُ بِهِ وَصْفُ الْعَصَا وَقَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى هَيْئَةٍ مَخِيفَةٍ مَفْرُوعَةٍ، وَمَا رَافَقَ ذَلِكَ مِنْ خَوْفٍ وَاضْطِرَابٍ فِي نَفْسِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) انظر: تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ج ن ن) .

إزاء شيء مهولٍ لم يشهده من قبل .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ الثلاثة (ثُعبان - جانّ - حَيَّة) وإن تقاربت دلالتها؛ لأنها جميعًا تدلُّ على الحيوان الزاحف المعروف، إلا أن لكل منها ملمحًا دلاليًا مميزًا، وجاء موافقًا للسياق الذي ورد فيه:

● فالثُّعبان: يتميز بملمح الضخامة؛ ولذا جاء لوصف وَقَع المعجزة في نفوس فرعون وملئه، وبيان ضخامة تلك المعجزة .

● والحَيَّة: يتميز بملمح الحياة؛ ولذلك جاء في سياق وصف المعجزة التي هي انقلاب الميت حيًّا، وهذا ما لم يره فرعون وملؤه، بل أراه الله ﷻ لنبيه موسى ﷺ .

● والجانّ: يتميز بملمح الخفاء؛ ولذلك استعمل لبيان الحالة التي انتابت موسى ﷺ من الفرع والخوف والعجب من هذا الشيء الذي يبدو وكأنه من عالم الجن .

□ ٣/٤ الثَّيَاب - اللِّبَاس:

● أصل مادة (ث و ب) في اللغة: الرجوع، يقال: ثاب يثوب، إذا رجع . والثواب من الأجر والجزاء أمرٌ يُثاب - أى يُرْجَع - إليه . والثَّوبُ الملبوس من هذا أيضًا؛ لأنه يُلبَسُ ويُثاب إليه مرةً بعد مرة^(١) .

● أصل مادة (ل ب س) في اللغة: المخالطة والمداخلة والتغطية، ومن ذلك لَبِسْتُ الثَّوبَ أَلْبَسُهُ، واللِّبْسُ: اختلاط الأمر، واختلاط الظلام، وقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (الفرقان: ٤٧)، أى: تسكنون فيه وهو

(١) مقاييس اللغة، تهذيب اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (ث و ب) .

مشتمل عليكم، وَأَلْبَسَ السَّحَابُ السَّمَاءَ، أى غطاها^(١) .

والمتمائل لآيات القرآن التى ورد فيها لفظ (ثياب) يجد أنها ارتبطت بقرائن تدل على أن المراد بها: الزينة الخارجية مما يُلبَس ويُعادُ إليه مرّةً بعد مرّة، كما فى الآيات التالية:

- ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾ هود: ٥ .

- ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ الحج: ١٩ .

- ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ الإنسان: ٢١ .

فى الآية الأولى دلالة على اشتمال الثياب وسترها للبدن كُلِّه، وهو تمثيل لحال المشركين وإضمارهم العداوة للنبي ﷺ فى نفوسهم وتمويه ذلك عليه وعلى المؤمنين - بحال من يثنى صدره ليخفيه، ومن يستغشى ثوبه على ما يريد أن يستره به . . والاستغشاء: التغشى، أى التغطى والتدثر بمبالغة فى الاستخفاء عن الأعين^(٢) .

ومعنى هذه أن الثياب تستر البدن كُلِّه؛ ولذلك عُبرَ بالاستغشاء أى المبالغة فى التدثر والاستخفاء .

وفى الآية الثانية عُبرَ بالثياب فى عقاب أهل النار؛ لأن النار تشتمل عليهم كما تشتمل الثياب على من يلبسها وقد تظاهر بعضها فوق بعض^(٣) .

وفى هذا التفسير لمعنى الثياب فى الآية دلالة على أمرين:

١- اشتمال الثياب للبدن كله .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ل ب س) .

(٢) التحرير والتنوير ١١ / ٢٢٢، التفسير الوسيط ١٢ / ٢٠ .

(٣) الكشف ٩ / ٣ .

٢- تعدُّدها .

وفى آية الإنسان جاء لفظ (ثياب) لأهل الجنة مقترنا بكلمة (عليهم)،
أى: ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس^(١) .
وكوْنُ الثياب تعلوهم يعنى أنها تُغْطى أجسادهم من خارج، ولا تَمَسُّ
الأبدان مَسًّا مباشرًا .

كما عبّر بالثياب عن النفس، فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَيَبَّكَ فَطَفِرَ ۖ﴾ المدثر .

قيل فى معنى الثياب هنا: الثياب التى تلبس، أمر بتطهيرها من
النجاسات؛ لأن طهارة الثياب شرط فى صِحَّة الصلاة . وقيل: النفس، أمر
بتطهيرها مما يُستَقْدَر من الأفعال والمعاييب ومَدَانِس الأخلاق^(٢) . وقيل:
كناية عن الخُلُق، وقيل: كناية عن العمل، وقيل: كناية عن الجسم^(٣) .

وعلى كل هذه الأقوال تكون الثياب دالَّة على الشمول والتغطية، فكل
الألفاظ التى فُسِّرَتْ بها عامَّة؛ إذ النَّفس عامة فى كل مَلَكَات الإنسان،
والعَمَل عام فى كل تصرُّف، والخُلُق عام فى كل سَجِيَّة، والجِسْم عام لأنه
يشمل كل الأعضاء . . وتفسيرها بالثياب المادية التى لا تصح الصلاة إلَّا
بطهارتها يتضمَّن بالضرورة أنها الثياب الخارجية التى تستر البدن كله لا
العورة فقط؛ إذ المعهود فى الصلاة أن يلبس الإنسان (ثيابًا) تغطى الجسم كله
لا العورة فقط .

ويتحصَّل ممَّا سبق أن الثياب تستر البدن كله، وتعدَّد وتنوَّع، كما أنَّها
تشتمل الجسد من خارج .

(١) الكشف ٤/ ١٩٩ .

(٢) الكشف ٤/ ١٨٠-١٨١ .

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٧١ .

أما (اللباس) في القرآن الكريم فقد ورد في سياقات تدلُّ على المُماسَّة لجزء بعينه من البدن، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّورِي سَوَاءَ بَعْضِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِن بَإْتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٧٦﴾ يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَاكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَئَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَمَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلَىٰ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ الاعراف .

قال الزمخشري: أى: أنزلنا عليكم لباسين: لباسًا يوارى سوءاتكم، ولباسًا يزينكم .

ثم ذكر الزمخشري في (لباس التقوى) وجوهاً منها: أنه اللباس الموارى للسَّوأة؛ لأن مواراة السَّوأة من التقوى، تفضيلاً له على لباس الزينة^(١) .

وعلى هذا فإن اللباس هو ما يستر العورة، دون الثياب الخارجية .

وأما قول الله ﷻ في صفة أهل الجنة:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٧٦﴾﴾ الحج .

فالمراد به - والله أعلم بمراده - أن الحرير الذي حُرِّم على الرجال في الدنيا ثياباً ظاهرة، جُعِلَ لهم لباساً يستر سوءاتهم في الجنة . . وبهذا المعنى يكتمل وصف ما يرتديه أهل الجنة، فاللباس (الداخلي) من حرير، والثياب (الخارجية) من سندس وإستبرق^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (ثياب، لباس) بينهما ملمح دلالي مشترك هو أنهما مِمَّا يُلبَسُ فَيُسْتَرُ .

(١) الكشف ٧٤/٢ .

(٢) الترادف في القرآن الكريم، ص ٢٢٢ .

- ويتميز اللباس بستره لجزء من البدن هو العورة .
- بينما تتميز الثياب بملامح دلالية أخرى هي :
 - الشمول والتغطية للبدن كله .
 - التعدد والتنوع .
 - كونها زينة خارجية لا تُماسُّ الجسد مباشرة .

حرف الجيم (٥)

(١)	جَبَل، طَوْد، عَلم	(٢)	جُحود، إنكار
(٣)	جَدِيد، مُحَدَّث	(٤)	المُجَادَلَة، المُحَاجَة، المُحَاوَرَة
(٥)	التَّجَسُّس، التَّحَسُّس	(٦)	جَعَلَ، خَلَقَ
(٧)	الجَمَال، الحُسْن	(٨)	جَمّ، كَثِير
(٩)	الجُوع، الحَمَصَة، المَسْعَبَة		

□ ١/٥ جَبَل - طَوْد - عَلم:

• تدور مادة (ج ب ل) حول معاني: الضخامة، والصلابة، والغِلظ، والثبات، والثقل^(١).

• والطَّوْد في اللغة: الجبل العظيم العال^(٢).

ففيه كل معاني الجبل، وزيادة عليها في العِظَم والارتفاع.

• والعَلم في اللغة: كل شيء يكون مَعْلَمًا، ومنه قيل للجبل: عَلمٌ؛ لظهوره^(٣).

والاستعمال القرآني للألفاظ الثلاثة قد راعى هذه الفروق اللغوية بينها، وجاء كل لفظ منها في السياق المناسب له.

فالجَبَل - وهو أكثرها ورودًا في القرآن الكريم - جاء في ذكر هذا الجزء

(١) انظر: اللسان (ج ب ل).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ط و د).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ع ل م).

من الأرض بكل ما له من ملامح دلالية، فنجد ملمح الثبات بارزاً كما في نحو قول الله ﷻ:

- ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ (٧) البنا .

- ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسُلًا﴾ (٣١) النازعات .

ونجد ملمح العِظَم والثقل والضحامة والثبات في نحو قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَٰكِن نُّنْظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَهِجَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (١٤٣) الاعراف .

- ﴿وَنَسْتُلْهِكَ مِنَ الْجِبَالِ فَكُلٌّ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (١٥٥) طه .

هذا الكيان المتَّصف بالقوة والعِظَم والثقل والضحامة والثبات، قد صار بإذن الله هُشاً متناثراً، كالصوف المنفوش، وفقد كل خصائصه تلك أمام قدرة الله ﷻ .

أما الطُود فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (١٧٣) الشعراء .

وذلك في سياق وصف معجزة من معجزات سيدنا موسى ﷺ، فجاءت كلمة (الطُود) مناسبة لبيان عظمة المعجزة؛ حيث انفلق البحر إلى نصفين كل منهما كأنه جبل عظيم في ارتفاعه وضخامته وعِظَمه . فالطُود: الجبل العظيم المنطاد في السماء^(١) . ففيه مزيد على ملامح الجبل عِظَمًا وعلُوًا .

وأما كلمة (عَلَم) فقد وردت في القرآن الكريم مرتين بصيغة الجمع، في

الآيتين التاليتين:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣١) الشورى .

- ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (١٤) الرحمن .

جاءت كلمة (الأعلام) هنا إيداناً بنعمة تيسير الرزق، مع السلامة من طغيان ماء البحر وثورته، وإيجاد أسباب الاهتداء والنجاة فى مكان هو مَظَنَّةٌ للضلال والهلاك^(١) .

من هنا أثر القرآن الكريم كلمة (الأعلام) الدالة على ما يُعَلَّم به الشيء، وعلى الظهور؛ لأنَّ السياق هنا سياق الامتتان بنعمة الهداية والإنجاء، مع الإيمان أيضاً إلى عَظَم هذه السُّفن وضخامتها .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (جَبَل - طَوْد - عَلم) متقاربة دلاليًا؛ حيث تشترك جميعها فى الدلالة على الحِزْم الضخم الغليظ الثابت فى الأرض . ولكن جاء كل لفظ منها مناسباً لسياقه بما له من ملمح دلاليٍّ مميِّز:

● فالجبل هو الاسم العامُّ لهذه المرتفعات، وجاء فى سياقات وصف ملامح الأرض .

● والطَّوْد أعظم من الجبل؛ ولذلك ورد فى سياق وصف المعجزة .

● والعَلم: جاء فى سياق الامتتان بالاهتداء والإنجاء؛ بما له من أصل دلاليٍّ يقتضى العلم والاهتداء والاستدلال .

□ ٢/٥ الجُحود - الإنكار:

● الجُحود فى اللغة: إنكار الشيء مع العلم به، ومع ظهوره وسطوع دليله،

مأخوذ من قولهم: أرض جحدة، أى يابسة لا خير فيها، ومنه قيل: رجل جَحْدٌ، أى شحيح بخيل يُظهر الفقر^(١).

واستُعير هذا المعنى لوصف من يُنكر شيئاً ظاهراً ولا يُقرُّ به، رغم عِلْمِهِ به وظهور الدليل عليه.

● والإنكار فى اللغة: ضد المعرفة، وهو نوع من الجهل، والجهل فيه خفاء الدليل؛ ومن هنا استعمل الإنكار فى الشيء الخفى الذى لا يظهر دليله^(٢).

وقد استخدم الجحود فى القرآن الكريم بمعنى: إنكار ما هو معروف ظاهر، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَقَاتِبَ اللَّهَ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣) الأنعام.

فالآيات ظاهرة ساطعة، وجحودهم بها مكابرة وإنكار كما هو معلوم^(٣).

بينما استخدم القرآن الكريم كلمة (الإنكار) فى معنى: عدم العلم بالشيء، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨) يوسف.

أى: جاھلون به جهلاً متمكناً منهم ثابتاً فى نفوسهم^(٤).

فهذا نفى للعلم بالشيء.

كما استخدم القرآن لفظ الإنكار فى نفس الشيء الظاهر مع العلم به، كما فى قول الله ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٢) النحل.

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (ج ح د).

(٢) مفردات الأصفهاني، اللسان (ن ك ر).

(٣) مفردات الأصفهاني (ج ح د)، التحرير والتنوير ١٩٩/٦.

(٤) التحرير والتنوير ١٣ / ١٢.

فهذا فى مقابل الإقرار^(١)، أى يعرفون ذلك فى أعماق نفوسهم، لكنهم لا يُقرُّون به .

● ونخلُص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (البُحود - الإنكار) يُظهر اشتراكهما فى معنى النفى .

● والملح المميِّز للبحود هو: إنكار الشئ الظاهر مع العلم به .

● والملح المميِّز للإنكار: عدم العلم بالشئ أو خفاء دليله .

□ ٣/٥ جَدِيد - مُحَدَّث :

● (الجديد) فى اللغة: مأخوذ من جَدَّ الشئ إذا قَطَعَه، وقولهم: ثوب جديد، مأخوذ من هذا، كأنَّ ناسجه قَطَعَه الآن، ثم سُمِّى كلُّ شئ لم تأت عليه الأيام جديداً؛ ولذلك يُسمَّى الليلُ والنهارُ: الجديدين؛ لأنَّ كل واحدٍ منهما إذا جاء فهو جديد^(٢) .

● و(المُحَدَّث) فى اللغة: ما صار موجوداً بعد أن لم يكن، يقال: حدَّث أمرٌ، أى ابتَدَعَ، ويوصف الشئ بالمُحَدَّث تعبيراً عن أوَّلِيته، لم يسبق مثله^(٣) .

فالجديد امتدادٌ للقديم واستمرار له، والمُحَدَّث شئٌ مُبْتَدَعٌ لا سابق له .

وقد راعى القرآن الكريم هذا الفارق بين اللفظين، فجاءت كلمة (جديد) فى الشئ الموصول بشئ سابق عليه، كما فى الآيات التالية:

- ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّارًا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الرعد: ٥ .

- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَّارًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿١٩﴾ الإسراء: ٤٩، ٩٨ .

(١) السابق ٢٤٢/١٤ ، ٢٤٣ .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (ج د د) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، النهاية لابن الأثير، اللسان (ح د ث) .

الخلق الجديد في الآيات الكريمة يُراد به البعث بعد الموت، فقد أنكر المشركون البعث وتعجبوا منه، فردَّ عليهم القرآن الكريم بأن الله ﷻ هو المخترع الموجد للأشياء، ومن كان قادرًا على إبرازها من العدم الصُّرفِ إلى الوجود - كان قادرًا على الإعادة^(١) .

وإذن فكلمة الجديد تشير إلى مقابل ضمني هو القديم، فثمة خَلْقٌ، ولهذا الخلق صورتان:

- خلق أول (قديم) . - خلق ثانٍ (جديد) .

ولكن البعث ليس إنشاءً أو إيجادًا، بل هو (إعادة) . . وعلى ذلك تشير كلمة (جديد) إلى الاستمرار والامتداد .

أما كلمة (مُحدَّث) في الاستعمال القرآني فتُرد في سياقات تدلُّ على الأوليّة والبداية، وإيجاد الشيء بعد أن لم يكن، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٧٠﴾ الكهف: ٧٠ .

أى: لا تفتاحنى بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك^(٢) .

وقوله ﷻ:

- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ ﴿١﴾ الأنبياء .

- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٥﴾ الشعراء .

ليس المراد بالمُحدَّث في الآيتين نقيض القديم؛ لعدم مناسبه لسياق النظم^(٣)، لأن كلام الله ﷻ قديم، والمراد بالذكر المُحدَّث: إيجاده وإنزاله^(٤) .

(١) البحر المحيط ٣٦٥/٥ .

(٢) الكشف ٤٩٣/٢ .

(٣) التحرير والتنوير ١١/١٧ .

(٤) عمدة الحُفَّاظ (ح د ث) .

- ونُخْلِصُ مما سبق إلى أن بين اللفظين (جديد - مُحدث) تقاربًا دلاليًا؛ إذ يشتركان في وجود الشيء .
- ويتميز لفظ (الجديد) بملح دلاليّ فارق هو وجود جنس الشيء من قبل، وكونه امتدادًا للقديم واستمرارًا له .
- بينما لفظ (المُحدث) يدل على إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، فهو دالٌّ على الأوليّة لا على الاستمرار والاتصال .

□ ٥/٤ المُجَادَلَة - المُحَاجَّة - المُحَاوَرَة:

- المُجَادَلَة في اللغة: شدّة الخصومة واستمرار مراجعة الكلام^(١) .
- والمُحَاجَّة في اللغة: المغالبة بالحُجَّة والبرهان^(٢) .
- والمُحَاوَرَة في اللغة: مراجعة الكلام^(٣) .

وقد تكرر ذكر المُجَادَلَة في القرآن الكريم، وفيه سورة كاملة باسم سورة المُجَادَلَة، ومن شواهدا الآيتان التاليتان:

- ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
النحل: ١٢٥ .

- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾
المجادلة: ١ .

قال الراغب الأصفهاني^(٤): الجدل: المفاوضة على سبيل المنازعة

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج د ل) . .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ح ج ج) .

(٣) اللسان (ح و ر) .

(٤) مفردات الأصفهاني (ج د ل) .

والمغالبة، وأصله من: جَدَلْتُ الحَبْلَ، أى أحكمت فَنَلَهُ .

وقال الحكيم الترمذى^(١): المُجَادَلَة: المكاسرة، والجَدَل: الكسر، وذلك لأن كل واحد من المتجادلين يريد أن يكسر ما عند صاحبه ليقهره لا لإقامة الحق ومُحَقِّ الباطل، ألا ترى إلى قوله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ۖ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ ١١ ﴾ الانفال .

والمجادلة المنهية عنها فى القرآن هى التى تجرُّ إلى المغاضبة والمشاتمة^(٢)، وأما مراجعة الكلام بغرض الإقناع والوصول إلى الحق فهذا مندوبٌ إليه كما فى قول الله ﷻ:

﴿ وَحَدِّثْ لَهُم بِآيَاتِنَا ۖ فَهُمْ يَحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٥ .

فها هنا مخاصمة ومنازعة فى الكلام، ولكن ﴿بِآيَاتِنَا ۖ فَهُمْ يَحْسِنُونَ﴾، فنفى كل ما من شأنه أن يقود إلى المشاتمة والمغاضبة، وأثبت الفرق والحكمة وحسن الخطاب .

● ففى المُجَادَلَة - إذن - ثلاثة ملامح واضحة: الشدة، مع الاستمرار فى مراجعة الكلام، والقصد إلى قهر الخصم فى الأعم الأغلب .

وأما المُحَاجَّة فقد وردت فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، ومن شواهد ما قوله ﷻ:

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِنْ بَعْضٌ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ۖ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ٦١ ﴾ البقرة .

﴿ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءُ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ ۖ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ ۖ عِلْمٌ وَاللَّهُ

(١) الفروق ومنع الترادف، ص ٨٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٢٣٥ .

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ آل عمران .

- ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرْنَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعُفَةُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾﴾ غافر .

المُحَاوَرَة: محاولة كل واحد أن يغلب خصمه بما يقيمه من حُجج وبراهين^(١)، بقصد إقامة الحق وتفصيله وبيانه ونصرته وإظهاره^(٢) .

● فالملمح الأساسى هنا هو التقارع بالحُجَّة بهدف الانتصار للحق؛ ولذلك اقترن ذِكْرُ المُحَاوَرَة بإيراد حجج الفريقين فى أكثر المواضع .

وأما المُحَاوَرَة فقد ذُكرت فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١٢٠﴾﴾ الكهف .

- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿١٢١﴾﴾ الكهف .

- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ المجادلة .

المُحَاوَرَة والتَّحَاوُر: مراجعة الكلام، مأخوذ من (حَارَ يَحُور) أى: رَجَعَ^(٣) .

● والمُحَاوَرَة تخلو من ملمح الشدة الذى فى المُجَادَلَة، وملمح التقارع بالحجة الذى هو فى المُحَاوَرَة؛ ولذا قال الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، فسمّى كلامها مُجَادَلَة؛ لأنها ظَلَّتْ تراجع النبى ﷺ

(١) مفردات الأصفهاني (ح ج ج) .

(٢) الفروق ومنع الترادف، ص ٨٧ .

(٣) الكشف ٤٨٤/٢ .

الكلام مرّاتٍ، وفي هذا ما فيه من الشدّة . أمّا كلامهما معًا فوصفه الله بقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوُرَكُمَا﴾ ؛ رعاية لكلام النبي ﷺ .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (المُجادلة - المُحاجة - المُحاورَة) متقاربة دلاليًا؛ حيث تشترك في معنى: مراجعة الكلام .

ويختص كل منها بملح دلاليّ يميّزه:

- فالمُجادلة: تتميز بملح الشدّة .
- والمُحاجة: مصاحبة الكلام للحجج التي يُرادُّ بها الغلبة على الخصم .
- والمُحاورَة: تتميز بملح الهدوء .

□ ٥/٥ التَّجَسُّس - التَّحَسُّس:

● التَّجَسُّس في اللغة: تعرّف الشيء بِمَسٍّ لطيف، يقال: جَسَسْتُ العِرْقَ وغيره جَسًّا، والجاسوسُ من هذا؛ لأنه يَفْتَشُ عمّا يريده بخفاء ولطف . والتَّجَسُّس: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يُقال في الشر^(١) .

● والتَّحَسُّس قريب من سابقه؛ إلا أن اشتقاقه من الحَوَاسِّ، وهي أدوات الإدراك الخمس^(٢)، فهو بمعنى طلب الحسّ أى العلم، وغالبًا ما يكون في الخير^(٣) .

وأكثر علماء العربية يُشْتَوْن هذا الفرق بين التجسُّس والتحسُّس، فكلاهما بحث بخفاء ولطف، ولكن غلب أوّلهما في البحث عن العورات وتتبّعها،

(١) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (ج س س) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان، (ح س س) .

(٣) النهاية (ح س س) .

وثانيهما فى الخير . وقد راعى القرآن الكريم هذا الفارق الدلالى الدقيق بين الفعلين ، فجاء التجسُّس منهياً عنه ، وذلك فى قول الله ﷻ :

- ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الحجرات : ١٢ .

أى : لا يتتبع بعضكم عورات أخيه ولا يبحث عن سرائره يبتغى الاطلاع على عيوبه^(١) .

وأما التجسُّس فجاء مأموراً به على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام ، حين أمر أبناءه بأن يبحثوا عن أخبار يوسف عليه السلام ، فقال :

- ﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ يوسف : ٨٧ .

فأمرهم بتعرُّف أخبار أخويهم وطلب ذلك فى خفاء وتستر ، وعبر عن هذا بفعل التجسُّس ، وهو أعمُّ من التجسُّس^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (التَّجَسُّس - التَّحَسُّس) فى الاستعمال القرآنى متقاربان جداً فى الدلالة ، حيث يشتركان فى ملمحين هما :

١- البحث والتعرُّف . ٢- الخفاء والتستر .

● ويفترقان فى ملمح خاص بالتجسُّس (بالجيم) ، وهو غلبة استعماله فى الشر .

● بينما يتميز التحسُّس (بالحاء) بغلبته فى الخير .

□ ٦/٥ جَعَلَ - خَلَقَ :

● الجَعَلَ فى اللغة : التهيئة والصنع ، وتصيير الشيء من حالة إلى حالة^(٣) .

(١) الطبرى ١١ / ٣٩٤ ، القرطبى ١٦ / ٢١٨ ، الكشاف ٣ / ٥٩٨ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣ / ٤٥ .

(٣) اللسان (ج ع ل) .

• والخَلَقُ فى اللغة: تقدير الأشياء، وإيجادها على مثالٍ لم يُسبق إليه^(١).
وقد ورد كلا اللفظين فى القرآن الكريم فى آيتين متشابهتين لفظاً، وفى أول سورة النساء:

- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْثَىٰ أَوْ نَكَمًا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ .

وفى موضع آخر قال الله ﷻ:

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩ .
فاستخدم الفعل (خَلَقَ) فى آية النساء؛ لأن هذه الآية تتحدث عن بداية خلق آدم ﷺ، وخلق حواء من ضلعه، فناسب هنا استخدام لفظ (الخَلَقُ) للدلالة على الأوليّة المقصودة^(٢).

واستخدم فى آية الأعراف الفعل (جَعَلَ)؛ لأن سياق هذه الآية فى معنى آخر غير معنى الأوليّة والبداية، وهو ذِكر ما بين الرجل والمرأة من سَكَنٍ ورحمة وميل غريزى، فناسب ذلك التعبير بالفعل (جَعَلَ) بمعنى: صَيَّرَ وَهَيَّأَ، بما فى معنى التهيئة من التيسير، وبما فى الجَعْل من معنى التبعية، وكَوْن الشيء تبعاً لشيءٍ أَدْعَى إلى أن يميل ويسكن إليه^(٣).

ولعل الفارق الدلائلى فى الاستخدام القرآنى للفعليْن (جَعَلَ - خَلَقَ) يتضح بجلاء تامً فى قول الله ﷻ:

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١ .
فعبّر عن السماوات والأرض بلفظ (خَلَقَ)؛ لأنَّ السماوات والأرض

(١) اللسان، مفردات الأصفهاني (خ ل ق) .

(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٢٦/٤ .

(٣) التحرير والتنوير ١٢٧/٤ .

أجرام تحتاج إلى التقدير والإيجاد ابتداءً؛ وعبر عن الظلمات والنور بلفظ (جَعَلَ)؛ لأن الظلمات والنور مخلوقات من شيء آخر، إذ هُما تبع للسموات والأرض، فناسب ذلك التعبير بالفعل (جَعَلَ) الدال على التهيئة وإنشاء شيء من شيء سابق .

يقول الزمخشري: والفرق بين الخَلْق والجَعْل أن الخَلْق فيه معنى التقدير، وفي الجَعْل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أى تصيير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (جَعَلَ - خَلَقَ) يُظهر اشتراكهما فى معنى: إحداث الشيء .

● والملح الدلائى المميز لكلمة (خَلَقَ) هو: التقدير والأوليّة .

● فى حين أن الملح الدلائى المميز لكلمة (جَعَلَ) هو: التضمين والتهيئة .

□ ٧/٥ الْجَمَال - الْحُسْن :

● الْجَمَال فى اللغة: البهاء والحُسْن فى الخَلْقِ والخُلُقِ، ويُستعمل فى الأشياء المحسوسة، كما يُستعمل فى المعنويات^(٢)، ومنه قول رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" أى: حسن الأفعال كامل الأوصاف^(٣) .

● والحُسْنُ فى اللغة: ضِدُّ القبح^(٤) . وهو كلُّ مُبهجٍ مرغوبٍ من جهة

(١) الكشف ٢/٢ .

(٢) المحكم، اللسان (ج م ل) .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، وشرحه فى: النهاية لابن الأثير (ج م ل) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (ح س ن) .

العقل، أو الهوى، أو الحس، ويُستعمل في وصف القول والفعل، كما تُوصَف به المحسوسات والمعنويات^(١).

وقد وردت كلمة (جمال) في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ النحل .

قال أبو حيان: الجمال يكون في الصورة بحسن التركيب، يُدرِّكه البصر ويلقيه في القلب فتعلق به النفس، وفي الأخلاق باشتغالها على الصفات المحمودة كالعلم والعفة والحلم، وفي الأفعال بوجودها ملائمة لمصالح الخلق وصرف الشر عنهم . والجمال الذي لنا في الأنعام هو خارج عن هذه الأنواع الثلاثة، والمعنى أنه بدا لنا فيها جمالاً وعظمة عند الناس باقتنائها ودلائلها على سعادة الإنسان في الدنيا وكونه فيها من أهل السعة، فمن الله ﷻ بالتجمل بها كما من بالانتفاع الضروري؛ لأن التجمل بها من أغراض أصحاب المواشى ومفاخر أهلها، والعرب تفتخر بذلك^(٢).

فالجمال كما تفيد عبارة أبي حيان: حسن الصورة، وهو معنى يستقر في النفس فتعلق به القلوب وتأنس إليه، كما أنه وسيلة من وسائل الفخر .

كما ورد في القرآن الكريم الوصف (جميل) في عدة مواضع، فورد وصفاً للصبر، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يوسف: ١٨، ٨٣ .

ووصفاً للصفح، في قوله ﷻ:

- ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الْفَحْجَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: ٨٥ .

ووصفاً للسراح، في قوله ﷻ:

(١) مفردات الأصفهاني (ح س ن) .

(٢) البحر المحيط ٥/٥٧٥

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٧٨) الأحزاب .

ووصفاً للهجر، في قوله ﷺ:

- ﴿وَأَسْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٥) المزمل .

فالصبر الجميل كما جاء في الحديث: الذي لا شكوى فيه إلى الخلق، وقيل: المراد بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أنجمل لكم في صبري فلا يبدو على وجهي كآبة ولا عبوس، بل كما عهدتموني^(١) . وجمال الصبر أحسن أحواله، وهو أن لا يقارنه شيء يقلل خصائص ماهيته^(٢) .

والصفح الجميل: هو الصفح الكامل، والصفح الذي فيه مصلحة لرسول الله ﷺ هي كمال أخلاقه، ومصلحة للمشركون هي رجاء إيمانهم^(٣) .

والسراح الجميل: الطلاق بالسنة من غير ضرار^(٤)، وهو الطلاق دون غضب ولا كراهية^(٥) .

والهجر الجميل: هو الذي يقتصر صاحبه على حقيقة الهجر، فلا يقرنه بجفاء آخر أو أذى^(٦) .

ومما سبق يتضح أن الجمال تتعدد معانيه بحسب السياقات، فيكون حسياً تارة، ومعنوياً تارة أخرى، وفي كل الأحوال يقترن الجمال بالشعور والعاطفة، وفيه ملمح القوة النفسية .

(١) الكشف ٣٠٨/٢ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٣٩/١٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٧٧/١٤ ، ٧٨ .

(٤) الكشف ٢٥٩/٣ .

(٥) التحرير والتنوير ٣١٦/٢٠ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٦٨/٢٩ ، ٢٦٩ .

أما الحُسْنُ فقد تكرر كثيراً في القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالُودَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٧﴾﴾ البقرة .

﴿قُلْنَا يٰذَا الْقُرْبَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ الكهف : ٨٦ .

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا
مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الأحزاب : ٥٢ .

جاء الحُسْنُ في آية البقرة مع الإحسان، حيث جُعِلَ الإحسانُ الفِعْلِيُّ حيث يتعيَّن ويدخل تحت قدرة المأمور، وذلك الإحسان للوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين، وجُعِلَ الإحسان لساائر الناس بالقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾؛ لأنه القَدْر الذى يمكن معاملة جميع الناس به؛ وذلك أن أصل القول أن يكون عن اعتقاد؛ فهُم إذا قالوا للناس حسناً فقد أضرَموا لهم خيراً، وذلك أصل حسن المعاملة مع الخَلْق، فإذا عَرَض ما يوجب تكدير خاطر فإن القول الحَسَن يزيل ما فى نفس القائل من الكدر ويُرَى للمقول له الصفاء فلا يعامله إلا بالصفاء^(١) .

وخلاصة القول إن الحسن فى القرآن الكريم: كل أمرٍ مرغوب فيه ومندوبٌ إليه، وأكثر استعماله فى القرآن للمُسْتَحْسَن من جهة البصيرة^(٢) (أى الحسن المعنوى)، ونَدَر استعماله فى القرآن بالمعنى الحِسِّى كما فى آية الأحزاب .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الجمال - الحُسْن) فى القرآن الكريم بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان فى بعض الملامح الدلالية، وهى كَوْنُهُما :

(١) التحرير والتنوير ٥٨٣/١ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ح س ن) .

○ ضد القبح . مرغوباً فيهما .

○ الإعجاب . شمول المعنوى والحسنى .

● ويختلفان فى ملامح دلالية فارقة تميّز الجمال، وهى: شدة الحسن والبهاء، وكونه وسيلة للفخر، وارتباطه بالعاطفة، وفيه قوة نفسية .

□ ٨/٥ جَم - كثير:

● تدور مادة (ج م م) فى اللغة حول معنى: كثرة الشيء واجتماعه . فالجُمّة: مجتمع شعر الناصية، والبئر الجُموم: الكثيرة الماء، والجُمّة: القوم يجتمعون لتحمل دية أو غيرها . والجَمَام: الراحة؛ لأنه يكون مجتمعاً غير مضطرب الأعضاء^(١) .

● وتدور مادة (ك ث ر) فى اللغة حول معنى: خلاف القلة^(٢) .

وإذن فالجَمُّ يزيد على الكثير بملمح الاجتماع .

وقد ورد الوصف (كثير) فى كثير من آى الذكر الحكيم، نذكر منها الآيات التالية:

- ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦ .

- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩ .

- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِعِصِّ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ الحج: ٤٠ .

والمراد الوصف بالكثرة .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج م م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ك ث ر) .

أما كلمة (جَم) فقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله الله ﷻ :
 - ﴿وَيُجِبُّوكَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٥﴾ الفجر .

قال الزمخشري: أى كثيراً شديداً مع الحرص والشَّره ومنع الحقوق^(١) .
 ولعلَّ الزمخشري فى هذا التأويل يشير إلى الملمحين الدالين لكلمة
 (جَم) وهما: الكثرة، والاجتماع .

فعبَّر عن الاجتماع بالشَّدة والحرص والشَّره، كأن هذا الحب قد اجتمع
 فى قلوبهم وتمكَّن منها فصارت نفوسهم حريصة شرهة مع منع حقوق المال .
 وفرَّق العلامة الطاهر بن عاشور بين الجَم والكثير بقوله: الجَم: الكثير،
 ووَصَفُ الحُبِّ بالكثرة مرادُّ به الشَّدة؛ لأنَّ الحبَّ معنًى من المعانى النفسية لا
 يُوصَفُ بالكثرة التى هى وَفَرَة أعداد الجنس . فالجَم مستعارٌ لمعنى القوى
 الشديد، أى حُبًّا مُفْرِطًا، وذلك مَحَلُّ ذَمِّ حب المال؛ لأنَّ إفراد حُبِّه يُوقِع فى
 الحرص على اكتسابه بالوسائل غير الحق^(٢) .

ومحَصَّلة كلام الإمامين واحدة، فمعنى الجَم: الكثرة مع الشدة والحرص
 والشَّره ومنع الحقوق .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الجَم - الكثير) بينهما تقارب دلاليّ؛
 حيث يشتركان فى ملمح الكثرة .

● ولكن يتميز لفظ (الجَم) بملمح الشدة والاجتماع .

(١) الكشف ٢٥٣/٤ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٣٣٤ .

□ ٩/٥ الجوع - الْمُخْمَصَّة - الْمُسْغَبَةُ:

• الجوع فى اللغة: ضد الشَّبَع^(١)، وهو الإحساس الذى يصيب الحيوان بسبب خُلُوءِ المعدة من الطعام^(٢).

• والمُخْمَصَّة فى اللغة أصلها: الضمور، أُظْلِقَتْ على الجوع الشديد الذى يُورِث خَمَصَ البطن، أى ضموره^(٣)، وفى حديث جابر رضي الله عنه قال: رأيت بالنبي ﷺ خَمَصًا شديدًا^(٤).

• والمُسْغَبَةُ فى اللغة: الجوع مع التعب^(٥).

هكذا تتدرَّج معانى هذه الألفاظ المتقاربة، فأهْوُنُها الجوع، وأشدُّ منه الحَمَصُ والمُخْمَصَّة، أما الْمُسْغَبَةُ فهى أشدُّ أنواع الجوع وما يصاحب ذلك من ضعف وإعياء وتعب.

وقد راعى الاستعمال القرآنى هذه الملامح الدلالية المتميزة للكلمات الثلاث.

ورد لفظ (الجوع) فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾ البقرة.

- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ إِحْسَانَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١١﴾﴾ النحل

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج و ع).

(٢) مفردات الأصفهاني (ج و ع).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهاني (خ م ص).

(٤) النهاية لابن الأثير (خ م ص).

(٥) مقاييس اللغة، جمهرة اللغة، اللسان، مفردات الأصفهاني (س غ ب).

- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ طه .

- ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ لا يُسْنِ وَلَا يَقْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ الغاشية .

- ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قريش: ٤ .

فجاءت كلمة (الجوع) للتعبير عن أى شىء من الإحساس بالجوع ولو كان يسيراً؛ ولذا عبّر بقوله تعالى: ﴿يَسْنِ وَيَنْ لِقُوفٍ وَالْجُوعِ﴾ ، أى: بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه^(١) .

كذلك وردت فى نفى الجوع والعُرَى فى الجنة، فى آية طه رقم (١١٨)، ومعنى هذا أن الجوع شىء يسير، فالمراد بيان سعادة أهل الجنة ونفى الشقاوة عنهم، أى درجة من درجات الشقاوة، حتى لو كانت شيئاً يسيراً من الجوع .

كما وردت الكلمة فى نفى الشَّبَعِ عن أهل النار (فى آية الغاشية)، فما يأكلون لا يغنيهم من الجوع، أى لا يسد حاجتهم إلى الطعام، ولا يذهب عنهم شيئاً من الجوع .

وأما الْمُخْمَصَّة فقد وردت فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة: ٣ .

- ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ التوبة .

عبّر بِالْمَخْمَصَةِ فى موطن الجوع الشديد الذى يورث ضمور البطن، وذلك فى حال الاضطرار الشديد، وقد كانت بلاد العرب قليلة الأقوات

معْرِضَةً لِلْمَخْمَصَةِ عند انحباس الأمطار، أو في شدة كَلْبِ الشتاء، فلم يكن عندهم من صنوف الأطعمة ما يعتاضون ببعضه عن بعض كما طفحت به أقوال شعرائهم^(١)؛ لذا كانت (المَخْمَصَةُ) هنا أَوْفَى بالمراد وأدق من الجوع والمجاعة ونحوهما .

والموضع الثانى لِلْمَخْمَصَةِ جاء فى سياق ذكر الحرب، فكان اللائق به ما دلَّ على الشَّدَّة لا مجرد الجوع الذى يصيب الإنسان فى الشدة وغيرها .
وأما الْمَسْغَبَةُ فوردت فى القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك فى قول الله ﷻ:

- ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ﴿٧﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبٍ ﴿٨﴾﴾ البلد .

عُبرَ بِالْمَسْغَبَةِ هنا تفسيرًا للعقبة، وهى فكُّ رقبة، ثم الإطعام فى يوم ذى جوع شديد يصاحبه تعب وإعياء، حين تعزُّ الأوقات وتَشجُّ بها النفوس، فالإطعام ذلك اليوم أفضل، وهو العقبة، ودون العقبة مصاعد متفاوتة^(٢) .

ويمكن الاستئناس لهذا التفسير لِلْمَسْغَبَةِ بأنها جاءت مقارنة للمُتْرَبَةِ؛ وهى أن لا يجد الإنسان شيئًا فيلتصق بالتراب^(٣) .

- ونخلص مما سبق إلى وجود تقارب دلالتى بين ألفاظ (الجوع) - الْمَخْمَصَةُ - (المَسْغَبَةُ)، فجميعها تشترك فى معنى الإحساس بِخُلُوءِ المعدة من الطعام .
- وتتميز الْمَخْمَصَةُ بظهور أثر الجوع على المظهر الحِسِّى للبطن .
- بينما تتميز الْمَسْغَبَةُ بالتعب المصاحب للجوع، فهى وصف لأثر الجوع على النفس .

(١) التحرير والتنوير ٦/١٠٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/٣٥٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥١٤، البحر المحيط ٨/٤٧٦ .

حرف الحاء (٦)

(١)	الحُبّ، الوُدّ	(٢)	حُجرة، عُرفة
(٣)	حَرَج، ضيق	(٤)	حَظّ، نصيب
(٥)	الحَفِظ، الرَّقِيب، المُهَيِّم	(٦)	الحُلُم، الرؤيا
(٧)	الحَلال، الطَّيِّب	(٨)	الحِلْيَة، الزَّينة
(٩)	الحَمْد، الشُّكر	(١٠)	الحَيَاة، الحَيوان

□ ١/٦ الحُبّ - الوُدّ:

- أصل مادة: (ح ب ب) في اللغة: اللزوم والثبات، فالْحُبّ والمحبة اشتقاقهما من (أَحَبَّهُ) إذا لزمه . والمُحِبُّ: البعير الذى يتعب فيلزم مكانه^(١).
- وأصل مادة (و د د) في اللغة: مَحَبَّةُ الشَّيْءِ وَتَمَنَّى حصوله^(٢) .

فالفارق الدلالي بين الكلمتين يتمثل فى ملمح اللزوم والثبات فى (الحُبّ)، وملمح التمنى فى (الوُدّ) .

وقد تكرر ذكر مادة (ح ب ب) فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٦٥ .

- ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ البقرة: ٢١٦ .

(١) مقاييس اللغة (ح ب ب) .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (و د د) .

- ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْزُفْرَةِ وَالْغَنَيمِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْأَحْرَبِ﴾ آل عمران: ١٤ .

- ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حُبَّةٌ مِثِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْتِي﴾ طه: ٣٩ .

قال الزمخشري في تفسير الشاهد الأول: أى يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب^(١) .

ونقل أبو حيان عن الراغب الأصفهاني: الحُبُّ أصله من المَحَبَّة، حَبَيْتُهُ أى أَصَبْتُ حَبَّةً قلبه، وهى فى اللفظ فِعْلٌ وفى الحقيقة انفعالٌ، وإذا اسْتُعْمِلَ مع الله ﷻ فالمعنى: أَصَابَ حَبَّةً قلب عبده فجعلها مَصُونَةً عن الهَوَى والشيطان وسائر أعداء الله^(٢) . ثم ذكر أبو حيان مقتضى تمييز حب المؤمنين له بالمحبة، أو لمعرفتهم بموجب الحُب، أو لمحبتهم إياه بالغيب، أو لشهادته ﷻ لهم بالمحبة إذ قال تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ المائدة: ٥٤ .

أو لإقبال المؤمن على ربِّه فى السَّراء والضَّرَاء والشَّدة والرخاء، أو لعدم انتقاله عن مولاه ولا يختار عليه سواه، أو لعلمه بأن الله خالق الصنم، وهو

(١) الكشف ١/ ٣٢٦ .

(٢) البحر المحيط ١/ ٤٧٠، وقد رجعتُ إلى مادة (ح ب ب) فى مفردات الأصفهاني فلم أجد هذه العبارة، فلعل أبا حيان نقلها عن مصدر آخر، وعبارة الأصفهاني: "حَبَيْتُ فلاناً، يقال فى الأصل بمعنى: أَصَبْتُ حَبَّةً قلبه، نحو: شَغَفْتُهُ وَكَبَذْتُهُ وَقَادَذْتُهُ، وَأَحْبَيْتُ فلاناً: جعلتُ قلبى معرضاً لحُبِّه . . . والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً، وهى على ثلاثة أوجه: محبة للذة كمحبة الرجل المرأة، ومنه قوله ﷻ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ٨ الإنسان . ومحبة للنفع كمحبة شىء ينتفع به، ومنه قوله ﷻ ﴿وَلَا تُخْزِي تَحِيُّونَهُمْ تَصْرِيحًا أَنَّهُ وَفَّقَ قَرِيبٌ﴾ الصف: ١٣ . ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم . . . فمحبة الله ﷻ للعبد: إنعامه عليه، ومحبة العبد له ﷻ: طلب الزلفى لديه .

الضارُّ النافع، أو لكون حُبِّه بالعقل والدليل، أو لامثاله أمره حتى في القيامة حين يأمر الله ﷻ مَنْ عَبْدَهُ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا أَنْ يَقْحَمَ النَّارَ، فيبادرون إليها، فتبرد عليهم النار، فينادى منادٍ تحت العرش:

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ البقرة .

تسعة أقوال ثبتت نقائصها ومقابلاتها لمتخذ الأنداد، وهذه كلها خصائص ميّز الله بها المؤمنين في حُبِّه، فذكر كل واحد من المفسرين خصيصة، والمجموع هو المقتضى لتمييز الحب، فلا تباين بين هذه الأقوال؛ لأن كل قول منها ليس على جهة الحصر فيه، إنما هو مثال^(١) .

ولَخَّصَ الشيخ الطاهر بن عاشور معنى الحب بقوله: هو ميل النفس إلى الحَسَنِ عندها بمعاينة، أو سماع، أو حصول نفع محقق أو موهوم، لعدم انحصار المحبة في ميل النفس إلى المَرثِيَّاتِ خلافاً لبعض أهل اللغة؛ فإن الميل إلى الخُلُقِ الحَسَنِ وإلى الفعل الحسن والكمال، محبة أشدُّ من محبة محاسن الذات^(٢) .

وفى الشاهد الثانى يتضح أن الحُبَّ لا يكون دائماً لما فيه الخير، بل قد يحبُّ الإنسان شيئاً وفيه شرٌّ له، كحب الخلود إلى الراحة وترك القتال، هذا أمر محبوب بالطبع؛ لما فيه من التباعد عن الشر والأذى كالقتل والهلاك ونهب الأموال ... إلخ^(٣) .

والشاهد الثالث فى الحب الذى تُملِيه الغرائز والسجايا، وهو إقبال

(١) البحر المحیط ١/ ٤٧٠ - ٤٧١ .

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٩٠ .

(٣) البحر المحیط ٢/ ١٤٤

النفس على ما تستحسنه مع ستر ما فيه من الأضرار، وقد جمعت الآية أصول الشهوات البشرية كلها^(١).

وأما الوَدَّ فقد تكرر ذكره في القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّجٍهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ البقرة: ٩٦.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مريم: ٩٦.
- ﴿وَمَنْ ءَايَنَيْهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم: ٢١.

فالوَدَّ يأتي تارة بمعنى التمنى كما في آية البقرة، وتارة بمعنى المحبة والألفة الخالصة كما في آية مريم وآية الروم^(٢).

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الحُب - الوَدَّ) بينهما تقارب دلالي؛ إذ يشتركان في بعض الملامح الدلالية، وهي الميل وتعلق القلب.
- ويختص الوَدَّ بملمح: الشعور الخالص بالحب والإقبال، كما يختص الوَدَّ بدلالته على التمنى.
- ويختص الحب بملمح الدوام والثبات، واستعماله في معاني كثيرة لا يُستعمل فيها الود، كالتعظيم والخضوع، كما يتميز الحُب بأنه يُستعمل في الميل إلى الخير، ويُستعمل في الميل إلى الشر.

□ ٢/٦ حُجْرَة - عُرْفَة:

- الحُجْرَة في اللغة: الموضع المحصور بحائط^(٣)، مأخوذ من الحَجَر، وهو

(١) التحرير والتنوير ١٧٨/٣ - ١٨١.

(٢) مفردات الأصفهاني، عمدة الحفاظ (و د د)، البحر المحيط ٣١٥/١.

(٣) اللسان (ح ج ر).

حَضَرَ الشَّيْءَ بِالْحَجَارَةِ^(١) .

• والعُرْفَةُ فى اللغة: العُلْيَةُ، مأخوذ من عَرَفَ الشَّيْءَ، أى رَفَعَهُ^(٢) .

والملاحظ فى الاستخدام القرآنى لكلمة (حُجْرَة) أنه أوردها فى وصف منازل الدنيا، وذلك فى قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤١﴾﴾ الحجرات .

وفى ذلك إشارة إلى الضيق والانحصار وعدم الأمن؛ لأن الخائف هو الذى يحيط نفسه بسياج من حجارة وغيرها .

بينما استخدم القرآن الكريم لفظ (العُرْفَة - العُرْفَات)، لوصف مساكن الجنة؛ وفى ذلك إشارة إلى السعة، والارتفاع والعِزَّة والأمن . ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُلَاقُونَ فِيهَا نَجَاتَهُمْ وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾

الفرقان .

- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ أَضْعَافٌ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ سبأ .

• ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (حُجْرَة - عُرْفَة) بينهما تقارب دلالى؛ إذ يشتركان فى الدلالة على المكان .

• ويختص لفظ (العُرْفَة) بملامح: السَّعة والارتفاع والعِزَّة والأمن .

(١) مفردات الأصفهاني (ح ج ر) .

(٢) مفردات الأصفهاني (غ ر ف) .

□ ٣/٦ الْحَرْج - الضِّيق :

- الْحَرْجُ فِي اللُّغَةِ: الضِّيقُ الشَّدِيدُ، وَاسْتَعْمِلَ فِي مَعْنَى الْإِثْمِ وَالْحَرَامِ^(١).
- وَالضِّيقُ فِي اللُّغَةِ: ضِدُّ السَّعَةِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْفَقْرِ وَالْبَخْلِ وَالْغَمِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ^(٢).

وقد ورد الحرج والضيق مجتمعين في آية واحدة من الذكر الحكيم، في قول الله ﷻ:

- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ الأنعام: ١٢٥ .

فالضِّيقُ هنا في مقابلة الانشراح، وأريدَ به عدم الاستعداد لقبول الإيمان^(٣).

والْحَرْجُ هنا شدة الضيق^(٤)، وأريدَ به أن لا منفذ ولا مسلك للإيمان والخير في قلبه^(٥).

- ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني لكلمتي (حَرْج - ضِيق) يُظهر اشتراكهما في معنى: نقيض السَّعة، مادياً أو معنوياً .

- والملمح المميِّز لكلمة (حَرْج) هو: الشدة، فالْحَرْجُ ضِيقٌ شديدٌ بالغ .

(١) اللسان، النهاية لابن الأثير (ح ر ج) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ض ي ق) .

(٣) التحرير والتنوير ٩٥/٥ .

(٤) التحرير والتنوير ٩٥/٥ .

(٥) تفسير ابن كثير ١٧٥/٢ .

□ ٦/٤ الحَظّ - النَّصِيب :

• أكثر أهل اللغة لا يذكرون فارقاً ما بين الحَظّ والنصيب، فيفسّرون كلتا المادتين بالإحالة على الأخرى، ومن ذلك قول ابن فارس فى مادة (ح ظ ظ): "الحاء والظاء أصل واحد، وهو النصيب والجَدّ". ثم قال فى مادة (ن ص ب): "والنصيب: الحَظُّ من الشئ، يقال: هذا نصيبى، أى حظى"^(١). ومثل ذلك فى اللسان^(٢).

وزاد الأزهرى فى الحَظّ أنه: النصيب من الفضل والخير^(٣). ولعلّ الاستعمال القرآنى للكلمتين يؤيد ما ذهب إليه الأزهرى فى تخصيص الحَظّ بأنه: ما كان من الفضل والخير.

فقد وردت كلمة (حَظّ) فى القرآن الكريم سبع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران .

- ﴿يُومِئِذٍ اللَّهُ فِي أَوَّلِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ النساء: ١١ .

- ﴿وَأَن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ النساء: ١٧٦ .

- ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ المائدة: ١٤ .

- ﴿يُخْرِقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ المائدة: ١٣ .

- ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنُ إِنَّهُمْ لَدُو حَظِّ عَظِيمٍ﴾ القصص .

(١) مقاييس اللغة (ح ظ ظ، ن ص ب) .

(٢) اللسان (ح ظ ظ، ن ص ب) .

(٣) تهذيب اللغة (ح ظ ظ) .

- ﴿وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَقٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢٥) فصلت .

تدلّ الآيات السابقة على أن المراد بالحَظّ ما كان من الفضل والخير دون غيره؛ لأنها جاءت جميعها في سياق الفضل والخير من الثواب أو العلم أو المال . وقد صرّح الزمخشري في تفسيره للشاهد الأول أن المراد بالحَظّ: النصيب من الثواب^(١) .

وقال الطاهر بن عاشور: الحَظّ: النصيب من شيء نافع^(٢) .

وقال الزمخشري في تفسير آية فصلت: "فُسِّرَ الحَظّ بالثواب، وعن الحسن رحمه الله: واللّه ما عَظُمَ حَظُّ دون الجَنَّة"^(٣) .

وبذلك يمكننا أن نقول باطمئنان: إن المراد بالحَظّ في الاستعمال القرآني: النصيب من الفضل والخير .

أمّا النَّصِيب فقد تكرر ذكره في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وجاء بمعنى الفضل والخير، كما في قوله ﷻ:

- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧) النساء .

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الْعَقْلََّةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١١) النساء .

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ (٥١) النساء .

فالنَّصِيب في الآية الأولى من المال، وفي الثانية والثالثة من الكتاب وهو كتاب الله ﷻ .

(١) الكشف ٤٨٢/١ .

(٢) التحرير والتنوير ١٧٣/٤ .

(٣) الكشف ٤٥٤/٣ .

كما جاء النصيب في الشرِّ، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْفُوسٍ ﴿١٦٨﴾﴾ هود .

- ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعِيفُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْثًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنْنا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿١٧٧﴾﴾ غافر .

فالنَّصِيب هنا هو القسط من العذاب^(١) .

وحتى في بعض السياقات القرآنية التي استُعْمِل فيها النَّصِيب بمعنى: القَسْم من الفضل والخير، كان هذا القَسْم مَشُوبًا بمعنى القِلَّة والدناءة، كما يتضح في قول الله ﷻ:

- ﴿الَّذِينَ يَرْتَابُونَ يَكُفُّمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ فَالَوْ أَنَّهُ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ فَأَلَوْ أَنَّهُ تَسَعَّدَ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٩١﴾﴾ النساء .

عَبَّرَ عَنْ ظَفَرِ الْمُسْلِمِينَ بِ (الفتح)، وعن ظَفَرِ الْكَافِرِينَ بِ (النَّصِيب)؛ تعظيمًا لِسَانِ الْمُسْلِمِينَ وَتَخْشِيسًا لِحَظِّ الْكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ ظَفَرَ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ عَظِيمٌ تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَأَمَّا ظَفَرُ الْكَافِرِينَ فَمَا هُوَ إِلَّا (حَظٌّ ذَنِيٌّ) وَلُمُظَّةٌ مِنَ الدُّنْيَا يَصِيبُونَهَا^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (حَظٌّ - نَصِيب) بينهما تقارب دلالي، فكلاهما مشتركان في ملامح القَسْم المُعَيَّن .

● ولكن النَّصِيب عامٌّ في الخير والشرِّ، بينما الحَظُّ مختصٌّ بالفضل والخير .

(١) الكشف ٢/ ٢٩٥ .

(٢) السابق ١/ ٥٧٣ .

□ ٥/٦ الحَفِيز - الرَّقِيب - الْمُهِين :

• تدور مادة (ح ف ظ) في العربية حول معانى: الرعاية والتَّعَاهُد، وعدم الغفلة، وعدم النسيان. والحَفِيز: من صفات الله ﷻ لا يعزُبُ عن حفظه الأشياء كُلُّهَا مثقالُ ذرَّةٍ في السماوات و الأرض، وقد حَفِظَ على خَلْقِهِ وعباده ما يعملون من خيرٍ أو شرٍّ، وقد حَفِظَ السماوات والأرض بقدرته ولا يؤوده حفظهما، وهو العلى العظيم^(١).

• وتدور مادة (ر ق ب) حول معنى: الانتصاب لمراعاة شيء^(٢)، والرَّقِيب: الحَفِيز، وفي أسماء الله تعالى: الرقيب، وهو الحافظ الذى لا يغيب عنه شيء. ورقَّبَ الشيءَ يَرْقُبُهُ: حَرَسَهُ^(٣).

• بينما تدور مادة (ه م ن) حول معنى: القيام على الشيء. . وتفسير الْمُهِين على عدة أقوال: الْمُؤْتَمَن، والشَّهيد، والرَّقِيب، والقائم بأمور الخلق^(٤).

ومما سبق يتضح أنَّ الحَفِيز يتضمَّن معانى: الرعاية والدوام على تلك الرعاية، وعدم الغفلة، وعدم النسيان، والعلم بالانتصاب للمبالغة، وهو قريب جداً من المعنى السابق.

والمُهِين يتضمن معنى: القيام بأمور الخلق، والشهادة، والرقابة، وكونه مُؤْتَمَنًا ومُؤَمَّنًا معاً.

وقد تكرر ذكر لفظ (حَفِيز) فى القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ﴾ (٥٣) الانعام.

(١) اللسان، المحكم (ح ف ظ).

(٢) مقاييس اللغة (ر ق ب).

(٣) اللسان (ر ق ب).

(٤) النهاية لابن الأثير، اللسان (ه م ن).

- ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ هود : ٥٧ .
- ﴿يَقِيْتُ اللَّهَ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ﴾ ﴿٨٦﴾ هود .
- ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ سبأ : ٢١ .
- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١﴾ الشورى .

تعددت أقوال المفسرين فى معنى (الحفيظ)، وكثيراً ما خلطوا بين معانى الأسماء الثلاثة، على نحو ما نجد فى كلام الزمخشري فى أكثر من موضع، ففى آية الأنعام (١٠٤)، وآية هود (٨٦) يقول الزمخشري:

حفيظ، أى: أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها^(١) .

وفى تفسيره لآية هود (٥٧) يقول الزمخشري:

حفيظ: رقيب مهيمٌ فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم .
أَوْ: مَنْ كَانَ رَقِيبًا عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا حَافِظًا لَهَا وَكَانَتْ مَفْتَقَرَةً إِلَى حِفْظِهِ - لَمْ يَضُرَّ مِثْلَهُ مِثْلُكُمْ^(٢) .

وفى تفسيره لآية سبأ (٢١) يقول الزمخشري:

حفيظ: محافظ، وفعل ومُفاعِل متآخيان^(٣) .

وفى تفسيره لآية الشورى (٦) يقول الزمخشري:

﴿اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ﴾ : رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء، وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده^(٤) .

(١) الكشف ٤٢/٢، ٢٨٦/٢ .

(٢) الكشف ١٧٧/٢ .

(٣) الكشف ٢٨٧/٣ .

(٤) الكشف ٤٦٠/٣ .

ومثل ذلك صنيع أبى حيان، حيث أورد خمسة أقوال فى معنى الحفيظ فى آيتى الأنعام (١٠٤)، هود (٨٦):

"أى: بربقب أحصر أعمالكم، أو بوكيل آخذكم بالإيمان، أو بحافظكم من عذاب الله، أو بربٍّ أجازيكم، أو بشاهد" ^(١).

وفى موضع آخر يقول أبو حيان:

"ومعنى حفيظ: رقيب، محيط بالأشياء علمًا، لا يخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم، وهو يحفظنى مما تكيدوننى به" ^(٢).

وفى موضع آخر قال أبو حيان:

"الحفيظ: المراقب الذى يحفظ أحوال من يراقب، والمحاسب الذى يجازيكم بالأعمال" ^(٣).

هكذا نجد الخلط بين معانى الأسماء الحسنى الثلاثة (الحفيظ - الرقيب - المهيمن).

والملاحظ أن المعنى اللغوى لكلمة (حفيظ) يتضمن: الرعاية، والمداومة على الرعاية (التعهد)، وعدم الغفلة، وعدم النسيان، والعلم.

والسياقات القرآنية تتسع لهذه الدلالات جميعًا كما هو واضح فى الشواهد المذكورة، فكون الله حفيظًا يقتضى: رعاية ما يحفظه، ودوام تلك الرعاية، وعدم النسيان، والعلم بخفائيه. وفى بعض السياقات القرآنية معنى آخر يُضاف لما سبق، هو المحاسبة والمجازاة، كما فى آيات: (الأنعام: ١٠٤، هود: ٨٦، الشورى: ٦).

(١) البحر المحيط ١٩٧/٤.

(٢) البحر المحيط ٢٣٥/٥.

(٣) البحر المحيط ٢٥٢/٥.

أما الرقيب فقد ورد في القرآن الكريم خمس مرات، في الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١ .
- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة: ١١٧ .
- ﴿وَيَقُولُوا أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِيبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ هود: ١٢٢ .
- ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَنْفَجَ وَلَوْ أَعَجَبَكَ خُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ الأحزاب: ٥١ .
- ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨ .

الرقيب وصف لله ﷻ في آيات: النساء والمائدة والأحزاب، ووصف للإنسان في آية هود، ووصف للملك في آية ق .

ويهمنا هنا اسم الله ﷻ (الرَّقِيب)، وقد فسره الزمخشري بالحافظ المهيمن^(١)، وفسره أبو حيان بالمراقب وهو الحافظ والشاهد والمُطَّلِع^(٢)، وفسره الشيخ الطاهر بن عاشور بالعالم الذي يجازي ويحاسب^(٣) .

وأنسب ما وجدت في تفسير الرقيب وأقربه إلى المعنى اللغوي، ما ذهب إليه الدكتور محمد سيد طنطاوي حيث قال:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ١ .
- أي: حافظًا يُحْصِي عليكم كل شيء، من (رَقَبَهُ) إذا حفظه .

(١) الكشف ٣/ ٢٧٠ .

(٢) البحر المحيط ٧/ ٢٤٥ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/ ٨٠ .

○ أو: مطلقاً على جميع أحوالكم وأعمالكم، ومنه المَرْقَب للمكان العالى الذى يُشْرِف منه الرقيب ليَطَّلِع على ما دونه^(١).

وتفسير أبى حيان لمعنى الرقيب هو ما يرجّحه الاشتقاق اللغوى لكلمة (رقيب). ويمكننا أن نقول باطمئنان: إن الرقيب يتضمن معانى: العلم المحيط، والرعاية، والمحاسبة.

وأما (المُهَيِّمِينَ) فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:
- ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾
المائدة: ٤٨.

- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر.

وأقوال المفسرين فى تفسير (المُهَيِّمِينَ) لا تشفى غليلاً، حيث فسّروه بالرقيب والشاهد على خلقه بأعمالهم^(٢).

وفى المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى للإمام الغزالى:

"المُهَيِّمِينَ فى حق الله: القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه، والإشراف يرجع إلى العلم، والاستيلاء يرجع إلى كمال القدرة، والحفظ يرجع إلى الفعل"^(٣).

وهذا ما نرجّحه فى معنى المُهَيِّمِينَ. وعلى ذلك فالمُهَيِّمِينَ يتضمن ثلاثة معانٍ هى: الاطلاع، والسيطرة، والحفظ (بمعنى الرعاية).

● ونخلص مما سبق إلى أن الفاظ (الحفيظ - الرقيب - المُهَيِّمِينَ) بينها تقارب

(١) التفسير الوسيط، المجلد الثالث، ص ٢٦.

(٢) ابن كثير ٣/٤، الكشاف ١/٦١٨، ٤/٨٧، التحرير والتنوير ٢٨/١٢١.

(٣) نقله الطاهر بن عاشور فى التحرير والتنوير ٢٨/١٢٢.

دلالي؛ حيث تشترك في ملمحين دلاليين هما: العلم المحيط، الرعاية .

وتفترق هذه الألفاظ في بعض الملامح الدلالية المميّزة:

- يختص (المُهَيِّمِن) بملمح القدرة والسيطرة .
- وينفرد (الحفيظ) بملمح دوام الرعاية (التعهد) .
- ويشارك الحفيظ والرقيب في ملمح دلالي غائب في (المُهَيِّمِن)، هو المحاسبة .

□ ٦/٦ الحُلُم - الرؤيا:

- كلا اللفظين في اللغة معناه: ما يُرى في المنام^(١) .

ولكن الاستخدام القرآني للكلمتين يفرّق بينهما بملامح مميّزة لكلّ منهما؛ حيث ارتبطت كلمة (الحُلُم) في السياقات القرآنية بكلمة الأضغاث، كما في الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعِلْمِنَا﴾ ﴿٢٨﴾ يوسف .

- ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿٥﴾ الانبياء .

الأضغاث: أخلاط النبات وأعواد الشجر^(٢) .

أى: هذه أحلام مختلطة وهواجس مضطربة متداخلة كتداخل أعواد النبات .

وأما الرؤيا في القرآن الكريم فقد وردت في سياق ما رآه أنبياء الله - صلوات

(١) الصحاح، اللسان، مفردات الأصفهاني (ح ل م) .

(٢) التحرير والتنوير ٦/٢٨٢ .

الله وسلامه عليهم - مثل رؤيا سيدنا محمد ﷺ التي قصّها علينا القرآن الكريم في قول الله ﷻ:

- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ الفتح .

ورؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام التي قصّها القرآن الكريم في قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَنَذِيرَنَّهُ أَنْ يُبَازِغَهُمْ ﴿١٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

الصافات .

ورؤيا سيدنا يوسف عليه السلام التي قصّها القرآن الكريم في سورة يوسف، وكان ختامها قول الله ﷻ:

- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِيَنَّ هَذَا نَأْوِيَنَّ رُءُوسَنَا مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾﴾ يوسف .

ورؤيا الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وحى من الله ﷻ، فهي صادقة لا محالة . ومن هنا عبّر عنها بكلمة (الرؤيا) التي غلب استعمالها في الخير والحسن، بينما غلب استعمال الأحلام في الشر والقبيح^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني لكلمتي (الحُلُم - الرؤيا) يُظهر اشتراكهما في معنى: ما يراه النائم في منامه .

● والملمح الدلالي المميز لكلمة (الحُلُم): الاضطراب والاختلاط والقبح .

● في حين أن الملمح الدلالي المميز لكلمة (رؤيا) هو: الصدق والخير والحسن .

□ ٧/٦ الحلال - الطَّيِّب :

• الحلال فى اللغة: ضد الحرام، وهو مأخوذ من الحَلَّ أى الفتح، كأنه من حلَّ الشيء إذا أباحه وأوسع الأمر فيه^(١).

• والطَّيِّب فى اللغة: خلاف الخبيث^(٢)، وتتنوع معانيه فيقال: أرض طيبة أى تصلح للنبات، وريح طيبة إذا كانت لينة رقيقة، وطعام طيب للذى يستلذ الأكل طعمه، وامرأة طيبة إذا كانت عفيفة، وكلمة طيبة إذا لم يكن فيها مكروه، وبلدة طيبة إذا كانت آمنة كثيرة الخير^(٣)... إلخ.

وعلى ذلك فالحلال أخص من الطَّيِّب، والحلال مفهوم شرعى يُراد به: ما أباحه الله ﷻ.

وقد كثر ورود اللفظين فى القرآن الكريم، واقرنا أربع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٣٨﴾ البقرة.

- ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ المائدة.

- ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦١﴾ الأنفال.

- ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ النحل.

وقد اختلف العلماء فى الحلال والطَّيِّب، فقال الإمام مالك:

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (ح ل ل).

(٢) الصحاح، مقاييس اللغة، اللسان (ط ي ب).

(٣) اللسان (ط ي ب).

هما واحد، و(طيبًا) تأكيد لـ(حلالًا). وقال الإمام الشافعي وغيره:
الطيب مغاير للحلال، فالمراد بالطيب: المُسْتَلَذُّ^(١).

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (حلال - طيب) بينهما عموم وخصوص،
فالطيب يُراد به ما في الشيء من لذة. والحلال يُراد به الحكم الشرعي بإباحة
الشيء. ويجمعهما كون الشيء مما تقبله النفس ويرتضيه الله ﷻ، ولكن
الطيب وصف لحقيقة الشيء، والحلال حكم على الشيء.

□ ٨/٦ الحِلْيَةُ - الزَّيْنَةُ:

● الحِلْيَةُ في اللغة: اسم لكل ما يُتَزَيَّنُ به من مصانع الذهب والفضة ونحوهما
من المعادن والأحجار الكريمة^(٢).

● والزَّيْنَةُ في اللغة: اسم جامع لكل شيء يُتَزَيَّنُ به، يُقال: تزَيَّنَتِ الأرض
بالنبات، أي حَسُنَتْ وَبُهَجَتْ، وتزين القراءة: تحسينها، وزينة المرأة: ما تزَيَّنُ
به كالخلخال والسوار، وزينة الوجه والثياب^(٣)، ويجمعها معنى: التحسين^(٤).

وقد تكرر ذكر مادة (ح ل و) في القرآن الكريم، فمن ذلك الفعل (حَلَّى)
مبنيًا للمجهول، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الكهف: ٣١.

والاسم المفرد (حِلْيَةُ)، كما في قول الله ﷻ:

(١) نقله أبو حيان في البحر المحيط ٤٧٨/١.

(٢) الصحاح، اللسان (ح ل و).

(٣) اللسان (ز ي ن).

(٤) مقاييس اللغة (ح ل و).

- ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُثٍ﴾ الرعد: ١٧ .
- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ النحل: ١٤ .
- ﴿أَوَمَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ الزخرف .
- وورد الاسم بصيغة الجمع (حُلِيٍّ)، في قوله ﷻ: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْهُ بَعْدِيهِمْ حُلِيًّا عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورٌ﴾ الأعراف: ١٤٨ .
- فمعنى قوله ﷻ: ﴿يُحْلَوْنَ﴾: من التَّحْلِيَةِ واللِّبَاسِ، وهما زينة ظاهرة^(١) .
- ومعنى الحِلْيَةِ في آية الرعد: ما يُعْمَلُ للنِّسَاءِ مما يُتَزَيَّنُ به من الذهب والفضة^(٢) . وقوله ﷻ: ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: المراد بالحِلْيَةِ: اللؤلؤ والمرجان^(٣)، ونَبَّه بقوله ﷻ: ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ على غاية الحِلْيَةِ، وهي اللُّبْسُ^(٤) .
- وكنى بقوله ﷻ: ﴿أَوَمَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ عن النساء، فهو كناية عن ضعفهنَّ عن مزاولة الصعاب . وعلى هذا التفسير درج جميع المفسرين^(٥) .
- والحُلِيُّ في آية الأعراف: جمع حِلْيَةٍ، وهو اسم لما يُتَزَيَّنُ به من الذهب والفضة^(٦) .

ويتضح من سياقات كلمة (حِلْيَةٍ) ومشتقاتها في القرآن الكريم أنها تعنى: الزينة الخارجية الظاهرة، وهي ماديةٌ دائمةٌ، وأكثرها من الذهب والفضة

(١) البحر المحيط ١٢٢/٦ .

(٢) البحر المحيط ٣٨٢/٥ .

(٣) الكشف ٤٠٤/٢ .

(٤) البحر المحيط ٤٧٩/٥ .

(٥) التحرير والتنوير ١٨١/٢٥ .

(٦) الكشف ١١٨/٢ .

ونحوهما من المعادن والأحجار الكريمة.

وأما الزينة فقد كثر ذكرها في كتاب الله، بصيغة الفعل (زَيْنَ - اَزَيْنَ)،
والاسم (زينة). ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ الأنعام .

- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الأعراف: ٣٢ .

- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِا أَنهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ يونس: ٢٤ .

- ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ القصص: ٧٩ .

- ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَتَّقُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِبِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ النور: ٣١ .

- ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوْكَبِ ﴿٦﴾﴾ الصافات .

- ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات: ٧ .

وقد أحسن الراغب الأصفهاني حين أجمل هذه المعاني للزينة في ثلاثة أوجه، فقال:

"والزينة - بالقول المجمل - ثلاث: زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه . . .

فقوله تعالى: ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾: من الزينة النفسية، وقوله ﷺ: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾: فقد حُمل على الزينة الخارجية (الثياب)، وقيل: الزينة المذكورة في هذه الآية هي الكَرَم المذكور في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَنُكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وعلى هذا قال الشاعر:

* وزينة المرء حُسنُ الأدب *

وقوله ﷺ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ القصص: ٧٩، هي الزينة الدنيوية من المال والأثاث والجاه... وقوله ﷺ: ﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَدُنَا بِزِينَةِ الْكُوكَبِ ①﴾ الصافات، وقوله ﷺ: ﴿وَزَيَّنَهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ الحجر: ١٦. إشارة إلى الزينة التي تُدرك بالبصر، التي يعرفها الخاصة والعامة، وإلى الزينة المعقولة أي (المُدركة بالعقل لا بالحواس) التي يختص بمعرفتها الخاصة، وذلك أحكامها وسيرها. وتزيين الله للأشياء: قد يكون بإبداعها مزينة وإيجادها كذلك، وتزيين الناس للشيء: بتزويقهم أو بقولهم، وهو أن يمدحوه ويذكروه بما يرفع منه^(١).

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (جَلِيَّة - زينة) في القرآن الكريم بينهما عموم وخصوص:

● فالجَلِيَّة: لفظ خاص يُراد به الزينة الخارجية الظاهرة، وهي مَادِيَّةٌ دائماً، وأكثرها من الذهب والفضة ونحو ذلك.

● والزينة: لفظ عامٌ يشمل الزينة الخارجية كالثياب والحُلِي، وكالنبات زينة للأرض، والنجوم والكواكب زينة للسماء، والمال والجاه والقامة وغير ذلك زينة خارجية للإنسان... كما يشمل الزينة الباطنة التي تدركها العقول والزينة النفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة... إلخ.

□ ٩/٦ الحَمْد - الشُّكْر:

- الحَمْدُ في اللغة: خِلاف الذَّمِّ^(١)، ويكون عن يَدٍ وعن غير يَدٍ^(٢).
 - والشُّكْر في اللغة: عرفان الإحسان ونَشْرُهُ، ولا يكون إلّا عن يَدٍ^(٣).
- وقد تكرر اللفظان في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهد الحَمْد:

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة .

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة .

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١ .

- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ الإسراء .

ومن شواهد الشُّكْرِ في كتاب الله ﷻ:

- ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة .

- ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة .

وتكررت جملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في مواضع كثيرة من القرآن الكريم: (البقرة: ٥٢، ٥٦، ١٨٥، آل عمران: ١٢٣، المائدة: ٦، ٨٩، الأنفال: ٢٦، النحل: ١٤، ٧٨، الحج: ٣٦، القصص: ٧٣، الروم: ٤٦، فاطر: ١٢، الجاثية: ١٢) .

قال الزمخشري:

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ح م د) .

(٢) اللسان: (ح م د) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ش ك ر) .

"الحَمْدُ والمَدْحُ أَخَوَان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها، وأمَّا الشكر فعَلَى النعمة خاصَّةً، وهو بالقلب و اللسان والجوارح . . . والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شُعَبِ الشكر، ومنه قوله ﷺ: " الحمد رأس الشكر، ما شكَّرَ اللهَ عبدٌ لم يَحْمَدْهُ "؛ وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على مُولِيها أَشْبَعُ لها وأدُلُّ على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح؛ لخباء عمل القلب، وما فى عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى يُفصح عن كل خفى وَيُجَلِّى كل مُشْتَبِه . والحمد نقيضه الذَّمُّ، والشكر نقيضه الكُفْران" (١) .

وَيُفْهَم من كلام الزمخشري أن اللفظين بينهما عموم وخصوص من وَجْهين:

- فالحمد أعمُّ من وجوه: هو أنه يشمل الثناء بنعمة سابقة، أو بغير نعمة .
فالحمد لله يشمل الثناء عليه ﷻ؛ لأنه المُنْعِم والحافظ والرازق . . وغير ذلك من الصفات التى فيها إنعامٌ على الخَلْق، كما يشمل الثناء على الله ﷻ بصفاته الذاتية، كالعلم والقدرة والعظمة .

- والشكر أعمُّ من وجوهٍ آخر: هو أنه يكون بالقلب واللسان والجوارح، والحمد باللسان وحده .

وأضاف الألوسى فى شرحه لمعنى (الحَمْد): الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها، مع المحبة والإجلال (٢) .

وأضاف الرازى ملحقاً آخر فى معنى الحَمْد فقال:

"إن الحمد يَعُمُّ ما إذا وصل ذلك الإنعام إليك أو إلى غيرك، وأمَّا الشكر فهو مختصٌّ بالإنعام الواصل إليك" (٣) .

(١) الكشف ٤٦/١ - ٤٧ .

(٢) روح المعانى ٧٠/١ .

(٣) تفسير الرازى ٢١٩/١ .

- ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (الحمد - الشكر) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى عام هو: الثناء بالجميل .
- ويتميز كل منهما بملامح دلالية فارقة:
- فالحمد:

- يكون على النعمة والعطاء، وعلى الصفات الذاتية .
- ويكون على النعمة الواصلة إليك أو إلى غيرك .
- وفيه محبة وإجلال .
- ويكون باللسان دون غيره .
- والشكر:

- لا يكون إلا على النعمة والعطاء .
- ولا يكون إلا على النعمة الواصلة إليك .
- ويكون بالقلب واللسان والجوارح .
- ليس فيه معنى المحبة والإجلال .

□ ١٠/٦ الحياة - الحيوان:

- الحياة والحيوان في اللغة متقاربان، إلا أن لفظ "الحيوان" فيه معنى الدوام والخلود والطيب^(١) .

وقد تكرر لفظ الحياة في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهد:

- ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ البقرة: ٨٥ .

(١) تهذيب اللغة (ح ي ي) .

- ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمُ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ البقرة: ٩٦ .

- ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧ .

بينما لم ترد كلمة (الحيوان) في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، في قول الله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَيْبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيٰوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت .

جاءت كلمة (الحيوان) في هذه الآية بمعنى: الحياة المستمرة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها . وفي بناء (الحيوان) زيادة معنى ليست في بناء (الحياة)، وهي ما في بناء (فعلان) من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والدوران والغليان ... إلخ . والحياة حركة كما أن الموت سكون، فجاء هنا بناءً دالاً على معنى الحركة؛ مبالغة في معنى الحياة، في مقام وصف الحياة الآخرة^(١) .

كذلك يشير بناء (فعلان) ظلالاً دلالية تُوحى بالنشاط والابتهاج وخفة النفس، مع دوام ذلك واستمراره وتجدد ألوانه، وذلك مقابل الحياة الدنيا - حياة اللهو واللعب - بما تشتمل عليه من انكسارٍ وسأم وسرعة انقطاع لذاتها وزوال نعيمها^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (حياة - حيوان) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في أصل المعنى . ويتميز لفظ (الحيوان) بملامح فارقة هي:

١- اختصاصه بوصف الحياة في الآخرة . ٢- ملمح الدوام والاستمرار .

٣- ملمح التجدد . ٤- الحركة والنشاط .

٥- الابتهاج وخفة النفس . ٦- لا يعقبها موت .

(١) الكشف ٢١١/٣ - ٢١٢ .

(٢) الإعجاز الصرفي في القرآن، د . عبد الحميد هنداوى، ص ٩٥ .

حرف الخاء (٧)

(١)	حَبْء - إخفاء - دَس - سَر - مُوارة	(٢)	إِخبات - خُشوع - خُضوع - نَضْرَع - قُنوت
(٣)	خَبَر - نَبَأ	(٤)	خَتَم - طَبَعَ
(٥)	خَدَعَ - غَرَّ	(٦)	خاشِعة - هَامِدة .
(٧)	خَشِية - خَوْف - رُعب - رَهبة - رَوْع - فَرَق - فَرَع - وَجَل	(٨)	أَخْطَأ - زَلَّ
(٩)	خَلَف - وَراء		

□ ١/٧ الحَبْء - الإخفاء - الدَّس - السَّر - المُوارة:

فى تفسير المعاجم اللغوية لهذه الألفاظ ترددت كلمة الإخفاء والسَّر فى تفسير أكثر هذه الألفاظ، على النحو التالى:

- الحَبْءُ: سَر الشئ^(١) . • الإخفاء: السَّر^(٢) .
- الدَّسُ: إخفاء شئٍ وسَره تحت شئٍ^(٣) . • السَّر: إخفاء الشئ^(٤) .
- المُوارة: إخفاء الشئ^(٥) .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (خ ب أ) .

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (خ ف ي) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (د س س) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (س ت ر) .

(٥) اللسان (و ر ي) .

فلنتأمل الاستعمال القرآنى لهذه الألفاظ :

● الحَبْءُ :

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ :

- ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٥) النمل .

الحَبْءُ : مصدرٌ أُطلقَ على المخبوء ، وهو المطر والنبات وغيرهما ممَّا خبا اللهُ ﷻ من غيوبه^(١) . وهو اسم لكل مُدَّخِرٍ مستور^(٢) .

● هكذا نرى أن القرآن الكريم قد استعمل لفظ الحَبْء لوصف شيءٍ يُخْفَى ويُسْتَرُ ويُدَّخَرُ ؛ لأنه ثمين نفيس .

● الإخفاء :

تكرر ذكر الإخفاء فى القرآن الكريم كثيرًا ، ومن شواهدة :

- ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة : ٢٧١ .

- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُعَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة : ٢٨٤ .

● يتضح معنى الإخفاء من وروده فى القرآن الكريم مقابلًا للإبداء والإعلان والجهر ، فالإخفاء - إذن - هو : السِّرُّ والكِثْمَانُ^(٣) .

● الدَّسُ :

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ :

(١) البحر المحيط ٦٩/٧ .

(٢) مفردات الأصفهاني (خ ب أ) .

(٣) مفردات الأصفهاني (خ ف ي) .

- ﴿يَنْزِلُ مِنَ الْقَوَائِمِ مِنْ سُوءٍ مَا يُشِيرُ بِهِ أَيْمِسُكُمْ عَلَى هُوْبٍ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩) النحل .

● الدُّسُّ هنا: الدَّفْنُ والتغيب في التراب^(١)، وهذا فيه مبالغة في الإخفاء والسَّتر، كما يظهر ملمح الدافع وراء دسَّ الشيء، وهو الرغبة في التخلص منه .

● السَّتر:

وردت هذه المادة في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات التالية:

- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) الإسراء .

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ (٩١) الكهف .

- ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِثُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣٣) فصلت .

السَّتر: تغطية الشيء بحيث لا تراه العيون، والحجاب المستور أى: البالغ الغاية فى حجب ما يحجبه، حتى كأنه مستور بساتر آخر^(٢) .

والمراد بالسَّتر فى آية الكهف: كل ما يستر الإنسان - أى يقيه ويحجب عنه الأذى - من الثياب والأبنية والحصون وغيرها^(٣) .

● والملمح البارز فى لفظ السَّتر هو الوقاية والحماية والمنع .

● المُوارة:

ذكرت هذه الكلمة ومشتقاتها فى مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن

(١) البحر المحيط ٥٠٤/٥ .

(٢) التحرير والتنوير ١١٧/١٥ .

(٣) الكشف ٤٩٨/٢ .

شواهدا:

- ﴿يَنْبَغِي ءَادَمَ قَدْ أَرْكَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤَرَىٰ سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا﴾ الأعراف: ٢٦ .

- ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْرِ مِنْ سَوَاءَ مَا بَشَّرَ بِهِ﴾ النحل: ٥٩ .

- ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٣﴾﴾ ص .

يُوَارِي الشيءَ مواراةً: يستره بشيءٍ يخفيه^(١) .

● غير أن هذه الكلمة جاءت في أكثر مواضعها من القرآن الكريم في سُر شيءٍ يخجل الإنسان ويشعر بالخزي إذا انكشف، كالسَّوأة، وكاختفاء المُبَشَّر بالأنثى في الجاهلية؛ لأنهم كانوا يشعرون بالخزي والعار إذا وُلِدَ لهم إناث .

● وأما وصف الشمس أو الخيل بالتوارى في قول الله ﷻ: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ، فهو مجازٌ عن تَوَارَى المَلِك أو الْمُحَبَّاة بحجابها^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (الْحَبْء - الإخفاء - الدَّس - السُّر - المُوارة) متقاربة دلاليًا؛ فكلها تدلُّ على الإخفاء والاستتار، ويتميز كل منها بملمح دلاليٍّ فارق في الاستعمال القرآني، على النحو التالي:

● الإخفاء: أعْمُ هذه الألفاظ، وهو السُّر والكتمان .

● الحَبْء: إخفاء شيءٍ ثمين .

● الدَّس: المبالغة في الإخفاء والستر .

● السُّر: الوقاية والمنع .

● المُوارة: إخفاء شيءٍ يُسْتَحْيَا منه خاصَّةً .

(١) مفردات الأصفهاني (و ر ي) .

(٢) الكشف ٣/ ٣٧٤ .

□ ٢/٧ الإخبات - الخشوع - الخضوع - التضرع - القنوت:

• أصل مادة (خ ب ت): اللين والاطمئنان، فالحَبْتُ: ما اطمأنَّ من الأرض واتَّسع، والخَفِيُّ من الأرض، ويقال حَبَّتْ ذِكْرُهُ إِذَا خَفِيَ، ومنه الْمُخْبِت من الناس، أى المتواضع^(١).

• وأصل مادة (خ ش ع): التَّطَامُن، يقال: خَشَعَ، إِذَا تَطَامَنَ وَطَاطَأَ رَأْسَهُ^(٢). وخَشَعَ: رَمَى بَبَصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ وَغَضَّه وَخَفَضَ صَوْتَهُ، والخشوع فى الصوت والبصر كالخضوع فى البدن^(٣).

• وأصل مادة (خ ض ع): التواضع والتَّطَامُن، ويكون فى البدن كُلِّهِ^(٤).

• وأصل مادة (ض ر ع): اللين والضعف، يقال: رَجُلٌ ضَرَعٌ أَيْ ضَعِيفٌ، وغلَامٌ ضَارِعٌ: ضَعِيفٌ نَحِيفٌ، والتضرُّع: التذلل^(٥).

• وأصل مادة (ق ن ت): الطاعة، ثم سُمِّيَ كُلُّ اسْتِقَامَةٍ فى طريق الدين قُنُوتًا^(٦).

هكذا تتقارب معانى هذه الألفاظ؛ حيث تشترك جميعها فى معنى اللين والتطامن، وينفرد كلُّ منها بملمح فارق على النحو التالى:

○ ينفرد الإخبات بملمح الخفاء .

○ وينفرد الخشوع بظهور أثر ذلك فى الصوت والبصر .

○ وينفرد الخضوع بظهور أثر ذلك فى البدن كله .

(١) اللسان (خ ب ت) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (خ ش ع) .

(٣) النهاية، اللسان (خ ش ع) .

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (خ ش ع، خ ض ع) .

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (ض ر ع) .

(٦) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (ق ن ت) .

○ وينفرد التضرع بملمح التذلل .

○ وينفرد القنوت بملحح الطاعة والاستقامة .

وفيما يلي عرض لسياقات هذه الألفاظ في القرآن الحكيم .

● الإخبات:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات التالية:

﴿١٣٣﴾ - إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاجْتَنَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣٣﴾ مود .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ الْأَنْفُسِ ۖ فَالْهَكُومُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ۖ فَلَهُ اسْلِمُوا ۚ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ الْمَقِيبُ ۖ وَالصَّالِينَ ۚ وَرَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ ﴿٢٦﴾﴾ الحج .

- ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ الحج: ٥٤ .

الإخبات في القرآن الكريم يتضمن معاني كثيرة ، هي : الاطمئنان ، والسكينة ، واللين ، والتواضع ، وخشية الله ، وطاعته ﷺ ، والاستمرار على هذا^(١) .

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور:

"المُخْبِتُ: المتواضع الذي لا تكبرُ عنده، وأصل المُخْبِتِ: مَنْ سَلَكَ
 الخَبْتَ، وهو المكان المنخفض، ثم استُعِيرَ للمتواضع كأنه سَلَكَ نَفْسَهُ في
 الانخفاض، والمراد به هنا: المؤمنون؛ لأن التواضع من شِيَمِهِمْ كما كان
 التكبر من سمات المشركين ... وقد أتبع صفة (المُخْبِتِينَ) بأربع صفات

(١) انظر: معاني القرآن للقرّاء ٢/ ٩، ١٠، الكشف ٢/ ٢٦٤، ٣/ ١٤، القرطبي ٩/ ٢١، مفردات الأصفهاني، عمدة الحُفَاط (خ ب ت)، العمدة في غريب القرآن، ص ١٥٤.

وهي: وَجَلُّ القلوب عند ذكر الله، والصبر على الأذى في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق. وكل هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع^(١).

فالإِخبات - إذن - يتضمن:

الطمأنينة، التواضع، الخوف من الله، طاعة الله، والمداومة على ذلك.

● الخُشوع:

وردت مادة (خ ش ع) في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، ومن ذلك الآيات التالية:

١- ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ البقرة.

٢- ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٣٩﴾﴾ الإسراء.

٣- ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ طه.

٤- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّهُ تَرَىٰ الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاَهَا لَكُنِيَ الْمَوْتُ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦١﴾﴾ فصلت.

٥- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ تُكْرَهُ ﴿١﴾ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ القمر.

٦- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿١﴾﴾

الحديد: ١٦.

٧- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنَيْيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ الغاشية.

استُعْمِلَ الخشوع وصفًا عامًا للإنسان كما في الشاهدين الأول والثاني، واستُعْمِلَ وصفًا للأصوات كما في الشاهد الثالث، واستُعْمِلَ وصفًا للأرض

كما فى الشاهد الرابع، واستُعْمِلَ وصفًا للأبصار كما فى الشاهد الخامس، واستُعْمِلَ وصفًا للقلوب كما فى الشاهد السادس، واستُعْمِلَ وصفًا للوجوه كما فى الشاهد السابع. وفى هذا إشارة إلى تعدد صور الخشوع.

وقد فسّر عامّة المفسرين الخُشوع تبعًا لأصله اللغوى، وهو الانخفاض والتطامن والتواضع والسكون والخوف من الله ﷻ^(١).

قال الشيخ الطاهر بن عاشور بعد أن أورد الأصل اللغوى للخُشوع:

"وهو (أى الخُشوع): سكون وانقباضٌ عن التوجّه إلى الإِبَاطَةِ والعُصيان. والمراد بالخاصع هنا: الذى ذلَّ نفسه وكَسَرَ سَوْرَتَهَا وَعَوَّدَهَا أَنْ تَطْمِئَنَّ إلى أمر الله. وقد وصف الله ﷻ (الخاصعين) بأنهم ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ مُلْقًاوًا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢) البقرة، وهى صلة لها مزيد اتصال بمعنى الخشوع، ففيها معنى التفسير للخاصعين، ومعنى بيان منشأ خشوعهم"^(٣).

أما الخشوع فى صفة الأرض فهو مجاز، شُبِّهَت الأرض حال جَذْبِها بشخص كاسف البالِ رثَّ الثياب ذليل^(٤).

واستعمال الخشوع وصفًا للقلوب معناه: رَقَّةُ القلوب وَلِينُهَا وَخَشْيَتُهَا لِلَّهِ ﷻ^(٥). واستعماله فى الصوت كناية عن انخفاضه وخفائه من هيبه الله ﷻ^(٥).

واستعماله وصفًا للأجزاء من البدن كالأبصار والوجوه دليل على أن الخشوع محلُّه القلب، وتظهر آثاره على البدن والجوارح، ويصاحبه سكون

(١) الكشف ٢/٤٦٩، تفسير القرطبي ١/٣٧٤، البحر المحيط ١/١٨٥، ٦/٨٩.

(٢) التحرير والتنوير ١/٤٨٠.

(٣) الكشف ٣/٤٥٤، التحرير والتنوير ٢٤/٣٠٢.

(٤) الكشف ٤/٦٤.

(٥) الكشف ٣/٥٥٤، البحر المحيط ٦/٢٨٠.

وتواضع وخشية لله ﷻ^(١) .

● فالخشوع يتضمن: التواضع، السكون، رقة القلب، خشية الله ﷻ، ظهور آثار ذلك في الصوت والبدن .

○ الخُضُوع:

ورد الخُضُوع في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿إِنْ شَأْنُ نُزُلٍ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿١﴾﴾ الشعراء .
- ﴿يَسْأَلُ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَنَّهُ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٣﴾﴾ الأحزاب .
- خضوع الأعناق عبارة عن الذل والانقياد^(٢) .
- والخضوع بالقول: تريق الكلام وتليينه^(٣) .

وجمع الشيخ الطاهر بن عاشور بين المعنيين بقوله: "النساء في كلامهن رقة طبيعية، وقد يكون في بعضهن من اللطافة ولين النفس ما إذا انضَمَّ إلى لينها الجبلي قُرْبَتْ هيئته من هيئة التذلل... فالخضوع حقيقته التذلل، وأطلق هنا على الرقة لمشابتها التذلل"^(٤) .

● فالخضوع - إذن - يتضمن:

التذلل، والضعف، والانقياد، وظهور آثار ذلك في الصوت والبدن .

○ التَّضَرُّع:

ورد التَّضَرُّع في القرآن الكريم سبع مرات، منها:

-
- (١) انظر: مفردات الأصفهاني، عمدة الحفاظ (خ ش ع) .
 - (٢) الكشف ٣/ ١٠٤، عمدة الحفاظ (خ ش ع) .
 - (٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٤٢، الكشف ٣/ ٢٦٠، عمدة الحفاظ (خ ض ع) .
 - (٤) التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٢ .

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَاتَّخَذْتَهُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الأنعام .

- ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَفَنَجِّنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤٤﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الأعراف .

التضرُّع: التذلل^(١)، والسياقات القرآنية للتضرُّع ربطت بينه وبين مواطن البأس والخوف والعذاب كما فى آيات: (الأنعام: ٤٢-٤٣، الأعراف: ٢٠٥) . وربطت بينه وبين الخفاء كما فى آية: (الأنعام: ٦٣) .

وهذا يعنى أن التضرُّع يكون فى أمر شديد لا يُردُّ بأُسِه وشِدَّتِه، عندئذ يفرع الإنسان فيتضرَّع إلى الله ﷻ (أى يبالغ فى التذلل)، ويكون لهذا التذلل أثر فى صوته المرتجف بالدعاء، فيخفض صوته ويخفيه لشدة الهول والشعور بالدلة لله ﷻ ؛ وعلى هذا فالتضرع يتضمن:

التذلل، فى وقت الشدة، الخوف، ظهور أثر ذلك فى الصوت .

○ القنوت:

تكرر ذكر القنوت فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قِنْتُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ البقرة .

- ﴿يَسْمِعُ أَقْسَىٰ لَرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ آل عمران .

(١) الكشف ١٨/٢، ١٩، ٨٣، البحر المحيط ٤/١٣٠، التحرير والتنوير ٧/٢٢٧، ٢٨١ .

- ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفِذْنَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (١١) الأحزاب .

- ﴿أَمَنْ هُوَ فَتَنَّا آلَاءَ الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩) الزمر .

تعددت معانى القُنوت بتعدد سياقاتها فى القرآن الكريم، فمرة يرد بمعنى السكوت، ومرة بمعنى الطاعة والعبادة، ومرة بمعنى الانقياد، وبكل واحد من هذه المعانى فُسِرَ قول الله : ﴿١﴾ ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨ .

ومرة يرد القُنوت بمعنى الدعاء المعروف فى صلاة الصبح والتراويح^(٢)؛ وربط الزمخشري معنى دعاء الوتر بمعنى القيام؛ لأن المصلّى يدعو قائماً^(٣) .

وجمع ابن الأنباريّ معانى القُنوت بقوله: "القُنوت فى اللغة ينقسم إلى أربعة أقسام: الصلاة، وطول القيام، وإقامة الطاعة، والسكوت"^(٤) .

● وعلى هذا فالقنوت يتضمن:

الطاعة، الصلاة، طول القيام فى الصلاة، الدعاء المعروف فى الصبح والوتر، السكوت . وكل هذا يشمل معنى الطاعة والانقياد .

● ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ (الإخبات - الخُشوع - الخُضوع - التَّضَرُّع - القُنوت) هى ألفاظ متقاربة المعانى؛ إذ يجمعها ملمح دلاليّ مشترك هو امتثال أمر الله ﷻ .

(١) انظر: صحيح البخارى، كتاب الصلاة، باب ما يُنهى من الكلام فى الصلاة، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد، رقم ٥٣٩، مفردات الأصفهاني، عمدة الحُفَاط (ق ن ت)، الكشاف ٣٠٧/١، ٥٢٤/١، ٢٥٩/٣ .

(٢) انظر: عمدة الحُفَاط (ق ن ت) .

(٣) الكشاف ٩٠/٣ .

(٤) النهاية لابن الأثير (ق ن ت) .

وهناك ملامح يشترك فيها بعض هذه الألفاظ دون بعضها الآخر . كما أن هناك ملامح فارقة يَتميّز بها كل لفظ من هذه الألفاظ ، على النحو التالي :

- يَتميّز الإِخْبَات بملمح الخفاء .
- ويَتميّز الخُشوع بظهور أثر ذلك فى الصوت والبصر .
- ويَتميّز الخُضوع بظهور أثر ذلك فى البدن كله .
- ويَتميّز التَّضَرُّع بملمح التذلل .
- ويَتميّز القُنوت بملمح الطاعة والاستقامة .

□ ٣/٧ الخَبَر - النَّبَأُ :

- تدور مادة (خ ب ر) فى اللغة حول معنى : العلم بالشئ^(١) .
- وأصل مادة (ن ب أ) فى اللغة : الانتقال من مكان إلى مكان ، ومنه النَّبَأُ أى الخبر ؛ لأنه يأتى من مكان إلى مكان^(٢) .

وزاد الراغب الأصفهاني : " النَّبَأُ : خبرٌ ذو فائدة عظيمة ، يحصل به عِلْمٌ أو غَلَبَةٌ ظَنٌّ ، ولا يقال للخَبَر فى الأصل نَبَأٌ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة " ^(٣) .

وعلى هذا يتميز النَّبَأُ بكونه :

- ذا فائدة عظيمة .

(١) مقاييس اللغة ، اللسان (خ ب ر) .

(٢) مقاييس اللغة (ن ب أ) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ن ب أ) .

● يحصل به علمٌ أو غَلَبَةٌ ظَنٌّ .

● وهذا يعنى أن النبأ يختص بالأهمية، والصدق غالبًا .

وباستقراء المواضع التى ورد فيها اللفظان فى القرآن الكريم، نجد أن كلمة (خَبَر) قد وردت فى القرآن الكريم مرتين بصورة المفرد، وثلاث مرات بصورة الجمع، وذلك قول الله ﷻ:

- ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَائِكُ مِنْهَا بَخِيرٌ أَوْ مَائِكُمْ شِهَابٌ قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ النمل .

- ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي مَائِكُمْ مِنْهَا يُخْبِرُ ﴿٢٩﴾﴾ القصص : ٢٩ .

- ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ التوبة : ٩٤ .

- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿١﴾﴾ الزلزلة .

وبتأمل سياقات الكلمة فى الآيات الكريمة نجد أن المراد بالخبر: العلم بالشيء، سواء أكان حقيقة أم غير حقيقة، وفى آية النمل قال موسى ﷺ لقومه لما رأى النار: ﴿سَائِكُ مِنْهَا بَخِيرٌ﴾ ؛ لأنه لم يكن يعلم ما هذه النار، ولا إن كانت ذات فائدة عظيمة، ولا إن كان فيها علمٌ أو غير ذلك .

وفى آية التوبة : ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ﴾ ، وصف إعلام الله ﷻ لعباده بالإنباء الدال على الأهمية، مع الصدق، بينما وصف أحوالهم بالأخبار؛ لأن فيها ما هو مهمٌ وما هو حقٌ، وفيها ما ليس كذلك .

أما آية الزلزلة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿١﴾﴾ ، فالمراد بالأخبار: ما عملَ العاملون على ظهرها^(١)، وفيما عمله العاملون على الأرض ما هو جليل وما

هو تافه، وفيه ما يفيد العلم وفيه ما لا يفيد العلم .

أما النَّبَأُ فقد تكرر ذكره كثيراً في القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿قَالَ يَتَدَمُّ أُنْبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أُنْبَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۖ﴾ البقرة .

- ﴿وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۖ﴾ المائدة .

- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الكهف: ١٣ .

- ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ النبا .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"الإنباء: الإخبار بالنَّبَأِ، وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة والأهمية، بحيث يحرص السامعون على اكتسابه ... فهو أخص من الخبر" (١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (الخَبَر - النَّبَأ) بينهما تقارب دلالي؛ إذ يشتركان في ملامح: العلم بالشيء .

● ويتميز النَّبَأُ بأنه أخص من الخبر، بملمحين فارقين هما:

○ الفائدة العظيمة .

○ الأهمية .

□ ٧/٤ خَتَمَ - طَبَعَ :

• الخَتَم والطَّبَع في اللغة كلاهما: بلوغ آخر الشيء، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من ألا يدخله شيء^(١).

هكذا لا نجد فارقا بين الخَتَم والطَّبَع في الاستعمال اللغوي العادي، ولكن القرآن الحكيم في استعماله للفَظَين جعلهما مترادفين حالة ورودهما بصيغة الفعل (خَتَمَ، طَبَعَ)، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾ البقرة: ٧.

- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضْلَلَ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣) الجاثية.

ومن استعمالات الفعل (طَبَعَ) في القرآن الكريم الشواهد الآتية:

- ﴿فَمَا نَقِضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء.

- ﴿تِلْكَ الْأَقْرَى نَقَضَ عَلَيْهِ مِنْ آبَائِهِمْ وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٦١) الاعراف.

- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٨) النحل.

ولم تُستعمل مادة (ط ب ع) في القرآن الكريم بغير صيغة الفعل. أما المادة (خ ت م) فقد استُعملت في القرآن بصيغة الفعل، كما استُعملت بصيغة المصدر (خَتَام)، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿خَتَمْنَاهُ بِمِسْكٍ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٣١) المطففين: ٢٦.

(١) مقاييس اللغة، اللسان (خ ت م، ط ب ع).

وبصيغة اسم الفاعل نحو قوله ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الأحزاب: ٤٠ .

وبصيغة اسم المفعول (مَخْتُوم) فى قوله ﷺ:

- ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ ١٥ المطففين .

وكل استعمالات الفعلين (خَتَمَ - طَبَعَ) فى القرآن الكريم جاءت فى سياقات دالة على الذم .

أما الصِّغ الأخرى من مادة (خ ت م) فقد وردت فى سياقات دالة على المدح، كما فى آيات (الأحزاب: ٤٠، المطففين: ٢٥، ٢٦) .

● ونخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم فى استعماله للفظى (خَتَمَ - طَبَعَ) يوردهما بدلالة متقاربة فى حالة مجيئهما بصيغة الفعل . وقد خلصت مادة (ط ب ع) فى معنى الذم ونفى العلم والهداية، بينما استعمال مادة (خ ت م) فى حالة إيرادها بصور صرفية أخرى سوى الفعل، يرد فى سياقات دالة على المدح^(١) .

● وعلى ذلك فالخَتَم والطَّبَع متقاربان دلاليًا؛ حيث يشتركان فى معنى: التغطية وعدم نفوذ الهداية والإيمان .

● ويختلفان عند ورود مادة (خ ت م) بصيغ أخرى غير صيغة الفعل، فعندئذ تعود هذه المادة إلى الأصل اللغوى وهو النهاية، وهى مستعملة فى سياقات دالة على المدح، أما المادة (ط ب ع) فقد جاءت فى جميع المواضع القرآنية دالة على الذم .

● ولعل هذا دليل على أن الطبع أقوى من الختم، وأن الختم قد يكون بخير أو بشر، بينما لا يكون الطبع إلا بشر .

□ ٥/٧ خَدَعَ - غَرَّ:

• أصل مادة (خ د ع) فى اللغة: الخفاء، ومنه المَخْدَع، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير، والمَخْدَع: الخِزَانة . ثم أُطْلِقَ الخَدْع والخِدَاع على إظهار المرء خلاف ما يُخْفَى^(١) .

• وأصل مادة (غ ر ر) فى اللغة: النقصان، ومنه قولهم: غَارَتْ الناقة تَغَارُ غِرَارًا، أى نقص لَبْنُهَا، ومن هذا المعنى أُخِذَ قولهم: غَرَّه غُرًّا وَغُرورًا وَغِرَّةً، أى انتهز غفلته فَخَدَعَه؛ لأن ذلك من نقصان فطنة المغرور^(٢) .

وعلى ذلك يمكننا أن نقول: إنَّ الخداع فِعْلٌ يَظْهَرُ فيه ذكاء الخادِع وفطنته وقدرته على إخفاء شىء وإظهار غيره .

أما الغرور فهو فعل تَظْهَرُ فيه غفلة المغرور ونقصان فطنته .

فالفرق بين الفعلين أنَّ الخداع يعتمد على ذكاء الخادِع، بينما الغرور يعتمد على غفلة المغرور .

وقد وردت مادة (خ د ع) فى القرآن الكريم خمس مرّات، فى الآيات التالية:

- ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَٰذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة .

- ﴿إِنَّ الْمُتَفِيقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ النساء: ١٤٢ .

- ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ الأنفال: ٦٢ .

قال الزمخشريّ: الخَدْع: أن يُوهِمَ صاحبه خِلافَ ما يريد به من المكروه، من قولهم: ضَبَّ خادِع، إذا أَدْخَلَ الصائد يده فى باب جُحْرِهِ أَوْهَمَهُ إقباله عليه ثم خرج من باب آخر . . . والمراد بمخادعة المنافقين

(١) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهاني (خ د ع) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهاني (غ ر ر) .

إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، ظناً منهم أن هذا الصنيع الماكر يجوز على الله ﷻ، فردَّ عليهم بأنهم ما يخدعون إلا أنفسهم حيث يُمنونها بالباطيل^(١).
والخداع فعلٌ ماكرٌ يريد به فاعله أن يؤهم غيره فيظهر له حسناً ويخفي قبيحاً.
وأما مادة (غ ر ز) فقد تكررت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهدنا:

- ﴿وَعَرَّضْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ آل عمران: ٢٤ .

- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾
الأعراف

- ﴿فَلَا تَعْرَنْتُمْ أَلْحَيَّةَ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ لقمان: ٣٣، فاطر: ٥ .
الغُرور: الغفلة التي تؤدى بالإنسان إلى إضاعة ما يجب عليه، أو الوقوع في ما حُرِّم عليه^(٢).

والغُرور غفلة ونقصان في الفطنة؛ لأنه سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع^(٣)، وهو باطل^(٤).

ومن هنا جاء الخداع وصفاً لفعل المنافقين والكافرين ومجازاة الله لهم على هذا الصنيع، وتحذيراً للنبي ﷺ من الوقوع في حبالهم، فهم يظنون أنهم أهل فطنة وذكاء.

(١) الكشف ١/١٧٠، ١٧٤ (بتصرف واختصار)، وانظر: البحر المحيط ١/٥٢، التحرير والتنوير ١/٢٧٤ .

(٢) القرطبي ١٩/١٦١، بصائر ذوى التمييز (غ ر ز) .

(٣) التعريفات للجرجاني، ص ١٦٧، إحياء علوم الدين ٣/٤٠٠ .

(٤) الكلبيات، ص ٦٦٣ .

بينما جاء الغرور فى سياق التحذير من الغفلة والانسياق وراء زينة الحياة الدنيا، وَحِيلَ الشيطان، والشهوات، والأمانى الباطلة .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (الخِداع - الغُرور) بينهما تقارب دلالى؛ حيث إنهما يشتركان فى معنى عام هو الوقوع فى الشر، ويختص كل منهما بملمح دلالى يميزه عن الآخر:

- فالخِداع يعتمد على ذكاء المخادع .
- والغُرور يعتمد على غفلة المغرور ونقص فطته .

□ ٦/٧ خاشِعة - هَامِدة:

● تدور مادة (خ ش ع) حول معنى السكون والضعف؛ يقال: خَشَع سنامُ البعير: إذا أثر فيه الهزال، وخَشَع الجدارُ: إذا سقط واستوى مع الأرض، وكل ساكنٍ يقال له: خاشِع .

● وتدور مادة (ه م د) حول معنى: السكون وانطفاء النار، ويُعبَّر به عن الموت، وفى الحديث الشريف: "حتى كاد يهدم من الجوع" أى يهلك .

وقد ورد اللفظان (خاشِعة - هَامِدة) فى آيتين للتعبير عن جذب الأرض وعدم إنباتها، وهما قول الله ﷻ:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ فصلت: ٣٩ .

- ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ﴾ الحج: ٥ .

سياق آية فَصَّلَتْ يُراد به الإشارة إلى البعث وإحياء الموتى بقدرة الله ﷻ،

الذى يحوّل الأرض (الخاشِعة) الساكنة إلى حال أخرى من الاهتزاز والنّماء والخصب؛ فكان لفظ الخشوع أَلْيَقُ بمقام لفت الأنظار إلى البعث والنشور وآيات الله المستحقّ للعبادة والتوحيد ﷻ .

أما سياق آية الحج فيُراد به الإشارة إلى بعض آيات الله المشاهدة في جمال خَلْقِهِ، وعظيم قدرته في تحويل الأرض (الهامدة) - أى الميتة - إلى حقائق ذات بهجة وحياة؛ فكان لفظ الهمود أنسب هنا، لإظهار التقابل بين الموت والحياة المزدهرة .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (خاشِعة - هامدة) بينهما تقارب دلاليّ؛ حيث إنهما يشتركان في معنى عامّ هو: السكون والضعف والجذب، ويختص لفظ (خاشِعة) بوروده في سياق لفت الأنظار إلى البعث والنشور وآيات الله المستحقّ للعبادة والتوحيد ﷻ .

● بينما يختص لفظ (هامدة) بملمح إظهار التقابل بين الموت والحياة المزدهرة .

□ ٧/٧ الخَشْيَةُ - الخَوْف - الرُّعْب - الرَّهْبَةُ - الرُّوْع - الفَرْق - الفَرْع - الوَجَل :

● الخَشْيَةُ في اللغة: خوفٌ يَشوبُه تعظيمٌ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخْشَى منه^(١) .

● والخَوْف في اللغة: توقُّعُ مكروهٍ عن علامة معلومة أو مظنونة^(٢) .

(١) مفردات الأصفهاني (خ ش ي) .

(٢) السابق (خ و ف) .

• والرُّعْب في اللغة: الخَوْف الشديد، مأخوذ من قولهم: رَعَبْتُ الحوضَ، أى مَلَأْتُهُ، فكأنَّ المرعوب ممتلئ بالخوف^(١).

• والرَّهْبَة في اللغة: شِدَّة الخوف وملازمته، وتَصَحَّبُه مهابةٌ، ومنه (الرَّاهِب)؛ لطول ملازمته الخَوْفَ. وأصله من الرَّهْبِ، وهو الجَمَلُ الذي أصابه الهُزال والإنهاك من طول الأسفار^(٢).

• والرَّوْع في اللغة: خوف واضطراب شديد يبلغ الرَّوْعَ، أى القلب، ولا يقتصر على الخوف فقط، بل للجَمال رَوْعٌ ورَّوْعَةٌ أيضًا^(٣).

• والفرَق في اللغة: تفرُّق القلب من شدة الخوف^(٤).

• والفَرَع في اللغة: انقباض ونفار واضطراب يعترى الإنسان من الشيء المخيف^(٥).

• والوَجَل في اللغة: الخَوْف والفَرَع^(٦).

هكذا تتقارب معانى تلك الألفاظ وتتداخل، فالحَشْيَة والرَّهْبَة متقاربان إلى حدٍّ قريب من الترادف التام، والخَوْف والفَرَع والوَجَل مترادفة تمامًا، وكذا الرُّعْب والفَرَق.

ولا يفترق عن هذه الألفاظ سوى الرَّوْع، ويتميَّز باستعماله في معنى الدهشة أمام الجمال.

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (ر ع ب).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ر ه ب).

(٣) اللسان (ر و ع).

(٤) مفردات الأصفهاني (ف ر ق).

(٥) السابق (ف ز ع).

(٦) مفردات الأصفهاني، اللسان (و ج ل).

ولنستقري الاستعمال القرآني الحكيم لهذه الألفاظ المتقاربة:

● الخَشْيَةُ:

وردت الكلمة في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهدنا:

- ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجَبَارَةِ لَمَّا يَنْفَجِّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهِي عَنْ خَشْيَةِ﴾ البقرة: ٧٤ .

- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ البقرة: ١٥٠ .

- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝﴾ النساء .

- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨ .

- ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الحشر: ٢١ .

حقيقة الخَشْيَةُ: الخَوْفُ الباعث على الامتثال والانقياد، مع المهابة والتعظيم والإجلال^(١)، والخَشْيَةُ في الأغلب تقترن بالعلم كما في آية فاطر رقم (٢٨)، وفي آية النساء رقم (٩) معنى ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي: ليستشعروا الخَوْفَ في نفوسهم مع تعظيم الله ﷻ وامتثال أمره .

والملاحظ في آية النساء رقم (٩) أنها جمعت بين لفظي الخَشْيَةُ والخَوْفُ، فبدأت بالأمر بالخشية، وهي الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم، وهي الحاملة على التقوى^(٢)، وذلك إذا (خافوا) على أبنائهم من بعدهم . . فالخَوْفُ على الأبناء مرتبط بتوقع حصول مكروه لهم في المستقبل؛ لذلك أمروا بأن يدفعوا عن أنفسهم الخَوْفَ وذلك بالخَشْيَةِ، أي الخَوْفُ من الله وتعظيمه وتقواه بمقتضى العلم به .

(١) الكشف ٣/٣٠٨، البحر المحيط ٧/٣١٢، التحرير والتنوير ٢/٥٠٥ .

(٢) البحر المحيط ٣/١٧٨ .

● فَخَشِيَةَ اللَّهِ، تدفع كل خوف آخر؛ لأن خَشِيَةَ اللَّهِ ليست مجرد خوف وتوقع للمكروه، بل يصاحبها انقيادٌ لأمره وتعظيمٌ لذاته ﷻ، مع العلم بموجبات ذلك .

● الْخَوْفُ:

تكرر ذكر الْخَوْفِ كثيرًا في القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات:

- ﴿فَمَنْ يَبْعَ هَذَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٣٨ .

وتكرّرت جملة: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في كثير من الآيات: (البقرة: ٦٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، آل عمران: ١٧٠، المائدة: ٦٩، الأنعام: ٤٨، الأعراف: ٣٥، ٤٩، يونس: ٦٢، الأحقاف: ١٣) .

في المواضع المذكورة ارتبط الْخَوْفُ بالحُزْنُ؛ وذلك لنفى كل ما يُسبّب الهمَّ والقلق، فنَفَى عنهم الْخَوْفَ، وهو توقُّع مكروه في المستقبل، ونفى عنهم الحُزْنَ، وهو على ما فات .

كما ارتبط الْخَوْفُ في القرآن الكريم بالطَّمَعِ، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الأعراف: ٥٦ .

وكلاهما (الخوف والطمع) متعلّق بالمستقبل، فأمر الله عباده بالحدّز من عقابه، ورجاء رحمته وثوابه .

● الرُّعْبُ:

وردت كلمة (الرُّعْبُ) في القرآن الكريم خمس مرات، في الآيات التالية:

- ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ آل عمران: ١٥١ .

- ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال: ١٢ .

- ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَكَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ الكهف: ١٨ .

- ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ الأحزاب: ٢٦ .

- ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ اللَّهَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ﴾ الحشر: ٢ .

الملاحظ أن كلمة (الرُّغْب) استعملت أربع مرات في سياق وصف الحرب وما أصاب المشركين فيها من خوف شديد ملأ قلوبهم^(١) .

وهذه معجزة للنبي ﷺ ذكرها في قوله: "نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مسيرة شهر"^(٢) .

أما الموضع الخامس من مواضع (الرُّغْب) في القرآن الكريم، فقد ورد أيضًا في سياق معجزة أهل الكهف . وسبب الرُّغْب: ما ألبسهم الله ﷻ من الهيبة، وما بدا عليهم من طول الأظفار والشعور، ووحشة مكانهم^(٣) .

● استعمل الرعب في الخوف الشديد الذي يملأ القلوب، وجميع سياقاته في القرآن تقضى بكونه معجزة، فناسب المعجزة خوف شديد خارق للمعتاد من الخوف .

● الرَّهْبَةُ:

وردت مادة (ر ه ب) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، بصيغ مختلفة، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُكُمْ﴾ البقرة: ٤٠ .

- ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَهَوَوْهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾

الأعراف .

(١) الكشف ١/٤٧٠، ٢/١٤٨، الفخر الرازي ٩/٣٢، التفسير الوسيط ٣/٣٨٧ .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التيمم، رقم ٣٢٣، كتاب الصلاة، رقم ٤١٩ .

(٣) الكشف ٢/٤٧٦ .

- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الأنبياء: ٩٠ .
 - ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ القصص: ٣٢ .

● الرَّهْبَةُ: خوف يصحبه اضطراب شديد تخفق له الرّهابة، وهى عظام الصدر^(١)، وقيل: إنها مشتقة من الرَّهْبِ، وهو الجمل الذى أنهكه وأهزله طول السفر^(٢)؛ وعلى ذلك فالرّهبة: خوف شديد يصحبه اضطراب وضعف .

● الرَّوْع:

ورد لفظ (الرَّوْع) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِرْهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود .
 الرَّوْع: الخوف الذى يبلغ الرُّوع، أى القلب^(٣) . ولم يُسْتَعْمَلْ فى القرآن بمعنى الجَمَال أو غيره مما يُرَاعُ له .

واستعمال كلمة (الرَّوْع) هنا للتعبير عن الخوف الذى شعر به إبراهيم فى قلبه، وكان هذا الخوف مصحوبًا بإنكار وثوْجُس وقلق .

- وعلى هذا يكون الرَّوْعُ فى الاستعمال القرآنى خوفًا مصحوبًا بإنكار وقلق .
- الْفَرَق:

ورد لفظ (الْفَرَق) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ التوبة .

(١) عمدة الحفاظ (ر ه ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان، مفردات الأصفهاني (ر ه ب) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ر و ع) .

عُبِّرَ بِالْفَرْقِ عَنِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَتَفَرَّقُ الْقَلْبُ مِنْهُ كَأَنَّهُ يَتَصَدَّعُ وَيَنْشَقُّ^(١).

وقد أوضحت الآية التالية مبلغ خوفهم الشديد، بأنهم لو وجدوا مكاناً يلجأون إليه أو يغيبون فيه لأسرعوا إليه إسراعاً لا يرددهم شيء، فراراً من القتل:

﴿لَوْ يَحْدُوثُ مَلْجَأٌ أَوْ مَغْرَبٌ أَوْ مَدْخَلٌ لَّوَلُّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ التوبة: ٥٧.

● فالْفَرْقُ إِذَنْ: أَشَدُّ الْخَوْفِ، وَفِيهِ جُبْنٌ وَاضْطِرَابٌ شَدِيدٌ.

● الْفَرْعُ:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم ست مرات، منها قول الله ﷻ:

- ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَنَلَقْنَهُمُ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ الأنبياء: ١٠٣.

- ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِّعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ النمل: ٨٧.

- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرِّعَ مِنْهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ ص: ٢٢.

والملاحظ أن خمسة من المواضع التي استعمل فيها (الْفَرْعُ) في القرآن الكريم هي في سياق وصف أهوال القيامة، وهي أهوال تفوق ما نعرفه من أهوال الدنيا، ولا شك أن الْخَوْفَ الذي يعترى النفوس يومئذٍ أشدُّ وأمكن في القلوب من كل خَوْفٍ في الدنيا.

والموضع السادس للْفَرْعِ في القرآن الكريم هو الوارد في آية ص المذكورة، حيث رأى داود ﷺ ما لم يكن يتوقعه، والْفَرْعُ: انفعال يظهر منه اضطرابٌ على صاحبه؛ لتوقع شدة أو مفاجأة^(٢).

(١) السابق (ف ر ق).

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/٢٣٢.

وهذه السياقات القرآنية للَفَزَعٍ قرينة على أنه يُستعمل فى أشدّ مواطن الخَوْفِ، وما فارق المألوف والمعتاد من الأحداث والانفعالات المضطربة المصاحبة لها .

● فالَفَزَعُ إذن: أشدُّ الخوف، وفيه مفاجأة، ويصحبه اضطراب ظاهر، فى المواقف غير المعتادة .

● الِوَجَلُ :

وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم خمس مرات، منها قول الله ﷻ :

- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الأنفال: ٢ .

- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَٰلِمٍ ﴿٥٧﴾﴾ الحجر .

لم يفرّق المفسّرون بين الِوَجَلِ والَفَزَعِ، ومن ذلك عبارة الزمخشريّ فى تفسير آية الأنفال :

"وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ: فِرَعت . وعن أمّ الدرداء: الِوَجَلُ فى القلب كاحتراق السَّعْفَةِ، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى . قالت: فاذُعُ الله فَإِنَّ الدعاء يذهب . يعنى: فِرَعت لِذِكْرِهِ استعظامًا له وتهيبًا من جلاله وعزّة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه" (١) .

ومثل ذلك عبارة أبى حيان (٢) . وأورد كلاهما قراءتين للآية: (فِرَعت) وهى قراءة أُبَيٍّ، و(فرقت) وهى قراءة عبد الله ابن مسعود . وهاتان قراءتان شاذتان تُحْمَلَانِ على التفسير .

لكن المتأمل للآية يجد أن كلمة (وَجِلَتْ) استعملت هنا لتعبّر عن خوف

(١) الكشف ١٤٢/٢ .

(٢) البحر المحيط ٤٥٧/٤ .

وتعظيم يُدَاخِلُ القلبَ، ولا يظهر ذلك على البدن، فليس فيه اضطراب كالذى يصاحب الفَزَعُ، بل الوَجَلُ أقرب إلى السكون .

● وعلى هذا يكون الوجَلُ: خوفاً، يصاحبه تعظيم وإجلال، ولا تظهر آثاره على البدن .

● ونخلص مما سبق إلى وجود تقارب دلالتى بين ألفاظ: (الخَشْيَةُ - الخَوْفُ - الرُّغْبُ - الرَّهْبَةُ - الرُّوْعُ - الفَرْقُ - الفَزَعُ - الوَجَلُ)؛ حيث تشترك هذه الألفاظ فى معنى: توقُّعُ المكروه، وانقباض النفس لذلك .

● وتشترك أربعة من هذه الألفاظ فى ملمح الشدة، وهى (الرُّغْبُ - الرَّهْبَةُ - الفَرْقُ - الفَزَعُ) .

● وتشترك ثلاثة منها فى ملمح الاضطراب، وهى: (الرَّهْبَةُ - الفَرْقُ - الفَزَعُ) .

وتتميّز بعض هذه الألفاظ بملامح دلالية فارقة على النحو التالى:

● الخَشْيَةُ: تمتاز بملمح العلم بموجبات الخَوْفِ، وفيها انقياد وامتنال .

● الرُّغْبُ: يمتاز بملمح الهيبة الناشئة عن أمر خارق للمألوف .

● الرَّهْبَةُ: تمتاز بملمح الاضطراب والضعف معاً .

● الرُّوْعُ: يصحبه إنكار وقلق .

● الفَرْقُ: فيه جبن واضطراب معاً .

● الوَجَلُ: فيه سكون ظاهرى .

□ ٨/٧ أَخْطَأَ - زَلَّ:

● الخَطَأُ فى اللغة: ضد الصواب، وغالبًا ما يكون عن غير قصد، كمن أراد

فَعَلَ شَيْءٌ ففَعَلَ غَيْرَهُ . وقيل: أَخْطَأَ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدَ، وَخَطِئَ إِذَا تَعَمَّدَ^(١) .

وقيل: الْخَطَأُ: تَعَدَّى الشَّيْءُ وَالذَّهَابُ عَنْهُ، وَهُوَ مَجَاوِزَةٌ حَدِّ الصَّوَابِ، وَخَطِئَ إِذَا أَذْنَبَ؛ لِأَنَّهُ يَتْرَكَ وَجْهَ الْخَيْرِ^(٢) .

• وَالزَّلُّ فِي اللُّغَةِ: الْانْزِلَاقُ وَالاضْطِرَابُ وَعَدَمُ الثَّبَاتِ، يُقَالُ: زَلَّتْ قَدُمُهُ، أَيْ زَلَقَتْ وَلَمْ تَثْبُتَ^(٣) .

وقد تكرر ذكر اللفظين في القرآن الكريم، فمن الشواهد على (الخطأ) الآيات التالية:

- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ البقرة: ٢٨٦ .

- ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدُكُمْ حَشِيَةً إِمَّا لَقِيَ عَنْ نَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كَرِهْنَا لَأَن نَّقْتُلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾
الأنعام: ١٤١ .

- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الأحزاب: ٥ .
من الملاحظ في الاستعمال القرآني للخطأ أنه جاء في سياق العفو والمغفرة، إلا آية الإسراء؛ حيث عُذِّ قتل الأولاد (خِطْئًا كَبِيرًا) .

وقد فرَّق العلماء بين (الخطأ) و(الخطء)، فالخطأ: ضد العمد، وفعله: أَخْطَأَ . والخطء مصدر خطِئَ، أى أصاب إثماً، ولا يكون الإثم إلا عن عمد . وهذه التفرقة (بين الخطأ والخطء) هى سرُّ العربية، وعليها المحققون من أئمتها^(٤) .

وإذن فالبنية الصرفية هى التى غيرت دلالة الخطء، أما الخطأ فهو: مُجَانِبَةٌ

(١) اللسان (خ ط أ) .

(٢) مقاييس اللغة (خ ط أ) .

(٣) اللسان (ز ل ل) .

(٤) التحرير والتنوير ١٥/٨٨-٨٩ .

الصواب عن غير عمد .

ويؤكد هذا المعنى التقابل المذكور في آية الأحزاب بين : ﴿أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ ، ﴿تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ .

وأما الزلل فقد ورد في القرآن الكريم أربع مرّات، في الآيات التالية:

- ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: ٣٦) .

- ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ١٢٨) .

○ قوله ﷻ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أى: أخرجهما من الجنة بوسوسته لهما بالمعصية^(١)، فالإزلال هنا: الدفع إلى الزلل (أى المعصية) .

○ وقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ فى تفسير الزلل هنا أربعة أقوال :

١- عصيتم . ٢- كفرتم .

٣- أخطأتم . ٤- ضللتهم .

ورجح أبو حيان أنه بمعنى (كفرتم)، وهو المنقول عن ابن عباس^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى للفظين (خَطَأَ - زَلَّ) يفيد أنهما متقاربان دلاليًا؛ حيث يشتركان فى معنى: الوقوع فى الإثم عن غير عمد .

● إلا أنهما يختلفان فى ملمح دلالتى واحد، فالزَّلَّ دائماً يكون بفعلٍ فاعلٍ خارجى، ولعلَّ الأصل اللغوى للمادة، وهو (الانزلاق) يشير إلى معنى الاستدراج والغواية فى الزَّلَّ . أما الخطأ فيكون من قِبَلِ النفس لا بمؤثر خارجى .

(١) الكشف ٢٧٣/١، البحر المحيط ١٦٠/١ .

(٢) البحر المحيط ١٢٣/٢ .

□ ٩/٧ خَلَف - وَرَاء :

• أصل مادة (خ ل ف) فى اللغة: ضد التقدُّم والسَّبْق، فعُبِّرَ به عن التأخير فى المكان وغيره^(١).

• وأصل مادة (و ر ي) فى اللغة: الستر والحجاب^(٢)، ومعنى وراء كذا: ما سَتَرَهُ الشَّيْءُ وَحَجَبَهُ .

وقد تكرَّر ذكر كلمة (خَلَف) فى القرآن الكريم عشرين مرة، ومن ذلك الآيتان التاليتان:

- ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ البقرة: ٦٦ .

- ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ النساء: ٩ .

وأكثر المواضع التى وردت فيها كلمة (خَلَف) فى القرآن الكريم، اقترنت فيها بـ (ما بين يديها): أى ما قبلها أو ما بحضرتها، والمراد بـ (ما خلفها): ما بعدها^(٣). فهى البُعْدِيَّةُ الزمانية .

أما كلمة (وَرَاء) فقد تكررت فى القرآن الكريم أربعًا وعشرين مرة، واستُعملت بمعانٍ عديدة، منها:

○ بمعنى البُعْدِيَّةِ الزمانية، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ مريم .

(١) مفردات الأصفهاني، مقياس اللغة (خ ل ف) .

(٢) مفردات الأصفهاني، اللسان (و ر ي) .

(٣) الكشف ٢٨٦/١، البحر المحيط ٢٤٦/١-٢٤٧ .

○ للدلالة على التأخر في المكان، كما في قوله ﷺ:

- ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الأحزاب: ٥٣ .

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٤١ الحجرات .

○ وتُستعمل بمعنى أمام، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ الكهف: ٧٩ .

قال أبو حيان: (وراءهم) لفظ يُطلق على الخلف وعلى الأمام، ومعناها هنا: أمامهم، ولا خلاف عند أهل اللغة أن (وراء) يجوز بمعنى قُدام^(٢) .

○ كما تُستعمل بمعنى الكثرة والزيادة، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ٧٧ المؤمنون، المعارج: ٣١ .

أى: أكثر من ذلك، أو: غير ذلك .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"أصل الـوَرَاءِ: اسم المكان الذى فى جهة الظهر، ويُطلق على الشئ الخارج عن الحدِّ المحدود، تشبيهاً للمتجاوز الشئ بشئ موضوع خَلْفَ ظهر ذلك الشئ... ثم تُوسَّع فيه فصار بمعنى (غير)، أى: فمن ابتغوا بفروجهم شيئاً غير الأزواج وما ملكت أيمانهم"^(٣) .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (خلف - وراء) متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى البُعْدِيَّةِ .

(١) الكشف ٥٠٢/٢ .

(٢) البحر المحيط ١٥٤/٦ .

(٣) التحرير والتنوير ١٥/١٨ .

- والفارق بين اللفظين أن (خَلْف): ضد أمام، ولفظ (وَرَاء) يتميز باتساع دلالاته؛ حيث يُستعمل بمعنى البُعْدِيَّة الزمانية، والبُعْدِيَّة المكانية، وبمعنى الكثرة والزيادة، كما يُستعمل بمعنى (أمام) . وكل هذه الدلالات تعود إلى معنى الاستتار والحجاب، وهو الأصل الدلالي للكلمة .

حرف الدال (٨)

(١)	دَلَّ، أَرْشَدَ، هَدَى	(٢)	دَمَدَمَ - دَمَّرَ - نَحَقَ - نَحَا - هَلَكَ
-----	------------------------	-----	---

□ ١/٨ دَلَّ - أَرْشَدَ - هَدَى :

- الدلالة فى اللغة: البيان والتعريف^(١) .
 - والإرشاد أيضًا: بيان الطريق، والتعريف بالقصد والصواب^(٢) .
 - والهُدَى: ضد الضلال، وهو التعريف والبيان أيضًا^(٣) .
- فالاستعمال اللغوى لم يفرّق بين هذه الألفاظ الثلاثة .. ولكن الاستعمال القرآنى فرّق بينها .
- فالدلالة ومشتقاتها وردت فى خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها الآيات التالية:

- ﴿إِذْ تَسْتَشِىءُ أَخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ﴾ طه: ٤٠ .
- ﴿قَالَ يَتَكَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ طه: ١٢٠ .
- ﴿فَلَمَّا فَضَّيْنَا عَلَى الْمَوْتِ مَا دَلَّمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةً الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَائِغِهِمْ﴾ سبأ: ١٤ .

ولا تفيدها التفاسير المختلفة بشيء فى معنى الدلالة بأكثر من المعنى

(١) مقاييس اللغة، اللسان (د ل ل) .
(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ر ش د) .
(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ه د ي) .

اللغوى، إلا أن الناظر فى سياق الآيات التى ورد فيها لفظ الدلالة ومشتقاته يجد أن أكثرها فى غير معنى الهداية إلى الله ﷻ، بل الدلالة على شىء دنيوى، عدا قول الله ﷻ:

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ تَحَرُّرٍ تُنجيكم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ الصف .

ولعل فى هذا قرينة على أن الاستعمال القرآنى للفظ الدلالة يقصره على معنى البيان والتعريف، وبعبارة الراغب الأصفهاني^(١): الدلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشىء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارة والرموز والكتابة والعقود فى الحساب، وسواء كان ذلك بقصدٍ ممّن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حى، قال ﷻ: ﴿مَا دَفَعْنَا عَلَىٰ مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةً ٱلْأَرْضِ﴾ سبا: ١٤ .

ولم يفرّق الراغب بين الهداية والإرشاد، فقال:

"الرّشدُ والرّشدُ: خلاف الغيِّ، ويُسْتَعْمَلُ استعمالَ الهداية"^(٢) .

لكن المتأمل فى استعمال القرآن الكريم لمادة (ر ش د) يجد أنها لا تقتصر على معنى البيان والتعريف والبعد عن الضلال فحسب، بل تتضمن - إلى جانب ذلك - ملمحاً دلالياً آخر هو الإشارة إلى إصابة الحقّ والنفع والصالح، كما بيّن العلامة الطاهر بن عاشور فى تفسيره^(٣) لقول الله ﷻ:

- ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءِاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٦﴾﴾ الكهف .

وفى قول الله ﷻ:

(١) مفردات الأصفهاني (د ل ل) .

(٢) السابق (ر ش د) .

(٣) التحرير والتنوير ٢٦٧/١١ .

- ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحِدَ لَهُ وَلِئَا مُرْشِدًا﴾ الكهف: ١٨ .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "المُرشد: الذى يبين للحيوان وجه الرشد، وهو إصابة المطلوب من الخير" (١) .

وعلى هذا يكون الإرشاد أخص من الدلالة، فالدلالة عامة فى معنى البيان والتعريف، سواء فى الخير أو فى الشر، ويقصد أو بغير قصد .

أما الإرشاد فهو بيان وجه الحق والخير، ولا يكون الإرشاد فى الشر، كما أنه لابد أن يكون مقصوداً .

والهَدَى والهداية ومشتقاتهما فى القرآن الكريم - كما ذكر الراغب الأصفهاني - تُطلق على: الدلالة والبيان بلُطفٍ . والهداية من الله على أربعة أوجه:

■ الأول: الهداية التى عمَّ بجنسها كل مكلف، من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، كما فى قوله ﷺ:

- ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه .

■ الثانى: الهداية على ألسنة الأنبياء وبالكتب السماوية، وهو المقصود بقول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ الانبياء: ٧٣ .

■ الثالث: التوفيق الذى يختص به من اهتدى، وهو المعنى بقول الله ﷻ: - ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ محمد .

وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ التغابن: ١١ .

■ الرابع: الهداية فى الآخرة إلى الجنة، وهو المعنى بقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَحْمُدُ اللَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ الاعراف: ٤٣ .

والإنسان لا يقدر أن يهدى أحدًا إلا بالدُّعاء وتعريف الطرق (أى الوجه الثانى)، دون سائر أنواع الهدايات^(١).

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظ (الهُدَى) ومشتقاته فى القرآن الكريم يتميز بملامح دلالية ليست للدلالة والإرشاد، وهذه الملامح الفارقة هى:

● اللطف^(٢).

● قد يكون بالبيان والتعريف كالدلالة والإرشاد، ولكن تختص الهداية بالتوفيق والإلهام.

● تُستعمل الهداية فى معنى الثواب وحسن الخاتمة.

● بينما الدلالة عامّة فى معنى البيان والتعريف، بقصد أو بغير قصد، إلى الخير أو إلى الشر.

● والإرشاد أخص من الدلالة؛ لأنه مقصور على بيان الخير والحق والنفع، دون الشر.

□ ٢/٨ دَمَدَمَ - دَمَرَّ - مَحَقَّ - مَحَا - أَهْلَكَ:

● الدَّمَدَمَةُ فى اللغة: الغشيان والتغطية، يقال: دَمَّ الثوبَ إذا طلاه بصبغ، ودَمَدَمَ الشيء: ألصقه بالأرض وطحنه، ومن هذا المعنى الدَّمَدَمَةُ، وهى

(١) مفردات الأصفهاني (ه د ي).

(٢) أوضح الراغب أن قول الله ﷻ: ﴿فَأَمْلَأُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الصافات ٢٣، وقوله ﷻ: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ النَّعِيمِ﴾ الحج: ٤، استعمل فيه لفظ الهداية على سبيل التهكم مبالغة فى المعنى، كقوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِكَذَابِ آلِ إِمْرَأَةٍ﴾ آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤؛ وعلى ذلك لا تكون هذه الآيات شواهد على استبعاد ملمح اللطف من الكلمة.

إطباق العذاب والهلاك، كأنه يغشاهم ويطبق عليهم^(١).

• والتدمير فى اللغة: الدَّفْن، يقال: دَمَّرَ السَّيْلُ المَكَانَ، أى دَفَنه وأذهب أثره، والتدمير: الاستئصال والإهلاك^(٢).

• والمَحَق فى اللغة: النقصان، يقال: مَحَقَ الشَّيْءُ: أى نقص وذهبت بركته. ونَضَلَ مَحِيقٌ: أى مُحَدَّد مُرَقَّق. ومُحَاق الهلال: ذهاب نوره. ومَحَقُ المال: هلاكه. ومَحَقَهُ اللَّهُ: أبطله حتى لا يبقى منه شيء^(٣).

• والمَحْو فى اللغة: الذهاب بالشيء، يقال: مَحَا الشَّيْءَ يَمْحُوهُ مَحْوًا وَمَحْيًا: أذهب أثره^(٤).

• والهلاك فى اللغة: السقوط، ومنه الهَلَكُ، وهو المَهْوَى بين الجبلين، ومن هذا المعنى أُخِذَ الهلاك بمعنى الموت، وبمعنى الذهاب^(٥).

وفيما يلى عرض لهذه الألفاظ وسياقاتها فى القرآن الكريم:

• دَمَدَمَ:

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ الشمس: ١٤.

أى: أطبق عليهم العذاب، وأصل (دَمَدَمَ): دَمَمَ، يقال: دَمَمَ عليه القَبْرُ، أى أطبقه، وتكرار الدال والميم للمبالغة كما فى (كَبَّكَ)^(٦).

(١) مقاييس اللغة، اللسان (د م م).

(٢) اللسان (د م ر).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (م ح ق).

(٤) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (م ح و).

(٥) مقاييس اللغة، اللسان (ه ل ك).

(٦) الكشف ٤/ ٢٦٠، البحر المحيط ٨/ ٤٨٢، التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٧٥، القرطبي

فَالْدَّمْدَمَةُ إِذْنٌ: عَذَابٌ مُضَاعَفٌ، فِيهِ إِطْبَاقٌ وَمِبَالِغَةٌ فِي الشَّدَةِ وَالتَّضْيِيقِ،
وَفِيهِ مَلَمَحٌ التَّكْرَارِ .

● دَمَّرَ:

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم عشر مرات، منها:

- ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِّنْهُمْ فَهُوَ أَمَرٌ مُّتْرَفٍ فِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَاهَا نَدْمًا
بَاسًا﴾ (١١) الإسراء .

- ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَمْرِيَّةَ﴾ (٧١) الشعراء .

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَالْكَافِرِينَ أَهْلُهَا﴾ (١٢) محمد .

التدمير: إزالة أثر البناء وتخريبه تخريباً شديداً، واستعمل في القرآن
الكريم لبيان شدة الهلاك الذي أصاب المكذِّبين من الأمم البائدة^(١) . وفي
سورة (محمد) جرى بحرف الاستعلاء (على) مقترناً بالفعل (دَمَّرَ) لتضمين
التدمير معنى الهجوم^(٢) .

وعلى هذا يكون التدمير إهلاكاً شديداً مُسْتَأْصِلاً لا يبقى بعده شيء، وفيه
معنى الهجوم، أى المفاجأة والمباغطة .

● مَحَقَّ:

ورد اللفظ في القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿يَمَحَقُّ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة: ٢٧٦ .

- ﴿وَلِيَمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَّ الْكُفْرَ﴾ آل عمران: ١٤١ .

(١) التحرير والتنوير ١٥/٥٥، ٢٦/٨٩ .

(٢) التفسير الوسيط ٢٦/٧٤ .

مَحَقُّ اللّٰهِ الرَّبَّاءُ: إذهاب بركة المال الذى يدخل منه^(١) .

وَمَحَقُّ الكافرين: نقص عددهم وإهلاكهم^(٢) .

والملاحظ فى الموضوعين اللذين ورد فيهما (المَحَقُّ) فى القرآن الكريم أن المَحَقُّ بمعنى النقص فيهما جميعاً، فَمَحَقُّ المال المختلط بالرَّبَّاءِ: نقصه عن طريق إذهاب بركته، وَمَحَقُّ الكافرين بنقص عددهم، عن طريق القتل فى الحرب، وهو ما ذكرته الآيات السابقة . فَعَبَّرَ عن شهداء المسلمين بلفظ التمحيص، وعن قتلى الكافرين بلفظ المَحَقُّ .

إذن فالمَحَقُّ فى القرآن هو نوع خاص من الهلاك، وهو النقص .

● محا :

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿يَمْحُوا اللّٰهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ الرعد .

- ﴿فَحَوَّنَا ءَايَةَ الْإِلِّ وَحَمَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴿١٢﴾﴾ الإسراء: ١٢ .

- ﴿وَسَمِعُ اللّٰهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْمَوْتُ بِكَلِمَتِهِ ﴿٢٤﴾﴾ الشورى: ٢٤ .

جاء المَحْوُ فى آية الرعد نقيضاً للإثبات، فالإثبات تعبير عن الدوام والبقاء، والمَحْوُ تعبير عن الزوال^(٣) .

وجاء المَحْوُ فى آية الإسراء نقيضاً للإبصار، فالإبصار تعبير عن النور الذى تُسْتَبَانُ به الأشياء، والمَحْوُ تعبير عن طمس الضوء وإطباق الظلمة فلا يُسْتَبَانُ شَيْءٌ كما لا يُسْتَبَانُ شَيْءٌ من اللوح المَمْحُورُ^(٤) .

(١) الكشف ٤٠١/١ .

(٢) الكشف ٤٦٦/١، التحرير والتنوير ٩١/٣، ١٠٤/٤، ١٠٥ .

(٣) الكشف ٣٦٣/٢، البحر المحيط ٣٩٨/٥ .

(٤) الكشف ٤٤٠/٢، البحر المحيط ١٥، ١٤/٦ .

وجاء المَحْوُ فى آية الشورى نقيضًا للإحقاق، فَمَحْوُ الباطل تعبير عن الإزالة، وإحقاق الحق تعبير عن التحقيق^(١).

● فمعنى المحو إذن: الإزالة .

● أَهْلَكَ :

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم ثمانية وستين مرة، وهو على ثلاثة أوجه :

- افتقاد الشيء عندك وهو عند غيرك موجود، كقوله ﷺ: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٢٦) الحاقة .

- وهلاك الشيء باستحالة وفساد، كقوله ﷺ: ﴿وَبُهِلَكَ الْحَرْتُ وَالنَّسْلُ﴾ البقرة: ٢٠٥ .

- والثالث: الموت، كقوله ﷺ: ﴿إِنْ أَمُرُّهُا هَلَكَ﴾ النساء: ١٧٦ .

ثم ذكر الراغب وجهين آخرين لم يضمّنهما فى مطلع كلامه على الهلاك، وهما:

- بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسًا، وذلك المُسمّى فناء، المشار إليه بقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨ .

- ويُقال للعذاب والخوف والفقر: الهلاك؛ وعلى هذا قوله ﷻ: ﴿وَأَنْ يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ فِتْنَتِهِمْ أُولَئِكَ هَلَكُوا وَكَانُوا ضَالِّينَ﴾ الأنعام: ٢٦ .

وقوله ﷻ: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الأحقاف: ٣٥ . هو الهلاك الأكبر الذى دلّ عليه النبى ﷺ بقوله: " لا شَرَّ كَثْرَ بَعْدَهُ النار" (٢) .

(١) التحرير والتنوير ٢٥ / ٨٧ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ه ل ك) .

وعلى هذا فإن للهلاك فى الاستعمال القرآنى عدة معانٍ:

- عدم وجود الشيء مطلقاً .

- العدم النسبى، أى عدم الشيء عندك ووجوده عند غيرك .

- الصيرورة إلى الفساد والبطلان .

- العذاب بأنواعه .

وبذلك يكون الهلاك أوسع هذه الألفاظ وأكثرها دلالات .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ: (دَمَدَمَ - دَمَّرَ - مَحَقَّ - مَحَا - أَهْلَكَ)

متقاربة المعانى، وتشترك جميعاً فى ملمح الذهاب .

● وتختص الدَّمَدَمَةُ بملامح: الإطباق، والمبالغة، والضييق .

● ويختص التدمير بملمح الهجوم، وفيه مباغته ومفاجأة، وأيضاً بملمح الإبادة الكاملة .

● ويختص المَحَقُّ بمعنى النقص وإذهاب البركة، فهو نوع خاص من الذهاب والزوال .

● ويختص المَخُو بمعنى الإزالة والاستئصال التام .

● ويختص الهلاك بتعدد معانيه واتساعها؛ حيث يشمل:

- العدم المطلق . - والعدم النسبى (أى الافتقاد) .

- والموت . - والصيرورة إلى الفساد والبطلان .

- والعذاب بألوانه (الفقر، الخوف، الجوع ... إلخ) .

حرف الذال (٩)

(١) الذَّل، الصَّغار

□ ١/٩ الذَّل - الصَّغار - الْمَسْكَنَةُ :

- الذَّلُّ فى اللغة: الخضوع واللين والانقياد^(١) .
 - والصَّغار فى اللغة: القِلَّة والحقارة والهوان، والرُّضا بالمنزلة الدَّنيَّة^(٢) .
- وقد وردت كلمة (الذَّل) بصيغ متعددة فى كثير من المواضع فى القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا يَفْضَبُونَ مِنْ اللَّهِ﴾ البقرة: ٦١ .

- ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤ .

الذَّلُّ والذِّلَّة فى هذه الآيات ونحوها: ما كان عن قَهْرٍ، أو بعد تَصَعُّبٍ .
فقوله ﷻ: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ، أى: كُنْ كالمقهور لهما فى اللين والانقياد والطاعة^(٣) .

وقد فُسِّرَت ﴿الذِّلَّةُ﴾ فى آية البقرة بالجزية المفروضة عليهم^(٤) .

ونخلص مما سبق أن الذَّلَّ: خضوع وانقياد مفروض بقوة خارجية .

أما الصَّغار فقد ورد فى القرآن الكريم ست مرات، منها:

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ذ ل ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ص غ ر) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ذ ل ل) .

(٤) القرطبي ٤٢٢/١، البحر المحيط ٢٣٦/١ .

- ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾
الأنعام : ١٢٤ .

- ﴿قَالَ فَأَهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٢﴾﴾
الأعراف .

الصَّغار: مشتقٌّ من الصَّغَر، ويُراد به: الضَّالة والحقارة بعد عِزَّةٍ وشَرَفٍ^(١). وفي الصَّغار معنى الرُّضا بالمنزلة الدنيَّة^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (الذُّلُّ - الصَّغار) بينهما تقارب دلاليٌّ؛ حيث يشتركان في معنى الخضوع والهوان .

● ويتميَّز الصَّغار بملح دلاليٍّ فارقيٍّ يُخصِّصه، وهو: الرضا بهذه المنزلة الدنيَّة، أو الهبوط إلى تلك المنزلة بعد عِزَّةٍ وشَرَفٍ .

● وفي الذُّلُّ ملح يميِّزه هو أنه مفروض بقوة خارجية، أما الصَّغار فقد لا يكون مفروضًا من الخارج؛ إذ هو رضا من المرء بالهوان والخضوع .

(١) التحرير والتنوير ٩/ ٤٥ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ص غ ر) .

حرف الراء (١٠)

(١)	الرِّبَاء، النِّفَاق	(٢)	الرَّجَاء، التَّمَنَّى
(٣)	الرَّغْبَةُ، الطَّمَع	(٤)	رَهْط، قَوْم، نَفَر
(٥)	رَعُوف، رَحِيم	(٦)	رَيْب، شَك، مِرْيَة

□ ١/١٠ الرِّبَاء - النِّفَاق:

• الرِّبَاء في اللغة: أن يفعل المرء شيئاً كي يراه الناس، وهو على خلاف ما يؤهم الناس به^(١).

• والنِّفَاق في اللغة: أصله الإخفاء، مشتق من (النافقاء) وهو أحد طرفي جُحْر اليربوع، فإذا هُوِجَمَ من أحد الطرفين خرج من الآخر. ومنه اشتق النِّفَاق؛ لأن صاحبه يكتُم خلاف ما يُظهر^(٢).

وقد ورد لفظ (الرِّبَاء) في القرآن الكريم خمس مرات، منها:

- ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلَوْنَ صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقَةً
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البقرة: ٢٦٤.

- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بِطَرَا وَرِيقَةٍ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأنفال: ٤٧.

- ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ① الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ② الَّذِينَ هُمْ يُرَآهُمْ ③
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ④﴾ الماعون: ١-٤.

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ر أ ي).

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ن ف ق).

﴿رِقَاةُ النَّاسِ﴾ : أى طلبًا لشأنهم ومدحهم، فالمرائى لا ينفق ماله طلبًا لرضا الله وثواب الآخرة، بل ليقول الناس إنه سَخِيٌّ كريم^(١).

والمرائى يُصَلِّي مع الناس ليظهر لهم أنه من الصالحين فيُثَنُّوا عليه بذلك^(٢).

أما (النِّفَاق) فقد ورد فى كثير من آيات القرآن، ومن ذلك :

- ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَنْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٧﴾﴾ آل عمران .

- ﴿الْمُتَفَقِّهُونَ وَالْمُتَفَقِّهَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٧﴾﴾ التوبة .

النفاق لفظ إسلامي يُطلق على مَنْ يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر، وهذا المعنى استحدثه الإسلام فى العريية، وأصله فى لغة العرب: الخفاء والغموض كما تقدّم .

فى الشاهد الأول فُسِّرَ النفاق بأنهم : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ . أى: يُبدون أنهم مؤمنون، بينما يكتُمون الكفر .

وفُسِّرَ النِّفَاق فى الشاهد الثانى بُمُضَادَّةِ حال المؤمنين، وبأنهم : (فاسقون) أى مُنْسَلِخُونَ عن كل خير^(٣)، فكأنهم يدخلون فى الشرع من باب، ويخرجون عنه من باب آخر^(٤) .

وفى سورة (المنافقون) وصف مُفَصَّل لأحوال المنافقين وصفاتهم، ومنها

(١) البحر المحيط ٢/٣٠٨ .

(٢) الكشف ٤/٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) الكشف ٢/٢٠٠-٢٠١ .

(٤) مفردات الأصفهاني (ن ف ق) .

الكذب، والصَّدُّ عن سبيل الله، وإعجابهم بأنفسهم، والجُبْن، والكِبَر، وغير ذلك من الصفات .

● ونخلص ممّا سبق إلى أن التَّفَاق أَخْصُ من الرِّياء، فالرِّياء: أن يُظْهر المرء خلاف ما يُبْطِن، والتَّفَاق: إظهار الإيمان وكتمان الكفر .

□ ٢/١٠ الرِّجاء - التَّمَنَّى:

● الرجاء في اللغة: الأمل، يقال: رجوتُ الأمرَ أَرْجوه رجاءً، ويُعبّر به عن الخوف^(١) . وتفسير ذلك أن الرِّجاء والخوف يتلازمان^(٢) .

● والتَّمَنَّى في اللغة: مأخوذ من المَنّا، وهو القَدَر، ومنه المَنِيّة بمعنى الموت لأنه مُقَدَّرٌ على كل حيٍّ، والتَّمَنَّى: أَمَلٌ يُقَدَّرُه الإنسان في نفسه . ويُستعمل التَّمَنَّى بمعنى القراءة؛ لأن القارئ يُقَدِّر ما يقرؤه في نفسه، ويستعمل بمعنى الكذب؛ وذلك لأن قائله يتمناه فيخلق ما لا حقيقة له، أو يُقَدِّر الحديث في نفسه ثم يقوله^(٣) . ولَمّا كان أكثر التَّمَنَّى عن تخمين؛ صار الكذب أغلب عليه، فأكثر التَّمَنَّى تصوُّر ما لا حقيقة له^(٤) .

وقد تكرر ذكر الكلمتين في القرآن الكريم، ومن شواهد الرِّجاء قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢١٨ .

- ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ

(١) المحكم، تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (رج ١) .

(٢) مفردات الأصفهاني (رج ١) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (م ن ي) .

(٤) مفردات الأصفهاني (م ن ي) .

وَرَجُونَ مِّنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴿١٠٤﴾ النساء: ١٠٤ .

- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٠٣﴾﴾ نوح: ١٣ .

قوله ﷻ: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ، أى: يأملون ولا يقطعون بذلك^(١) .
والرجاء: ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله^(٢) .
ومثل ذلك الرجاء فى آية النساء^(٣) .

وفى (نوح: ١٣) فُسِّرَ الرجاء على المعنى المعروف ، وهو توقع الخير (الثواب) ، وفُسِّرَ بمعنى الخوف ، قال الفراء: إنما يُوضَعُ الرجاء موضع الخوف ؛ لأن مع الرجاء طَرَفًا من الخوف^(٤) .

وعلى ذلك فالرجاء: توقع وترقب حصول ما فيه مَسْرَّةٌ وخير ، مع غلبة ظنٌ بحصول ذلك .

ومن شواهد التمني فى القرآن الكريم قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مِئِينَئِهِمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ مَاذَا كُنَّ الْأَنْعَامُ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَمْنِرْكُنَّ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا ﴿١٢٠﴾﴾ النساء .

(١) البحر المحيط ١٥٢/٢ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٣٨/٢ .

(٣) الكشف ٥٦١/١ .

(٤) التحرير والتنوير ١٩٩/٢٩ ، ٢٠٠ ، وانظر: معانى القرآن للقرآء ٢٨٦/١ ، الكشف ١٦٣/٤ .

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْدِيَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٦) الحج .
ذكر الزمخشري ثلاثة معانٍ للتمنى، وأوردها أوجهًا محتملة في تفسير قول الله ﷻ:

- ﴿وَمِنْهُمْ أُتْبُونُ لَا يَعْلَمُونَ الْكَذِبَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) البقرة .
وهذه الأوجه هي:

- ١- ما هم عليه من أمانيتهم، وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وما تمنيتهم أبحارهم من أن النار لا تمسهم إلا أيامًا معدودة .
- ٢- أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد .
- ٣- قراءة، أى ما يقرأون ولا يفقهون، ومثله قول الشاعر:

* تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ *

أى: تلا . واشتقاق التمنى من (منى) إذا قَدَّر؛ لأنَّ التمنى يُقدَّر في نفسه ما يتمناه، وكذلك المُختَلَق، والقارئ يُقدَّر أن كلمة كذا بعد كذا^(١) .

والتمنى في قوله ﷻ: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ البقرة: ٩٤، الجمعة: ٦، ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ البقرة: ٩٥: حُبُّ الشَّيْءِ والاشتياق إليه وتشهَّى حصوله، فهذا عملٌ قلبى، وإظهار هذا باللسان، والمرادُ به هنا: قول اللسان^(٢) .

وقد ارتبط التمنى في القرآن الكريم بالكذب والاختلاق، وتأميل الآمال الباطلة التى لا دليل عليها، كما فى آيتى النساء (١١٩-١٢٠)؛ حيث ارتبط التمنى بعود الشيطان وإضلاله لمن اتبعه^(٣) .

(١) الكشف ٢٩١/١، ٢٩٢ .

(٢) الكشف ٢٩٧/١، ٢٩٨، البحر المحيط ٣١٢/١ .

(٣) الكشف ٥٦٤/١، ٥٦٥ .

وقد فُسِّر التَّمَنَّى فى آية الحج (٥٢) بالرغبة والأمل، كما فُسِّر بالقراءة^(١).
وتوجيهه كما سبق فى عبارة الزمخشري فى تفسير الأمانى .

● ونخلص مما سبق إلى أن الرَّجَاءَ والتَّمَنَّى لفظان متقاربان فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى: الأمل والترقب .

● ويتميز الرَّجَاءُ بملامح فارقة هى:

١- أنه يقوم على غلبة الظن لا على التوهم .

٢- وأنه يُستعمل بمعنى الخوف .

● بينما يتميز الرَّجَاءُ بملامح فارقة هى:

١- أنه يُستعمل بمعنى الكذب والاختلاق .

٢- وأنه يستعمل بمعنى القراءة .

٣- وأنه يُستعمل مرتبطًا بتأميل الآمال الباطلة التى لا دليل عليها .

وكل هذه المعانى ترجع إلى المعنى الأصلى، وهو التقدير والصورة الحاصلة فى النفس .

□ ٣/١٠ الرَّغْبَة - الطَّمَع :

● الرَّغْبَة فى اللغة: طَلَبُ الشَّيْءِ، وأصلها السَّعَة فى الشَّيْءِ، من قولهم: حَوْضٌ رَغِيبٌ، أى واسع . ومنه السَّعَة فى الطلب والإرادة، والرَّغْبَة: العطاء الكثير^(٢) .

● والطَّمَع فى اللغة: رجاءٌ قَوِيٌّ فى القلب للشَّيْءِ شَهْوَةً له وحرصًا عليه^(٣) .

(١) الكشف ١٩/٣ .

(٢) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (ر غ ب) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (ط م ع) .

ومن هذا التفسير اللغوي لا يبدو فارقاً بين اللفظين سوى ملمح السَّعة في الرَّغْبَةِ .

وقد تكرر ذكر الرَّغْبَةِ والطَّمَعِ في القرآن الكريم، فمن شواهد الرَّغْبَةِ قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ البقرة: ١٣٠ .

- ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُولَدْنَ لَهُنَّ وَرَغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَيْنَ مِنْ أَوْلَدَيْنِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ النساء: ١٧ .

- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾ الشرح .

الرَّغْبَةُ تكون إرادةً، وتكون كراهةً، ويتميَّز المعنيان بحرف الجرّ، فيُقال في الكراهة: رَغِبْتُ عنه، وفي الإرادة: رَغِبْتُ فيه، فإذا قيل: رَغِبَ فيه وإليه، اقتضى معنى الحرص، وإذا قيل: رَغِبَ عنه، اقتضى معنى صرف الرغبة عنه^(١) .

كما تكرر ذكر الطمع في عدة مواضع من كتاب الله ﷻ، منها:

- ﴿أَفَنظْمُعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الاعراف: ٥٦ .

- ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ الشعراء .

إذا كان الطَّمَعُ في اللغة: نزوع النفس إلى الشيء شهوةً له، وأن أكثره من جهة الهوى، كما ذكر الراغب وغيره^(٢)، فإنه قد ورد في القرآن على ألسنة

(١) عمدة الحفاظ (ر غ ب) .

(٢) انظر: الطمع في اللغة وهامشه .

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، كما في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام:

- ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٧٢) الشعراء .

والمراد بالطَّمَع هنا: رجاء المغفرة، وأُطلق عليه لفظ الطمع تواضعاً لله تعالى، ومباعدة لنفسه عن هاجس استحقاقه المغفرة^(١)، فكأنه يرجو ما لا يستحقه، بل ما تهواه نفسه .

● ونخلص مما سبق إلى أن الرَّغْبَة والطَّمَع لفظان متقاربان في الدلالة؛ حيث يشتركان في معنى: طلب الشيء .

● وتتميز الرَّغْبَة بالسَّعة؛ ولذا اخْتُصَّت بتركيبها مع أحرف الجر الثلاثة:

- رَغِبَ فِي / إلى: بمعنى طلب الشيء بحرص والسعى إليه .

- رَغِبَ عَنْ: بمعنى الانصراف والتباعد عنه .

● بينما تميز الطَّمَع بملح دلاليّ فارقٍ هو: شهوة النفس، وكونه من جهة الهَوَى، وما ورد في غير ذلك فتأويله أن الدَّاعِيَ يتضرَّع ويتواضع معلناً عدم استحقاقه، بل مجرد حرصه .

□ ١٠/٤ رَهْط - قَوْم - نَفَر:

● الرَّهْط في اللغة: الجماعة من الرجال ما بين ثلاثة إلى عشرة، وقيل: من سبعة إلى عشرة، وقيل: من ثلاثة إلى سبعة . ورهط الرَّجُل: أقرب أقاربه^(٢) .

● والقَوْم في اللغة: الجماعة من الرجال، قال زهير:

(١) التحرير والتنوير ١٩/١٤٣ .

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (رهط) .

وما أذرى وسوف إخال أذرى أقوم آل حِضْنِ أم نساء!

وقَوْمُ الرَّجُلِ: شيعته وعشيرته، وأصل القوم: مصدر (قام)، ثم غلب على الرجال دون النساء، وسُمُّوا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يَقُمْنَ بها، ويدخل النساء فيه على سبيل التَّبَعِ^(١).

والتَّفَرُّ في اللغة: مثل الرَّهْط، ما دون العشرة من الرجال دون النساء^(٢)؛ لأن الرجال هم من يمكنهم التَّفَرُّ في الحرب^(٣).

وهكذا لا نكاد نجد فارقاً يُذكر بين الكلمات الثلاثة في الاستعمال اللغوي فلتتأمل مواضع ورود هذه الكلمات في القرآن الكريم.

ووردت كلمة (رَهْط) في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات:

- ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١١﴾ قَالَ يَبْقَومُ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢﴾﴾ هود.

- ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ النمل: ٤٨.

قال المفسرون: الرَّهْط إذا أضيف إلى رجل، أريد به: القراية الأذنون؛ لأنهم لا يكونون كثيراً، فأطلقوا عليهم (أى قوم شعيب) لفظ الرهط الذي أصله الطائفة القليلة من الثلاثة إلى العشرة، ولم يقولوا: (قومك)؛ لأن قومه قد نبذوه^(٤).

والمقابلة بين القوم والرَهْط في آية هود رقم (٩٢) توضّح أن المراد

(١) الصحاح، مقاييس اللغة، النهاية لابن الأثير، اللسان (ق و م).

(٢) اللسان (ن ف ر).

(٣) مفردات الأصفهاني (ن ف ر).

(٤) التحرير والتنوير ١٢/١٤٩.

بالقَوْم: الكثيرون من قرابة الرجل القريب منهم والبعيد، وبالرَّهْط: القليل من قرابة الرجل الأقرب إليه من غيرهم .

وقال أبو حيان في تفسير آية النمل رقم (٤٨):

"اتَّفَقَ المفسِّرون على أن المعنى تسعة رجال" ^(١)، ونقل عن الرازي قوله: "الأقرب أن يكون المراد تسعة جمع؛ إذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد" .

ولعلَّ قول الرازي هو الجدير بالصحة؛ لأن اللفظ القرآني لا يحلُّ محله غَيْرُهُ، ولو أريد بتسعة رهط: تسعة رجال؛ لكان الأولى أن يُعبَّر عنهم بالرجال .

ويؤيِّد هذا المعنى ما نقله أبو حيان أيضًا بلفظ: "قليل: والرَّهْط اسم الجماعة، وكأنهم كانوا رؤساء مع كل واحدٍ منهم رَهْط" ^(٢) .

وعلى كلِّ فالرَّهْط: الجماعة من الرجال لا يتجاوز عددهم عشرة، وهم القرابة الأدْنَوْنَ .

وأما القَوْم فقد تكرر ذكره في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهد الآيات التالية:

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَنُتُوًّا إِلَىٰ بَارِكُمْ فَأَقْلَرُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٥٤﴾ (البقرة: ٥٤) .

- ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ (آل عمران: ٨٦) .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن

(١) البحر المحيط ٨٣/٧ .

(٢) البحر المحيط ٨٣/٧ .

يَسَاءَ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ الحجرات: ١١ .

قال المفسرون فى آية الحجرات رقم (١١): القَوْمُ: الرجال خاصة؛
لأنهم القَوَامُ بأمور النساء، قال الله ﷻ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾
(النساء: ٣٤)، واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية، وفى قول زهير:

* أَقَوْمٌ آلٌ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءٌ *

وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد: هم الذكور والإناث، فليس لفظ
القوم بمُتَعَاطٍ للفریقین، ولكن قُصِدَ ذُكْرُ الذكور وَتُرِكَ ذُكْرُ الإناث ؛ لأنَّهُنَّ
توابع لرجالهن^(١) .

وسياق استعمال لفظ القوم فى القرآن الكريم، وإضافته إلى الأعلام كقوم
موسى، وقوم شعيب، وقوم فرعون . . . إلخ ؛ يقطع بمعنى الكثرة فيهم .
وعلى هذا يكون القوم: جماعة الأقارب الرجال، أكثر من عشرة، ويدخل
فيهم النساء على سبيل تغليب الرجال على النساء، أو لتبعية النساء للرجال .
وأما النَّفَرُ فقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١٦﴾﴾ الكهف .

- ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴿١٧﴾﴾ الأحقاف: ٢٩ .

- ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١٨﴾﴾ الجن .

فَرَّقَ الزمخشري بين الرَّهْطِ والنَّفَرِ بأن: الرَّهْطُ من الثلاثة إلى العشرة، أو
من السبعة إلى العشرة، والنَّفَرُ من الثلاثة إلى التسعة^(٢) .

(١) الكشف ٥٦٥/٣، وانظر: البحر المحيط ١١٢/٨ .

(٢) الكشف ١٥١/٣ .

ولكن هذه التفرقة لا تضيف شيئاً، واستقراء المواضع التي ورد فيها لفظ (نَفَر) يبيّن لنا أن المراد بها مختلف من سياق إلى آخر، فالمراد بها في آية الكهف: أولاد الرجل الذكور الذين ينفرون معه^(١).

والمراد بها في آيتي الأحقاف والجن: الجماعة دون العشرة، وهم في هاتين الآيتين من الجن، وأصل إطلاقه على البشر، فأطلق على جماعة من الجن على وجه التشبيه؛ إذ ليس في اللغة لفظ آخر^(٢).

وبذلك يمكننا القول إن النفر: الجماعة من الرجال دون العشرة، ولا يشترط أن يكون من عشيرة الرجل وأقاربه.

- ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ (الرَّهْط - الْقَوْم - النَّفَر) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك في الدلالة على معنى الجماعة.
- وينفرد لفظ (الرَّهْط) بملمح قلّة العدد، ودلالته على القرابة القريبة.
- وينفرد لفظ (الْقَوْم) بدلالته على القرابة عمومًا، وبدلالته على الكثرة.
- وينفرد لفظ (النَّفَر) بدلالته على الذكور الذين ينفرون في الحرب، ولا يشترط أن يكونوا من عشيرة الرجل وأقاربه.

□ ١٠/٥ رءوف - رَحِيم:

- الرأفة في اللغة: الرحمة، وقيل: أشدّ الرحمة^(٣).
- والرحمة في اللغة: الرِّقَّة والعطف^(٤).

(١) التحرير والتنوير ١٥/٣٢٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/٢٢٠.

(٣) الصحاح، مقاييس اللغة، اللسان (ر أ ف).

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (رح م).

وقد تكرر اللفظان في مواضع عديدة من القرآن الحكيم، واجتمعا معاً تسع مرات، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَائِنِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: ١٤٣ .
 - ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ١١٧ .

- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨ .

الرءوف والرحيم كلاهما صفة مُشَبَّهة، الأولى مشتقة من الرأفة، والثانية من الرحمة . والمحققون من علماء اللغة يفرقون بينهما: فالرأفة أقوى وأشدُّ من الرحمة .

وأما الرحمة فاسمٌ جامع يدخل فيه هذا المعنى المذكور، ويدخل فيه الإفضال والإنعام .

والجمع بين الوصفين لإفادة أن الله ﷻ يرحم الرحمة القويّة لمُستَحِقِّها، ويرحم مطلق الرحمة مَنْ دون ذلك^(١) .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الرءوف - الرَّحِيم) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في الدلالة على معنى العطف والإحسان .
- إلا أن لفظ الرحيم: اسم جامع يشمل العطف، كما يشمل النعمة والإحسان .
- والرءوف: أخص من الرحيم؛ لأنه يدل على الرحمة القويّة التي تُغَطِّي لمن يستحقها .

□ ٦/١٠ رَيْب - شَكَّ - مِرْيَة:

- الرَّيْبُ فى اللغة: شكٌ يصاحبه خوفٌ وكراهة^(١) .
- والشُّكُّ فى اللغة: خلاف اليقين؛ سُمى بذلك لأن الشاكَّ كأنما شكَّ له الأمران فى مَشَكِّ واحدٍ وهو لا يَتَيَقَّنُ واحدًا منهما . . وكل شىءٍ أدخلته فى شىءٍ فقد شككته^(٢) .
- والمِرْيَة فى اللغة: التردد فى الأمر والشكَّ والجدال فيه، وأصلها من قولهم: مَرَيْتُ الناقة، أى: مسحت ضَرْعَهَا لتستخرج ما فيه، والمِرْيَة كأنها استخراج للشُّبْه المشكَّلة^(٣) .

وقد تكرر ذكر الرَّيْب فى القرآن الكريم مرات عديدة، ومن شواهد:

- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢) .
- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (البقرة: ٢٣) .
- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَاوِلُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (آل عمران: ٩) .
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَتِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ (الطور: ٣٠) .

قال الزمخشري: حقيقة الرِّيْبَة: قَلَقُ النَفْسِ واضطرابها، ومنه ما روى الحسن بن عليّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "دَغْ ما يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيْبُكَ؛ فإن الشكَّ رِيْبَة، وإنَّ الصدق طمأنينة" . أى: فإن كَوْنُ الأمر مشكوكًا فيه ممّا تقلق له النفس ولا تستقر . ومنه رَيْبُ الزمان، وهو ما يُقلق النفوسَ وَيَشْخَصُ بالقلوب من نوائبه . فإن قلت: كيف نفى الرَّيْبَ على سبيل

(١) مقاييس اللغة، اللسان (رى ب) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ش ك ك) .

(٣) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (م رى) .

الاستغراق، وكم من مراتب فيه؟! قلت: ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه، وإنما المنفى كونه متعلقا للرَّيبِ ومِظَنَّةٌ له؛ لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتابٍ أن يقع فيه^(١).

وقال ابن عباس: (ريب) في القرآن: شَكْ، إلا مكانًا واحدًا في الطور:

﴿رَبِّ الْمُنُونِ﴾. والمراد به هنا: مصيبة الموت، أو أحداث الدهر^(٢).

ولكن الرَّيبَ يفترق عن الشك في كون الرَّيبِ مصاحبًا للخوف والكراهة. كما يُستعمل الرَّيبُ بمعنى آخر هو: النائبة والمصيبة.

أما الشَّكُّ فقد تكرر ذكره أيضًا في القرآن الكريم، ومن شواهد:

- ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لِنِيَ شَاكٍ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧).

الشَّكُّ: أن لا يترجح أحدُ الاحتمالين؛ ولذلك وُصفوا بعدم العلم، ثم وُصفوا باتباع الظن، أى: إن لاحت لهم أمارَةٌ اتَّبَعُوا ظَنَّهُمْ وإن لم يكن علمًا أو يقينًا^(٣).

ومما يؤكِّد اختلاف الشك عن الرَّيب، وَصَفُ أَوَّلِهِمَا بالثاني في عدة آيات من كتاب الله ﷻ، منها:

- ﴿وَلَا يَتَّبِعُهُمْ لَئِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ (هود: ١١٠، فصلت: ٤٥).

فالشَّكُّ: انتفاء العلم، بحيث لا يترجح أحدُ الاحتمالين، ووصفه بالمُرِيبِ أى: يبعث على القلق والاضطراب.

وأما المِرْيَةُ فمن شواهدا في كتاب الله ﷻ:

(١) الكشف ١١٢/١ - ١١٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/٦١.

(٣) الكشف ٥٨٠/١.

- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ (هود: ١٧) .

- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ﴾ (هود: ١٠٩) .

- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَكُلُ شَيْءٌ مِّمَّا حُطِّئَ﴾ (٥٤) فصلت .

وقد راجعت كتب التفسير مُتَقَبِّاً عن معنى ﴿مِرْيَةٍ﴾ فلم أظفر بِطَائِلٍ، فالمفسرون جميعاً يرون أنها تعنى الشَّكَّ . ولكن قال الراغب الأصفهاني: "المِرْيَةُ: التردد في الأمر، وهو أَحْصَى من الشَّكِّ" (١) .

وفي هذا نَظَرٌ؛ لأن الشَّكَّ أيضاً تردّد بين طرفين متساويين في الاحتمال (٢) . ولعلّ الصواب أن يقال: إنّ المِرْيَةَ شَكٌّ يصاحبه عنادٌ، كأن صاحبه يستخرج ما فيه من شُبُهٍ يجادل بها .

● ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ: (ريب - شك - مِرْيَة) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك جميعها في ملمح عامٍّ مشترك هو: انتفاء العلم .

وتفترق كل منها بملمح دلاليٍّ مميز:

● فالرَّيْبُ يتميز بالخوف والكراهة، وأنه يُسْتَعْمَلُ بمعنى آخر هو الحَدَثُ والناثبة .

● والشَّكُّ: أعمّ هذه الألفاظ، وهو استواء الطرفين أو الاحتمالين دون ترجيح لأحدهما .

● والمِرْيَةُ تتميز بملمح الجدال والعناد .

(١) مفردات الأصفهاني، (م ر ي) .

(٢) عمدة الحفاظ (م ر ي) .

حرف الزاي (١١)

(١)	زَوْج - امرأة		
-----	---------------	--	--

□ ١/١١ زَوْج - امرأة:

• الزوج في اللغة: كل ما دلَّ على مقارنة شيءٍ لشيءٍ، ومن ذلك الرجل والمرأة كلاهما زَوْجٌ لصاحبه^(١).

• والمرأة في اللغة: مؤنث مرءٍ، وهو الرجل^(٢).

وقد جرى الاستعمال اللغوي العاديُّ على أنهما لفظان مترادفان لا فرق بينهما. ولكن الاستعمال القرآني الحكيم فرَّق بينهما، فجاءت كلمة (زوج) في سياق النعمة والتوافق وحسن المعاشرة، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿وَيَبْسُرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ البقرة.

- ﴿وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ البقرة: ٣٥.

- ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦.

هكذا استُعِمِلت كلمة (زوج) للدلالة على نساء المؤمنين، وفي سياقات المِنَّة بفضل الله ورحمته بعباده المؤمنين، فالمؤمنون في الجنة لهم (أزواج) مطهرة، ووصفت نساء النبي ﷺ بكلمة (أزواج)، وآدم عليه السلام قيل له: ﴿وَقُلْنَا

(١) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (زوج).

(٢) اللسان (م ر أ).

يَتَّكِدُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴿١٠﴾ ؛ وذلك لما فى لفظ الزوج من إشعار بالمشاكلة والمجانسة والاقتران، كما يفهم من المعنى اللغوى للكلمة، فإن الزوجين - كما قدمنا - هما الشيطان المتشابهان المتشاكلان المتناظران .

بينما استعملت كلمة (امراة) فى القرآن الكريم فى الإخبار عن نساء أهل الشرك، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِطِينَ ﴿١١﴾ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ التحريم .

- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ ﴿٥﴾﴾ سورة المسد .

والسرُّ فى اختيار لفظ (امراة) فى حالة فرعون أنه كان مشركًا وهى مؤمنة، فعَدَلَ القرآن عن لفظ (زوج) الدالُّ على التجانس والتشاكل، وعَبَّرَ بلفظ (امراة) الدال على مجرد الأنوثة، قطعًا للمشابهة والتجانس بين الكفار والمؤمنين .

كذلك عبَّرَ القرآن بلفظ المراة إذا كان الرجل كافرًا والمراة كافرة كما فى حالة أبى لهب وامراته؛ قطعًا للمشابهة فى الوصف بين المؤمنين والكفار، فامراة المؤمن (زوج) له، والكافرة امراة الكافر لا تستحق لقب الزوج حتى لا تتساوى مع المؤمنة .

وأما قوله ﷻ على لسان زكريا ﷺ : ﴿وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ (مريم: ٥)، وقوله ﷻ عن إبراهيم ﷺ : ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ﴾ (الذاريات: ٢٩)، فإن استعمال لفظ (امراة) هنا أُلْتِيقَ بالمقام؛ لأنه فى سياق ذكر الحمل والولادة، وهما أمران

- مرتبطان بصفة الأنوثة، ويناسبها ذكر الكلمة الدالّة عليها وهى (المرأة) ^(١) .
- ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (زَوْج - امرأة) بينهما تقارب دلالى؛ إذ يشتركان فى الدلالة على العلاقة بين الرجل والمرأة .
 - ويختص لفظ الزوج بلمح المشاكلة والمجانسة؛ ولذلك جاء فى سياق النعمة والخير .
 - بينما يختص لفظ (المرأة) بلمح الأنوثة؛ لذلك جاء فى سياق ذكر الحمل والولادة وما هو من مقتضيات صفة الأنوثة .

حرف السين (١٢)

(١)	سَبِيل، صِرَاط، طَرِيق	(٢)	سُخْرِيَّة، اسْتَهْزَاء
(٣)	سَخَط، غَضَب، غَيْظ	(٤)	سَدِيد، صَوَاب
(٥)	سُدَى، عَبَث، هَبَاء	(٦)	السَّر، النَّجْوَى
(٧)	سَقَط، وَقَعَ	(٨)	السُّقْم، المَرَض
(٩)	سَكَت، أَضْعَى	(١٠)	التَّسْلِيم، التَّفْوِيز، التَّوَكُّل
(١١)	اسْتَمَعَ، أَنْصَتَ		

□ ١/١٢ سَبِيل - صِرَاط - طَرِيق:

- السَّبِيل في اللغة: الطريق؛ سُمِّيَ بذلك لامتداده، فأصل مادة (س ب ل) الدلالة على الامتداد^(١)، وكثُر استعماله في الطريق الذي فيه سهولة^(٢).
- والصِّرَاط في اللغة: السَّبِيل الواضح، والصِّرَاط لغة في السِّرَاط... وقيل للطريق الواضح سِرَاط، لأنه كأنه يَسْتَرِط (يبتلع) المارة لكثرة سلوكهم لاجِبُهُ^(٣).
- والطَّرِيق في اللغة: المسلك؛ لأنَّ الأقدام تَطْرُقُه، أى تَطْوُهُ^(٤).

وقد راعى القرآن الكريم في استعمال تلك الألفاظ ما بينها من فروق

(١) مقاييس اللغة (س ب ل).

(٢) مفردات الأصفهاني (س ب ل).

(٣) اللسان (س ر ط).

(٤) اللسان (ط ر ق).

دلالية رهيقة، على النحو التالي:

- وردت كلمة (سَبِيل) في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهدنا:
- ﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ أَلْكُفَرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ البقرة: ١٠٨ .
- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ البقرة .
- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧ .

وفى أكثر مواضع هذه الكلمة في القرآن الكريم جاءت مضافة إلى لفظ الجلالة، ولعلَّ ما رشحها لهذا هو ملمح السُّهولة؛ للتعبير عن وضوح المسلك إلى الله ﷻ، وسهولته على السالكين وإن حَفَّتْ به المكاره والمصاعب .

- كما استُعيِر السبيل للتعبير عن المذهب والطريقة^(١)، نحو قول الله ﷻ:
- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾﴾ يوسف .

ولعلَّ ممَّا يُشعر بالسهولة والوضوح في كلمة السبيل قول الله ﷻ:

- ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿١٥﴾﴾ عبس .

وأضيف السبيل إلى كلمة (ابن) في مواضع عديدة من الكتاب الحكيم، فكثُر فيه ذكر ابن السبيل: (البقرة: ١٧٧، ٢١٥، النساء: ٣٦، الأنفال: ٤١، التوبة: ٦٠ ... إلخ) .

ومعنى ابن السبيل: الملازم له وعرفه الوسيط بأنه: المسافر المنقطع به وهو يريد الرجوع إلى بلده ولا يجد ما يتبَلَّغ به^(٢) .

(١) عمدة الحُفَاط (س ب ل) .

(٢) المعجم الوسيط (س ب ل) .

ولم تُصَفِ الكلمتان الأخريان إلى كلمة (ابن) .

أما الصُّراط فقد تكرر ذكره في القرآن الكريم، ومن شواهد الآيات التالية:

- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ②﴾ الفاتحة .

- ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة: ١٤٢ .

- ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١٥٣ .

- ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأعراف: ٨٦ .

جاء الصُّراط في أكثر مواضعه في القرآن الكريم موصوفاً بالمستقيم، وندر مجيئه مفرداً كما في آية الأعراف رقم (٨٦) .

وفي كثرة وصف الصراط بالمستقيم تارة، وبالسَّوِيَّ تارةً أخرى دلالة على أنه: طريق الحق^(١)، فلا يَضِلُّ فيه سالكه ولا يتحير^(٢) .

وآية الأنعام رقم (١٥٣) تبين بجلاء تام أن الصراط يتضمن معنى الحق الواضح الذي لا يضل سالكه ولا يتحير؛ ولذلك أُفرد الصراط وجمعت السبل^(٣) .

أما الطريق فقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات، في الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ③ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ④﴾ النساء .

(١) انظر الكشف ٦٨/١ .

(٢) التحرير والتنوير ١٠١/١ .

(٣) الكشف ٩٤/٢ .

- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَخَشًى﴾ (٧٧) طه .

- ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠) الاحقاف .

فالطريق مستعمل في القرآن الكريم للدلالة على كل مسلك يسلكه الإنسان محمودًا كان أو مذمومًا^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن هذه الألفاظ (سَبِيل - صِرَاط - طَرِيق) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك جميعها في الدلالة على المسلك .

ثم يتميز كلٌّ منها بملامح فارقة:

- فالسَّبِيل يتميز بالوضوح والسهولة، كما يتميز بإضافته إلى كلمة (ابن) .
- والصِّرَاط يتميز بالاستقامة والبعد عن الزَّيْغ والضلال .
- والطَّرِيق أعمُّ هذه الألفاظ؛ لأنه يشمل ما كان محمودًا أو مذمومًا، سهلًا أو صعبًا .

□ ٢/١٢ سُخْرِيَّة - اسْتِهْزَاء:

- السُّخْرِيَّة والاستِهْزَاء في اللغة: الاحتقار^(٢) .

ولم يفرِّق الراغب الأصفهاني بينهما^(٣) .

وذكر بعض علماء اللغة فارقًا تركيبًا بين الكلمتين، إذ يقال: سخر منه،

(١) مفردات الأصفهاني، عمدة الحفاظ (ط ر ق) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (س خ ر، ه ز أ) .

(٣) مفردات الأصفهاني (س خ ر، ه ز أ) .

وهَزِيء به، فيقترن فعل السخرية بحرف الجر (من) الدال على ابتداء الغاية، ويقترن فعل الاستهزاء بحرف (الباء) الدال على الإلصاق . وسَوَّى بعض العلماء بين الفعلين فقال: سخرت منه وبه، وهزئت منه وبه^(١) .

وإذا تأملنا استعمال الفعلين في القرآن الكريم، نجد أن الفعل (سخر) قد ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ومن شواهد:

- ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَسَخَّرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ البقرة: ٢١٢ .

- ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة: ٧٩ .

- ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الأنعام: ١٠، الأنبياء: ٤١ .

وقد اطرَد استعمال الفعل (سخر) في القرآن الكريم مقترناً بحرف ابتداء الغاية (من) .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"سَخَرُوا بمعنى هَزَأُوا، ويتعدى إلى المفعول ب (من)، قيل: لا يتعدى غيرها، وقيل: يتعدى بالباء، وكذا الخِلاف في تعديه هزأ واستهزأ . والأصح أن كلا الفعلين يتعدى بحرف (من) والباء، وأن الغالب في (هزأ) أن يتعدى بالباء، وفي (سخر) أن يتعدى ب (من) . وأصل مادة (س خ ر) مُؤْذِنٌ بأن الفاعل اتخذ المفعول مُسَخَّرًا يتصرّف فيه كيف شاء بدون حُرْمَةٍ؛ لشدة قرب مادّة (سَخِرَ) المخفّف من مادّة التسخير - أي التطويع - فكأنّه حوّلَهُ عن حقّ الحُرْمَةِ الذاتية فَاتَّخَذَ مِنْهُ لِنَفْسِهِ سُخْرِيَّةً، كما أن اطراد استعمال فعل السخرية في القرآن الكريم مقترناً بحرف ابتداء الغاية (من)، يُؤْذِنُ بوجود فعل أو حدث وقعت السخرية لأجله" .

أمّا لفظ الاستهزاء فقد تكرر كثيراً في القرآن الكريم، ومن شواهد:

(١) الصحاح، اللسان (س خ ر) .

- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة .
- ﴿فَكَافٍ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ الأنعام: ١٠، الأنبياء: ٤١ .
- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يس: ٣٠ .

أصل مادة (ه ز أ): الخِفَّةُ، مأخوذ من قولهم: هزأت به ناقته، أى أسرعت؛ وذلك لأن المستهزئ غرضه الذى يرمى إليه هو طلب الخِفَّةِ والزَّراية بمن يهزأ به وإدخال الهوان والحقارة عليه^(١) .

وأطراد استعمال فعل الاستهزاء فى القرآن الكريم مقترناً بحرف الإلصاق (الباء) يدلُّ على أن المستهزئ يُلصِقُ العيب بغيره إلصاقاً دون أن يكون هناك شئ يستحق أن يُستهزأ به لأجله .

- ونخلص ممَّا سبق إلى أن لفظى (السخرية - الاستهزاء) متقاربان جداً فى الدلالة؛ حيث يشتركان فى معنى: طلب الهوان والحقارة .
- وتتميز السخرية بالشَّدَّة، ووجود سبب يدعو إليها .
- بينما يتميز الاستهزاء بأنه لا يقتضى وجود سبب يدعو إليه، وإنما هو إلصاق للعيب والذم بمن لا يستحقُّ حسداً أو حقداً .

□ ٣/١٢ سَخَطٌ - غَضَبٌ - غَيْظٌ:

- السُّخْطُ والسَّخَطُ فى اللغة: كراهة الشئ وعدم الرضا به^(٢) .
- والغَضَبُ فى اللغة: شِدَّةُ السُّخْطِ والإنكار^(٣) .

(١) الكشف: ١٨٦/١ .

(٢) اللسان (س خ ط) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (غ ض ب) .

• والعَيْظُ فى اللغة: غضبٌ كامن فى النفس بسبب سوءٍ لِحَقِّهِ من غيره^(١).
ويؤخذ مما سبق أن السَّخَطَ والعَيْظُ لا تظهر آثارهما على الجوارح،
والفرق بينهما أن العَيْظَ انفعال بسوء لحقه من الغير، أما السَّخَطُ فهو مجرد
الكرهية وعدم الرضا بالشئ وإن لم يلحقه سوء .
وأما العَضَبُ فيختلف عن السَّخَطِ والعَيْظِ بملمحين: الشدة، وظهور أثر
ذلك على الجوارح .

- وفى القرآن الكريم ورد لفظ (السَّخَطُ) أربع مرات، فى الآيات التالية:
- ﴿أَفَمِنْ أَتْبَعِ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ آل عمران: ١٦٢ .
 - ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة: ٨٠ .
 - ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ التوبة: ٥٨ .
 - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ محمد: ٢٨ .

والملاحظ فى ثلاث من الآيات السابقة أن السَّخَطَ جاء فى مقابلة الرِّضَا
والرُّضْوَانِ، وهذا يدل على أن السَّخَطَ نقيض الرِّضَا والرُّضْوَانِ .

ولم نجد للمفسرين قولاً شافياً فى معنى السَّخَطِ، ومن سياق الآيات لا
نجد أكثر من مقابله بمعنى الرِّضَا أو الرُّضْوَانِ، وما ذهب إليه المناوى
والراغب من أن السَّخَطَ هو العَضَبُ الشديد المقتضى للعقوبة^(٢)، وما ذهب
إليه أبو البقاء من أن السَّخَطَ لا يكون إلا من الكبراء والعظماء بخلاف
العَضَبِ فإنه يكون منهما ومن غيرهما^(٣)، لا يتضح هذا الذى ذهبوا إليه من
سياق الآية، بل ما ذهب إليه ابن منظور فى اللسان - وهو كون السَّخَطَ نقيضاً

(١) مقاييس اللغة، اللسان (غ ي ظ) .

(٢) التوقيف، ص ١٩٨، مفردات الأصفهاني (س خ ط) .

(٣) الكلبيات، ص ٥١٥ .

للرُّضا - هو ما تعطيه السياقات القرآنية المذكورة .

● وعلى ذلك يمكننا القول : إن السَّخَط كراهة الشيء وعدم الرُّضا به .

وأما لفظ (الغضب) فقد تكرر في مواضع عديدة من القرآن الكريم، ومن شواهدة:

- ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالسَّكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ البقرة: ٦١ .

- ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَيْبِكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ الأعراف: ٧١ .

- ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ الشورى: ٣٧ .

سياق الآيات السابقة - وغيرها - يبيِّن صحة ما ذهب إليه ابن فارس من أن الغَضَب هو السَّخَط الشديد^(١)، وأن الغَضَب يظهر على الجوارح ويقترن بفعلٍ ما يقصد به الإضرار بالغير^(٢) .

ومن هنا جاز إطلاق السَّخَط والغَضَب على الله ﷻ، فالسَّخَط منه ﷻ كراهة السوء وعدم الرُّضا به، والغَضَب منه ﷻ أشدُّ من السَّخَط؛ لاقتراحه بإنزال العذاب كما في قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَيْبِكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ الأعراف: ٧١ .

وأما الغَيْظ فلا يجوز إسناده إلى الله ﷻ؛ لأنه تغَيَّر يَلْحَق بالمغتاض، وهو كامنٌ لا يُسْتَطَاع إنفاذه؛ للعجز عن ذلك^(٣) .

وقد تكرر ذكر الغَيْظ في عدة مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك:

- ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آل عمران: ١١٩ .

(١) مقاييس اللغة (غ ض ب) .

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٣٣/٤، المحرر الوجيز ٢٣٣/٣، الكليات، ص ٦٧١ .

(٣) انظر: الصحاح، مقاييس اللغة (غ ي ظ)، الكليات ص ٦٧١، المحرر الوجيز ٢٣٣/٣ .

- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظَّيْنِ وَالْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢) آل عمران .

- ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّعَ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الحج: ١٥ .

لَمَّا كَانَ الْغَيْظُ خَفِيًّا كَأَمَّا فِي النَّفْسِ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا حَلَّوْا﴾ لَأَنَّهُمْ يُضْمِرُونَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِمْ وَلَا يُظْهِرُونَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ ﷻ: ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: أَيِازْدَادُوا غَيْظًا حَتَّى تَهْلِكُوا^(١) .

وذلك لعجزهم عن الفعل وعدم قدرتهم على إمضاء غيظهم بأن يضربوا المؤمنين .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (السَّخَطُ - الغَضَبُ - الغَيْظُ) متقاربة في الدلالة؛ حيث تشترك في معنى عام هو الكراهة وعدم الرضا، وهذا المعنى العام هو: السَّخَطُ .

● أما الغَضَبُ فيتميز بالشدة، والاقتران بالفعل .

● وأما الغَيْظُ فيتميز أيضًا بالشدة، ولكن مع العجز عن الفعل؛ ولذا جاز إسناد السَّخَطُ والغَضَبُ إلى الله ﷻ، وامتنع إطلاق الغَيْظُ عليه ﷻ .

□ ١٢/٤ سديد - صواب:

● السَّديد في اللغة: ذو السَّدَادِ أي الاستقامة، مأخوذ من السَّدِّ، وهو إغلاق الخلل ورَدْمُ الثُّلَمِ، فكأن القول السَّدَادُ هو الذي لا ثُلْمَةَ فيه^(٢) .

● والصَّواب في اللغة: خلاف الخطأ، مأخوذ من الصَّوْبِ، وهو نزول

(١) الكشف: ١/٤٥٩ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (س د د) .

الشيء واستقراره فى قراره^(١) .

وقد ورد اللفظان فى القرآن الكريم وصفًا للقول، فتكررت كلمة (سديد) مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾﴾ النساء .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٥﴾﴾ الاحزاب .

القول السديد: الذى يوافق الحق والعدل، ومنه تسديد السهم، أى توجيهه مستقيمًا نحو الهدف^(٢) .

وهذا لا يتضمن أن القائل لا يُخطئ، ولكنه يريد الحق وقد يصيبه، وقد يجتهد ولا يصيب الحق .

أما كلمة (صواب) فقد وردت فى القرآن مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿١٨﴾﴾ النبأ .

الصواب هنا منسوب إلى الملائكة، وهو يأذن الله تعالى وإلهام منه ﷻ، فلا يعتربه الخطأ^(٣) .

● ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (سديد - صواب) بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى أنهما وصف للقول، وكلاهما فيه إرادة الحق .

● ولكن يتميز الصواب بأنه لا يعتربه الخطأ؛ لأنه إلهام من الله تعالى، أما السداد فإنه لا ينفى إمكان ورود الخطأ .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص و ب) .

(٢) البحر المحيط ١٧٨/٣، التحرير والتنوير ١٢٢/٢٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٥٣/٣٠ .

□ ١٢/٥ سُدَى - عَبَث - هَبَاء :

• السُدَى فى اللغة: المهمل، يقال: أَسَدَى الراعى إِبِلَه، أى أهملها، وإِبِلٌ سُدَى أى مُهْمَلَةٌ ترعى بلا راعٍ^(١).

• والعَبَث فى اللغة: الفعل الذى لا يهدف إلى غاية، وأصل مادة (ع ب ث): التخليط، فكأن العابث يخلط فى فعله ولا يصيب القصد والغاية^(٢).

• والهَبَاء فى اللغة: الغبار الدقيق المتطاير كالذى يُرى فى ضوء الشمس^(٣).

وقد وردت كلمة (سُدَى) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ﴿٦٦﴾ القيامة .

أى: مُهْمَلًا بلا أمرٍ ولا نهيٍ ولا تكليف^(٤).

وردت كلمة (عَبَث) فى القرآن الكريم، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٦٥﴾ المؤمنون .

- ﴿أَتَنْبُونَكُمْ رِيحَ عَابَةِ تَعْبَثُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ الشعراء .

العَبَث: انتفاء القصد والغاية^(٥)، فهو شبيه باللعب الذى لا حكمة فيه، لا غاية له.

وسياق استعمال الكلمة فى الآيتين يدلُّ على أن المراد خُلُو الفعل من الغاية والحكمة، فهو مُتَضَمِّنٌ فى أصل الفعل قبل حدوثه، وذلك بوضع غاية له .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (س د ي) .

(٢) مقاييس اللغة (ع ب ث) .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ه ب أ) .

(٤) عمدة الحفاظ (س د ي)، التحرير والتنوير ٣٦٦/٢٩ .

(٥) الكشف ٤٥/٣، التحرير والتنوير ١٦٦/١٨ .

أَمَّا الْهَبَاءُ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَرَّتَيْنِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ:

- ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (٣٣) الفرقان .

- ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّثْبِتًا﴾ (٦) الواقعة .

الْهَبَاءُ: أدقُّ من الغبار، لَا يُرَى إِلَّا فِي أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمُنْحَصِرَةِ فِي كَوَّةٍ وَنَحْوِهَا، وَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا: تشبيه لأعمالهم - فِي عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا مَعَ كَوْنِهَا مَوْجُودَةً - بِالْهَبَاءِ فِي عَدَمِ إِمْسَاكِهِ مَعَ كَوْنِهِ مَوْجُودًا^(١) .

● وَنَخْلُصُ مِمَّا سَبَقَ إِلَىٰ أَنْ الْأَلْفَاظَ (سُدَى - عَبَث - هَبَاء) مُتَقَارِبَةٌ فِي الدَّلَالَةِ؛ حَيْثُ اشْتَرَكَتْ فِي مَعْنَى الْإِنْتِفَاءِ .

- وَلَكِن السُّدَى: انْتِفَاءُ الرِّعَايَةِ وَالْمِرَاقَبَةِ .

- وَالْعَبَثُ: انْتِفَاءُ الْقَصْدِ وَالْغَايَةِ .

- وَالْهَبَاءُ: انْتِفَاءُ النِّفْعِ وَالْقِيَمَةِ .

□ ٦/١٢ سِرّ - نَجْوَى:

● السَّرُّ فِي اللُّغَةِ: إِخْفَاءُ الشَّيْءِ وَكُتْمَانُهُ^(٢) .

● وَالنَّجْوَى فِي اللُّغَةِ: إِسْرَارُ الْحَدِيثِ^(٣) .

فَالنَّجْوَى أَخْصُّ مِنَ السَّرِّ؛ لِأَنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْإِخْفَاءِ، وَالكُتْمَانُ هُوَ إِخْفَاءُ الْحَدِيثِ دُونَ غَيْرِهِ .

وَالسَّرُّ لَا يَتَجَاوَزُ الْمَرءَ، وَالنَّجْوَى يَتَجَاوَزُ الْمَرءَ إِلَى غَيْرِهِ، فَهِيَ مَا أَظْلَعَ

(١) الْكَشَافُ ٨٨/٣، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٨/١٩ .

(٢) مَقَايِيسُ اللُّغَةِ، اللِّسَانُ (س ر ر) .

(٣) مَقَايِيسُ اللُّغَةِ، اللِّسَانُ (ن ج و) .

عليه بعض الناس دون بعض؛ فالسّرُّ أشدَّ خفاءً من النّجْوَى .

وقد تكرر ذكر السّرِّ في القرآن الكريم، ومن شواهد:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْثَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧٧) البقرة .

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَدْرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ البقرة: ٢٣٥ .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ التوبة: ٧٨ .

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: السّرُّ أصله ما قابلَ الجَهْرَ، وكُنِيَ به عن قُرْبان المرأة ونكاحها^(١)؛ لأنه لا يكون في العلن .

وأما النّجْوَى فمن شواهد:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ النساء: ١١٤ .

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (٧٨) التوبة .

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ المجادلة: ٧ .

الجمع بين كلمتي السّرِّ والنّجْوَى في آية التوبة رقم (٧٨) يوضح بجلاء أن لكل منهما معنى مغايرًا للآخر، فالسّرُّ: ما يخفيه الإنسان ويضمّره في نفسه فلا يُطْلِع عليه الناس، والنّجْوَى: المحادثة بخفاء، وعُطِفَت النّجْوَى على السّرِّ مع أنه أعمُّ منها؛ لينبئهم بأطلاعه على ما يتناجون به من الكيد والمطاعن^(٢) .

(١) التحرير والتنوير ٢/٤٥٣، ٤٥٤ .

(٢) التحرير والتنوير ١٠/٢٧٤ .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (السِّرّ - النَّجْوَى) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى الإخفاء والكتمان .
- ولكن السِّرُّ أعمُّ من النَّجْوَى؛ لأنه يشمل الحديث وغيره، والنَّجْوَى مقصورة على الحديث الخفي .
- كما أن السِّرَّ أشدُّ خفاءً من النَّجْوَى؛ لأن النَّجْوَى يَطْلُعُ عليها بعضُ الناس، أما السِّرُّ فلا يَطْلُعُ عليه غير صاحبه، والله ﷻ يعلم السِّرَّ والنَّجْوَى، وهو ﷻ علام الغيوب .

□ ٧/١٢ سَقَطَ - وَقَعَ:

- السقوط والوقوع في اللغة كلاهما بمعنى واحد^(١)، إلا أن القرآن الكريم قد فرّق بين اللفظين في استعماله لهما، فقد ورد السقوط في القرآن الكريم ثمانى مرات، منها الآيات التالية:

- ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ الأنعام: ٥٩ .
- ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْأَلُ أَشْذَنَ لِي وَلَا تَفْتِنِيْٓ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ التوبة: ٤٩ .
- ﴿وَهَزَبَٓ إِلَيْكَ يَجْعَلَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ مريم: ٦٥ .

حيث عبّر بالسقوط عن نزول الشيء من أعلى إلى أسفل (في آيتي الأنعام، ومريم)، واستعمل السقوط استعمالاً مجازياً في آية التوبة، والمعنى أنهم حصل لهم ذلك فجأة، فهم كالساقط في هوة على حين ظن أنه آمن^(٢) .
ومن معاني السقوط في القرآن الكريم: الندم، وذلك في قول الله ﷻ:

(١) انظر: مقاييس اللغة، اللسان (س ق ط)، (و ق ع) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٢١/١٠ .

- ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١) الأعراف .

أى: اشتدَّ ندمهم وحسرتهم، كأن الندم سقط فى أيديهم، كناية عن حصوله فى قلوبهم^(١) .

أما الوقوع فاستُعملَ فى القرآن الكريم بدلالاتٍ متعدّدة:

• منها سقوط الشدائد والعذاب، وهو أكثر ما جاء فى القرآن من لفظ الوقوع^(٢)، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَنَسْ لَوْفِعَها كَازِبَةً ﴿٢﴾﴾ الواقعة .

- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ المعارج .

فالوقوع هنا: نزول الشدّة وحدوثها^(٣) .

• ومن معانيه الثبوت والوجوب، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٤) النساء .

- ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ النمل: ٨٥ .

أى ثبت الأجر، ووجب عليهم العذاب، واستعمال لفظ الوقوع هنا تأكيداً للوجوب^(٤) .

• ومن معانيه: المبادرة، فى قول الله ﷻ:

(١) الكشف ١١٨/٢ .

(٢) انظر: الكشف ٥١/٤، ١٥٦/٤ .

(٣) مفردات الأصفهاني (وق ع) .

(٤) مفردات الأصفهاني (وق ع) .

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ﴾ (٢٩) ﴿الحجر﴾ .
 أى: اسقطوا مبادرين إلى السجود^(١) .

وملمح الشدة فى الوقوع هو الذى سَوَّغ استعماله فى معانى نزول الشدائد والحوادث، وثبوت الأجر، ووجوب العذاب، والمبادرة فى الامتثال؛ حيث أمروا بالوقوع أى السقوط السريع .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتى (سَقَطَ - وَقَعَ) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان فى معنى: النزول من أعلى إلى أسفل، وهو أصل معناهما . ثم يفترق كلٌ منهما بملامح تخصُّه وتميزه عن الآخر .

● فيأتى السقوط بمعنى الندم .

● ويأتى الوقوع بمعنى: نزول الشدائد، وثبوت الأجر، ووقوع العذاب .

● وعلى ذلك يمكن القول: إن الوقوع أخصُّ من السقوط .

□ ٨/١٢ سُقْم - مَرَض:

● السُقْم والسَّقَم فى اللغة: مرض البدن .

● والمرض يشمل البدن والنفس^(٢) .

ولذلك عبَّر القرآن الكريم بلفظ السَّقَم فى قول الله ﷻ حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام:

- ﴿فَقَطَرَ نَظْرَةً فِي الْتُجُومِ﴾ ﴿٨١﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٢﴾ الصافات .

(١) مفردات الأصفهاني (و ق ع) .

(٢) مفردات الأصفهاني (س ق م) .

وقال ﷺ في قصة يونس عليه السلام:

- ﴿فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ الصافات: ١٤٥ .

أى مريض البدن؛ لما حَلَّ به من ابتلاع الحوت له^(١) .

وأما المرض فعُبرَ به عن الداء الذى يصيب البدن، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٨٤ .

وعُبرَ به أيضًا عن أمراض النفوس، ومن ذلك وصف المنافقين فى قول الله ﷻ:

- ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ البقرة: ١٠ .

أى: كفر وسوء اعتقاد، أو غلٌّ وحسد^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (سُقْم - مَرَض) يُظهر اشتراكهما فى معنى وجود داءٍ .

● والملح المميّز للسُقْم هو اختصاصه بداء الجسد دون النفس .

● بينما الملح المميّز للمرض هو عموم دلالته على الداء، سواء ما يصيب الأبدان، أو ما يصيب النفوس، وكذا ما يخالط القلوب من شكٍّ وسوء اعتقاد .

(١) الكشف ٣/٣٥٣ .

(٢) الكشف ١/١٧٦ .

□ ٩/١٢ سَكَتٌ - أَضْغَى :

- السكوت فى اللغة: الكفُّ عن الكلام، وسَكَتَ الغَضْبُ بمعنى سَكَنَ^(١).
- والإصغاء فى اللغة: الميل، يقال: أَضْغَى الإناء أى أماله، وَصَغَتْ النجوم أى مالت للمغيب، وَأَضْغَى إليه إذا مال بسمعه نحوه^(٢).

وقد راعى القرآن الكريم هذا الفارق الدلالى فى استعمال اللفظين، فجاء السكوت بمعنى الكَفِّ، ولم يرد إلا فى موضع واحد من القرآن الكريم، هو قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ الاعراف .

أى: زال عنه، وكان الغضب كان متمكناً من موسى ﷺ حتى كأنه كان يأمره بذلك ويُغريه به، ثم كَفَّ عنه^(٣).

أما الإصغاء فقد ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿وَلِصَلَّى إِلَيْهِ أَقْعَدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ الانعام: ١١٣ .

- ﴿إِنْ نُنْوَإَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم: ٤ .

عُبر عن ميل القلوب والأفئدة بالإصغاء، وهو الأصل اللغوى لمادة الإصغاء^(٤).

- ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (سَكَتٌ - أَضْغَى) بينهما تقارب دلالى؛ حيث يشتركان فى معنى ترك الكلام، ولكن الاستعمال القرآنى للفظين كان

(١) مقاييس اللغة، اللسان (س ك ت) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ص غ و) .

(٣) الكشف ١٢٠/٢ .

(٤) مفردات الأصفهاني (ص غ و) .

مرتبطًا بالأصل اللغوي لكلّ منهما، حيث استُعمل السكوت بمعنى السكون وهدوء الغضب، كأنه كان ناطقًا فسكت . بينما استُعمل الإصغاء بمعنى الميل، وهو الأصل الدلالي للمادة .

□ ١٢/١٠ التسليم - التفويض - التوكّل :

• تدور مادة (س ل م) فى اللغة حول معنى : البراءة من العيب والمرض وغير ذلك، ومن ذلك السّلامة والسّلام . والتّسليم : الرّضا بالحكم ؛ لأنه براءة من المخالفة^(١) .

• وتدور مادة (ف و ض) حول معنى : ردّ الأمر إلى آخر، والرّضا بحكمه^(٢) .

• وتدور مادة (و ك ل) حول معنى : اللجوء والاعتماد، يُقال : وَكَّلَ أمره إلى فلان، أى اعتمد عليه فيه، وتوكَّل على الله : ركن إليه وَعَلِمَ أنه كافيه ورازقه وحافظه^(٣) .

وهكذا لا تُسَعِّفنا كتب اللغة بفروق واضحة بين الألفاظ الثلاثة .

وفى القرآن الحكيم جاء التسليم بالمعنى المذكور مرتين فى آية واحدة هى قول الله ﷻ :

- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ۝٦٥﴾ النساء : ٦٥ .

يُسَلِّمُوا تسليماً : ينقادوا ويذعنوا لقضائك لا يعارضوه بشيء، مأخوذ من :

(١) اللسان (س ل م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ف و ض) .

(٣) النهاية لابن الأثير، اللسان (و ك ل) .

سَلَّمَ لأمر الله وأَسَلَّمَ له، وحقيقته: سَلَّمَ نَفْسَه له وجعلها سالمة له خالصة^(١).

فالتسليم إذعان وانقياد تام، كأن المرء يُسَلِّم نفسه خالصة لله ﷻ.

أما التفويض فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

غافر .

أى: أَرُدُّ ما أَهَمَّنِي من أُمُورِي إلى الله فهو يجزى كل فاعلٍ بما فعل؛ وذلك لأنهم تَوَعَّدُوهُ، فرجع أمره إلى الله لينتصف منهم^(٢).

فالتفويض إذن يتضمَّن وقوع ظلم ورغبة في الانتصاف، فهو نوع من التسليم، ولكن في أحوال بعينها .

وأما التوكّل فقد تكرر في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهد:

- ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران: ١٥٩ .

- ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء: ٨١ .

- ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق: ٣ .

حقيقة التوكّل على الله: الاعتماد، وهو انفعال قلبي عقلي يتوجّه به الفاعل إلى الله راجيًا الإعانة، ومستعيذًا من الخيبة والعوائق، وهو علامة صدق الإيمان، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاد الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه^(٣).

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (تسليم - تفويض - توكّل) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك في معنى: ردّ الأمر إلى الله ﷻ .

(١) الكشف ٥٣٨/١ .

(٢) الكشف ٣/٣٤٠، التحرير والتنوير ٢٤/١٥٦، ١٥٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٤/١٥٣، ١٥٤ .

ويتميز كلُّ بملامح فارقة:

- فَالتَّسْلِيمُ: إذعان تامٌّ ورضا بالحكم .
- والتَّفْوِيزُ: تسليم الأمر إلى الله، في أحوال مخصوصة يكون فيها ظلم ووعيد واقعٌ على المَفْوُوزِ .
- والتَّوَكُّلُ: فيه معنى الكفاية، وملاحظة عظمة الله وقدرته، وعدم الاستغناء عنه قَطَّ .

□ ١١/١٢ اسْتَمَعَ - أَنْصَتَ:

- الاستماع في اللغة: إدراك الشيء بحاسة الأذن^(١) .
 - والإنصات في اللغة: السكوت لأجل الاستماع^(٢) .
- ولهذا الفارق الدلالي بين الكلمتين عُطِفَ الاستماع على الإنصات في قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٤) الاعراف .
- فالاستماع: إدراك بحاسة السمع، والإنصات: السكوت والإصغاء^(٣) .
- ولا يُشترط في الاستماع السكوت؛ لأن الإنسان قد يستمع وهو يتكلم، ومن ذلك قول الله ﷻ:
- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ (٤٧) الإسراء .
- كانوا يستمعون إلى تلاوة النبي ﷺ وهم يلغون بالأشعار والكلام^(٤) .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (س م ع) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ن ص ت) .

(٣) البحر المحيط ٤/٤٥٢ .

(٤) الكشف ٢/٤٥٢ .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (اسْتَمَعَ - أَنْصَتَ) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى الإدراك بحاسة الأذن .
- ويتميز الاستماع بأنه أعمُّ من الإنصات؛ لأنه قد يصاحبه كلام وعدم اهتمام بما يُسْمَع .
- أما الملمح الفارق للإنصات فهو السكوت، ويصاحبه اهتمام بما يُسْمَع له .

حرف الشين (١٣)

(١)	شُرْعَة، مِنْهَاج	(٢)	شَهْوَة، لَذَّة، هَوَى .
-----	-------------------	-----	--------------------------

□ ١/١٣ شُرْعَة - مِنْهَاج:

- الشَّرْعَة فى اللغة: مَوْرِد الماء؛ لأن الناس يشرعونها فيشربون منها ويسقون دَوَابَّهُمْ، ثم استُعيرت للطريقة والعادة؛ لأن الناس يدخلون فيها^(١).
- والمِنْهَاج فى اللغة: الطريق الواضح^(٢).

وقد اجتمع اللفظان معطوفين فى القرآن الكريم، فى قول الله ﷻ:

- ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: ٤٨ .

والعطف يوجب المغايرة بين المعطوفين، فلا بد أن اللفظين (شُرْعَة - مِنْهَاج) وإن تقارب معناهما، مختلفان فى بعض الملامح الدلالية .

فالشَّرْعَة: المَوْرِد، واستُعيرَ هنا للدين على التشبيه؛ لأن فى الدين رِيًّا معنويًّا وطهارة للداخلين فيه المتبعين له .

والمِنْهَاج: الطريق الواسع الواضح، وهو هنا تخيل عن فَهْم الدين، شُبّه فَهْمُ الدين والدلائل المتخذة لذلك بالطريق الذى يوصل إلى الماء^(٣) .

فالشَّرْعَة إذن هى أحكام الدين وقواعده، والمِنْهَاج: هو فَهْمُ الإنسان للدين وطريقة توصله إليه ودلائله على أحكامه .

(١) اللسان (ش ر ع) .

(٢) اللسان، مفردات الأصفهاني (ن ه ج) .

(٣) التحرير والتنوير ٦/٢٢٣، تفسير الفخر الرازى ١٢/١٣ .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الشَّرْعَة - المِنْهَاج) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى الطريق والطريقة .
- وتختلف الشَّرْعَة في كونها الأصل والمُورِد، والمِنْهَاج الدلائل الدالَّة على ذلك المُورِد وكيفية التوصل إليها .
- وهناك توجيه آخر للأصل الدلالي للكلمتين، وهو الدخول والابتداء في الشيء .
- فيكون المراد بالشَّرْعَة والمِنْهَاج بيان التناقض الجذري بين الفريقين، وأن هذا الاختلاف والتناقض يعود إلى لحظة البداية ، وهي لحظة اختيار الطريق والشروع فيه، وعُبرَ عن هذا المعنى بالشَّرْعَة .
- كما أن التناقض مستمرٌّ بين الفريقين في التزام كل منهما طريقًا بعينه ومواصلته السير على هذا الطريق، وعُبرَ عن هذا المعنى بالمِنْهَاج .

□ ١٣/٢ الشَّهْوَة - اللَّذَّة - الْهَوَى :

- الشَّهْوَة في اللغة: الرغبة في الشيء وحبه^(١) .
- اللَّذَّة في اللغة: طيبُ الشيء وحُسْنُه^(٢) .
- والْهَوَى في اللغة: محبةُ الإنسانِ الشيءَ وغلبته على قلبه^(٣) . وخصَّه ابن فارس بالخلوِّ من الخير والسقوط بصاحبه فيما لا ينبغي^(٤) .

(١) اللسان (ش ه و) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ل ذ ذ) .

(٣) تهذيب اللغة، اللسان (ه و ي) .

(٤) مقاييس اللغة (ه و ي) .

هكذا لا تُسَعِفُنَا كتب اللغة بفروق دقيقة بين الألفاظ الثلاثة، فلنتأمل سياقاتها في القرآن الكريم:

■ الشَّهْوَةُ:

ورد لفظ (الشَّهْوَةُ) ومشتقاته في عدة مواضع من القرآن الكريم، وهى على ضربين: شهوة محمودة، وهى التى أحلّها الله ﷻ، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٢ .
- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ فصلت: ٣١ .
- ﴿وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ المرسلات .

فهذه شهوة محمودة أعطاها الله ﷻ لعباده المؤمنين فى الجنة .

والضرب الثانى شهوة مذمومة وهى الشَّهْوَةُ الكاذبة ، أى التى يمكن الاستغناء عنها ولا يختلُ البدن من دونها، وهى المنهى عنها كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿خَلَفَ مِنْ بَإِذِنِهِ خَلْفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ مريم: ٥٩ .

والأصل فى الشَّهْوَةِ: نزوع النفس إلى ما تريده^(١) ؛ وعلى ذلك تكون الشَّهْوَةُ نزوعاً نفسياً ورغبة فى الشىء، وهى تارة محمودة، وتارة تكون مذمومة .

● اللَّذَّةُ:

ورد لفظ (اللَّذَّةُ) فى القرآن الكريم ثلاث مرات فى الآيات التالية:

- ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ الزخرف: ٧١ .

- ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ ﴿٤١﴾ الصافات .

- ﴿وَأَنذَرْتُ مَن خَمَرَ لَذَّةَ لِلشَّارِبِينَ﴾ محمد: ١٥ .

فى آية الزخرف خُصَّت الشَّهْوَةُ بالأنفس، وخُصَّت اللَّذَّةُ بالأعين، وهذا حصر لأنواع النعم؛ لأنها: إمَّا مشتهاة فى القلوب، وإمَّا مستلذَّة فى العيون^(١).
ووصف الخمر بأنها (لذَّةٌ للشَّارِبِينَ) فى الآيتين الأخيرين، فيه دلالة على أن اللذة إحساس يظهر أثره فى البدن .

■ الهَوَى :

ورد لفظ (الهَوَى) ومشتقاته فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهد:

- ﴿أَتَكْلَمُنَّ مَا لَا يَهْوَىٰ أُنْفُسُكُمُ اسْتَكَبَرْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٨٧ .

- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧ .

الهَوَى أساس الشهوة؛ لأنه يَهْوَى (أى يميل) بالنفس إلى الشهوات، وقيل: سُمى بذلك لأنه يَهْوَى بصاحبه فى الدنيا وفى الآخرة^(٢) .

والفرق بين الهَوَى والشَّهْوَةِ أن الهَوَى مصدر الشَّهْوَةِ وأصلها، وأن الهَوَى يختص بالآراء والاعتقادات، بينما تختص الشَّهْوَةُ بالمستلذَّات المحسوسة^(٣) .

● ونخلص مما سبق إلى أن ألفاظ (الشَّهْوَةُ - اللَّذَّةُ - الهَوَى) بينها تقارب دلالى؛ حيث تشترك جميعها فى معنى الحُبِّ والرغبة، ويختص كل منها بملمح دلالى يميِّزه:

(١) الكشف ٤٩٦/٣، ٤٩٧ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ه و ي) .

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣٨ .

- فالشَّهْوَة: تختص بالمحسوسات، ولكن لا يظهر أثر ذلك في البدن، فهي الميل إلى اللَّذَّة وهو أمر نفسى لا بدنى، كما أن الشَّهْوَة تكون محمودة أنا، ومذمومة أنا آخر .
- واللَّذَّة: تختص بالمحسوسات التي تظهر آثارها في البدن كلذَّة الطعم ولذَّة النظر وغيرها .
- والهَوَى: مصدر اللَّذَّة والشَّهْوَة؛ ولذلك يختص بالآراء والأفكار والاعتقادات، وهو مذموم دائماً؛ لأنه يَهْوِي بصاحبه .

حرف الصاد (١٤)

(١)	صَبِيّ، غُلام، فَتَى، وَلَد	(٢)	صَدَّ، صَدَفَ، أَغْرَضَ، تَوَلَّى
(٣)	صَفَحَ، عَفُو، مَغْفِرَة	(٤)	صُنِعَ، عَمَل
(٥)	صَنَمَ، وَثَنَ	(٦)	صِهْرَ، نَسَب

□ ١/١٤ صَبِيّ - غُلام - فَتَى - وَلَد:

أصل مادة (ص ب و) في اللغة: صِغَرُ السِّنِّ، والصَّبِيُّ يُطْلَقُ عَلَى الطِّفْلِ منذ ولادته إلى أن يُفْطَمَ^(١).

• وأصل مادة (غ ل م) في اللغة: اِهْتِياجُ الشَّهْوَةِ، ومنه الغُلامُ للوَلَدِ الَّذِي نَبَتَ شَارِبُهُ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَنْزِعُ إِلَى شَهْوَةِ النِّكَاحِ^(٢).

• وأصل مادة (ف ت و) في اللغة: الشَّبَابُ وَحْدَاثَةُ السِّنِّ^(٣).

• وأصل مادة (و ل د): النِّسْلُ، مأخوذ من الوِلادة^(٤).

• وإذن فالغلام يُطْلَقُ عَلَى الشَّبَابِ حِينَ بُلُوغِ سِنِّ النِّكَاحِ.

• أمّا الفتى فيُرادُ به الشَّبَابُ وَحْدَاثَةُ السِّنِّ دُونَ أَنْ يَتَضَمَّنَ ذَلِكَ مَعْنَى الشَّهْوَةِ.

• والولد يُرادُ به الإِشَارَةُ إِلَى قَرَابَةِ الدَّمِّ.

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص ب و).

(٢) المحكم، مقاييس اللغة، اللسان (غ ل م).

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ف ت و).

(٤) مقاييس اللغة، اللسان (و ل د).

• والصَّبِيُّ يُراد به الطفل الصغير .

وقد تكرر ذكر الألفاظ الأربعة في مواضع عديدة من القرآن الكريم، على النحو التالي:

• صَبِيٌّ:

وردت كلمة (صَبِيٌّ) في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿يَبْعَثُ خِذَ الْكِتَابِ يَقُولُ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝﴾ مريم .

- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝﴾ مريم .

الصَّبِيُّ في الآية الأولى: الطفل الصغير المميز، فقد روى عن ابن عباس في حديث مرفوع أن المراد بقوله ﷺ: ﴿صَبِيًّا﴾: ابن سبع سنين^(١) .

وفي الآية الثانية: الطفل الصغير الذي لم يبلغ السن التي يمكنه فيها الكلام، بقرينة لفظية هي قوله ﷺ: ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، وقرينة معنوية هي تعجبهم من مكالمه صَبِيٌّ، ولو بلغ سنَّ الكلام لما عجبوا من ذلك، وقرينة خارجية، وهي أن ذلك كان معجزة لسيدنا عيسى ﷺ .

فالصَّبِيُّ في الاستعمال القرآني هو الطفل الذي لم يبلغ الحُلُم^(٢) .

■ غُلام:

وردت كلمة (غُلام) في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، واستعمل بمعنى الشاب الذي بلغ سنَّ الشهوة أو كاد يبلغها، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلُومًا قَالَ يَبْعَثُنِي هَذَا غُلَامٌ﴾ يوسف: ١٩ .

- ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَالَا قَالَ أَقْنَتَ نَفْسَا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

(١) البحر المحيط ١٧٧/٦ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ص ب و) .

تُكْرًا ﴿٧٤﴾ الكهف .

- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٧﴾﴾ الكهف

قال أبو حيان: يُطلق لفظ الغُلام حقيقة على الولد ما بين الحَوْلَيْنِ إلى البلوغ^(١) ، وهو الأليق والأنسب للمعنى اللغوي للكلمة، كما سبق شرحها، ويرجّحه أيضًا قول الله ﷻ بعد ذلك:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يوسف: ٢٢ .

أى أنه حين التقطه السيّارة من البئر لم يكن قد بلغ أشدّه، وفُسر بلوغ الأشدّ بعمر يتراوح بين ثمانى عشرة سنة إلى أربعين سنة^(٢)، فلا بُدّ أنه كان أقل من ذلك يومئذ .

وعلى هذا معنى الغُلام فى آية الكهف (٧٤)، فالغُلام الذى قتله الخضر ﷺ لم يكن قد بلغ الحُلُم؛ ولذلك تعجّب موسى ﷺ من قتله، وسماه ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أى: طاهرة صغيرة لم تبلغ سنّ الحساب والجزاء^(٣)، كما أن وصف الغُلامين باليتيمين فى آية الكهف رقم (٨٢) يوحى أيضًا بصغر سنّهما، وإلا لم يصحّ وصفهما باليتيم .

والمعنى الثانى للغُلام فى القرآن الكريم هو الطفل الوليد، وقد تكرر فى البشارة بالولد، كما فى قول الله ﷻ:

(١) البحر المحيط ٢٩٠/٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٧٣٢/٢ .

(٣) الكشف ٤٩٥/٢ .

- ﴿بَنَزَكِرْنَا إِنَّا نَبُشْرُكَ بِقُلْمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾

مريم .

- ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٩﴾ الحجر .

فالغلام هنا : الطفل الوليد ، وقد عُبرَ بلفظ الغلام في مثل هذه السياقات بدلاً من (وليد ، أو طفل ، أو نحوهما) ؛ بشارة بأنه سيعيش حتى يكبر ويبلغ مبلغ الغلام .

■ فَتَى :

وردت كلمة (فَتَى) ، ومثناها (فَتَيَان) ، وجمعها (فَتِيَّة) ، و(فَتَيَان) في القرآن الكريم ثماني مرات ، واستعملت بمعنيين :

الأول : الشاب اليافع ^(١) ، كما في قول الله ﷻ :

- ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ الكهف : ١٠ .

- ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الكهف : ١٣ .

- ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۝١٥﴾ الانبياء .

الثاني : العبد والخادم ، كما في قوله ﷻ :

- ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ يوسف : ٣٦ .

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُنْبِرُ حَتَّىٰ أُنْبِغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ۝٦٥﴾ الكهف .

- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا﴾ الكهف : ٦٢ .

فَتَيَانٍ: أى عبدان للملك^(١) .

لِفَتَاةٍ: أى لعبده الذى رافقه فى سفره^(٢) .

وقد عُبرَ بلفظ (الفتى) عن العبد والخادم؛ لأنه لا يكون خادماً حتى يبلغ سن الشباب حتى يستطيع خدمة مولاه . وقد نهى النبى ﷺ أن يقول المرء: عبدى وأمتى، وليقل: فتاى وفتاتى^(٣) .

فاستعمال الفتى فى هذا المعنى هو من باب الكناية باللفظ الحسن بدلاً من اللفظ غير المستحب ذكره .

■ وَلَدَ:

كثُرَ ذكر كلمة (ولد) ومشتقاتها فى القرآن الكريم، ولكن فى جميع مواضعها جاءت بمعنى النسل، وفى سياق ذكر النسب والقرابة، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ آل عمران: ٤٧ .

- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِى مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ إِن كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِلَّذِينَ وَلَدْنَاهُ مِنْ نِسَائِهِمَا النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّهِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٌ مَّا بَاوَدْتُمْ وَأَبْنَاوَكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّهِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ

(١) الكشف ٣١٩/٢ .

(٢) الكشف ٤٩٠/٢ .

(٣) البخارى، كتاب العتق، رقم (٢٣٦٦)، مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، رقم (٤١٧٧، ٤١٧٩) .

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ ﴿النساء: ١١، ١٢﴾ .

- ﴿وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ لقمان: ٣٣ .

فالمراد بالولد ليس تحديد السن، بل ذكر علاقة الدم والنسب .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (صَبِي - غُلام - فَتَى - وَلَد) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك جميعها في معنى: حداثة السن .
ولكن حداثة السن تتدرج:

- فالصَّبِي: من لحظة الولادة إلى الفطام .
- والغُلام: من عامين إلى سبعة عشر عامًا .
- والفَتَى: الشاب الذي بلغ مبلغ الرجال .
- والوَلَد: يُطلق على الابن صغيرًا كان أو كبيرًا؛ إذ كُلُّ مولودٍ وَلَدٌ، وذلك بالقياس إلى والديه . ولا يُراد به في القرآن تحديد السن، بل علاقة القرابة والنسب .

□ ٢/١٤ صَدَّ - صَدَفَ - أَعْرَضَ - تَوَلَّى:

لم يُفرِّق اللغويون بين هذه الألفاظ وعدَّوها مترادفة، فنجد:

- في مادة (ص د د): الصَّدُّ: الإعراض والعدول، يقال: صَدَّ يَصِدُّ وَيَصُدُّ صَدًّا وَصُدُودًا، أى أعرض ومال . وَصَدَدْتُ فَلَانًا عَنْ الْأَمْرِ: منعته وصرفته عنه^(١) .
- وفي مادة (ص د ف): الصُّدُوف: الميل والعدول والإعراض^(٢) .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص د د) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ص د ف) .

• وفى مادة (ع ر ض): أَغْرَضَ عن الشيء: تَوَلَّى عنه وأولاه غُرْضَه، أى جَانِبَه، أو أولاه ظَهْرَه، ونَأَى عنه بعارضته أى بوجهه^(١).

• وفى مادة (و ل ي): تَوَلَّى عن الشيء: أَعْرَضَ وانصرف^(٢).

هكذا لم تبيّن المعاجم اللغوية أى فروق دلالية بين الألفاظ الأربعة، فلتأمل سياقاتها فى القرآن الحكيم:

■ صَدَّ:

وردت هذه الكلمة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهدا:

- ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ النساء: ٥٥ .

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ١٧٧

النساء .

- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ محمد .

(صدَّ) فى الآية الأولى بمعنى: انصرف وامتنع .

وفى الآيتين الأخريين بمعنى: صرفوا غيرهم ومنعواهم^(٣).

وإذن فالصدُّ له معنيان: الامتناع، والمنع.

■ صَدَفَ:

تكررت هذه الكلمة فى القرآن الكريم أربع مرات فى سورة الأنعام،

وذلك فى الآيتين التاليتين:

- ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ تُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام: ٤٦ .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ع ر ض) .

(٢) اللسان (و ل ي) .

(٣) مفردات الأصفهاني (صد) .

- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِعَاثِتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام: ١٥٧ .

الصَّدْفُ والصَّدُوفُ: الإعراض والنفور بعد ظهور الآيات^(١)، وأصل الصَّدْفُ كما قال الراغب الأصفهاني يدلُّ على الميل والصلابة، فالصَّدْفُ: ميل في أرجل الخيل والإبل، والصَّدْفُ: الجبل^(٢)، وعلى ذلك فالصَّدُوفُ إعراض شديد فيه نفور؛ لغلظة في الطبع تَصْرِفُهُمْ وتميل بهم عن الحقِّ بعد ظهوره، فلا يستجيبون له .

■ أَعْرَضَ:

تكرر الإعراض في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن شواهد:

- ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ النساء: ١٦ .

- ﴿وَإِذَا أَقَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بَغَايَةً﴾ الإسراء: ٨٣، فصلت: ٥١ .

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ الكهف: ٥٧ .

الإعراض في آية النساء: الكُفُّ والترك^(٣) .

وفي الآيتين الأخريين: التباعد، وأصل الإعراض: أن يُولِيهِ عُرْضَ وجهه^(٤)، فيكون الشيء خلف ظهره، والمراد: الانصراف والتباعد؛ وعلى ذلك يكون الإعراض أَدْنَى وأخَفَّ من الصَّدِّ والصَّدُودِ، ولذلك استعمل في ترك الأذى والكف عنه .

(١) الكشف ١٨/٢، البحر المحيط ١١٦/٤ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ص د ف) .

(٣) البحر المحيط ١٩٧/٣ .

(٤) الكشف ٤٦٤/٢ .

■ تَوَلَّى :

كثر ورود هذه المادة فى القرآن الكريم، وتعددت معانيها، وما يعيننا هنا هو التولى بمعنى الانصراف والتباعد، وشواهد كثيرة منها :

- ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ آل عمران: ٢٣ .

- ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورُ لَقَدْ أَتَلَقْتُكُمْ رَسُولًا مِّنِّي﴾ الأعراف: ٧٩ .

- ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا سَلَٰى ۖ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ﴾ القيامة .

قال الراغب الأصفهاني: التولى يكون إعراضاً عن الشيء بالجسم، ويكون بترك الإصغاء والائتمار^(١) .

وقوله ﷻ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فى سورة الأعراف معناه: ذهب وتركهم إنكاراً لإصرارهم على الكفر^(٢)، فهو انصراف بالجسد . وفى الآيتين الآخرين بالمعنى المادى والمعنوى معاً، فهو انصراف وتباعد بالجسم، وانصراف معنوى بترك الإصغاء والائتمار .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (صَدَّ - صَدَفَ - أَغْرَضَ - تَوَلَّى) بينها تقارب دلالى؛ حيث تشترك جميعها فى معنى عام هو البعد والترك . ويختص كل منها بملمح دلالى يميزه عن غيره:

● فالصَدُّ: يتميز بدلالته على صرف الغير ومنعه .

● والصَّدَفَ (أو الصَّدُوف): يتميز بملمح الشدة والنفور .

● والإغراض: قد لا يكون فى الشر، فقد يكون المُعْرِض تاركاً للشر ومجانباً له .

(١) مفردات الأصفهاني (و ل ي) .

(٢) الكشف ٩٢/٢ .

• والتولَّى: كالإعراض، إلّا أن فيه ملمح التباعد، فهو أشدُّ من الإعراض .

□ ٣/١٤ الصَّفْح - العَفْو - المَغْفِرَة:

• الصَّفْح فى اللغة: ترك العقاب على الذنب وترك اللوم والمؤاخذه عليه، مأخوذ من صفحة الوجه، كأنه أعرض بوجهه منصرفاً عن ذنبه غير ملتفت إليه^(١)، أو كأنه أولاهُ صفحة جميلة من وجهه معرضاً عن ذنبه^(٢) .

• والعَفْو فى اللغة: التجاوز عن الذنب مع ترك العقاب عليه، مأخوذ من العَفْو بمعنى الفضل، يقال: عَفَوْتُ لفلانٍ بمالى، إذا أفضلت عليه فأعطيته^(٣) .

• والمَغْفِرَة فى اللغة: التجاوز عن الذنب وستره، مأخوذ من الغُفْر، أى التغطية والستر .

هكذا تبدو الكلمات الثلاث متقاربة الدلالة إلى حدٍّ بعيد، وبتأمل السياقات التى وردت فيها هذه الكلمات الثلاث فى القرآن الكريم، نجد أن (الصَّفْح) أخصّها، فالصَّفْح عفوٌ وسترٌ مع ترك المؤاخذه على الذنب، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: ٨٥ .

أى: فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلمٍ وإغضاء^(٤) . وفى مواضع عدّة من القرآن الكريم جاء ذكر الصَّفْح بعد العَفْو، ومن ذلك

(١) اللسان (ص ف ح) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ص ف ح) .

(٣) اللسان (ع ف ا) .

(٤) الكشف ٣٩٧/٢ .

قول الله ﷻ:

- ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرٍ﴾ البقرة: ١٠٩ .

- ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ١٣ .

فالصَّفْح أبلغ من العَفْو؛ لأن الإنسان قد يعفو ولا يصفح، والعَفْو ترك عقوبة الذنب، أما الصَّفْح فهو ترك اللوم والمؤاخذه على الذنب^(١) .

وأما المَغْفِرَة فمن شواهدا في القرآن الكريم قول الله ﷻ:

- ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ البقرة: ٥٨ .

وقد اقترنت الكلمات الثلاثة في آية واحدة هي قول الله ﷻ:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتَّقُوا اللَّهَ مَا أَزْوَاجُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التغابن .

■ فالعَفْو ترك العقاب على الذنب، ولكن قد يصحبه لومٌ وتوبيخ، ودون ستر للذنب .

■ والصَّفْح: ترك العقاب، وترك اللوم والتوبيخ .

■ والمَغْفِرَة: ستر الذنب وعدم إشاعته مع إسقاط العقوبة^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني لهذه الكلمات يُظهر اشتراكها في معنى: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه .

● والملح الدلالي الذي يميّز كلمة (الصَّفْح) هو: ترك اللوم والمؤاخذه .

● في حين أن الملح الدلالي المميّز لكلمة (العَفْو) أنه قد يصحبه لوم ومؤاخذه .

(١) مفردات الأصفهاني (ص ف ح) .

(٢) التحرير والتنوير ٢٨/٢٨٥ .

- بينما الملمح الدلالي المميز للمغفرة هو: سَتَر الذنب وعدم إشاعته .

□ ١٤/٤ صُنْع - عَمَل :

- الصُّنْع فى اللغة: عمل شىء بمهارة وحذق وإجادة^(١) . ويقال: صَنَعَ فلانُ جاريته - إذا ربّاهَا وَغَدّاهَا^(٢)، ولا يجوز نسبة الصُّنْع إلى الجماد أو غير العاقل^(٣) .

- والعَمَل فى اللغة: كل فعلٍ مقصود، فهو أخصُّ من الفعل؛ لأن الفعل قد يقع بغير قصد^(٤) .

ولم يفرّق ابن فارس ولا ابن منظور بين العمل والفعل .

- وعلى هذا يمكن القول: إن الصُّنْع فى اللغة أخصُّ من العمل؛ لأنه عمل فيه تجويد وحذق ومهارة، كما أنَّ كليهما أخصُّ من الفعل .

وقد تكرر ذكر مادة (ص ن ع) فى القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ هود: ٣٧ .

- ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾^(١٦) طه .

- ﴿صُنِعَ اللَّهُ لِدَنِّي أَلْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٨٨ .

وسياقات الآيات الكريمة التى وردت فيها مادة (ص ن ع) جميعها تشير

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (ص ن ع) .

(٢) اللسان (ص ن ع) .

(٣) عمدة الحُفَاط (ص ن ع) .

(٤) مفردات الأصفهاني (ع م ل) .

إلى معنى الدقة والإحسان والإتقان، قال الشيخ الطاهر بن عاشور:

"الصُّنْعُ يُطْلَقُ عَلَى الْعَمَلِ الْمُتَقَنِّ فِي الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، قَالَ ﷺ: ﴿لَتَلْقَى مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ﴾. ووصف الله بـ ﴿الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨، تعميمٌ قُصِدَ به التذليل، أى: ما هذا الصُّنْعُ العجيب إلا مماثلاً لأمثاله من الصنائع الإلهية الدقيقة الصُّنْع، وهذا يقتضى أن تسيير الجبال نظام متقن... " (١).

وأما مادة (ع م ل) فقد تكررت كثيراً في القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَصْرِيَّةَ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ البقرة.
- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسًا وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٦﴾﴾ آل عمران.
- ﴿يَعْمَلُونَ لَكُم مَّا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَلْجَوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣١﴾﴾ سبأ.

● ونخلص مما سبق إلى أن العمل عام يشمل: الخير والشر، وأنه قد لا يحتاج إلى الإتقان والمهارة، وكل ما هناك أن العمل فعلٌ مقصود من فاعله كما نقلنا عن الراغب.

- أما آية (سبأ) فيما يتعلق بالجن، فقد جاءت كلمة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بدلاً من (يصنعون) على الرغم مما تحتاج إليه هذه الأشياء من مهارة وإحكام وإتقان؛ لبيان أن هذا شيء سهلٌ على الجن فهم (يعملونه) بيسر وبساطة، كما تُعْمَل

الأشياء التي لا تحتاج إلى إحكام ومهارة وإتقان، ولعل المراد بيان أنهم مهتمون بالعمل، فهم يقومون بهذه العجائب على وجه التسخير والامتهان، لا لأنهم صَنَعُوا مهرة، والله أعلم بمراده .

• أما الصَّنَع فيتميز بالمهارة والإتقان سواء أكان خيرًا أم شرًا .

□ ١٤/٥ الصَّنَم - الوثن :

• الصَّنَم فى اللغة: ما نُحِتَ من خشب أو فِضَّة أو نحاس وله صورة آدمي أو غيره، لِيَتَّخَذَ معبودًا من دون الله^(١) .

• والوثن فى اللغة: حجارة كانت تُعْبَد من دون الله^(٢) .

وجرى المُفَسِّرُونَ على هذه التفرقة بينهما، فالصَّنَم لا بُدَّ أن يكون له صورة، وهو خاص بما نُحِتَ من خشب أو فضة أو نحاس ، أما الوثن فليس له صورة، فقد يكون حجرًا لم يُنَحِتْ ليتخذ شكلًا أو صورة معينة، كما لا يُشترط أن يكون من الخشب أو الفضة أو النحاس .

وقد تكرر ذكر الأصنام فى القرآن الكريم خمس مرات فى الآيات التالية :

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذِرْ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ الأنعام .

- ﴿فَأَنزِلْنَا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ الأعراف: ١٣٨ .

- ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّاصْنَامًا﴾ إبراهيم: ٣٥ .

- ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الأنبياء .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ص ن م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (و ث ن) .

- ﴿قَالُوا تَعْبُدُوا أَصْنَامًا فَفَضَّلُوا مَا عَنِكُمِينَ﴾ (٧١) الشعراء .

السياقات التي وردت فيها كلمة الأصنام في هذه الآيات الكريمة - تشير إلى أنها شيء مصنوع مبالغ في نَحْتِه ونقشه وتصويره، ففي آية الأنعام نجد سيدنا إبراهيم عليه السلام يَنْعِي على أبيه أن "يَتَّخِذَ" أصنامًا آلهة، ولفظة (اتَّخَذَ) بصيغتها الصرفية ومعناها المعجمي تدلُّ على التكلف وبذل الجُهد، فهي إذن أصنام مصنوعة منحوتة مصوَّرة في هيئة وشكل .

ومثل ذلك آية الأعراف؛ بدليل أن قوم موسى اتخذوا من بعده من حُلِيِّهم عَجَلًا جسدًا له خُوار ، فهم صنعوا هذا العجل ليكون صنمًا يعبدونه كتلك الأصنام التي رأوا هؤلاء القوم يعبدونها، وكانت تماثيل بقر^(١) .

والآيات الثلاثة الأخرى جاءت الأصنام في آيتين منها على لسان إبراهيم عليه السلام، والثالثة على لسان قومه في آية الشعراء، وهي الأصنام التي كانوا ينحتونها، وذكرها إبراهيم عليه السلام في معرض معاتبه أبيه لاتخاذها آلهة من دون الله .

وأما الأوثان فقد ذكرت في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات التالية:

- ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ الحج: ٣٠ .

- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ العنكبوت: ١٧ .

- ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَسُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (١٥) العنكبوت .

قال أبو حيان:

قد يُتَصَوَّر استعمالُ الوَثْنِ في بناء وغير ذلك ممَّا لم يجرِّمه الشرع، ولكن عبادة الوَثْنِ هي المأمور باجتنابه^(١).

وقد بنى أبو حيان تفسيره هذا على اعتقاد جازم بأن الوَثْنِ هو الحجر غير المنحوت على صورة معينة.

وهذه التفرقة بين الصَّنَمِ والوَثْنِ هي المعتمدة عند كثير من المفسرين وعلماء اللغة وغريب الألفاظ، منهم ابن عرفة، والراغب الأصفهاني، والجصاص، والشافعي وغيرهم^(٢).

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الصَّنَم - الوَثْن) بينهما تقارب دلالي؛ حيث إنهما يشتركان في عدة ملامح دلالية هي:

- أن كليهما جسم ماديّ.
- وأنه يُتَّخَذُ إلهاً معبوداً من دون الله.
- ويختلفان في بعض الملامح الفارقة، حيث إن الصَّنَم:
- لا بُدَّ أن يكون مُصَوَّراً منحوتاً.
- ولا بُدَّ أن يُصنع من خشب أو نحاس أو فضة أو ذهب.
- أما الوَثْن فهو مجرد حجر لا صورة له ولا نقش.

□ ٦/١٤ صَهْر - نَسَب:

● الصَّهْر في اللغة: أهل بيت المرأة، ومن العرب مَنْ يستخدم لفظ (الصَّهْر)

(١) البحر المحيط ٦/٣٦٦.

(٢) انظر: مفردات الأصفهاني، عمدة الحُفَاط (ص ن م، و ث ن).

للدلالة على أهل بيت المرأة وهم الأختان، وأهل بيت الرجل وهم الأخماء^(١).

• والنَّسَبُ فى اللغة: القرابة التى يُنسَب إليها^(٢).

وقد ورد اللفظان معطوفين فى آية واحدة من القرآن الكريم، هى قول الله ﷻ:

- ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الفرقان: ٥٤ .

فالمراد بالصَّهْر: ما يَحِلُّ التزوُّج به من القرابة وغيرها .

والمراد بالنَّسَب: ما لا يَحِلُّ تزوُّجه من القرابة وغيرها .

قال ابن عباس رضى الله عنهما^(٣): حَرَّمَ الله سَبْعًا مِنَ النَّسَبِ، وخمسةً من الصَّهْرِ، فالسبع المحرَّمة من النَّسَب فى قوله ﷻ:

- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ النساء: ٢٣ .

والخمس التى من الصَّهْرِ فى قوله ﷻ:

- ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٢٣) .

النساء .

وبذلك يكون القرآن الكريم قد انتقل بدلالة اللفظين من المعنى اللغوى إلى دلالة اصطلاحية خاصة .

(١) تهذيب اللغة، اللسان (ص ه ر) .

(٢) تهذيب اللغة، اللسان (ن س ب) .

(٣) راجع تفسير الآية فى: تفسير ابن عباس، ابن كثير، البغوى، البحر المحيط، الرازى، النسفى، أبى السعود، الألوسى، التحرير والتنوير .

- ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (صَهْر - نَسَب) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى: القرابة .
- ويتميز كلُّ منهما بملمح دلاليٍّ خاص جاء من الاستعمال الاصطلاحي لهما، وهو:
- دلالة الصَّهْر على: ما يحلُّ تزوّجه من القرابة وغيرها .
- ودلالة النَّسَب على: ما لا يحلُّ تزوّجه من القرابة وغيرها .

حرف الضاد (١٥)

(١)	أَضْغَاثُ ، أَمْشَاجُ	(٢)	الضَّلَالُ ، الغَى .
-----	-----------------------	-----	----------------------

□ ١/١٥ أَضْغَاثُ - أَمْشَاجُ :

- الأَضْغَاثُ فى اللغة: جمع ضِغْثٍ، وهو كل شىءٍ مختلط ملتبس بعضه ببعض، وأَضْغَاثُ الأحلام: المختلطة التى لا يَصِحُّ تأويلها^(١) .
- والأَمْشَاجُ فى اللغة: جمع مَشْجٍ وَمَشِجٍ وَمَشِجٍ، وهى الأشياء المختلطة من أنواع مختلفة، وسُمِّيَتِ النَّظْفَةُ بالأمشاج لأنها ممتزجة من ماء الرجل وماء المرأة^(٢) .

وقد وردت كلمة (أَضْغَاثُ) فى القرآن الكريم ثلاث مرات: مرة بصيغة المفرد فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ ص: ٤٤ .

أى قبضة أو حزمة صغيرة من حشيش أو ريحانٍ أو غير ذلك من عيدان الشجر^(٣) ، وقد عُبرَ بالمفرد هنا للتقليل .

ومرتين الكلمة بصيغة الجمع ، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلْمَيْنِ﴾ يوسف .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ض غ ث) .

(٢) اللسان (م ش ج) .

(٣) الكشف ٣/٣٧٧، مفردات الأصفهاني (ض غ ث)، العمدة فى غريب القرآن،

- ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَتْهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ الانبياء .

عُبر في الآيتين بلفظ (الأضغاث) عن الأحلام المختلطة الملتبسة التي لا يصح تأويلها ولا يمكن تبين حقائقها، كأنها حِزَم أخلاط ملتبس بعضها ببعض^(١).

أما كلمة (أمشاج) فقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الإنسان .

عُبرَت الآية الكريمة بلفظ (أمشاج) الدال على الاختلاط، ولكن لكل شيء من هذه الأخلاط حقيقة، كما أن اللفظ يحتمل معنى: الألوان والأطوار المختلفة من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى غير ذلك^(٢)، أو هي عبارة عما جعله الله ﷻ بالنطفة من القوى المختلفة المشار إليها بقول الله ﷻ:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٨﴾﴾ المؤمنون .

فالأمشاج - إذن - أخلاط متميزة مختلفة، وقد أثر القرآن الكريم هذه الكلمة في وصف مراحل وأطوار خلق الإنسان؛ لتمايز هذه الأطوار واختلافها وإن كانت مختلطة، فهو اختلاط ليس فيه التباس، بل لكل شيء دوره وترتيبه^(٣).

بينما أثر القرآن الكريم لفظ (الأضغاث) في وصف الأحلام المختلطة المتداخلة التي لا يمكن تبينها، فلفظ الأضغاث فيه اختلاط شديد وليس فيه

(١) الكشف ٣٢٤/٢، مفردات الأصفهاني (ض غ ث) .

(٢) انظر: الكشف ١٩٤/٤، البحر المحيط ٣٩٣/٨ .

(٣) مفردات الأصفهاني (م ش ج) .

تمايز للأشياء المختلطة، وهذا الوصف أدق وصف لاختلاط الأحلام بحيث لا تبين ملامحها ولا يمكن تأويلها، أو لا حقيقة لها .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (أضغاث - أمشاج) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في ملمح الاختلاط .

والملامح الدلالية المميّزة للأضغاث هي:

- الالتباس والتداخل .
- عدم الوضوح .
- مناقضة الحقائق .

بينما الملامح الدلالية المميّزة لكلمة (أمشاج) هي:

- الاختلاف والتنوع .
- الدلالة على المرحليّة .
- أشياء لها حقائق .

□ ٢/١٥ الضلال - الغنى :

● الضلال في اللغة: ضياع الشيء وذهابه في غير حقه، وكل جائر عن القصد ضال^(١) .

● والغنى في اللغة: الانهماك في الباطل، يقال: غوى يغوى غيًّا، قال المرقش الأصغر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَغْدَمُ عَلَى الْغَى لَائِمًا^(٢)

وهو مشتق من الغيابة، وهي الغبرة والظلمة، كأنّ ذا الغنى قد غشيه ما لا

(١) مقاييس اللغة، الصحاح، النهاية، اللسان (ض ل ل) .

(٢) أنشده ابن فارس، وهو في المفضليات ٤٧/٢ .

يرى معه سبيل حق^(١) .

فالضَّلَال : ذَهَابٌ عَنِ الْحَقِّ وَمِثْلٌ عَنْ سَبِيلِهِ ، أَمَّا الْغَيُّ فَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ ؛
لأنه انهماك في الباطل وكأن صاحبه قد غشيه ما لا يرى معه سبيل حق .
ولذلك اسْتُعْمِلَ الضَّلَالُ فِي الْقُرْآنِ لِكُلِّ عُدُولٍ عَنِ الْمَنْهَجِ عَمْدًا كَانَ أَوْ
سَهْوًا ، يَسِيرًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا ، فَمِنْ هُنَا عُبِّرَ بِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ يَكُونُ مِنْهُ خَطَأٌ ؛
وَلِذَلِكَ نُسِبَ الضَّلَالُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ) ، وَإِلَى
الْكُفَّارِ ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الضَّالِّينَ بَوْنٌ بَعِيدٌ . فَقَالَ فِي حَقِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ :
﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ﴾ (٧) الضحى ، أَى : غَيْرَ مُهْتَدٍ لِمَا سَبَقَ مِنَ النُّبُوَّةِ ، وَقَالَ
فِي حَقِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْكَبِيرِ ۖ﴾ (٩٥) يوسف ،
وَقَالَ أَوْلَادُهُ : ﴿إِنَّا أَبْنَاا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف : ٨ ، إِشَارَةً إِلَى شَغْفِهِ بِيُوسُفَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَوْقِهِ إِلَيْهِ ، وَقَالَ فِي حَقِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ
(١٥) الشعراء ، تَنْبِيْهُهَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ سَهْوٌ مِنْهُ ، وَاسْتُعْمِلَ فِي النِّسْيَانِ الْمَوْضُوعِ
عَنِ الْإِنْسَانِ ذَنْبُهُ ، فِي قَوْلِهِ ﷺ : ﴿أَنْ تَفِضَلَ إِحْدَهُمَا فَنُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا
الْأُخْرَى﴾ البقرة : ٢٨٢ ، وَأَمَّا الضَّلَالُ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الْإِهْتِدَاءِ ، وَالْجَوْرِ عَنْ
الْحَقِّ ، فَفِي نَحْوِ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء : ١٣٦ ، وَهُوَ الضَّلَالُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ ﷻ
وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَالنُّبُوَّةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ ، وَعَنْ مَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ
الشَّرْعِيَّةِ وَالْعِبَادَاتِ^(٢) .

كما اسْتُعْمِلَ الضَّلَالُ فِي الْقُرْآنِ بِمَعَانٍ أُخْرَى ، مِنْهَا :

■ الْغِيَابُ^(٣) ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ ﷻ :

(١) مقاييس اللغة (غ و ي) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ض ل ل) .

(٣) الكشف ١١/٢ .

- ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ٢٤، الأعراف: ٥٣، يونس: ٣٠، هود: ٢١، النحل: ٨٧، القصص: ٧٥ .

- ﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الأنعام: ٩٤ .

■ البطلان والضياع^(١)، كما فى قوله ﷺ:

- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣١﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٣٢﴾﴾ الكهف .

■ الذهاب فى الأرض والاختلاط بترابها^(٢)، وهو كناية عن الموت، كما فى قوله ﷺ:

- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ السجدة: ١٠ .

■ الخطأ، كما فى قوله ﷺ:

- ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٧﴾﴾ طه .
لا يَضِلُّ: لا يُخْطِئُ ﷻ^(٣) .

فالضلال - إذن - بكل درجاته يشمله معنى: عدم الاهتداء، والبعد عن الطريق المستقيم فى كل شىء، ويكون عن جهل، فالضال يسلك طريق الباطل ويترك الحق عن غير علم^(٤) .

وأما الغى فهو مجانبة الحق والانهماك فى الباطل مع العلم بذلك^(٥)، وليس عن جهل، أو عن اعتقاد فاسد^(٦)، فهو أشد من الضلال .

(١) الكشف ٥٠٠/٢، البحر المحيط ١٦٧/٦ .

(٢) الكشف ٢٤٢/٣ .

(٣) الكشف ٥٣٩/٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٦٤/٤ .

(٥) ابن كثير ٢٦٤/٤ .

(٦) مفردات الأصفهاني (غ و ي) .

وقد ورد الغَى في القرآن بعدّة معانٍ:

■ الكفر، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦ .

فالغَى هنا: الكفر بعد ما استبانَت الأدلة الهادية إلى الإيمان^(١)، وهو عدول مقصود، وميل عن الحق مع العلم به .

■ الشرّ، كما في قوله ﷻ:

- ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ مريم .

الغَى: كلُّ شرٍّ، ومنه الخسران والهلاك والعذاب، وبكلِّ فُسْر (غِيًّا) في الآية^(٢)، واستشهد الزمخشري على أن الغَى معناه عند العرب: كل شرٍّ، بيت المرقش المذكور في أول هذا المبحث .

وعلى ذلك فالغَى اسم جامع للشرّ، والانهماك في الباطل، والبعد عن الخير والحقّ، مع العلم بذلك، ففيه قصديّة دائمة .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (الضلال - الغَى) بينهما تقارب دلاليّ؛ حيث يشتركان في معنى عامٍّ هو مجانبة الحق .

● ويختص الغَى بملامح فارقة تميّزه عن الضلال، وهي:

الشدة، والانهماك في فعل الشر، والبعد عن الحق، والعلم بذلك، وفساد الاعتقاد .

● أما الضلال فقد لا يكون عن علم ولا عن قصد، وهو يتراوح في درجات

(١) الكشف ٣٨٧/١، البحر المحيط ٢٨٢/٢ .

(٢) الكشف ٥١٤/٢، البحر المحيط ٢٠١/٦ .

الشدة ؛ ولذلك يحمل معانى متعددة حسب السياقات، وهى:
السهو، الخطأ، النسيان، الذهاب، الغياب، البطلان، الضياع، الجور
عن الحق عن جهل .

حرف الطاء (١٦)

		طائفة، فرقة	(١)
--	--	-------------	-----

□ ١/١٦ طائفة - فِرقة:

لم تفرّق المعاجم بين الفِرقة والطائفة؛ حيث ذكرت أن:

• الطائفة: الجماعة من الناس^(١).

• الفِرقة: الطائفة من الناس^(٢).

إلا أن الاستعمال القرآني يفرّق بينهما، كما يتضح من قول الله ﷻ:

- ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢.

قال الزمخشري: الفِرقة: الجماعة الكثيرة، والطائفة: الجماعة القليلة^(٣).

• ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (طائفة - فرقة) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في الدلالة على العدد، والفارق الدلالي بين الكلمتين هو كثرة العدد في الفِرقة، وقلته في الطائفة. والقرآن الحكيم لم يهْدِر هذا الملمح الدلالي المميّز في استعمال الكلمتين.

(١) اللسان (ط و ف).

(٢) اللسان (ف ر ق).

(٣) الكشف ٢/٢٢١.

حرف العين (١٨)

(١)	عَبْدٌ، مَمْلُوكٌ	(٢)	أَعَدَّ، أَعْتَدَ
(٣)	عَذَلٌ، قَسَطٌ	(٤)	عَذَابٌ، عِقَابٌ
(٥)	مَعْرِفَةٌ، عِلْمٌ، يَقِينٌ	(٦)	عَقْدٌ، عَهْدٌ، مِيثَاقٌ
(٧)	علم اليقين، عين اليقين، حَقُّ اليقين	(٨)	الْعَمَى، الْعَمَى

□ ١/١٨ عَبْدٌ - مَمْلُوكٌ :

العَبْدُ والمَمْلُوكُ في اللغة سواء، جاء في المعاجم:

• العَبْدُ: المَمْلُوكُ، خلاف الحر^(١).

ولكن الاستعمال القرآني فرَّق بين اللفظين، كما يتضح ذلك من وصف العبد بالمَمْلُوكِ في قول الله ﷻ:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ النحل .

والصفة خلاف الموصوف، وإلا كانت لغواً، فكلمة (مَمْلُوكًا) هنا أضافت معنى جديداً، وهو أنه غير حرٍّ ولا قادر على التصرف^(٢)؛ وذلك لأن اسم العبد يدل على الإنسان عموماً، فكل إنسان عَبْدٌ لِلَّهِ ﷻ، ولكن جاء الوصف (مَمْلُوكًا) هنا إيضاحاً وتفسيراً لهذا العبد المقصود، وهو المَمْلُوكُ

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ع ب د) .

(٢) انظر: الكشاف ٢/ ٤٢٠ .

العاجز عن التصرف، وكأنه جماد مُسَخَّر لا إرادة له ولا قدرة .

أما العبودية لله ﷻ فهي غير ذلك، ولقد شَرَّفَ الله ﷻ عباده بنسبتهم إليه ﷻ، كما في الآيات التالية:

- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ البقرة: ٢٣ .

- ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّكُمْ كَأْتِ عَبْدًا شَكُورًا﴾ الإسراء .

- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الكهف .

العبودية هنا تكريم وتشريف ورفع لقدرة الإنسان، على عكس العبد (المملوك) العاجز مسلوب الإرادة .

فوصف العبد بالمملوك في آية النحل رقم (٧٥) أُريدَ به إبراز المفارقة بين لونين من العبودية: عبودية الإنسان للإنسان، وبها يصير العبد (شيئًا) من الأشياء، كالجملادات . . وعبودية الإنسان لله ﷻ، وبها يبلغ الإنسان أرفع درجات الكمال البشري، وهو ما أشار إليه النبي ﷺ حين خُيرَ بين أن يكون مَلِكًا نَبِيًّا، أو يكون عَبْدًا نَبِيًّا، فأشار عليه جبريل عليه السلام أن يختار العبودية فقال ﷺ: "بل أكون عَبْدًا نَبِيًّا"^(١).

● ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (عَبْد - مَمْلُوك) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى الذل والخضوع، ولكن شتَان بينهما، فالعبودية تتضمن نوعين:

- عبودية الإنسان لله ﷻ، وبها يسمو ويعلو قَدْرُهُ .

- وعبودية الإنسان للإنسان، وبها ينحطُّ إلى درجة الجمادات .

(١) فتح الباري، شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني للحديث رقم (٤٩٧٩)، تحفة الأحوذى، شرح الحديث رقم (١٧٥٣) .

● أمّا (المَمْلُوك) فيقتصر على معنى واحد هو العبوديّة للبشر، وهو كالجمادات لا قدرة له ولا إرادة .

□ ٢/١٨ أَعَدَّ - أَعْتَدَ :

● كلا الفعلين فى اللغة بمعنى: هَيَأَ . وقيل إن التاء فى (أَعْتَدَ) مبدلة من الدال، فيقال: أَعْتَدْتُ، بدلًا من: أَعْدَدْتُ^(١) .

وذكر ابن فارس (أَعْتَدَ) فى مادة (ع ت د)، بينما ذكر (أَعَدَّ) فى مادة (ع د د)، قال فى الموضع الأول: العُدَّة: ما أُعِدَّ لأمرٍ يحدث، يقال: أَعْدَدْتُ الشَّيْءَ أُعِدُّهُ إعدادًا^(٢) .

وقال فى الموضع الثانى: العين والتاء والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حضور وقرب . قال الخليل: تقول: عَتَدَ الشَّيْءُ، فهو عَتِيدٌ حاضِرٌ . وقد أَعْتَدَنَاهُ وهَيَّأَنَاهُ لأمرٍ إنْ حَزَبَ^(٣) .

وورود اللفظين فى القرآن الكريم شاهدٌ على اختلافهما، وإن كان ذلك الاختلاف شيئًا يسيرًا، فقد تكرر ذلك الفعل (أَعْتَدَ) فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة، ومن شواهد:

- ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾^(١)
النساء .

(١) اللسان (ع ت د) .

(٢) مقاييس اللغة (ع د د) .

(٣) مقاييس اللغة (ع ت د) .

- ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ يوسف: ٣١ .
 - ﴿وَمَنْ يَفْنَى مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلَ صَالِحًا تُوْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ الأحزاب .

ولو كانت التاء مُبدلة من الدال في (أَعْتَدَ) المسند إلى (نا) الفاعلين طلبًا للخفّة، لما كان ذلك جائزًا في (وَأَعْتَدَتْ) في آية يوسف، فإن الإدغام هو المعتمد في هذه الحالة، فيقال: وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً .

فلا بدّ أن هناك سرًّا في عدول القرآن الكريم عن (أَعَدَّ) إلى (أَعْتَدَ)، وقد أشار الراغب الأصفهاني إلى ذلك حين جعل (أَعْتَدَ) من العتاد^(١)، وهو ما رجّحه الأزهرى أيضًا^(٢) .

ويلاحظ في السياقات القرآنية لهذا الفعل أن أكثر وروده مع النار والعذاب (١٢) مرة، ومرة واحدة مع المُتَّكَأ في سورة يوسف، وأخرى مع الرزق الكريم في آية الأحزاب .

وسياقات الفعل (أَعَدَّ) جاءت في ذكر الجنة، والنار، والأجر، والمغفرة، والعدّة، وآلة الحرب، ومن شواهد:

- ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة .

- ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ آل عمران .

- ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الأنفال: ٦٠ .

- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعِدُّوا لَهُمْ عُدَّةً﴾ التوبة: ٤٦ .

- ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ التوبة: ٨٩ .

(١) مفردات الأصفهاني (ع ت د) .

(٢) تهذيب اللغة (ع ت د) .

- ﴿وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٩) الأحزاب .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (أَعَدَّ - أَعْتَدَ) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى التهيئة .

● ويختص (أَعَدَّ) بتعدد معانيه، مما يشير إلى اتساع المدى الدلالي له؛ حيث يرد مع الجنة، والنار، والرزق، والأجر، والمغفرة، والعُدَّة، وآلة الحرب .

● بينما اقتصر استعمال (أَعْتَدَ) في القرآن الكريم على النار والعذاب في أكثر المواضع (١٤) مرة ونذر استعماله مع الرزق (مرة واحدة)، ومع المجلس أو المُتَّكَ (مرة واحدة) أيضًا .

وهذا يعني أن (أَعْتَدَ) أَخْصُصَ من (أَعَدَّ) .

□ ٣/١٨ العَدْل - القِسْط :

● العَدْل في اللغة: الاستواء والاستقامة، يقال: عَدَلْتُهُ حَتَّى اغْتَدَلَ، أى: أَقَمْتُهُ حَتَّى اسْتَقَامَ واستوى .

● والعَدْل: قيمة الشيء . . والعَدْل: نقيض الجور، وكل هذا من المعادلة، وهى الاستواء . ومن معاني العَدْل أيضًا: الاعوجاج والانحراف^(١) .

فالعَدْل من أَلْفَاظ الأضداد .

● والقِسْط في اللغة أيضًا يُسْتَعْمَلُ بمعنيين متضادين: العَدْل والجور، ومن معانيه أيضًا: الميزان، والنصيب^(٢) .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ع د ل) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ق س ط) .

هكذا نرى أن الكلمتين (عَدْل - قِسْط) في اللغة بينهما ترادف شبه تام .
وقد تكرر ذكر العَدْل في القرآن الكريم، والمعنى الجامع لدلالاته المتنوعة في السياقات القرآنية هو معنى المُعَادِلَة، أى المساواة، كما في الآيات التالية:

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١٨) البقرة .

فالعَدْل هنا: الفدية؛ لأنها مُعَادِلَة (أى مساوية) لِلْمَفْدَى^(١) .

ومثل ذلك العَدْل في قوله ﷺ:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل: ٩٠ .

فالعَدْل: المماثلة والمساواة وأن يُقَابَلَ الشئ بمثله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر . والإحسان: أن يُقَابَلَ الخير بأكثر منه والشرُّ بأقل منه^(٢) .

وقد يُعَبَّرُ بالعَدْل عن الجور والانحراف عن الحق، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) الأنعام .

أى: ينحرفون ويميلون عن الحق والإنصاف . وكلمة (يَعْدِلُونَ) هنا تحتمل معنى التسوية، أى يجعل لله ندًا يُسَوُّونه به، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، كما تحتمل معنى الانحراف والميل، أى: يجورون وينحرفون بعبادتهم عن الله ﷻ ويصرفونها إلى غيره^(٣) .

(١) انظر: الكشف/١/٢٧٩ .

(٢) البحر المحیط ٥/٥٢٩، مفردات الأصفهاني (ع د ل) .

(٣) الكشف ٢/٤، البحر المحیط ٤/٦٩، مفردات الأصفهاني (ع د ل) .

هكذا نجد الاستعمال القرآنى لكلمة (العَدْل) فى جميع مواضعها مرتبطًا بالأصل الدلالى لها، وهو المماثلة والمساواة، وحتى المواضع التى تحتمل معنى العدول (أى الاعوجاج والانحراف والجور) مرتبطة أيضًا بالأصل الدلالى؛ لأن الجور يتأتى من التسوية بين الخالق والمخلوق .

أما القِسْط فقد تكرر ذكره فى عدة مواضع من كتاب الله الكريم، ومن شواهد:

- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ آل عمران: ١٨ .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرَضُوا وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢٥﴾﴾ النساء .

- ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ الحجرات: ٩ .

لم يفرّق المفسّرون - ولا علماء اللغة - بين العَدْل والقِسْط، وجعلوهما مترادفين ترادفًا تامًا .

وأجمعوا على أن المُقْسِط هو العادل، والقاسط هو الجائر^(١)، وهذا من دلالة الصيغة الصرفية، فالمُقْسِط من يعطى كلّ أحدٍ قِسْطَه بالحق، والقاسط مَنْ يَمْنَعُه قِسْطَه، أى نصيبه العادل^(٢) .

وإذا صَحَّ الترادف التام بين العَدْل والقِسْط حال أفراد كل منهما، فإن هذا لا يصح فى حال عطفهما؛ لأن العطف يوجب التغاير، وقد عُطف العَدْل والقِسْط فى قول الله ﷻ:

(١) انظر: الكشف ٢٠٤/١، ٢١٧، البحر المحيط ٣٥١/٢، التحرير والتنوير ٣/

١٨٧، مفردات الأصفهاني (ق س ط)، العملة فى غريب القرآن، ص ٩٧، ١٠٥،

٢٤٢، ٣٠٤ .

(٢) الكشف ٥٦٤/٣، مفردات الأصفهاني (ق س ط) .

- ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ (الحجرات: ٩) .

والذى نراه أن القِسْطُ أخصُّ من العَدْل ؛ ولذلك سُمى الميزان بالقِسْط والقِسْطاس ، فالقِسْطُ عدْلٌ بَيِّنٌ ظاهر ، كأنه يقسم الأمور قسماً ويُقدِّرها تقديرًا ماديًا بالوزن الظاهر .

وأما العَدْلُ فقد يكون ظاهرًا ، وقد يكون خفيًا باطنًا . ولَمَّا كان العَدْلُ إلهيًّا ظاهرًا وباطنًا أُطلق الوصفان على الله ﷻ ، فهو العَدْلُ ، وهو المُقْسِطُ ﷻ .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (العَدْل - القِسْط) بينهما تقارب دلاليٌّ كبير ؛ فكلاهما يعنى : الإنصاف والمساواة ، ولكن القِسْط يختص بملمح دلاليٍّ مميز هو ظهور هذا الإنصاف وتلك المساواة ظهورًا بيِّنًا ، كأنما قُدِّر الأمر بالميزان الذى تُوزَن به الأشياء المادية .

□ ١٨/٤ العذاب - العقاب :

● العذاب والعقاب فى اللغة مترادفان ، كلاهما بمعنى النكال ، أو مجازاة الذنب بمثله^(١) .

ولكن الأصل الدلالي لكل منهما يفيد بأنهما متغايران ، فأحد أصول مادة (ع ذ ب) : الضرب ، واستشهدوا لذلك بقول زهير فى وصف الناقة :

وَحَلَفَهَا سَائِقٌ يَحْدُو إِذَا خَشِيَتْ مِنْهُ الْعَذَابَ تَمُدُّ الصُّلْبَ وَالْعُنُقَا

وحكى الخليل : عَذَّبْتَهُ تعذيبًا ، أى : فَطَّمْتُهُ . وهذا من باب الامتناع من المأكَل والمشرب . ثم استُعيرَ العذاب لكل شدة^(٢) .

(١) اللسان (ع ذ ب ، ع ق ب) .

(٢) مقاييس اللغة (ع ذ ب) .

• وأصل مادة (ع ق ب): تأخير شيء وإتيانه بعد غيره ، والعقاب من هذا الباب؛ سُمِّيَ بذلك لأنه يأتي عَقِبَ الذنب (أى بعده) ^(١) .

يُفْهَم من هذا التأصيل الدلالى أن العقاب لا بُدَّ أن يسبقه ذنب، أما التعذيب فقد لا يسبقه ذنب .

وقد راعى القرآن الكريم الأصل اللغوى فى استعماله للفظين، فمن شواهد العذاب المسبوق بذنب قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠ .

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ آل عمران: ٤ .

ومن العذاب غير المسبوق بذنب قوله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ مِآلِ فِرْعَوْنَ يُسُومُونَ سَوَاءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٤٩ .

ومما يؤكد أن عذاب فرعون لبنى إسرائيل لم يكن مسبقاً بذنب منهم قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَدَّيْحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: ٢٨ .

ولو أن هذا العذاب كان بذنب سابق منهم لما وصف فرعون بالإفساد، ولما خاطبه موسى ﷺ بقوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَغَدِّبْهُمْ﴾ طه: ٤٧ .

أما العقاب فلا بد أن يسبقه ذنب، ومن شواهد فى القرآن الكريم:

- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦) .

- ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ ص: ٩١ .

فالعقاب مجازاة بالذنب، ولا يُشترط أن يكون شديدًا أو أليماً أو مهيناً . . . إلى آخر تلك الصفات التي وُصِفَ بها العذاب في كتاب الله الحكيم . والعذاب يتضمَّن دائماً ملمح الشدة، حتى وإن لم يُوصَفَ بالشديد أو الأليم ونحو ذلك، أمَّا العقاب فقد يكون يسيراً؛ لارتباط العقوبة بالذنب، فإذا عظم الذنب عظمت العقوبة، وإذا صغر كان العقاب على قدره . ويوضح ذلك بجلاء قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ النحل: ١٢٦ .

المعنى: إن صُنِعَ بكم سوءٌ من قتلٍ أو نحوه فعاقلوه بمثله ولا تزيدوا عليه؛ وسُمِّيَ الفعلُ الأوَّلُ باسمِ الثاني للمزاوجة بين اللفظين، والمراد: إن بُغِيَ عليكم فردُّوا هذا البغى بمثله^(١) .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (العَذَاب - العقاب) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى: النكال والمجازاة .
- لكن يتميز العقاب بأنَّه قد يكون شديدًا وقد يكون يسيراً، وأنَّه يُنبئ عن الاستحقاق؛ لأنه لا يكون إلا عَقَبَ الذنوب .
- بينما يتميز العذاب بملمحين هما: الشدَّة، وكَوْنُهُ عامًّا فيمن يستحقُّه وَمَنْ لا يستحقُّه .

□ ١٨/٥ المَعْرِفَةُ - العِلْم - اليَقِين :

- المَعْرِفَةُ في اللغة: إدراك الشيء بتفكُّر وتدبُّر لأثره^(٢) .

(١) الكشف ٤٣٥/٢ .

(٢) مفردات الأصفهاني (ع ر ف) .

• والعِلْمُ فى اللغة: إدراك الشئ بحقيقته ودليله^(١)، مأخوذ من العلامة، أى: السِّمَة التى تميّز الشئ، أو من العَلَمِ وهو الدليل^(٢).

• واليقين: العِلْمُ الذى يُزيل الشكَّ وَيَسْكُنُ معه الفهم ويثبت الحُكْمُ^(٣).

هكذا تتدرّج المعانى فى هذه الألفاظ المتقاربة الدلالة، فالمَعْرِفَةُ أعمُّ هذه الألفاظ، والعِلْمُ أخصُّ من المعرفة؛ لأنه معرفة الشئ بحقيقته ودليله، أما اليقين فهو أخصُّ الألفاظ الثلاثة؛ لأنه علم يزول معه كل شكَّ ويسكن إليه الفهم ويثبت معه الحُكْمُ.

وقد راعى القرآن الكريم درجات المعنى هذه، فنجد أن المعرفة قد وردت فى عدة آيات منها قول الله ﷻ:

- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ البقرة: ٨٩.

- ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ الْحَافَاءَ﴾ البقرة: ٢٧٣.

فمعرفة اليهود للحقِّ شئٌ بَدِهُى واضح لهم لا يحتاج إلى دليل؛ لأنهم كما قال الله ﷻ:

- ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ البقرة: ١٤٦، الأنعام: ٢٠.

لهذا أثر القرآن الكريم الفعل (عَرَفَ) بدلاً من (عَلِمَ) فى هذا السياق. وكذا فى وصف الفقراء المتعففين عن مسألة الناس؛ إذ لا يَخْفَى حالهم بل هو بَيِّنٌ من رثاءة مظهرهم وصُفْرة وجوهم^(٤).

أما العِلْمُ فالسياقات القرآنية التى ورد فيها تفيد إدراك الشئ بحقيقته

(١) مفردات الأصفهاني (ع ل م).

(٢) انظر: اللسان (ع ل م).

(٣) اللسان، مفردات الأصفهاني (ى ق ن).

(٤) انظر: الكشاف ١/ ٣٩٨.

ودليله؛ لا لأن الشيء واضح بذاته، بل لأن العالم قد ميّزه وأحاط به وأدرك حقيقته بالدليل، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾

النساء: ٨٣ .

أى: لعلم تدبير ما أخبروا به وعلم صحته وفساده^(١) .

فالعلم - إذن - أعلى درجة من المعرفة .

وأما اليقين فهو أعلى درجات الإدراك، ومن ذلك قوله ﷻ:

- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾

البقرة .

- ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ﴾

النمل .

- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ التكاثر .

فاليقين: إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني للكلمات الثلاث: (المعرفة -

العلم - اليقين) يُظهر اشتراكها فى معنى: الإدراك .

● والملح المميّز للمعرفة هو أنها أعمّ هذه الألفاظ، فهي مجرد إدراك الشيء، ويسبقها جهل .

● بينما الملح المميّز للعلم هو: حضور الدليل، ولا يسبقه جهل؛ لذلك يُقال: الله عالم، ولا يقال: الله عارف .

(١) الكشف ٥٤٧/١، ٥٤٨ .

(٢) الكشف ١٣٧/١ .

- والملمح المميّز لليقين هو: القطعية وثبوت الحكم وانتفاء الشك .

□ ١٨/٦ العَقْد - العَهْد - الميثاق:

- أصل العَقْد فى اللغة: نقيض الحَلِّ، واستُعِيرَ لمعنى تأكيد اليمين والعَهْد .
فالعَقْد: أَشَدُّ العهود تأكيداً^(١) .
- والعَهْد فى اللغة: الإقرار بالمحافظة على الشيء، يقال: تَعَهَّدَ الشيءَ وتعَاهَدَهُ، أى حافَظَ عليه . والعَهْد: الوصية، والالتزام^(٢) .
- والميثاق فى اللغة: حبلٌ أو قيد يُشَدُّ به الأسير، ثم أُطلق على العَهْد المحكم^(٣)، من باب تشبيه شدة الالتزام بذلك الحبل الذى لا يمكن الخلاص منه .
- ومما سبق يتضح أن هذه الألفاظ المتقاربة فى المعنى، على درجات فى القوة والشدة:
- فأعلاها الميثاق، المستعار من الحبل المحكم والقيد الذى لا مخلص منه .
- ثم العَقْد، وهو العَهْد المؤكَّد، تشبيهاً له بالشيء المعقود، والشيء المعقود يمكن حله، بخلاف الوثاق .
- ثم العَهْد المُعَبَّر به عن المحافظة والالتزام .
- وقد راعى القرآن الكريم هذه الدرجات من الشدة فى استعماله للألفاظ المذكورة .

(١) اللسان (ع ق د) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ع ه د) .

(٣) اللسان (و ث ق) .

ففى العقد يقول الله ﷻ:

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَآوُفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: ١ .
 - ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْآيْمَانَ﴾ المائدة: ٨٩ .
- العقود: العهود التى ألزم الله بها عباده من تكاليف شرعية وأمانات وغيرها، شبه العهد المؤكد بعقدة الحبل ونحوه^(١)، ثم استعمل مجازاً فى الالتزام فغلب استعماله حتى صار حقيقة عرفية، فالعهود عقود، والتحالف من العقود والتبايع والمؤاجرة ونحوها من العقود^(٢) . ووصف اليمين المؤكد بالعقد، كأنه عقد بالقصد والنية^(٣) .

أما العهد فتكرر ذكره فى القرآن الكريم كثيراً، ومن شواهد:

- ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ البقرة: ٢٧ .
- ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْيَمِينَ﴾ الرعد .
- ﴿وَءَآوُفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٤ .

ذكر الميثاق بعد العهد يفيد أنهما متغايران، فالعهد: إقرار والتزام، والميثاق: شدة تأكيد العهد وإحكامه^(٤) .

ولذلك استعمل الميثاق تعبيراً عن عهد الله ﷻ إلى أنبيائه (صلوات الله وسلامه عليهم)؛ ولشدة أمر هذا العهد وقوته، قال الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ءِمْرِي قَالَُوا

(١) الكشف ٥٩٠/١ - ٥٩١ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٤-٢٥/٦ .

(٣) الكشف ٦٤٠/١ .

(٤) الكشف ٢٦٨/١ .

أَقْرَنَّا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ آل عمران .

وعُبرَ به عن الالتزام بعهد الإيمان والإقرار بالربوبية، كما فى قول الله ﷻ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ قَوَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٢﴾﴾ البقرة .

وعُبرَ به عن المعاهدات والمصالحات بين الناس؛ توكيداً لأمر هذه المعاهدات، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ النساء: ٩٠ .

كما عُبرَ به عن المعاشرة بين الأزواج، نحو قوله ﷻ:

- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ النساء .

وُصِفَ الميثاق بالغلظ لقوّته وعظمته .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (عَقْد - عَهْد - ميثاق) بينها تقارب دلالى؛ حيث تشترك فى معنى الالتزام والمحافظة . وتدرّج فى الشدة: فأعلاها الميثاق، ثم العقد، ثم العهد .

□ ٧/١٨ عِلْمُ اليقين - عَيْنُ اليقين - حَقُّ اليقين:

● اليقين فى اللغة: زوال الشك^(١) .

وقد استعمل اليقين مفرداً فى القرآن الكريم فى الآيات التالية:

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ى ق ن) .

- ﴿وَمَا قَلَّوْهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧) .

- ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩) الحجر .

- ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَلَمٍ مِّنْ يَّنَا يَقِينِ﴾ (النمل: ٢٢) .

- ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ (٤١) حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ (٧) المدثر .

• واليقين: عِلْمٌ يزول معه الشك ويسكن الفهم ويثبت الحكم^(١) .

كما استعمل اليقين في القرآن مضافاً إلى ثلاثة أشياء: العلم، العين، والحق، فأما إضافة إلى (عِلْم، عَيْن) فقد جاء في قول الله ﷻ:

- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَبْثَ
الْيَقِينِ (٧) التكاثر .

وجاء مضافاً إلى (حَقّ) في قوله ﷻ:

- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (١٥) الواقعة .

- ﴿وَأَنَّهُمْ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١) الحاقة .

على هذا النحو قَسَمَ المتأملون في كتاب الله مراتب اليقين إلى ثلاث درجات:

■ عِلْمُ اليقين: هو يقين الخبر، وهو سكون القلب إلى خبر المُخْبِرِ ووثوقه به واطمئنانه إلى صدقه بالدليل الجازم .

■ عَيْنُ اليقين: هو يقين الدلالة، وهو ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل؛ لأنه يراه رَأَى العين فلا حاجة - إذن - إلى الدليل .

■ حَقُّ اليقين: هو يقين المشاهدة، وهذه منزلة الرسل صلوات الله وسلامه

عليهم، فقد رأى نبيُّنا ﷺ الجنة والنار بعينه .

وبعد أن ساق ابن القيم ما تقدم ذكره من مراتب اليقين ضرب لذلك مثلاً فقال: "ومما يوضح ذلك أن يخبرك شخص أن عنده عسلاً، وأنت لا تشكُّ في صدقه، ثم أراك إياه فازددت يقيناً، ثم دُقَّت منه؛ فالأول علم اليقين، والثاني عين اليقين، والثالث حق اليقين .. وعِلْمُنَا الآن بالجنة والنار: عِلْمُ اليقين، فإذا أزلت الجنة للمتقين وشاهدها الخلاق، وبُرُزت الجحيم للغاوين وعابنها الخلاق فذلك: عَيْنُ اليقين، فإذا أُدْخِلَ أَهْلُ الجنة الجنة، وأهل النار النار فذلك حينئذٍ: حَقُّ اليقين^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أَنَّ لليقين في القرآن الكريم ثلاث درجات:

- ١- عِلْمُ اليقين: وهو يقين الخبر .
- ٢- عَيْنُ اليقين: وهو يقين الدلالة .
- ٣- حَقُّ اليقين: وهو يقين المكاشفة .

□ ٨/١٨ الْعَمَّة - الْعَمَى:

● الْعَمَّة في اللغة: ترديد النظر، قال الشاعر:

مَتَى تَعَمَّةً إِلَى عُثْمَانَ تَعَمَّةً إِلَى ضَخْمِ السَّرَادِقِ وَالْقِبَابِ

أى: تُرَدَّدُ النظر إليه، ومن هذا المعنى أُخِذَ معنى: التحير وعدم الاهتمام؛ لأن المتحير يُرَدَّدُ النظر لا يدري أين يذهب^(٢) .

(١) مدارج السالكين ٢/٤١٨-٤٢٠، بصائر ذوي التمييز (ى ق ن) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ع هـ) .

• والعَمَى فى اللغة: أصله السَّر والتغطية، ومنه العَمَى الذى هو ذهاب البصر كُلُّه . ويُستعار لفقد البصيرة^(١) .

وقد راعى القرآن الكريم فى استعماله للكلمتين هذا الفارق الدلالى بينهما، فقد اقتصر العَمَه على فَقْد البصيرة فى جميع شواهد، وهى الآيات التالية:

- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِنَّ وَيُنَزِّلُ فِيهِمُ السَّمَاءَ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١٥﴾ البقرة .

- ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام: ١١٠ .

- ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ لَمْ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ الأعراف .

فكلمة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ فى هذه الآيات جميعاً بمعنى: الضلال والحيرة وعدم الاهتداء^(٢) .

أما لفظ (العَمَى) ومشتقاته فقد استعمل فى القرآن الكريم بداليتين:

■ العَمَى المادى، أى فقد حاسة البصر، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ النور: ٦١، الفتح: ١٧ .

- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾ عبس: ١-٢ .

فالمراد هنا: عَمَى البصر .

■ العَمَى المجازى، وهو الضلال وانطماس البصيرة وعدم الاهتداء إلى الحق، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ الأنعام: ١٠٤ .

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ع م ي) .

(٢) الكشف ١/ ١٩٠، مفردات الأصفهاني (ع م ه) .

- ﴿أَفَن يَمْلِكُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ الرعد: ١٩ .
- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَتَسْتَعْمِلُونَكُم بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ الحج .
- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (العمه - العمى) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى: عدم الاهتداء .
- ويختص العمه بالبصيرة .
- بينما يستعمل العمى في فقد حاسة البصر، وفقد البصيرة أيضًا، أي في الماديات والمعنويات .

حرف الغين (١٩)

(١)	الغيث، المطر .		
-----	----------------	--	--

□ ١/١٩ الغَيْث - المَطَر :

• الغَيْث فى اللغة: المطر والكَلأ^(١) .

• والمَطَر: الماء المنسكب من السحاب^(٢) .

فاللغة تُسَوِّى فى الاستعمال بين الغَيْث والمَطَر .

أما الاستخدام القرآنى للكلمتين فله خصوصيةٌ نلاحظها بتأمل السياقات القرآنية لهما؛ حيث وردت كلمة (الغَيْث) دائماً فى معنى: المطر النافع المخصب للأرض والنبت، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٣٦﴾ لقمان .

- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ الشورى: ٢٨ .

وأما المطر فالمتأمل فى السياقات القرآنية التى ورد فيها يجد أنها قد استخدمت فى سياق العقاب الإلهى للطاغين والمفسدين، كما فى قوله تعالى:

- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنُضُودٍ﴾ هود: ٨٢ .

- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ الشعراء .

(١) اللسان (غ ي ث) .

(٢) اللسان (م ط ر) .

فالمطر هنا: حجارة من السماء أهلكته هؤلاء الطغاة المجرمين^(١).

وكذا في سائر المواضع التي ورد فيها المطر في القرآن الكريم، اقترن بالعذاب والإهلاك .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني لكلمتي (الغَيْث - المَطَر) يُظهر اشتراكهما فيما يسقط من السماء .

● ويتميز الغَيْث في الاستخدام القرآني بملمح النفع والخير والخصب .

● بينما اختص المطر بالعذاب والهلاك .

وهذا الاستخدام من خصائص القرآن الحكيم .

حرف الفاء (٢٠)

(١)	التَّفَرُّق، التَّنَازُع	(٢)	فَصَمَ، قَصَفَ، قَصَمَ
(٣)	الفَقْه، الفَهْم	(٤)	الْفَلَّاح، النَّجَاح

□ ١/٢٠ التَّفَرُّق - التَّنَازُع:

• التَّفَرُّقُ فى اللغة: انفصال الشئ عن الشئ وتمييزه منه^(١)، وهو ضدّ الاجتماع^(٢).

• والتَّنَازُعُ فى اللغة: مأخوذ من النَّزَعَ، وهو الجذب والقَلْع^(٣)، فكانَ المتنازعين يتجاذبان الحُجَجَ بينهما .

وقد ورد لفظ (التَّفَرُّق) بهذه الصيغة فى القرآن الكريم ثمانى مرات منها الآيات التالية:

- ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣ .

- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ آل عمران: ١٠٥ .

- ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُغْنِ اللَّهُ عَنْ كُلٍّ مِنْ سَعَتِهِ﴾ النساء: ١٣٠ .

- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١٥٣ .

التَّفَرُّقُ فى آيتى آل عمران (١٠٣، ١٠٥) معناه: الاختلاف الذى يؤدى

(١) مقاييس اللغة (ف ر ق) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ف ر ق) .

(٣) اللسان (ن ز ع) .

إلى زوال الاجتماع والألفة، ونشوب البغضاء والعداوة^(١).

والتَّفَرُّقُ فى آية الأنعام: اتَّبَعَ الْأَهْوَاءَ وَالشَّهَوَاتِ وَالتَّبَاعِدَ عَنِ الدِّينِ الْحَقِّ وَهُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ^(٢).

والتَّفَرُّقُ فى آية النساء: أَنْ يَفَارِقَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ^(٣).

فالتَّفَرُّقُ - إذن - يكون جسدياً مادّياً، ويكون معنوياً وهو الاختلاف المؤدّى إلى التباغض والعداوة، أو الاختلاف فى أصول الدين واتِّباع الشهوات والأهواء ومجانبة الحق.

وأما التَّنَازُعُ فقد ورد فى القرآن الكريم بهذه الصيغة سبع مرات، منها الآيات التالية:

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٥٢.

- ﴿فَإِنْ لَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩.

- ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ۚ﴾ الطور: ٢٣.

ذكر المفسرون ما يفيد أن التَّنَازُعَ فى آتى آل عمران والنساء هو: الاختلاف^(٤).

(١) الكشف ٤٥١/١، ٤٥٣، البحر المحيط ١٨/٣، ٢١.

(٢) الكشف ٦٢/٢، البحر المحيط ٢٥٤/٤.

(٣) الكشف ٥٦٩/١.

(٤) الكشف ٤٧٠/١، ٥٣٥، ١٦١/٢، ٢٦٢؛ البحر المحيط ٢٧٨/٣، ٢٧٩،

٥٠٣، ٥٠١/٤.

ومعنى التَّنَازُعُ فى آية الطور ﴿يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ : التعاطى والتبادل والتجاذب على سبيل الملاعبة؛ فَإِنَّ لأهل الدنيا فى ذلك التجاذب لذة، وكذلك فى الجنة^(١).

فالتَّنَازُعُ قد يكون معنويًا وهو اختلاف الآراء والمذاهب، وقد يكون ماديًا وهو التجاذب . وإذن فقد سَوَّى العلماء بين التَّنَازُعِ والتَّفَرُّقِ فى دلالة كُلِّ منهما على الاختلاف، إِلَّا أَنَّ التَّفَرُّقَ أقوى من التنازع؛ لأن التفرُّق فيه تشتيت للوحدة وتمزيق للجماعة، أما التَّنَازُعُ فقد لا يؤدَّى إلى تمزيق وحدة الجماعة، ومما يؤذن بذلك قوله ﷺ :

- ﴿فَإِنْ لَنْزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩ .

فهذا تنازع، ولكنه يرتفع ويزول بِرَدِّ الأمر إلى الله ورسوله .
وللتفريق معنى حِسِّى هو الفراق والتباعد، وللتنازع معنى حِسِّى آخر هو التجاذب .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (التَّفَرُّقُ - التَّنَازُعُ) بينهما تقارب دلالى؛ حيث يجتمعان فى معنى الاختلاف .
- ويختص التفرُّق بملح الشدة بما يفضى إلى التمرُّق والعداوة .
- كما أن للتَّفَرُّقَ معنى ماديًا خاصًا به هو مفارقة الأبدان، بينما للتَّنَازُعَ معنى ماديًا آخر خاص به هو: التجاذب .

□ ٢/٢٠ فَصَمَ - قَصَفَ - قَصَمَ :

- الفَصْمُ فى اللغة: كسر الشئ دون أن يفصل بعضه عن بعض

والانفصام : الانقطاع^(١) .

• القَصَفُ فى اللغة: الكسر، يقال: قَصَفَ العُودَ، أى كَسَرَهُ، وقَصِفَ العودُ: إذا كان خَوَّارًا ضعیفًا، وكذلك الرجل، ورعد قاصف أى شديد، كأنه يقصف الأشياء بشدته^(٢) .

• والقَصْمُ فى اللغة: الكسر الشديد للشيء حتى ينفصل بعضه عن بعض، يقال: قَصَمْتُ الشيء حتى ينفصل بعضه عن بعض، يقال: قَصَمْتُ الشيء، أى كَسَرْتُهُ حتى يَبِين^(٣) .

ومن المعانى اللغوية لهذه الألفاظ يظهر لنا أنها متدرّجة فى الشدّة، فالقَصْمُ أدناها، والقَصْمُ أشدها، والقَصَفُ بينهما فى الشدّة .

وقد راعى الاستعمال القرآنى للألفاظ الثلاثة هذا التدرّج فى دلالتها على الشدّة، وقد ورد كلٌّ منها فى القرآن الكريم مرة واحدة . ورد الانفصام فى قول الله ﷻ:

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ البقرة: ٢٥٦ .

أى لا انقطاع لها، والانفصام: الانقطاع أو الكسر من غير بينونة؛ ولذلك كان نفي الانفصام فى الآية أبلغ من نفي الانفصام^(٤) . والمعنى أنه عهد وثيق لا ينقطع أدنى انقطاع .

أما القَصَفُ فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قوله ﷻ:

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ف ص م) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ق ص ف) .

(٣) المحكم، اللسان (ق ص م) .

(٤) عمدة الحفاظ (ف ص م) .

- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيَرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ الإسراء: ٦٩ .

أى: ريحا شديدة لها صوت شديد تكسر ما تمرُّ عليه من بناءٍ وشجرٍ وغير ذلك^(١).

فالملمح المميز للقَصْف هو أنه مصحوب بصوت شديد .

وأما القَصْمُ فقد ورد فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ الأنبياء: ١١ .

أى: أهلكنا، عبَّر عن الإهلاك بالقَصْم، وهو الكسر الذى يفصل الشئ بعضه عن بعض^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (قَصَمَ - قَصَفَ - قَصَمَ) بينها تقارب دلالى؛ إذ تشترك جميعها فى معنى: القطع والكسر .

● ويتميز القَصْم بكونه أهونها؛ لأنه قطع لا تبين معه أجزاء الشئ المكسور أو المقطوع .

● بينما يتميز القَصْف بشدة الصوت المصاحب للكسر، وقد استُعْمِل فى سياق التخويف، فتظاهرت شدة الكسر مع شدة الصوت لهذا الغرض .

● وأما القَصْمُ فاستُعْمِلَ فى وصف إهلاك الله للقرى الظالمة، وهو إهلاك قد حدث بالفعل، ولم يترك من آثار تلك القرى شيئاً؛ والملمح الدلالى الذى يميز القَصْم: إبانة أجزاء الشئ بعضها عن بعض .

(١) الكشف ٤٥٨/٢، عمدة الحُفَاط (ق ص ف) .

(٢) الكشف ٥٦٤/٢، عمدة الحُفَاط (ق ص م) .

□ ٣/٢٠ الفقه - الفهم :

- الفقه فى اللغة: إدراك الشىء والعلم به والفطنة له^(١) .
- والفهم فى اللغة: العلم بالشىء^(٢) .

وإذن فالفقه يتميز عن الفهم بدلالته على الفطنة بالإضافة إلى العلم بالشىء .

وقد تكرر ذكر الفقه فى القرآن الكريم، ومن شواهدة:

- ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ أَقْوَمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٧٨ .
- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأنعام: ٢٥ .
- ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام: ٦٥ .
- ﴿قَالُوا يَنْشِئُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ﴾ هود: ٩١ .

قال الراغب الأصفهاني: الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد^(٣) .

وعلى ذلك استعمال الفقه فى السياقات القرآنية، فهو ليس مجرد العلم بالشىء، بل فيه معانى الفطنة، وقياس الغائب على الحاضر، وفيه أيضا معانى التريث وطول النظر والتأمل، وعمق الاستيعاب للجوانب الخفية والغامضة، واستنباط المعانى وتوليدها؛ ولذلك لا يقال للرجل (فقيه) حتى يبلغ مبلغا عظيما من العلم بالأحكام الشرعية وطرق استنباط الأدلة، والإحاطة الشاملة بذلك، مع فطنة وقدرة على التأمل وطول النظر .

فقوله ﷺ: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ معناه: أنهم لا يعلمون أن الله ﷻ هو باسط الأرزاق وقابضها على حسب إرادته وعلمه وتديره تبارك وتعالى^(٤)

(١) مقاييس اللغة، اللسان، النهاية لابن الأثير (ف ق ه) .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ف ه م) .

(٣) المفردات (ف ق ه) .

(٤) الكشف ٥٤٥/١ .

وذلك لأنهم جعلوا بعض الحوادث من الله وبعضها من غير الله، وبذلك فهم لا يفقهون؛ لأنهم لو فقهوا لعلموا أن للحوادث مؤثراً، وسبباً وأدلة تنبئ عنها وعن عواقبها، فالله ﷻ خالق المؤثرات والأسباب، وهو الذي يضرب الأدلة للناس على المنافع والمضار بمختلف الأدلة، وعلمهم طرق الوصول إليها، وأرشدهم إلى عواقبها الظاهرة والخفية، وهياً الأسباب لتحصيل الخير والشر . . . ولكون هذه القضية دقيقة الفهم نبه الله تعالى على قلة فهمهم بقوله ﷻ: ﴿فَالْهَؤُلَاءِ أَقْوَمُ لَا يَكَادُونَ يَقْهَوْنَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٧٨، فذلك حديث لا يعقله إلا من تفطن وأعمل فكره واستنبط الأدلة وأدرك الجوانب الخفية من الأشياء موضع التأمل والعلم^(١).

فالقرآن لم ينف عنهم صفة الفهم، بل نفى عنهم (الفقه)، ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأنعام: ٢٥، فهم لهم عقول وإدراك، ولكن أهواءهم أضلتهم عن الفقه بالتعمق وطول النظر والتأمل في القرآن الكريم^(٢).

أما الفهم فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الأنبياء: ٧٩.

والسر في استعمال لفظ (فَهَّمْنَا) هنا دون (فَقَّهْنَا) هو أن داود وسليمان (عليهما السلام) كليهما كانا فقيهين بدليل ختام الآية بقول الله ﷻ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، لكن سليمان عليه السلام كان أسرع إلى إدراك القضية والبت فيها، فالفهم يدل على سرعة الإدراك دون التأمل والتعمق والإحاطة واستنباط الأدلة وكشف الغامض، فإن ذلك كان إلهاماً من الله ﷻ لسليمان عليه السلام جعله

(١) التحرير والتنوير ١٣١/٥ - ١٣٣.

(٢) المرجع السابق ١٧٩/٧.

(يفهم) المسألة فهمًا فوريًا على وجه السرعة، دونما حاجة إلى قلب النظر وإطالة التأمل فيها .

● ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (الفقه - الفهم) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى: العلم بالشئ وإدراكه .

● ويتميز الفقه بملامح دلالية فارقة هي:

١- التأمل .

٢- إطالة النظر والتريث .

٣- الاستنباط والإحاطة .

٤- غموض جوانب المسألة المنظور فيها وتشعبها .

● بينما يتميز الفهم بملمح السرعة .

□ ٢٠/٤ الفَّلَاح - النَّجَاح:

● الفَّلَاح في اللغة: الفوز والنَّجاة والبقاء في النعيم والخير، قال الشاعر:

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَالْأَمِّ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ

وقال آخر:

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهُمُومِ سَعَةٌ وَالْمُسَى وَالصُّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ

أى: لا بقاء في هذا العالم المتغيّر بالإصباح والإمساء .

ومعنى "حتى على الفَّلَاح" في الأذان: هلُمَّ إلى الفوز بالخير والبقاء

الدائم^(١) .

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ف ل ح) .

• والنَّجَاح في اللغة: الظَّفَر بالشَّيء وإدراكه^(١).

فالمعنى اللغوي يبيِّن اشتراك المادتين (ف ل ح)، و(ن ج ح) في ملمح عام هو: الفوز . إلا أن النَّجَاح يختص بإدراك الأشياء، أمَّا الفلاح فيتضمَّن ملامح دلالية أخرى هي: البقاء، والخير، والنجاة .

ومن هنا أثر القرآن الحكيم التعبير بلفظ (الفلاح)، ولم ترد مادة (ن ج ح) في القرآن الكريم .

والاستعمال القرآني للفلاح ومشتقاته يبيِّن لنا هذه الملامح الدلالية للمادة، كما في الآيات التالية:

- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾﴾ البقرة

- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩ .

- ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾﴾

آل عمران .

- ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الحج .

- ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ المؤمنون .

هكذا تجمع الآيات الكريمة صفات عديدة لكي يتحقق الفلاح فيمن اتصف بها ؛ ففي الآيات الأولى من سورة البقرة جُمِعَ للمفلحين عدة صفات

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ن ج ح) .

هى: التقوى، والإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالآخرة . يقول الزمخشري:

المُفْلِح هو: الفائز بالبُغْيَة، كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه^(١) .

يشير الزمخشري إلى أصل مادة (ف ل ح) وهو الشَّقُّ، يقال: فَلَح الأرض، أى شَقَّها، ومنه سُمِّيَ الفَلَّاح . ويربط بين هذا الأصل الدلالي للمادة وبين معنى الفلاح، والملمح المشترك بينهما هو السَّعة الملحوظة فى معنى الشَّقِّ والفتح .

وقال أبو حيان:

وَصَفَ المتقين بصفات مدح فَصَّلَتْ جهات التقوى، ثم أشار إليهم وأَعْلَمَ بأن من حاز هذه الأوصاف الشريفة هو على هدى، وهو المُفْلِح . ومعنى (المُفْلِحون): الباقون فى نعيم الآخرة^(٢) .

أما النّجاح فيقتصر أمره على الظفر بالحاجة .

● فالنّجاح - إذن - دنيوى، وفى جانب واحد .

● أما الفلاح فيجمع بين الدنيا والآخرة، فهو ثمرة لنجاحات متعددة، وفيه جَنَى لثمار النّجاح، وفيه إدراك كل مأمول، وفيه معنى السعة، ومعنى التيسير، ومعنى البقاء والخير .

● وقد ينجح الإنسان ولا يكون مُفْلِحًا؛ لأن النّجاح مجرد الظفر بالحاجة، أما الفلاح فيتضمن كل الملامح الدلالية المذكورة، ومن هنا جاء فى القرآن الكريم للتعبير عن هذه المعانى المذكورة، جمعها الله ﷻ لعباده المؤمنين المتقين .

(١) الكشف ١/١٤٩ .

(٢) البحر المحيط ١/٤٣ ، ٤٤ .

حرف القاف (٢١)

(١)	القُنُوط، اليأس		
-----	-----------------	--	--

□ ١/٢١ القُنُوط - اليأس :

- القُنُوط فى اللغة: أشدُّ اليأس من الشئ^(١).
- واليأس فى اللغة: نقيض الرجاء^(٢).

وبهذا يتضح أن القُنُوط ضرب من اليأس، فكلاهما نقيض الرجاء، ولكن القُنُوط درجة عالية من اليأس ينتفى معها كل رجاء ويغيب معها كل أمل .
وقد ورد اللفظان (القُنُوط - اليأس) متجاورين فى آية واحدة من آيات الذكر الحكيم هى قول الله ﷻ:

- ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ﴿٤٩﴾ فصلت .

وباستقراء الآيات التى وردت فيها كلمة (اليأس) ومشتقاتها فى القرآن الكريم نجد أن اليأس وصف للقلب بانقطاع الأمل وخيبة الرجاء كما يتجلى فى قول الله ﷻ:

- ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ المائدة: ٣ .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ ﴿١٢٣﴾ الممتحنة .

(١) النهاية لابن الأثير، اللسان (ق ن ط) .

(٢) النهاية لابن الأثير، اللسان (ى أ س) .

أما القنوط فهو أشدُّ وأبلغ من اليأس؛ ومن هنا كان تكرار الوصف في آية فُصِّلَتْ، فمرةً وُصِفَ باليأس وهو انقطاع الأمل وفقدان الرجاء، وذلك محلُّه القلب، ومرةً ثانية وُصِفَ بالقنوط، وهو "أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر"^(١)، فالقنوط "انفعالٌ بدنيٌّ تالٍ لليأس، بعد أن يتجاوز إحساسُ اليأس القلبَ ويظهر على البدن"^(٢)، فنرى ذلك على تعبيرات الوجه، وفي نبرة الصوت، وفي انكسار الإنسان وتضاؤله وتنكيس رأسه.

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآني لكلمتي (اليأس - القنوط) يوردهما بمعنى متقارب، حيث يشتركان في ملمح فقدان الرجاء، وبين الكلمتين ملمح فارق هو أن اليأس محلُّه القلب، والقنوط ظهور آثار اليأس على البدن، وهو أشدُّ وأبلغ من اليأس .

(١) الكشف ٤٥٧/٣ :

(٢) التحرير والتنوير ١٢/١٠ ، ١١ .

حرف اللام (٢٣)

(١)	اللَّعِب، اللَّهْو	(٢)	اللُّغُوب، النَّصَب
(٣)	اللَّمَز، الهمز		

□ ١/٢٣ اللَّعِب - اللَّهْو:

• اللَّعِب فى اللغة: ضِدَّ الْجِدِّ، وَيُقَال لكل من عَمِلَ عَمَلًا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ نَفْعًا: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ^(١). وفى حديث تميم الدارى رضي الله عنه والجساسة: "صَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ (أى اضطرب) فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجِ شَهْرًا"^(٢). سَمَّى اضطراب الموج لَعِبًا لَمَّا لَمْ يَسِرْ بِهِمْ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادُوهُ^(٣). وَلَعِبَ فَلَانٌ: إِذَا كَانَ فَعْلُهُ غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ مَقْصِدًا صَحِيحًا^(٤)؛ فَاللَّعِبُ فَعْلٌ يَخْلُو مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْجَدْوَى.

• وَاللَّهْوُ فى اللغة: كل ما يشغل الإنسان عَمَّا يَعْنِيهِ وَيُهْمُّهُ، وَمِنْ وَسَائِلِهِ: الْهَوَى وَالطَّرَبَ وَاللَّذَاتِ، وَالْغَفْلَةَ وَالْانْصِرَافَ عَنِ الْخَيْرِ^(٥).

وَالْفَارَقُ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ فى اللغة هو أَنَّ اللَّعِبَ فِعْلٌ، بَيْنَمَا اللَّهْوُ انْصِرَافٌ وَانْشِغَالٌ، وَقَدْ لَا يَكُونُ فِعْلًا، نَحْوَ الْغَفْلَةِ، فَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

وقد تكرر ذكر اللَّعِبِ فى القرآن الكريم، ومن شواهد:

(١) اللسان (ل ع ب).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٥٢٣٥).

(٣) النهاية فى غريب الحديث والأثر (ل ع ب).

(٤) مفردات الأصفهاني (ل ع ب).

(٥) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (ل ه و).

- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْنَاهُمَا مَا لَمْ نَقْلُمَا أُنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٩﴾﴾ الأنعام .

- ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يوسف .

- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢٩﴾﴾

الأنبياء .

وتكرر ذكر اللهو في القرآن الكريم أيضًا، ومن شواهد:

- ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْتُهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ الأنبياء .

- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾﴾ لقمان .

- ﴿وَإِذَا رَأَوْا بَاجِرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ الْبَاجِرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ الجمعة .

واجتمع اللعب واللهو معطوفين في ست آيات: أربع منها تقدّم فيها اللعب، وهى:

- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَلْدِينُ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُوْبِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ الأنعام .

- ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿١٦١﴾﴾ محمد .

- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَاجِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَسْفَلَ الْكُفَّارِ نَبَالُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٧﴾﴾
الحديد .

وتقدّم اللّهُو على اللّعب في آيتين هما :

- ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نَسْفَعُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَائِبِينَ ﴿٥١﴾﴾ الأعراف .
- ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَلِئِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ العنكبوت .

والنصوص القرآنية توضّح بجلاء أن اللّعب : عملٌ لا يهدف إلى غاية أو منفعة، وليس فيه حكمة، وهو مجلبة للذّة وراحة البال؛ ولذلك كان في أكثره يُطلق على أعمال الصبيان، فشبه بذلك عملُ الكبار إذا خلا من المقصد والغاية والحكمة وكان لمجرد اجتلاب اللذّة^(١).

واللهو: انصراف النفس عن الجدّ إلى الهزل^(٢).

ومما يدل على أن اللهو هو التشاغل، وقد لا يتضمن فعلاً قول الله ﷻ :

- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١﴾﴾ لاهية قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾﴾ الأنبياء .

فاللهو هنا: ذهول القلب وغفلته، ولا يلزم أن يكون بالفعل والحركة .

والتعبير عن أعمال الكفار باللّعب تشبيه لها بأعمال الصبيان، وفيه رمز

(١) البحر المحيط ٤/١٠٨، التحرير والتنوير ٧/١٩٣ .

(٢) البحر المحيط ٤/١٠٨، التحرير والتنوير ٧/١٩٣ .

لحقارتها حيث لم يترتب عليها مقصد ولا منفعة؛ ولهذا قُدِّم اللعب على اللهو في المواضع الأربعة بيانا للخلو من المقصد والجدوى والحكمة، وثنى باللهو وهو الانشغال عن الجد والانصراف عنه . بينما تقدم اللهو على اللعب في موضعين (الأعراف: ٥١، العنكبوت: ٦٤) حيث ذكر النسيان في سورة الأعراف في قوله ﷻ:

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَيْسَ وَعَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نَسْفَعُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ الأعراف .

وتقدّم معنى الغفلة والذهول والانصراف في العنكبوت في قوله ﷻ:

- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ العنكبوت .

فهذه حقائق لو سُئِلوا عنها نسبوها إلى خالقها، وهذا يقتضى منهم أن لا يكفروا، فلمّا انصرفوا عن علمهم بهذه الحقائق وتشاغلوها عنها كفروا بالله ﷻ، ومرجع ذلك نسيانهم وغفلتهم وتشاغلوهم؛ فلذلك تقدم اللهو في هذين الموضعين^(١).

- ونخلص مما سبق إلى أن كلمتي (لَعِب - لَهْو) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى الخلو من الحكمة والمقصد الصحيح .
- ويتميز اللَّعِب بلمح دلالي فارق حيث إنه لا بُدَّ أن يكون فعلاً .
- بينما يتميز اللَّهْو بلمح دلالي فارق هو أنه قد لا يكون فعلاً، فقد يكون تشاغلاً وغفلة عن الجد .

□ ٢/٢٣ اللُّغُوبُ - النَّصَبُ :

- اللُّغُوبُ فِي اللُّغَةِ: الضَّعْفُ وَالتَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ الشَّدِيدُ^(١) .
- وَالنَّصَبُ فِي اللُّغَةِ: الْعَنَاءُ، مَاخُوذٌ مِنَ الْإِنْتِصَابِ، وَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَزَالُ مُنْتَصِبًا لِلشَّيْءِ حَتَّى يُصِيبَهُ الْإِعْيَاءُ^(٢) .
- وَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ (لُغُوبٌ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَرَّتَيْنِ، فِي الْآيَتَيْنِ التَّالِيَتَيْنِ:
- ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فاطر: ٣٥ .
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۝١٨﴾
- ق .
- أَمَّا النَّصَبُ فَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَمِنْ شَوَاهِدِهِ:
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ التوبة: ١٢٠ .
- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا عَدَاءُ نَاقَدٍ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝١٧﴾ الكهف .
- ﴿فَإِذَا فُرِغَتْ فَانْصَبْ ۝٧﴾ الشرح .

لَمْ يُفَرِّقِ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِي بَيْنَ اللَّغُوبِ وَالنَّصَبِ^(٣)، وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ عَلَى نَحْوِ مَا جَاءَ فِي الْمَعَاجِمِ اللَّغَوِيَّةِ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ مُعَلِّقًا عَلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٣٥) مِنْ سُورَةِ فَاطِرٍ: "فَإِنْ قُلْتَ: مَا

(١) مَقَائِيسُ اللُّغَةِ، اللِّسَانُ (ل غ ب) .

(٢) مَقَائِيسُ اللُّغَةِ، اللِّسَانُ (ن ص ب) .

(٣) الْمَفْرَدَاتُ (ل غ ب، ن ص ب) .

الفرق بين النَّصَب واللُّغُوب؟ قلتُ: النَّصَبُ: التَّعَبُ والمشقةُ التي تصيب المنتصبَ للأمر المزاوِلَ له، وأما اللُّغُوب فهو: ما يلحقه من الفتور (أى الضعف والإعياء) بسبب النَّصَب، فالنَّصَبُ نَفْسُ المشقة والكُلفة، واللُّغُوب نتيجةه وما يحدث منه من الكلال والفترة^(١).

وفرق أبو حيان بين الكلمتين بقوله:

"نَصَبُ أَى تَعَبٌ بَدَنٍ، وَلُغُوبٌ أَى تَعَبٌ نَفْسٍ، وهو لازم عن تَعَبِ البدن"^(٢).

وفرق بينهما الطاهر بن عاشور بقوله:

"النَّصَبُ: التَّعَبُ من نحو شدة حرٍّ أو برْد . واللُّغُوبُ: الإعياء من جرّاء عَمَلٍ أو جَرَى"^(٣).

ولعلَّ أوضحَ فرقٍ بينهما هو ما قاله الزمخشري؛ حيث جعل النَّصَبَ مرتبطاً باشتقاقه اللغوى الأصيل، وهو المعاناة المصاحبة لمزاولة الأمر. أما اللُّغُوب فهو الإعياء الشديد الذى يعقُب النَّصَبَ، ويدلُّ على ذلك أمر الله ﷻ لنبىه ﷺ بالنَّصَبِ فى قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾^(٧) الشرح، أى: اجتهد فى العبادة^(٤)، والله ﷻ لا يأمر نبىه بأن يبالغ فى مزاولة العناء والشقاء حتى يصل إلى درجة الإعياء والضعف الشديد، بل لقد ثبت عكس ذلك فى قول الله ﷻ:

- ﴿طه﴾ مَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢١﴾ طه .

(١) الكشف ٣/٣١٠ .

(٢) البحر المحيط ٧/٣١٤ .

(٣) التحرير والتنوير، ٢٢/٣١٧ .

(٤) الكشف ٤/٢٦٧، البحر ٨/٤٨٨ .

رُويَ في تفسير الآيتين أن النبي ﷺ صَلَّى بالليل حتى تورّمت قدماه، فقال له جبريل عليه السلام: "أَبْقِ على نفسك فَإِنَّ لها عليك حَقًّا" . أى: ما أنزلناه لنتُهِك نفسك بالعبادة وتُذيقَها المشقة الفادحة^(١).

وإذن فاللُّغوب: قَرُط الإعياء الناتج عن مزاولة المشاق والعناء، وله أثر في البدن والنفس معًا .

والنَّصَب هو: المشقة التى تصاحب انتصاب الإنسان لأمرٍ وعناءه فيه .

● ونخلُص مما سبق إلى أن لفظي (اللُّغوب - النَّصَب) متقاربان في الدلالة؛ حيث يشتركان في معنى التَّعب .

ويتميّز كلُّ منهما بملمح دلاليّ فارق:

● فالنَّصَبُ: التعب والعناء نفسه أثناء مزاولة الأمر .

● واللُّغوبُ: الإعياء بعد الانتهاء من عمل شاقٍّ، ويكون في البدن والنفس .

□ ٣/٢٣ اللَّمَز - الهمز:

● اللَّمَز في اللغة: العيب في المواجهة، وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خَفِيٍّ^(٢) .

● والهمز في اللغة: أصله نَحَس الدابة بالعصا، ويكون ذلك من وراء، ومنه أُخِذ معنى العيب بالغيب دون مواجهة مَنْ يعيبه^(٣) .

وقد راعي القرآن الكريم هذا الفارق الدلاليّ بين الكلمتين في استعماله

(١) الكشف ٥٢٩/٢ .

(٢) اللسان (ل م ز) .

(٣) انظر: اللسان (ل م ز، ه م ز) .

لهما، فقد ورد اللَّمَزُ في أربع آيات هي:

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ (٥٨) ﴿التوبة .

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٥٩) ﴿الحجرات .

- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (٦٠) ﴿الهمزة .

- ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦١) ﴿التوبة .

يَلْمِزُكَ في الصدقات: يعيبك ويطعن عليك، وسبب نزول هذه الآية أن ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج دخل على رسول الله ﷺ وهو يقسم غنائم غزوة حنين فخطبه قائلاً: اعدل يا رسول الله . فقال ﷺ: "ويلك! إن لم أعدل فمَنْ يَعدل؟!!" (١).

وواضح من سياق الآية وسبب نزولها أن المراد بالَّلْمَز: الطعن والعيب في المواجهة .

أما الهمز فقد ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات التالية:

- ﴿وَقُلْ رَبِّ اعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (٦٢) ﴿المؤمنون .

- ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَافٍ مِّمَّيْنِ﴾ (٦٣) ﴿هَازِجٌ مَشْلَمٌ بِنَسِيمٍ﴾ (٦٤) ﴿القلم .

- ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (٦٥) ﴿الهمزة .

قال الزمخشري في آية المؤمنون رقم (٩٧):

"الِهَمَز: التَّخَس ... ومنه مِهْمَاز الرائض (الذى يروض الدابة)، والمعنى أن الشياطين يحثُّون الناس على المعاصى ويُغرونهم عليها كما تهمز الراضة (المدرِّبون) الدوابَّ حَثًّا لها على المشى^(١) .

سُمِّيت وسوسة الشياطين همزاتٍ (لا لَمَزاتٍ)؛ لأنها خفيَّةٌ .

وجمع بين الِهَمَز واللَّمَز فى سورة الِهَمَزَة للتحذير من العيب والطعن والوقوع فى الناس سواء فى المواجهة (وهو اللَّمَز) . أو فى الغيب (وهو الِهَمَز) .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (اللَّمَز والِهَمَز) متقاربان دلاليًّا؛ حيث يشتركان فى معنى: العيب والطعن فى الناس .
- ويتميَّز اللَّمَز بلمح الظهور، فهو عيب فى المواجهة .
- بينما يتميَّز الِهَمَز بلمح الخفاء، فهو العيب بالغيب .

حرف النون (٢٥)

(١)	النَّصِيحَة، الوَصِيَّة		
-----	-------------------------	--	--

□ ١/٢٥ النَّصِيحَة - الوَصِيَّة:

• النَّصِيحَة في اللغة: الإخلاص والصدق، وكل شيء خالص يقال له: ناصح، كالعسل الناصح وغيره^(١).

وفي الحديث: "الدين النصيحة، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"^(٢).

قال ابن الأثير: "النصيحة: كلمة يُعَبَّرُ بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يُعَبَّرَ عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها. وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نَصَحْتُه، ونَصَحْتُ له. ومعنى النصيحة لله: صحّة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته. والنصيحة لكتاب الله: هو التصديق به والعمل بما فيه. ونصيحة رسوله: التصديق بنبوته ورسالته، والانقياد لما أمر به ونهى عنه. ونصيحة الأئمة: أن يطيعهم في الحق، ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا. ونصيحة عامة للمسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم"^(٣).

• والوَصِيَّة في اللغة: مأخوذة من مادة (و ص ي) الدالة على معنى وصل شيء، يقال: وَصَيْتُ الليلةَ باليوم، أَيْ وَصَلْتُهَا، والوَصِيَّة كَلامٌ يُوصَى أَيْ

(١) اللسان (ن ص ح).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٨٢.

(٣) النهاية (ن ص ح).

يُوصَلُ^(١) . وَالْوَصِيَّةُ : الْعَهْدُ^(٢) ؛ لِأَنَّهَا تَصِلُ مِنَ الْمُوصِي إِلَى الْمُوصَى :

فَالنَّصِيحَةُ وَالْوَصِيَّةُ مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى ، فَالْمَقْصُودُ بِهِمَا إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ وَالْمُوصَى وَدَعَاؤُهُ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُ .

إِلَّا أَنَّ النَّصِيحَةَ تَخْتَصُّ بِمُلَمَحِ الْإِخْلَاصِ ، بَيْنَمَا تَخْتَصُّ الْوَصِيَّةُ بِمُلَامَحِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّأَكِيدِ وَمَزِيدِ الْاهْتِمَامِ^(٣) .

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا الْفَارَقُ الدَّلَالِيُّ الدَّقِيقُ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ حِينَ نَنْظُرُ إِلَى الْاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ لِكُلِّ مِنْهُمَا ، فَنَجِدُ النَّصِيحَةَ وَارِدَةً فِي سِيَاقِ ذِكْرِ الْإِخْلَاصِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي الصَّدَقِ ، كَقَوْلِ نُوْحٍ ﷺ لِقَوْمِهِ :

- ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ وَانصَحْ لَكُمْ﴾ الأعراف: ٦٢ .

وقول هود ﷺ لقومه :

- ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف: ٦٢ .

وقول شعيب ﷺ لقومه :

- ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا لِّيَ وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ الأعراف: ٩٣ .

ونجد الوصية واردة في سياق العهد ، بما يتضمنه ذلك من محبة وإشفاق على الموصى ، وتأکید للاهتمام بالأمر الموصى به ، كما في الآيات التالية :

- ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة: ١٣٠ .

- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ

(١) مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني (و ص ٥) .

(٢) اللسان (و ص ٥) .

(٣) نضرة النعيم ٣٤٩٢/٨ .

أَفْتَنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ النساء .

- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلُكُمْ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿٧﴾﴾ (لقمان: ١٤) .

- ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ سورة العصر .

فكل هذه السياقات وغيرها مما ورد فيه لفظ الوصية والتواصي تدل على الأمر المؤكّد الذي لا بُدَّ من التزامه، وفيه شفقة ولطف وإحسان من الموصي بالموصى^(١).

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (النصيحة - الوصية) بينهما تقارب دلالي؛ حيث يشتركان في معنى عام هو: إرادة الخير والإرشاد إليه . ويختص كل منهما بملمح دلالي يميّزه عن الآخر:
- فالنصيحة تتميز بملمح الإخلاص .
- والوصية تتميز بملمحين هما: الإشفاق، وشدة الاهتمام والتأكيد .

ملحق بالفروق الدلالية بين الألفاظ القرآنية

أسماء القرآن الكريم (٢٩)

خَصَّ اللَّهُ ﷻ القرآن المجيد بعدة أسماء لم تُطْلَقْ على أى من الكتب سوى هذا الكتاب العزيز، وقد بلغت هذه الأسماء عند بعض العلماء نيفًا وتسعين اسمًا، وعند بعضهم خمسًا وخمسين اسمًا، قال القاضي أبو المعالي :

اعلم أن الله ﷻ سَمَّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا :

- ١- سَمَّاهُ كِتَابًا فقال ﷻ: ﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾ الدخان .
- ٢- وَسَمَّاهُ قُرْآنًا فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝﴾ الواقعة .
- ٣- وَسَمَّاهُ كَلَامًا فقال ﷻ: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ ۝﴾ التوبة: ٦ .
- ٤- وَسَمَّاهُ نُورًا فقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النساء: ١٧٤ .
- ٥- وَسَمَّاهُ هُدًى فقال ﷻ: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ لقمان .
- ٦- وَسَمَّاهُ رَحْمَةً فقال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يونس: ٥٨ .
- ٧- وَسَمَّاهُ فُرْقَانًا فقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ الفرقان: ١ .
- ٨- وَسَمَّاهُ شِفَاءً فقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ الإسراء: ٨٢ .
- ٩- وَسَمَّاهُ مَوْعِظَةً فقال ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يونس: ٥٧ .
- ١٠- وَسَمَّاهُ ذِكْرًا فقال ﷻ: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء: ٥٠ .
- ١١- وَسَمَّاهُ كَرِيمًا فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝﴾ الواقعة .
- ١٢- وَسَمَّاهُ عَلِيًّا فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُمْ فِي أَرْ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ۝﴾ الزخرف .
- ١٣- وَسَمَّاهُ حِكْمَةً فقال ﷻ: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً﴾ القمر: ٥ .

- ١٤- وِسْمَاهُ حَكِيمًا فَقَالَ ﷺ: ﴿الرَّيْلُكَ مَا يَنْتُ الْكِتَابُ الْحَكِيمِ ۝﴾ يونس .
- ١٥- وِسْمَاهُ مُهَيِّمًا فَقَالَ ﷺ: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۝﴾ المائدة: ٤٨ .
- ١٦- وِسْمَاهُ مَبَارَكًا فَقَالَ ﷺ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا ۝﴾ ص: ٢٩ .
- ١٧- وِسْمَاهُ حَبَلًا فَقَالَ ﷺ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ۝﴾ آل عمران: ١٠٣ .
- ١٨- وِسْمَاهُ الصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ فَقَالَ ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ۝﴾ الأنعام: ١٥٣ .
- ١٩- وِسْمَاهُ الْقِيَمَ فَقَالَ ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۝﴾ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝﴾ الكهف .
- ٢٠- وِسْمَاهُ فَضْلًا فَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ۝﴾ الطارق .
- ٢١- وِسْمَاهُ نَبَأًا عَظِيمًا فَقَالَ ﷺ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝﴾ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ۝﴾ النبا .
- ٢٢- وِسْمَاهُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ فَقَالَ ﷺ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابِي نَفْسِعُرْ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۝﴾ الزمر: ٢٣ .
- ٢٣- وِسْمَاهُ تَنْزِيلًا فَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَنُفِئَنَّ لِنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ الشعراء .
- ٢٤- وِسْمَاهُ رُوحًا فَقَالَ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ آمَنَّا ۝﴾ الشورى: ٥٢ .
- ٢٥- وِسْمَاهُ وَحْيًا فَقَالَ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ۝﴾ الانبياء: ٤٥ .
- ٢٦- وِسْمَاهُ الْمَثَانِي فَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ مَآئِنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝﴾ الحجر .
- ٢٧- وِسْمَاهُ عَرَبِيًّا فَقَالَ ﷺ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝﴾ الزمر .

٢٨- وسمّاه قولاً فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١)

القصص .

٢٩- وسمّاه بصائر فقال ﷺ: ﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ

يُوقِنُونَ﴾ (٧٠) الجاثية .

٣٠- وسمّاه بياناً فقال ﷺ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١٧٨)

آل عمران .

٣١- وسمّاه علماً فقال ﷺ: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتِ أَهْوَاءُ هُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾

الرعد: ٣٧ .

٣٢- وسمّاه حقّاً فقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢ .

٣٣- وسمّاه الهادى فقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء: ٩ .

٣٤- وسمّاه عجباً فقال ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا

سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١) الجن .

٣٥- وسمّاه تذكرة فقال ﷺ: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ (٥٤) المدثر .

٣٦- وسمّاه بالعروة الوثقى فقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ لقمان: ٢٢ .

٣٧- وسمّاه متشابهاً فقال ﷺ: ﴿كِتَابًا مُّشْتَبِهًا﴾ الزمر: ٢٣ .

٣٨- وسمّاه صيداً فقال ﷺ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ

الْمُنْقَرُونَ﴾ (٣٩) الزمر .

٣٩- وسمّاه عدلاً فقال ﷺ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الأنعام: ١١٥ .

٤٠- وسمّاه إيماناً فقال ﷺ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ

ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ آل عمران: ١٩٣ .

- ٤١- وَسَمَّاهُ أَمْرًا فَقَالَ ﷺ: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ﴾ الطلاق: ٥ .
- ٤٢- وَسَمَّاهُ بُشْرَى فَقَالَ ﷺ: ﴿هَذِي وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ النمل: ٢٠ .
- ٤٣- وَسَمَّاهُ مَجِيدًا فَقَالَ ﷺ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ البروج: ١ .
- ٤٤- وَسَمَّاهُ زُبُورًا فَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِيهَا عِبَادِيَ الْأَصْلِحُونَ﴾ الانبياء: ١٠٥ .
- ٤٥- وَسَمَّاهُ مَبِينًا فَقَالَ ﷺ: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يوسف: ١ .
- ٤٦، ٤٧- وَسَمَّاهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَقَالَ ﷺ: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ فصلت: ١ .
- ٤٨- وَسَمَّاهُ عَزِيزًا فَقَالَ ﷺ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكِتَابُ عَزِيزٍ﴾ فصلت: ٤١ .
- ٤٩- وَسَمَّاهُ بَلَاغًا فَقَالَ ﷺ: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ إبراهيم: ٥٢ .
- ٥٠- وَسَمَّاهُ قَصَصًا فَقَالَ ﷺ: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف: ٣ .
- ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤- وَسَمَّاهُ أَرْبَعَةَ أَسْمَاءٍ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ^(١) فَقَالَ ﷺ: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﷻ عيس^(٢) .
- ولكننا سنقتصر هنا على الأسماء الدالة على القرآن نفسه لا صفاته؛ فإن أوصاف القرآن لا يحيط بها حصر .
- وأشهر الأسماء التي صارت أعلامًا على القرآن الكريم هي:
- الْقُرْآن - الْفُرْقَان - الْكِتَاب - الذِّكْر - التَّنْزِيل .

(١) كذا في البرهان، والصحيح أنهما آيتان، وهو سهو، أو تصحيف ناسخ .

(٢) البرهان للزركشي ١/ ٢٧٣-٢٧٦ .

وهى الأسماء التى تُذكر عند الاقتباس أو الاستشهاد بآيات القرآن، كأن يُقال: وفى القرآن، وفى التنزيل، وفى الذكر الحكيم، وفى الكتاب الكريم، وفى الفرقان، ونحو ذلك من العبارات التى يُفهم منها أن المراد بالقرآن والكتاب والفرقان والذكر والتنزيل هو كتاب الله المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ، المتحدى به، المتعبد بتلاوته .

□ ١/٢٩ القرآن:

ورد هذا الاسم الكريم فى عدة مواضع علماً على القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية:

- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة: ١٨٥ .

- ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ الأنعام: ١٩ .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِآتِ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ التوبة: ١١١ .

- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢ .

اختلف العلماء فى اشتقاق (القرآن)، فذهب بعضهم إلى أنه من (قرأ)، يقال: قرأ الشيء يقرؤه قرأً وقرآنًا، أى لفظ به مجموعاً بعضه إلى بعض، والأصل فى مادة (ق ر أ): الجمع، فكل شيء جمعته فقد قرأته؛ وسُمي القرآن بذلك لأنه جمع القصص، والأمر والنهى، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض^(١)، ولأنه ضم للحروف والكلمات بعضها إلى بعض؛ إذ لا يقال للحرف الواحد إذا تُقوِّه به قراءة، وكذا لأنه جمع ثمرة

(١) النهاية لابن الأثير، اللسان (ق ر أ) .

كتب الله تعالى كلها، وثمرة جميع العلوم كما أشار إلى ذلك بقوله ﷻ:

- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل: ٨٩ .

وهو مصدر على وزن فُعْلان، مثل رُجحان، وكُفْران^(١) .

وقيل: مأخوذ من (ق ر ي)، وهذه المادة أيضًا تدور معانيها جميعًا حول الجمع والضم^(٢) .

وذهب بعض العلماء إلى أنه مشتق من (ق ر أ) ولكن ليس بمعنى الجمع، بل بمعنى التلاوة، واحتجوا لذلك بقوله ﷻ:

- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنْصِتْ لَهُ ۚ إِنَّهُ قُرْآنُهُ ۚ﴾ القيامة . فقد عُطِفَ الجمع على القرآن، والعطف يُوجب المغايرة؛ وإذن فالمراد بجمع القرآن: جمعه في قلب النبي ﷺ حفظًا، وعلى لسانه تلاوةً، ومعنى (قَرَأَ) على هذا الوجه: أَظْهَرَ، والقرآن: الظهور؛ وذلك لأن القارئ يُظْهِرُ القرآنَ ويُخْرِجُهُ^(٣) .

وذهب بعض العلماء (ومنهم الأشعرى والقرطبي) إلى أنه مشتق من (قَرَنَ)، يقال: قَرَنْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ، أى: ضَمَمْتُهُ إِلَيْهِ؛ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِقِرَانِ السُّورِ وَالْآيَاتِ وَالْحُرُوفِ فِيهِ^(٤) .

وذهب بعض العلماء (كالشافعي والبيهقي) إلى أن القرآن اسم لكتاب الله غير مهموز (قُرآن)، وهو عَلَمٌ غير مشتق كالتوراة والإنجيل^(٥) .

(١) مفردات الأصفهاني (ق ر أ) .

(٢) الصحاح، مقياس اللغة (ق ر ي) .

(٣) البرهان ٢٧٧/١ .

(٤) المصدر السابق ٢٧٨/١ .

(٥) المصدر السابق ٢٧٨/١ .

ولعل أقوى هذه الوجوه أن (الْقُرْآن) عَلَّمَ على كتاب الله المنزل على سيدنا محمد ﷺ، وهو مشتق من (ق ر أ) بمعنى التلاوة، وهو ما ذهب إليه الزجاج وأبو على الفارسي^(١).

وهو أشهر أعلام الْقُرْآن بالطبع، وأعمها دلالة .

□ ٢/٢٩ الفرقان:

تكرر ذكر الفرقان في القرآن الكريم علمًا عليه، ومن أشهر مواضعه سورة كاملة سُميت باسم (الفرقان)، وأولها قول الله ﷻ:

- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ .

وهو عَلَّمَ على القرآن الكريم؛ مصدر (فَرَّقَ)؛ بين الشينين، إذا فصل بينهما، وسُمي به القرآن لأنه فَرَّقَ بين الحق والباطل، وبين المؤمن والمشرِك، أو لأنه نَزَلَ مُفَرَّقًا مفصلاً بعضه عن بعض^(٢).

وذهب الراغب الأصفهاني إلى أن (الْفُرْقَان) اسم لكلام الله ﷻ؛ سُمي بذلك لَفَرَّقِهِ بين الحق والباطل في الاعتقاد، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل^(٣)، واحتجَّ لذلك بقول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴿٥٣﴾﴾ البقرة: ٥٣ .

- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ﴿٤٨﴾﴾ الأنبياء: ٤٨ .

وإلى مثل هذا ذهب الأزهرى وغيره^(٤).

(١) الموضع السابق .

(٢) الكشف ٨٠/٣، واقتصر الزركشى على الوجه الأول (البرهان ٢٨٠/١) .

(٣) مفردات الأصفهاني (ف ر ق) .

(٤) انظر: تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، الصحاح، اللسان (ف ر ق) .

ولكن اشتراك الكتب السماوية الأخرى مع القرآن الكريم فى الوصف بالفرقان، هو إشارة إلى الأصل الدلالى للمادة، أى الفرق بين الحق والباطل ولكن اسم الفرقان صار عَلَمًا بِالْعَلْبَةِ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِحَيْثُ لَا يُفْهَمُ مِنْ اسْمِ (الْفُرْقَانِ) سِوَى أَنَّهُ عَلَمٌ عَلَى الْقُرْآنِ؛ وَلِذَلِكَ عِدَدَتُهُ فِى أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . وَالْمَلْمَحُ الدَّلَالِىُّ الْمُمَيِّزُ لِهَذَا الْعَلَمِ هُوَ مَعْنَى: الْفَضْلُ وَالتَّمْيِيزُ .

□ ٢٩/٣ الْكِتَابُ:

ورد هذا الاسم فى مواضع كثيرة عَلَمًا عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْآيَاتِ التَّالِيَةِ:

- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ البقرة: ٢ .
- ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ آل عمران: ٣ .
- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام: ١٥٥ .

والكتاب فى اللغة اسم من: كَتَبَ الشَّيْءُ يَكْتُبُهُ كِتَابَةً، أَيْ جَمَعَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ^(١) . هَذَا أَصْلُ مَادَّةِ (ك ت ب)، ثُمَّ أَصْبَحَ مَعْنَاهُ الْمُتَعَارَفُ عَلَيْهِ: ضَمَّ الْحُرُوفُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالْحِطِّ . وَالْكِتَابُ فِى الْأَصْلِ مُصَدِّرٌ، ثُمَّ سُمِّيَ الْمَكْتُوبُ فِيهِ كِتَابًا^(٢) .

وَلَنْ نَتَعَرَّضَ هُنَا لِلْمَوَاضِعِ الَّتِى وَرَدَ فِيهَا (الْكِتَابُ) بِمَعَانٍ أُخْرَى سِوَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ إِذْ إِنَّ كَلِمَةَ (الْكِتَابُ) اسْتُعْمِلَتْ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَعَانٍ شَتَّى لَا مَحَلَّ لِبَسْطِهَا هُنَا^(٣) .

وَالْمَلْمَحُ الدَّلَالِىُّ الْمُمَيِّزُ لِلْفِظِ (كِتَابُ) بِوصفه عَلَمًا عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُوَ

(١) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ك ت ب) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ك ت ب) .

(٣) انظر المرجع السابق .

ملمح الجمع والضم عن طريق الخطّ، وفيه إشارة إلى تعظيم القرآن وحفظه، وأنه أوّل (كتاب) نال هذه المنزلة عند العرب حتى كتبوه حفاظًا عليه من التبديل والتحريف، بل هو أوّل كتاب عَرَبِيٌّ على الإطلاق؛ إذ لم يكن للعرب قبل نزول القرآن كتاب .

□ ٢٩/٤ الذُّكْر:

ورد هذا الاسم علمًا على القرآن الكريم في عدة مواضع، منها الآيات التالية:

- ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ آل عمران .
- ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦١﴾﴾ الحجر .
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَتَشْكُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ ﴿٤٤﴾﴾ النحل .

والذُّكْر في اللغة: حفظ الشيء، وعدم نسيانه، ثم أطلق على الشرف وبُعْدِ الصُّبِّ، وبه وصف كتاب الله تعالى^(١)؛ لكونه محفوظًا شريف القدر، ولما فيه من تذكير بما تَضَمَّن من قصص ومواعظ^(٢) .

والملمح الدلاليّ المميّز لهذا الاسم هو: الشرف والعلاء .

□ ٢٩/٥ التنزيل:

وصف الله ﷻ القرآن الكريم بقوله ﷻ:

- ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (الواقعة: ٨٥، الحاقة: ٤٣) .

(١) اللسان، المفردات (ذك ر) .

(٢) البرهان ١/٢٧٩ .

وسُمِّي القرآن تنزيلاً ؛ لأنه مُنَزَّل من عند الله ﷻ ، نزل به جبريل عليه السلام حتى بلغه إلى النبي ﷺ فَأَذَاهُ كَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ^(١) .

والملمح الدلالي المميّز لهذا الاسم هو نزوله من الله ﷻ على طريقة مخصوصة .

○ ونخلص مما سبق إلى أن للقرآن العظيم أسماء كثيرة، بعضها صارت أعلاماً له ، ولكل منها ملمح دلالي يميّزه :

○ فالقرآن : أعمُّ هذه الأسماء ؛ لدلالته على مطلق الجمع .

○ والفرقان : يختصُّ بملمح التفرقة والفصل ، كما يختص بملمح التفريق ، لنزوله مفرّقاً .

○ والكتاب : يختصُّ بملمح الجمع عن طريق الخطّ .

○ والذِّكْر : يختصُّ بملامح الحفظ والشرف والتذكير .

○ والتّنزيل : يختص بملمح النزول على طريقة مخصوصة من الله ﷻ .

أسماء الجنة (٣٠)

للجنة في القرآن الكريم أسماء عديدة، يُعبر كلُّ منها عن جانب من جوانب عظمتها ورفعتها، وما فيها من نعيم وسلام وطمأنينة ورضا، وما ينال أهلها من الكرامة .

بعض هذه الأسماء تجرى مجرى الأعلام، بحيث إذا أُطلقت انصرف ذهن السامع أو القارئ إلى الجنة دون غيرها، وعرف أنَّ هذا اسمٌ آخر من أسمائها، وهي الأسماء التالية:

□ ٣٠ / ١ الجنة:

تكرّر هذا الاسم في القرآن الكريم كثيرًا، مفردًا ومثنى ومجموعًا، ومن شواهد:

- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
البقرة: ٢٥ .

- ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ الرحمن .

- ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ۖ﴾ الفجر .

واشتقاق الجنة في اللغة من (جَنَّ)، وهذه المادة كما يقول ابن فارس: أصل واحد، هو السَّتر، فالجنة: ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستورٌ عنهم اليوم^(١) .

وذهب أبو علي الفارسي إلى أنَّ الجنة سُميت بهذا من الاجْتِنان، وهو السَّتر؛ لتكاثر أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، قال: وسُميت بالجنة،

(١) مقاييس اللغة (ج ن ن) .

وهى المرة الواحدة من مصدر (جَنَّ) جَنًّا إذا سَتَرَه، فكأنَّها سَتَرَةٌ واحدة لشدة التفافها وإظلالها^(١).

وهو ما ذهب إليه جمعُ من المفسِّرين منهم الراغب الأصفهاني^(٢)، والزمخشري^(٣)، وأبو حيان^(٤)، والطاهر بن عاشور^(٥).

والسرُّ فى تسمية الجنة بهذا الاسم أن أجمل البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظلمة متكاثفة الظلال، وهذا جارٍ على ما أودعه الله فى النفوس من حُبِّ المناظر الجميلة، وفى الشجر الملتفِّ المتكاثف جمال الشكل واللون، وفيه أنسٌ للنفوس لما فيه من حياة وبهجة، وهو وسيلة من وسائل التَّنعُّم والتَّرفُّه عند البشر قاطبةً، لا سيَّما فى بلاد تغلب عليها الحرارة الشديدة كبلاد العرب^(٦).

وأما عن استعمال الجنة بصيغ مختلفة:

- فالمفرد اسم لدار الثواب كلها .
- والجمع لأنها مشتملة على جنان كثيرة مُرتَّبة على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنَّات من تلك الجنَّان^(٧).
- والمثنى (جنَّتان) فى سورة الرحمن؛ لأن الخطاب للإنس والجن، فجَنَّة

(١) نقله ابن منظور فى اللسان (ج ن ن) ولم يثبت غيره فى تفسير الجنة، عن كتاب (التذكرة) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ج ن ن) .

(٣) الكشف ٢٥٦/١ - ٢٥٨ .

(٤) البحر المحيط ١٠٩/١ .

(٥) التحرير والتنوير ٣٥٣/١، ٣٥٤ .

(٦) انظر: الكشف ٢٥٧/١، التحرير والتنوير ٣٥٣/١، ٣٥٤ .

(٧) الكشف ٢٥٧/١ .

للإنسِي، والأخرى للجنِّي . أو جَنَّةٌ لفعل الطاعات، وجَنَّةٌ لترك المعاصي .
أو جَنَّةٌ يُثَابُ بها، وأخرى تَضُمُّ إليها على وجه التفضُّل من الله ﷻ^(١) .

هذا، وقد وردت الجَنَّةُ في القرآن الكريم بمعنى البستان من بساتين الدنيا، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرَاتٌ وَجَعَلَتْ مِنْ أَعْتَبٍ وَزَرْعٌ وَيَحْيَلٌ صِنَوَانٌ وَعِزْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِيدٍ وَنُقُضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾﴾ الرعد .

- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٢٥﴾﴾ الكهف .

- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ ﴿١٥﴾﴾ سبا: ١٥ .

غير أن أكثر إطلاقها في دار الثواب في الآخرة .

ونخلص مما سبق إلى أن المراد بالجنة: دار الثواب في الآخرة، وسُميت بهذا الاسم الجارى مجرى العلم؛ لشدة التفاف أشجارها وإظلالها من فيها كأنما تسترهم بتلك الأغصان المتكاثفة والمونقة .

□ ٢/٣٠ الحُسْنَى :

إذا أُظْلِقَت كلمة (الحُسْنَى) في القرآن الحكيم فالمراد بها في أكثر المواضع: الجنة، فقد وردت الكلمة في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، أُظْلِقَت من قيد الوصف في اثني عشر موضعاً، وجاءت وصفاً في خمسة مواضع: وصفاً للأسماء في أربعة منها:

- ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠ .

- ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الإسراء: ١١٠ .

- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ طه: ٨ .

- ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ الحشر: ٢٤ .

وجاءت وصفاً للكلمة فى موضع واحد هو قول الله ﷻ:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ الاعراف: ١٣٧ .

وأما المواضع التى أطلقت فيها كلمة (الحُسْنَى)، ففى موضعين منها لا تدل على الجنة، وهما:

- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ التوبة: ١٠٧ .

- ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ الكهف: ٨٨ .

بينما استُعملت اسماً للجنة فى عشرة مواضع هى الآيات التالية:

- ﴿لَا يَسْتَوِ الْقَائِمُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِمِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِمِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٥ .

- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَى وَزِيَادَةً وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس: ٢٦ .

- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ إِلَهَادٌ﴾ الرعد: ٣٦ .

- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُقَرَّنُونَ﴾ النحل: ٧٧ .

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ الأنبياء .
- ﴿وَلَيْنَ أَذْفَنُهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ صَرَّاهُ مَسْنَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ فصلت: ٥٠ .
- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿١٦﴾﴾ النجم .
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أُولَٰئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ الحديد: ١٠ .
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَلَّ وَاسْتَفْتَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٥﴾﴾ الليل .

ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالحُسْنَى في الآيات السابقة: الجنة، وأجمعوا على ذلك في الآية (٩٥) من سورة النساء^(١) .

وشرح الشيخ الطاهر بن عاشور كلمة (الحُسْنَى) في الآية رقم (٢٦) من سورة يونس بقوله:

"الحُسْنَى في الأصل: صفة أنثى الأُخْسَن، ثم عُومِلَتْ معاملة الجنس فأُدْخِلَتْ عليها لام تعريف الجنس، فبعدت عن الوصفية ولم تتبع موصوفها... والمعنى: للذين أحسنوا جِنْسَ الأحوال الحُسْنَى عندهم، أى لهم ذلك في الآخرة، وبذلك تعيَّن أنَّ ما صدقها الذي أريد بها (أى ما تدلُّ عليه الكلمة) هو الجنة؛ لأنها أحسنُ مثوبةٍ يصير إليها الذين أحسنوا، وبذلك صيَّرها القرآن علمًا بالغلبة على الجنة ونعيمها"^(٢) .

(١) انظر تفسير الآيات في الكشاف: ١ (٥٥٦)، ٢ (٢١٤)، ٣ (٢٣٣)، ٤ (٣٥٦)، ٥ (٤٩٧)، ٦ (٥٨٤)، ٣ (٤٥٧)، ٤ (٣٢)، ٥ (٦٣)، ٦ (٢٦١)، البحر المحيط: ٣ (٣٣٣)، ٥ (٩٩)، ٦ (١٤٦)، ٧ (٣٨٢)، ٨ (٣٨٣)، ٩ (٥٠٦)، ١٠ (٣٤٢)، ١١ (٥٠٤)، ١٢ (٥٠٥)، ١٣ (١٦٤)، ١٤ (٢١٩)، ١٥ (٤٨٣) .

(٢) التحرير والتنوير ١١/١٤٦ .

○ ونخلص مما سبق إلى أن كلمة الحُسْنَى إذا أُظْلِقَتْ في القرآن الكريم (أى بُعِدَتْ عن الوصفية ولم تتبع موصوفها)، فالمراد بها - فى أكثر المواضع - الجنة؛ وذلك لأن الجنة هى أحسن ثواب يصير إليه المؤمنون، كما أن فى اشتقاقها من مادة (ح س ن) إشارة إلى أنَّ أهلها إِنَّمَا استَحَقُّوها لأنهم مُخْسِنُونَ .

□ ٣٠/٣ دار السَّلام :

ورد هذا الاسم من أسماء الجنة فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين :

- ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ الانعام .
- ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ يونس: ٢٥ .

المراد بدار السَّلام : الجنة؛ وذلك بإضافتها إلى اسم من أسماء الله الحُسْنَى هو: السَّلام، أى دار الله ﷻ، أضافها إلى نفسه تعظيمًا لها ، أو لأنها دار السَّلام بمعنى السلامة من كلِّ آفةٍ وكَدْرٍ ومكروه ، أو لانتشار تحية السَّلام بين أهلها وتسليم الملائكة عليهم^(١) .

ولفظ (السَّلام) يحتمل هذه المعانى جميعًا .

وعلى هذا فتسمية الجنة (دار السَّلام) إشارة إلى :

- تشريفها وتعظيمها بإضافتها إلى اسم من أسماء الله الحسنَى .
- حصول الأمن والسَّلامة فيها من كلِّ آفةٍ وكدر .
- انتشار تحية السَّلام بين أهلها، وتسليم الملائكة عليهم .

(١) الكشف ٢(٤٩، ٢٣٣)، البحر المحيط ٤(٢١٩)، ٥(١٤٥)، التحرير والتنوير ٦٤/٥، مفردات الأصفهاني (س ل م) .

□ ٤/٣٠ رَوْضَة:

الرَّوْضَة في كلام العرب: كلُّ أرض ذات نبات وماء وأزهار، والمراد بها في القرآن: الجنَّة^(١).

وورد هذا الاسم للجنة في القرآن الكريم مرتين، في أولاهما مطلقاً غير مقيد، في قول الله ﷻ:

- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾

الروم .

وفي الموضع الآخر قُبِدَ بإضافته إلى الجنَّات، وهو قول الله ﷻ:

- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ الشورى: ٢٢ .

ولم ترد الكلمة في القرآن الكريم في غير هذين الموضعين؛ ولذلك جعلتها هنا ضمن أسماء الجنة .

○ ولعلَّ الفارق بين الرَّوْضَة والجنَّة أنَّ الرَّوْضَة تشير إلى ما في دار الثواب من حسن وجمال وبهجة ظاهرة، والجنَّة تشير إلى ما فيها من حسن وجمال وبهجة خفية .

□ ٥/٣٠ عَدْن:

ورد هذا الاسم للجنة في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ولم يُسْتَعْمَلْ إلاّ مضافاً إلى (جنَّات)، وقد نصَّ الزمخشريُّ على كونه عَلَمًا^(٢)؛ لذا أوردته ضمن الأسماء الدالة على الجنَّة، ولشهرته بين جمهور المسلمين بحيث لا يشك أحدٌ منهم أن المراد به: الجنَّة، ومن شواهد في القرآن الكريم:

(١) الكشف ٢١٧/٣، التحرير والتنوير ١٠/٢١-٦٤ .

(٢) الكشف ٢٠٢/٢ .

- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧١﴾ التوبة .
- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٧٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاللَّهُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿٧٣﴾ الرعد .
- ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَا يُبَايَعُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ مريم .

وقد اختلف في معنى (عَدْن)، فقليل: جنات (عَدْن) أى إقامة، من قولهم: عَدَنَ بالمكان، إذا أقام به، وقيل: وسط الجنة، وقيل: نهر في الجنة، وقيل: مدينة في الجنة لا يدخلها إلا النبيون والصدّيقون والشهداء، وقيل: قصور من اللؤلؤ والياقوت والزرجد، وقيل: أعلى درجة في الجنة، وكلها أقوال مروية عن السلف، وفيها كثير من الاضطراب والاختلاف^(١).

ولكن سياق الكلمة في الآية رقم (٧٢) من سورة التوبة يوحي بأن الجنة شيء غير جنات عدن، حيث عطف بينهما: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ﴿وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾. والعطف يقتضى المغايرة، كما أن الشيء لا يضاف إلى نفسه، فالمركب الإضافي ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ - يعنى - وفقاً للقواعد النحوية - أن ﴿عَدْنٍ﴾ شيء، و﴿جَنَّاتٍ﴾ شيء آخر.

ولعل قول الله ﷻ: ﴿وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ يُرْجَح قول من قال إنها قصور في الجنة، أو درجة من درجاتها العالية.

○ ونخلص مما سبق إلى أن المراد بجنّات عَدْن: درجة عالية رفيعة في الجنة.

□ ٦/٣٠ العُرْفَةُ (العُرْف - العُرُفَات):

ورد هذا الاسم للجنة في القرآن الكريم خمس مرات، في الآيات التالية:

- ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا كَسَبُوا وَيُلَاقُونَ فِيهَا نَجْوَىٰ وَسَلَامًا ۖ ﴿٧٥﴾﴾

الفرقان .

- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ۖ ﴿٥٨﴾﴾ العنكبوت: ٥٨ .

- ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرُوفٌ مِّن قَوْفِهَا غُرُوفٌ مَّيْمَنَةٌ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

الزمر: ٢٠ .

- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ سبا .

جاءت كلمة (العُرْفَة) مفردة في آيات الفرقان، ومجموعة في المواضع الأربعة الأخرى، قال الزمخشري في ذلك^(١):

المراد: يُجْزَوْنَ العُرُفَات، وهى العلالى فى الجنة، فوَحَّدَ اقْتِصَارًا عَلَى الواحد على الجنس، والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ .

وذكر أبو حيان فى العُرْفَة عدة تأويلات منها ما اقتصر عليه الزمخشري، والأوجه الأخرى هى: العُرْفَة من أسماء الجنة، وقيل: السماء السابعة، وقيل: أعلى منازل الجنة، وقيل: العلو فى الدرجات^(٢) .

واقصر الراغب الأصفهاني على هذا الوجه^(٣)، وهو ما اقتصر عليه

(١) الكشف ١٠٢/٣ .

(٢) البحر ٥١٧/٦ .

(٣) مفردات الأصفهاني (غ ر ف) .

الطاهر بن عاشور أيضًا^(١) .

ولعل أرجح هذه الوجوه أن العُرْفَة: درجة عالية في الجنة؛ وذلك بناءً على اشتقاقها في اللغة، فالعُرْفَة في كلام العرب تعني: العُلْيَة^(٢)؛ وإذن فهي درجة عالية في الجنة؛ ثم شاع استعمالها بمعنى الجنة نفسها من باب تعميم الدلالة، ونُقِلَ عن بعض المفسرين أنها اسم من أسماء الجنة، وفي ذلك إشارة إلى رفعتها وعُلُوّ مقام أهلها .

□ ٧/٣٠ الفِرْدَوْس :

الفِرْدَوْس: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمرة .

وورد هذا الاسم للجنة في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ﴾ الكهف .

- ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾ المؤمنون .

أورد أبو حيان عدة معانٍ للفِرْدَوْس، ثم قال: والظاهر أن معنى ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾: بساتين حول الفِرْدَوْس؛ ولذلك أضاف الجنات إليه، والفِرْدَوْس: ما اجتمع نخله وعَرَش على أرضه^(٣) .

وقد ورد في الحديث أن الفِرْدَوْس أعلى الجنة، أو وسط الجنة^(٤) . ولا شك أن السُّتَة مبيّنة للقرآن؛ وعلى ذلك يكون الفِرْدَوْس أعلى درجة في الجنة .

○ ونخلص مما سبق إلى أن للجنة في القرآن الكريم عدة أسماء متقاربة في

(١) التحرير والتنوير ١٩/٩، ٨٤ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (غ ر ف) .

(٣) البحر المحيط ١٦٨/٦ .

(٤) مسند أحمد، رقم (٨٠٦٧) .

الدلالة؛ حيث تدل جميعها على دار الثواب التي ينالها المؤمنون الصالحون في الآخرة .

○ وتعددت أسماؤها للإشارة إلى معاني متنوعة، على النحو التالي:

○ الجنة: إشارة إلى كثرة أشجارها وكثافة ظلّها، وما فيها من نعيم مستور عن أهل الدنيا .

○ الحُسْنَى: للإشارة إلى حسن ثواب الله ﷻ، وإلى أن أهلها استحقوها بإحسانهم في الدنيا .

○ دار السّلام: إشارة إلى شرف الجنة، وتعظيمًا لها بإضافتها إلى اسم من أسماء الله الحسنى، ولسلامة أهلها من كل مكروه، وتسليم بعضهم على بعض، وتسليم الملائكة عليهم .

○ رَوْضَة (رَوْضَات): للإشارة إلى الحسن والجمال والبهجة الظاهرة .

○ عَدْن: للإشارة إلى الدرجات العالية في الجنة .

○ الثَّرْفَة (الثَّرَف - الثَّرُفَات): درجة عالية في الجنة، ثم عُمِّت دلالتها على الجنة كلّها، إشارة إلى رفعة درجاتها وعُلُوّ مقامات أهلها .

○ الْفِرْدَوْس: أعلى منازل الجنة، وفيه إشارة إلى سعتها وتنوع ثمارها، وعظمة شأنها .

أسماء القيامة (٣١)

ليوم القيامة فى القرآن الكريم أسماء كثيرة، منها ما صار علمًا على هذا اليوم بحيث إذا أُطلقَ كان دالًّا على ذلك دون غيره بدون إضافة مبيّنة أو وصفٍ مُفسَّر، ومنها ما يدل على يوم القيامة ولكن بإضافته أو وَضْفِهِ .

ولكل واحد من هذه الأسماء جانب يتناوله ويدل عليه من جوانب ذلك اليوم العظيم، أو مرحلة من مراحلِهِ، أو موقف من مواقفه .

فالأسماء التى صارت علمًا على يوم القيامة هى:

□ ١/٣١ الآزفة:

تدور مادة (أزف) حول معنى: الدُّنُوُّ والمقاربة، يقال: أَرَفَ الرِّحِيلُ، أى اقتربَ ودنا^(١) .

ووردت هذه المادة فى القرآن الكريم مرتين ، هما :

- ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ غافر: ١٨ .

﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۚ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ النجم .

سُمِّيتِ القيامة آزفة؛ لأزوفها، أى لِقُرْبِها وإن استبعد الناسُ مداها^(٢) .

وأورد الزمخشريّ وجهًا آخر فى تفسير الآزفة، قال: ويجوز أن يريد بيوم الآزفة: وقت الحُطَّةِ الآزفة، وهى مشارفتهم دخول النار^(٣) .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (أ ز ف) .

(٢) القرطبي ١٧/١٢٢، الكشف ٣/٤٢٠، مفردات الأصفهاني (أ ز ف)، العمدة فى غريب القرآن، ص ٢٨٨ .

(٣) الكشف ٣/٤٢٠ .

ولكنَّ المعنى الأول هو الأرجح؛ لأن القرآن الكريم وصف القيامة بالقرب، قال الله ﷻ:

- ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١﴾ الأنبياء .

- ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَسْنَقَ الْفَقْرُ﴾ ﴿١﴾ القمر .

وعلى ذلك فلفظ (الآزفة) رُوِيَ فيه التنبيه على قُرْبِ وقت القيامة .

□ ٢/٣١ الحاقّة:

جاء هذا الاسم علمًا على القيامة في قول الله ﷻ:

- ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ الحاقة .

ولهذا الاسم عدة معانٍ:

١- حاقّة: اسم فاعل (من حَقَّتْ تَحَقُّقًا) بمعنى: ثابتة آتية لا ريب فيها .

٢- اسم فاعل بمعنى: تَحَقُّقٌ لكل عامل عمله أى تُثَبِّتُهُ .

٣- اسم فاعل بمعنى: تُحَقِّقُ فيها الأمور، أى تُعَرِّفُ على حقائقها .

٤- اسم فاعل بمعنى: تُحَاقُّ كُلُّ مُحَاقٍّ (أى مجادلٍ مخاصِمٍ) فى دين الله

بالباطل فَتُحَقُّهُ، أى تغلبه .

٥- وقيل: هى مصدر على وزن فاعلة، كالعافية (بمعنى العفو)^(١) .

وقال العلامة الطاهر بن عاشور بعد أن أورد الاحتمالين فى صوغ الكلمة

(أى كونها اسم فاعل، أو مصدرًا على وزن فاعلة):

(١) الكشف ٤/١٤٦، ولم يذكر الوجهين ٤، ٥، البحر المحيط ٨/٣٢٠، وانظر:

تهذيب اللغة، اللسان (ح ق ق) . واقتصر الأصفهاني على الوجهين الثانى والرابع

(المفردات: ح ق ق) .

"وعلى الوجهين فيجوز أن يكون المراد بالحاقة المعنى الوصفى، أى
حادثه تحق، أو حق يحق .

ويجوز أن يكون المراد بها لقباً ليوم القيامة، وهو الذى درج عليه
المفسرون؛ لأنه يوم محقق وقوعه، أو لأنه تحق فيه الحقوق ولا يُضاع
الجزاء عليها .

ثم أضاف تفصيلاً بديعاً لإيثار مادة (ح ق ق) وصيغة (فاعلة)، وأن ذلك
"يسمح باندراج معانٍ صالحة بهذا المقام، فيكون ذلك من الإيجاز البديع؛
لتذهب نفوس السامعين كل مذهب ممكن من مذاهب الهول والتخويف بما
يحقق حلوله بهم .

فيجوز أيضاً أن تكون "الحاقة" وصفاً لموصوف محذوف تقديره: الساعة
الحاقة، أو الواقعة الحاقة، فيكون تهديداً بيوم أو وقعة يكون فيها عقاب
شديد للمعرض بهم مثل يوم بدر أو وقعته، وأن ذلك حق لا ريب فى وقوعه،
أو وصفاً للكلمة، أى كلمة الله التى حقت على المشركين من أهل مكة، قال
تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ﴾^(٦)
غافر، أو التى حقت للنبي ﷺ أنه ينصره الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا
لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۖ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۖ﴾^(٧)
فَنُؤَلِّهِمْ عَنْهُمْ حَقًّا جِنِّ^(٨) الصافات .

ويجوز أن تكون مصدرًا بمعنى الحق، فيصح أن يكون وصفاً ليوم القيامة
بأنه حق كقول الله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ أَلْوَعْدُ الْحَقِّ﴾ (الأنبياء: ٩٧)، أو وصفاً
للقرآن كقوله ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (آل عمران: ٦٢)، أو أريد به
الحق كله مما جاء به القرآن من الحق، قال ﷺ: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَطُوقُ عَلَيْكُمْ
بِالْحَقِّ﴾ (الجاثية: ٢٩)^(٩) .

وعلى ذلك فقد رُوِيَ في هذا الاسم من أسماء القيامة:

- ١- تحقُّق وقوعها بلا شك في ذلك .
- ٢- كشف حقائق الأمور فيها .
- ٣- إحقاق الحقوق لكل عاملٍ وعدالة الحساب والجزاء فيها .
- ٤- كونها قاطعة غالبية لكل معاند مجادل .

□ ٣/٣١ الرَّاجِفَةُ، الرَّادِفَةُ:

ورد هذان الاسمان في قول الله ﷻ:

- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النازعات .

الرَّاجِفَةُ: الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهى النفخة الأولى، والرَّادِفَةُ: النفخة الثانية؛ لأنها تَرْدُفُ الأولى .

وقيل: هى القيامة، رادفةٌ لأنها قريبة .

وقيل: الرَّاجِفَةُ الزلزلة، والرَّادِفَةُ الصيحة .

وقيل: الرَّاجِفَةُ الأرض، والرَّادِفَةُ الساعة .

وقيل: الرَّاجِفَةُ الأرض والجبال، والرَّادِفَةُ السماء والكواكب^(١) .

ولعلَّ أقرب التأويلات لمعنى الرَّاجِفَةُ والرَّادِفَةُ: أن الرَّاجِفَةُ هى الزلزلة التى تضطرب لها الأرض وتندكُ بما عليها، والرَّادِفَةُ هى التى تَرْدُفُ ذلك أى تليه، أو النفخة التى يُبْعَثُ بها الخَلْقُ، والله أعلم .

وعلى ذلك يكون لفظ الرَّاجِفَةُ اسمًا لحدث من أحداث القيامة هو زلزلة الأرض وما عليها، ولفظ (الرَّادِفَةُ) اسمًا لحدث تالٍ هو الصيحة التى يعقبها

(١) الكشف ٢١٢/٤، البحر المحيط ٤٢٠/٨، القرطبي ١٩٥/١٩ .

قيام الخلق ونشورهم .

وهذا التفسير يبعد بالكلمتين عن العَلَمِيَّة، فكلتاها وصف لحدث بعينه من أحداث يوم القيامة، وليس وصفًا لذلك اليوم، ومثل ذلك يقال في الزلزلة والصعقة والنفخة .

□ ٣١/٤ الساعة:

هذا الاسم من أشهر الأسماء التي صارت عَلَمًا على يوم القيامة، وقد تكررت في القرآن الكريم كثيرًا، ومن شواهدنا:

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ الأنعام: ٣١ .

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ الأنعام .

- ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ النحل: ٧٧ .

- ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ القمر .

وفى سِرِّ إطلاق اسم الساعة عَلَمًا على يوم القيامة أقوالٌ عدَّة، منها:

○ سرعة مجيئها، فكان الوقت الذى بين الدنيا وبين القيامة لم يستغرق سوى هذا الجزء اليسير من الزمان .

○ لسرعة انقضاء الحساب فيها .

○ ما وَرَدَ فى ذلك من أن المجرمين يقسمون يومها أنهم: ﴿مَا لَيْشُوا غَيْرَ

سَاعَةٍ﴾^(١) الروم: ١٢ .

(١) المائدة: ١٠٠، الكشاف ١٤/٢، ٤٢١/٢ .

وكلها أقوال متقاربة، واللفظ يحتملها جميعاً؛ وعلى ذلك يكون هذا الاسم علماً على القيامة لقربها، وسرعة وقوعها، وسرعة الحساب فيها .

□ ٣١/٥ الصَّاحَّة :

ورد هذا الاسم ليوم القيامة في القرآن الكريم مرة واحدة في قول الله ﷻ :

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبُوهُ ۚ وَصَلْبِيهِ وَبَنُوهُ ۚ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۚ﴾ عبس

جاء في تفسير الصَّاحَّة: تقول العرب: صَحَّ لحديثه، مثل أصاخ له، فوصفت النفخة بالصَّاحَّة مجازاً؛ لأن الناس يصحُّون لها^(١) (أى يستمعون) .

وقيل: لأن نبأها يُصمُّ الآذان، تقول العرب: صَحَّتْهُمْ الصَّاحَّة ونابتهم النابتة، أى الداهية^(٢) .

وقال أبو بكر بن العربى: الصَّاحَّة هى التى تُورِثُ الصَّمَمَ، وإنها لمسيعة . . . ولَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّ صِيحَةَ الْقِيَامَةِ مُسْمِعَةٌ تُصِمُّ عَنِ الدُّنْيَا وَتُسْمِعُ أُمُورَ الْآخِرَةِ^(٣) .

وهذا هو ما ذهب إليه ابن فارس، قال:

"الصاد والخاء أصلٌ يدلُّ على صوت من الأصوات . من ذلك الصَّاحَّة، يقال إنها الصيحة تُصِمُّ الآذان"^(٤) .

(١) الكشف ٢٢٠/٤ .

(٢) البحر المحيط ٢٤٩/٨ .

(٣) السابق .

(٤) مقاييس اللغة (ص.خ خ) .

ومثله فى المحكم واللسان (ص خ خ)، وكذا فى مفردات الراغب الأصفهاني .

وجاءت هذه الكلمة فى القرآن الكريم فى سياق وصف ذهول الإنسان حتى عن أخيه وأمه وأبيه . . . إلخ، وذلك حين يسمع هذا الصوت المروّع فيفوق من ذهوله ويصيبه نوع آخر من الدهول، وهو أن يذهل عن الدنيا وما فيها، ولا يُضغى لصوت آخر سوى ذلك الصوت الذى يقوده إلى مصيره .

○ ونخلص مما سبق إلى أن اسم (الصَّاحَّة) يدل على لحظة من لحظات يوم القيامة، هى لحظة النفخ فى الصُّور، وما يصاحب ذلك من صمم عن الدنيا وذهول عنها، والإقبال على شأن الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب .

□ ٦/٣١ الطَّامَّة :

ورد هذا الاسم من أسماء القيامة فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ :

- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ النازعات .

الطَّم فى اللغة: تغطية الشئ للشئ حتى يغمره . من ذلك قولهم: طَمَّ البئر بالتراب، أى ملأها وسوّاها، وقولهم: طَمَّ الأمر إذا علا وغلب؛ ولذلك سُميت القيامة الطَّامَّة لأنها تُطَمُّ على كل هائلة (أى تعلو وتغلب)^(١) .

وجاءت كلمة (الطَّامَّة) وصفًا للقيامة فى سياق الامتتان على الإنسان بخلق الله فى السماوات والأرض والجبال وما فيها من متاع للإنسان ودلائل على قدرة الله ﷻ، ثم إذا جاءت (الطَّامَّة) دُكَّ هذا كُلُّهُ وطَمَّ؛ فإن يوم القيامة تنفطر السماء وتُسَقَّق الأرض وتُنسَفُ الجبال . . وهذا هو الجانب المادى

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ط م م)، الكشف ٢١٥/٤ .

للظَّم، وثمة جانبٌ معنويٌّ إذ إن يوم القيامة تَظَمُّ أهواله على ما عداه من أهوال، أى تَعْلُو وتَفُوق كل هائلة .

□ ٧/٣١ الغاشية:

ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٧٧) يوسف .

- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) الغاشية .

معنى (غاشية) فى آية يوسف: عذاب يغشاهم فيغمرهم^(١) . والغاشية: الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها، وهى القيامة، وهذا الوصف للقيامة ورد فى مواضع أخرى من القرآن الكريم، نحو قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَفْشَنُهُمُ الْعَذَابُ﴾ (العنكبوت: ٥٥) . هذا أرجح الأقوال فى تفسير الغاشية، وهو قول الجمهور^(٢) .

وسياق الكلمة فى القرآن الكريم يقطع بأن المراد: يوم القيامة، بما يغشى الناس فيه من أهوال وشدائد، وما يعلو وجوههم من خشوع ونَصَبٍ، أو نضرة وإشراق .

فالمعنى الذى تركّز عليه هذه الكلمة هو الغشيان أى العَمَر، وهو مادئٌ ومعنويٌّ فى آنٍ واحد، مادئٌ بما يعلو الوجوه من قتر ورهق أو من نضرة وإشراق، ومعنويٌّ لغشيان أهوال القيامة على قلوب الخَلْق وتغطيتها على كل ما عداها من أحداث عرفها الخلق فى الدنيا .

(١) الكشف ٢/٢٤٦ .

(٢) انظر: الكشف ٤/٢٤٦، البحر المحيط ٨/٤٦٢، مقاييس اللغة، مفردات الأصفهاني، اللسان (غ ش ي) .

تكررت هذه الكلمة فى القرآن الكريم خمس مرات، فى الآيات التالية :

- ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ الرعد: ٣١ .

- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ الحاقة .

﴿الْقَارِعَةُ﴾ ❶ مَا الْقَارِعَةُ ❷ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ❸ القارعة .

قارعة : داهية تَفْرَعُهُمْ بما يُجِلُّ الله بهم من صنوف البلايا والمصائب^(١) .
وسُمِّيت القيامة بالقارعة ؛ لأنها تفرع الناس (أى تضربهم وتصيبهم) بالأهوال
كانشقاق السماء والأرض ودك الجبال وطمس النجوم^(٢) .

وأصل القَرع : الضرب ؛ وبه سميت القيامة لأنها تضرب الناس وتصيبهم
بشدائدها^(٣) .

وسورة القارعة تبيّن بجلاء معنى هذا الاسم من أسماء القيامة، فبعد أن
ذُكِرت القارعة بالسؤال ثلاث مرات تعظيماً لشأنها جاء التفسير :

- ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ❶ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ❷

فهذا قرعٌ مادئٌ محسوس حيث يتناثر الناس كالفراش، وتتطاير الجبال
كالصوف المنفوش، وليس بعد هذا فى الشدة قرعٌ .

وهناك أيضاً قرع معنوى، بما يُفزع الناس من أهوال القيامة وشدائدها .

تكرر هذا الاسم فى القرآن الكريم كثيراً، وهو أشهر الأسماء الدالة على

(١) الكشف ٣٦١/٢ .

(٢) الكشف ١٤٦/٤ .

(٣) مقاييس اللغة، اللسان (ق رع) .

يوم البعث والحساب، ومن شواهد:

- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرْذَوْنَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ٨٥ .

- ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ النساء: ٨٧، الأنعام: ١٢ .

- ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ﴾ ① يُحَسِّبُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ② بَلَىٰ قَدْ دَرِينَ عَلَيْهِ أَن سَوْىٰ بَنَاتُهُ ③﴾ القيامة .

والقيامة إشارة إلى قيام الناس المذكور فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۖ﴾ الروم .

- ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾ المطففين .

وأصل القيامة فى اللغة: القيام دفعةً واحدة، وذلك حين يقوم الناس من قبورهم^(١) .

فالمعنى المشار إليه بهذا الاسم العَلَم هو: قيام الناس من قبورهم، ويكون ذلك دفعة واحدة، لشدة النفخة التى تصعق من فى السماوات والأرض إلّا من شاء الله . ولهذا المعنى ينطوى اسم القيامة على كل الأوصاف الواردة فى الأسماء الأخرى الدالة على هذا اليوم العظيم .

□ ٣١/ ١٠ الواقعة :

جاء ذكر هذا الاسم فى القرآن الكريم مرتين، أولاهما فى سورة (الواقعة) وذلك فى قول الله ﷻ:

- ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ﴾ ① .

والثانية فى سورة الحاقة، فى قوله ﷻ:

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (ق و م) .

- ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ٥١ .

ومعنى الواقعة: الحادثة؛ وَصِفَتْ بالوقوع لأنها تقع لا محالة^(١)، فالوقوع على هذا التفسير يعنى الحدوث . وقيل: الواقعة هى القيامة لأنها تقع (أى تنزل) بالخلق فتغشاهم^(٢) .

ولعلّ كلام الراغب الأصفهاني فى تفسير الواقعة أكثر من غيره بسطاً وأوضح دليلاً، قال:

الوقوع: ثبوت الشيء .. والواقعة لا تقال إلا فى الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء فى القرآن من لفظ (وقع) جاء فى العذاب والشدائد، وهو تأكيد للوجوب^(٣).

وساق الراغب على هذا المعنى عدداً من آيات القرآن التى ورد فيها لفظ الوقوع .

○ ونخلص مما سبق إلى أن تسمية القيامة بالواقعة، إشارة إلى ثبوتها وتأكيداً لوجوبها وحلولها، كما أن اشتقاقها من مادة (و ق ع) يفيد شدتها وثقلها .

○ هذه هى الأسماء التى صارت علماً على يوم القيامة، ومنها أسماء سُمِّيت بها سور كاملة، مثل: (الواقعة - الحاقة - القيامة - الغاشية - القارعة) .

○ ولا يشكُّ عربىٌ يقرأ القرآن فى أن المراد بهذه الأسماء الأحد عشر: يوم القيامة .

○ ولكن لكل اسم منها - بالإضافة إلى هذا المعنى العام - ملامح دلالية خاصة، على نحو ما بيّناه فيما تقدم .

(١) الكشف ٥١/٤، مفردات الأصفهاني (و ق ع) .

(٢) مقاييس اللغة (و ق ع) .

(٣) مفردات الأصفهاني (و ق ع) .

وليوم القيامة أوصاف أخرى فى القرآن الكريم، لم نذكرها هنا؛ لأنها ليست من باب التقارب الدلالى، بل هى وصف لحوادث ومواقف تقع فى ذلك اليوم، ومن تلك الأوصاف:

يوم البعث - يوم الجمع - يوم الحساب - اليوم الآخر - الآخرة - يوم الحسرة - يوم الحشر - يوم الخروج - يوم الخلود - يوم الدين - اليوم المشهود - يوم عَسِرٌ - يوم عظيم - يوم عقيم - يوم معلوم - يوم الوقت المعلوم - يوم التغابن - يوم الفتح - يوم الفزع الأكبر - يوم الفصل - يوم التلاقى - النبأ العظيم - يوم التَّنَاد - يوم النشور - الوعد - الوعيد - اليوم الموعود - الميقات .

وغير ذلك من أوصافٍ ذُكِرَتْ بألفاظ أخرى .

ولكن كل هذه أوصاف ولم تصبح أعلامًا دالَّةً على ذلك اليوم نفسه، وهى تستحق بحثًا مفصَّلًا يُجَلَّى خوافيها ومكنونات معانيها، ويُبَيِّن أسرارها اللغوية وسياقاتها القرآنية .



ثانيًا: الفروق الدلالية بين الأبنية الصرفية المتشابهة

- ١- اختلاف صيغة الفعل
- ٢- اختلاف صيغة المصدر
- ٣- اختلاف صيغ المشتقات
- ٤- اختلاف صيغ الجموع
- ٥- بين الأفراد والجمع

١ - اختلاف صيغة الفعل (٣٢)

□ ١/٣٢ بُعِدَ - بَعِدَ :

لم تُفَرِّقِ المعاجم اللغوية بين الفعلين، قال ابن فارس: "البُعْدُ خلاف القُرْبِ، والبُعْدُ والبَعْدُ: الهلاك . وقالوا في قول الله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِثْتُ شُعُوبًا﴾ مود: ٩٥، أى: هَلَكْتُ . وقياس ذلك واحد" (١) .

يريد: أن الهلاك بُعْدٌ للهالك .

وفى اللسان:

"البُعْدُ: خلاف القرب . بَعِدَ الرَّجُلُ (بالضم)، وَبَعِدَ (بالكسر) بُعْدًا وَبَعْدًا، فهو بعيد (٢) .

وقد ورد الفعل المضموم العين فى قول الله ﷻ:

- ﴿لَوْ كَانَ عَرَصًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعِثْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةَ﴾ التوبة: ٤٢ .

وورد الفعل المكسور العين ومصدره فى قوله ﷻ:

- ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِثْتُ شُعُوبًا﴾ مود: ٩٥ .

فعبر القرآن عن البُعْدِ فى المسافة بالفعل المضموم العين (بُعْدَ)، بينما عبر عن الهلاك بالفعل المكسور العين (بَعِدَ) .

قال الزمخشري: المعنى فى البناءين واحد، وهو تقيض القرب، إلا أنهم

(١) مقاييس اللغة (ب ع د) .

(٢) اللسان (ب ع د) .

أرادوا الفصل بين البُعْد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرّقوا بين ضمان الخير والشرّ فقالوا: وَعَدَ، وَأَوْعَدَ^(١).

● ونقل أبو حيان كلام الزمخشريّ وغيره، ومحضه أن أكثر استعمال (بُعْد) بضم العين في التعبير عن البُعْد في المسافة، وأكثر استعمال (بَعْد) بكسر العين في التعبير عن الهلاك^(٢).

ومراعاة القرآن التفرقة بين معنى الفعلين عن طريق الصيغة الصرفية، هو الأسلوب الأمثل في التعبير اللغوي، على عادة القرآن الحكيم في ذلك.

ومثل ذلك استعمال الفعلين (قَسَطَ - أَقْسَطَ) والوصف منهما (قاسط - مُقْسِط)، فالمجرد بمعنى الظلم والجور، والمزيد بالهمز بمعنى العدل، قال الله ﷻ:

- ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (١٥) الجن .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة: ٤٢، الحجرات: ٩، الممتحنة: ٨ .

□ ٢/٣٢ تبع - اتبع :

قال الله ﷻ:

- ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨) البقرة .

- ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٣٩) طه .

(١) الكشف ٢/٢٩١ .

(٢) البحر المحيط ٥/٢٥٨، وانظر مفردات الأصفهاني (ب ع د) .

● في آية البقرة جاء الفعل المجرد (تَبَعَ) وهو يدلُّ على مجرد الوصف بالاتباع . أما في آية طه فاقتضى السياق أن يُستعمل الفعل المزيد (اتَّبَعَ) بوزن (افْتَعَلَ) وهو يفيد التجدد والتكلف ، أى وجود مشقة فى الفعل ؛ وذلك لأن الآية فى سورة طه جاءت عقب ذكر عداوة إبليس لآدم ﷺ ، فناسب ذلك تجديد الاتباع للهدى والاجتهاد فى بلوغه، وعُبر عن ذلك بالفعل المزيد (اتَّبَعَ) الدالُّ على التجديد والقوة والقصد .

□ ٣/٣٢ شَرَى - اشْتَرَى :

○ تدور مادة (ش ر ي) فى اللغة حول معنى : المماثلة بين أمرين أخذًا وعطاءً^(١) ؛ ولما كان البيع والشراء يتلازمان فقد استعمل الشراء بمعنى البيع ، كما استعمل البيع بمعنى الشراء^(٢) .

ولذا يُستعمل الفعلان (شَرَى - اشْتَرَى) تارةً بمعنى أخذ الشيء ، وتارةً بمعنى دفع الثمن .

لكن الاستعمال القرآنى فرَّق بين الفعلين ، فخصَّص الصيغة المجردة (شَرَى) فى معنى : باع الشيء وأخذ الثمن ، كما فى الآيات التالية :

﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا السَّيِّطِينَ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ السَّيِّطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ

(١) مقاييس اللغة، الصحاح، اللسان (ش ر ي) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ش ر ي) .

- وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ البقرة .
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ البقرة .
- ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٧﴾﴾ النساء .
- ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ يوسف .
- فقوله ﴿شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ معناه: باعوها^(١) .
- وقوله ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ معناه: يبيعها^(٢)، أى يذلها فى رضا الله ﷻ .
- وقوله ﴿يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ معناه: يبيعونها ويؤثرون الآجلة على العاجلة ويستبدلون بها^(٣) .
- وقوله ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أى: باعوه^(٤) .
- أما الفعل المزيد بقاء الافتعال (اشترى) فقد تكرر فى القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، وكان بمعنى الشراء فى هذه المواضع كلها، ومن ذلك الآيات التالية:
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ البقرة: ١٦ .
- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ التوبة: ١١١ .
- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ يوسف: ٢١ .

(١) الكشف ٣٠١/١ .

(٢) الكشف ٣٥٢/١ .

(٣) البحر المحيط ٢٩٥/٣، الكشف ٤٥٢/١ .

(٤) الكشف ٣٠٩/٢ .

- والشراء هنا هو أخذ الثمن مقابل الشيء، سواء أكان هذا الثمن مادياً كما في آية يوسف رقم (٢١)، أو معنوياً كما في سائر المواضع الأخرى^(١).
- ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآني غاير بين دلالتى (شَرَى - اشْتَرَى)، فجاءت الصيغة المجردة بمعنى البيع، والصيغة المزيدة بمعنى الشراء.

□ ٣٢/٤ اسْتَطَاع - اسْطَاع:

ورد هذان الفعلان فى آية واحدة هى قول الله ﷻ:

- ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ نَقْبَأْ﴾ الكهف .

- وإيثار صيغة (اسْتَطَاع/اسْتَفْعَل) مع النقب؛ لدلالة الصيغة بتامها على الطلب والمحاولة، فهم وإن كانوا عاجزين عن نقب السد، إلا أنهم يحاولون غير يائسين من نقبه .

- أما صيغة (اسْطَاع) بحذف التاء، ففيها إحياء بالعجز التام واليأس حتى من مجرد محاولة تسلُّق السد والصعود عليه .

كما أن فى المخالفة بين اللفظين المتجاورين مراعاةً لجرس الكلام ونغمه، وهى سمة جمالية من خصائص التعبير القرآنى الذى تتعاقب فيه الأصوات والتراكيب والدلالات وتنازر لأداء المعنى على أدق وجه وأكمل صورة .

□ ٣٢/٥ فَسَحَ - تَفَسَّحَ:

- ^١ صيغة الفعل المجرد (فَسَحَ) تدل على الإطلاق، فمعنى (فَسَحَ): أَوْسَعَ،

(١) انظر: خصائص التعبير القرآنى ٢/ ٣٢٥، ٣٢٦ .

بينما تدلُّ الصيغة المزيدة بالتاء وتضعيف العين على التكلف، فمعنى (تَفْسَحَ): تكلف ذلك .

وقد ورد الفعلان في آية واحدة من القرآن الكريم، هي قول الله ﷻ:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾
المجادلة: ١١ .

فكلمة (تَفَسَّحُوا) معناها: أن يفسح بعضهم لبعضٍ ويوجد كلٌّ منهم فسحةً لغيره في المكان، وذلك بالتضام والتقارب .

أما الفعل (افسَحوا) فهو أمرٌ من الثلاثي المجرد (فَسَحَ)، وليس فيه معنى التكلف، بل هو فعلٌ ذلك دون تكلف أو إبداءٍ لمشقة ذلك؛ ولذا جُوزِيَ مَنْ يستجيب ويوسع لغيره بالسَّعة من الله ﷻ، وهي مطلقة في الرزق والعلم والقلب والقبر وغير ذلك^(١) .

● ونخلص من ذلك إلى أن الفعل المزيد (تَفَسَّحَ) فيه تكلفٌ وشعورٌ بالمشقة .
أما الفعل المجرد ففيه إطلاق، وأداءٌ للفعل دون إبداء تكلفٍ أو شعور بالمشقة .

□ ٦/٣٢ كَسَبَ - اِكْتَسَبَ :

تدور مادة (ك س ب) حول معنى: جلب النفع من مال وغيره، أو تحصيل ما هو مَظَنَّةٌ للنفع .

○ والكَسْبُ: تحصيل ذلك، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَبَئِكَ مَا كَسَبْتُمْ﴾ البقرة: ٢٦٧ .

(١) الكشف ٧٥/٤، التحرير والتنوير ٣٧/٢٨ ، ٣٨ .

وقد يُستعمل الكَسْبُ في السيِّئ، كما في قوله ﷻ:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ الأنعام: ١٢٠ .

- ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩ .

○ والاكتساب: جاء على صيغة الافتعال الدالة على شدة الطلب، وقد غلب استعماله في الشرِّ والسيِّئ؛ لأن صيغة الافتعال تدل على المحاولة والاجتهاد في الطلب، والنفوس تنجذب إلى شهواتها السيئة، فعبر عن ذلك بصيغة الافتعال، ومن ذلك قوله ﷻ:

- ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: ٢٨٦ . أى: لها عملها الصالح وعليها عملها السيِّئ .

وقد يُستعمل الاكتساب في معنى الخير كما في قوله ﷻ:

- ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء: ٣٢ .

● ولكن يبدو أن الكسب لا يُستعمل إلا في الخير، وأما الآيات التي ورد فيها بمعنى السيِّئ؛ فلأن من يكسب سوءاً أو إثماً يظن في ذلك خيراً وتحصيل نفع .

● كما غلب استعمال الاكتساب في الشرِّ .

● وباستقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الاكتساب، لا نجده ورد بمعنى كسب الحسنات؛ ولم يعبر القرآن عن الحسنات والصالحات إلا بلفظ (كسب) .

● وأما استعمال القرآن للفعل المجرد (كَسَبَ) في المعاصي والسيئات فهو على معنى التعمُّد، فالعاصي قد اعتاد العصيان، فناسبه أن يُسند إليه الفعل بصيغته المجردة (كَسَبَ) . أما الصيغة المزيدة (اِكْتَسَبَ) فتدل على بذل

الجهد، فناسب استعمالها في معنى الاجتهاد في تحصيل النفع أو ما هو مَظَنَّة النفع وإن كان شرًا .

□ ٧/٣٢ مَدَّ - أَمَدَّ:

ومن ذلك أيضًا استعمال القرآن الكريم - في الأعم الأغلب - الفعل (مَدَّ) في الخير، والمهموز (أَمَدَّ) في الشر، قال الله ﷻ:

- ﴿أَمَدَّكَ بِأَنعَمِ وَبَيْنَ﴾ الشعراء .

فهذا في الخير .

وقال ﷻ:

- ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ الأعراف: ٢٠٢ .

فهذا في الشر . والصيغة الصرفية لها وظيفة دلالية مهمة في التعبير القرآني .

□ ٨/٣٢ نَبَأَ - أَنْبَأَ:

ورد الفعلان: المضعّف والمهموز، في آية واحدة، هي قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرِضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ التحريم .

فتكرر الفعل المضعّف في الآية ثلاث مرات، فُصِّلَ بينها بالسؤال الذي جاء الفعل منه مهموزًا: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ .

● وصيغة الفعل المضعّف تدل على الكثرة والقوة؛ لذا عبّر بها عن الخبر التام الذي قد حدث فعلاً: ﴿نَبَأَتْ بِهِ﴾ ، ﴿نَبَأَهَا بِهِ﴾ ، والوحي الإلهي: ﴿نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ .

- بينما عُبر بصيغة المهموز (أَنْبَأَ) في مقام السؤال عَمَّن نقل هذا النبأ إلى النبي ﷺ . ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ﴾ ، وصيغة المهموز أنسب بهذا المقام لدالتها على التعدية ، أى نقل النبأ .

٢- اختلاف صيغة المصدر (٣٢)

□ ٩/٣٢ البأس - البأساء :

○ تدور مادة (ب أ س) فى اللغة حول معنى الشدة، من فقر وخوف وجوع وحرب^(١) .

ولم تُفرّق المعاجم اللغوية بين البأس والبأساء، وجعلهما الراغب الأصفهاني أيضًا بمعنى واحد، قال :

"البؤس والبأس والبأساء: الشدة والمكروه، إلّا أن البؤس فى الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء فى النكابة"^(٢) .

ولكن ورود اللفظين (البأساء، البأس) معطوفين فى القرآن الكريم يقتضى تغايرهما، وذلك كما فى قوله ﷻ :

- ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ البقرة: ١٧٧ .

والذى تُرجّحه ما ذهب إليه أكثر المفسرين، وهو أن البأساء: الفقر، والضراء: المرض، والبأس: القتال . وهذا من باب الترقى فى الصبر من الشديد إلى الأشدّ، فذكر أولاً الصبر على الفقر (البأساء)، ثم الصبر على المرض (الضراء) وهو أشدّ من الفقر، ثم الصبر على القتال (البأس)، وهو أشدّ من الفقر والمرض^(٣) .

(١) المقاييس، اللسان (ب أ س) .

(٢) مفردات الأصفهاني (ب أ س) .

(٣) البحر المحيط ٨/٢ .

- ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (البأس - البأساء) متقاربان في الدلالة؛ حيث يشتركان في معنى الشدة والمكروه .
- ويتميز لفظ (البأساء) بنوع من الشدة هي شدة الفقر، بينما يتميز (البأس) بنوع من الشدة هي شدة القتال والعذاب والنكال .

□ ١٠/٣٢ سَخِرِيًّا - سُخْرِيًّا :

كلا اللفظين يجمعهما أصل دلالي واحد هو (س خ ر)، ولم يفرق اللغويون بينهما، حيث جعلوهما اسمًا من سَخَرَ كالسُّخْرِيَّة^(١) .
وقد وردت كلمة (سَخِرِيًّا) - بالكسر - في القرآن الكريم مرتين^(٢)، في الآيتين التاليتين:

- ﴿فَأَخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي﴾ المؤمنون: ١١٠ .

- ﴿أَتَأْخَذُهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ ص .

ذهب الخليل وسيبويه إلى التسوية بين ضم السين وكسرها في (سَخِرِيًّا)، وذهب الكسائي والفراء إلى أن كسر السين معناه الهُزء، (أى السُّخْرِيَّة)، وضم السين معناه السُّخْرة أى العبودية^(٣) .

(١) انظر: اللسان (س خ ر) .

(٢) اختلف القراء في (سَخِرِيًّا) في آيتي المؤمنون ووص، فقرأهما المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بضم السين في الموضعين، وقرأ الباكون بكسر السين في الموضعين . واتفقا جميعًا على ضم السين في آية الزخرف؛ لأنها من السُّخْرة لا من الهُزء (النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٢٩) . والمعتمد هنا قراءة من قرأ بكسر السين في الموضعين المذكورين، ومنهم حفص عن عاصم .

(٣) الكشف ٣/ ٤٤ ، ٣/ ٣٨٠ .

والى مثل ذلك ذهب القرطبي^(١) وأبو حيان^(٢).

وأجمع القراء على ضم السين فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ الزخرف: ٣٢ .

وإجماع القراء على ضم السين هنا يُرَجَّح أن هناك فرقاً بين الكلمة مضمومة السين ومكسورة السين على نحو ما بينا .

● ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين وإن تقاربنا صوتياً وصرافياً (إذ لا فارق بينهما سوى كسر السين أو ضمها)، فإن بينهما اختلافاً كبيراً فى المعنى .

● فالسُّخْرَى بالكسر: السُّخْرِيَّة والهُزء .

● والسُّخْرَى بالضم: السُّخْرَة والاستبعاد.

والياء فيهما للمبالغة، كالياء فى خُصُوصِيَّة، وأصلها (خُصوص) .

□ ١١/٣٢ السَّلم - السَّلْم - السَّلَم :

○ لم تفرّق المعاجم بين السَّلم والسَّلْم، قال ابن منظور: السَّلْم والسَّلَم: الصُّلح، يُفْتَح ويُكْسَر^(٣) .

○ بينما ذكرت المعاجم أن السَّلَم (بفتح اللام) يعنى: الإمتسلام والإذعان والانقياد^(٤) .

(١) القرطبي ١٢/١٥٥ .

(٢) البحر المحيط ٦/٤٢٣ .

(٣) اللسان (س ل م)، وانظر: الصحاح، التهذيب، مقاييس اللغة (س ل م) .

(٤) النهاية، اللسان (س ل م) .

وقد ورد السَّلَم (مكسور السين ساكن اللام) فى القرآن الكريم مرة واحدة (على قراءة غير نافع وابن كثير والكسائى وأبى جعفر) فى قول الله ﷻ:

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذُوبٌ مُبِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ البقرة .

السَّلَم: الاستسلام والطاعة، أى استسلموا لله وأطيعوه، وقيل: هو الإسلام^(١)، أنشد الكسائى وغيره من علماء اللغة قول امرئ القيس بن عابس الكندى:

دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسَّلَمِ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ تَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ
فَلَسْتُ مُبَدِّلًا بِاللَّهِ رَبًّا وَلَا مُسْتَبَدِّلًا بِالسَّلَمِ دِينًا

أى: دعوت قومى للإسلام، قال ذلك لَمَّا ارتدت قبيلة كندة مع الأشعث ابن قيس . وقال آخر فى فتح مكة:

شَرَايِعُ السَّلَمِ قَدْ بَانَتْ مَعَالِمُهَا فَمَا يَرَى الْكُفْرَ إِلَّا مَنْ بِهِ خَلَلٌ

يريد: الإسلام؛ لأنه قابله بالكفر . وقيل: (السَّلَم) بالكسر: الإسلام، وبالفتح: الصِّلح^(٢) .

والأرجح من بين هذه الأقوال قول أبى عمرو بن العلاء، وهو أحد القراء السبعة، الذى يرى أن السَّلَم بكسر السين هو الإسلام، والسَّلَم بفتح السين هو المسالمة^(٣) .

والسَّلَم (بفتح السين وسكون اللام) ورد فى القرآن الكريم مرتين، فى الآيتين التاليتين:

(١) الكشف ٣٥٣/١ .

(٢) البحر المحيط ١٠٩/٢ .

(٣) نقله الطاهر بن عاشور فى: التحرير والتنوير ٢٧٦/٢ .

- ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الأنفال: ٦١ .

- ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْزُكَ أَعْمَالُكُمْ﴾ (١٥)

محمد .

وهى فى الموضوعين بمعنى المسالمة كما سبق ذكره، وكما فى كثير من كتب التفسير^(١).

○ أما السَّلَم بفتح السين واللام فقد تكررت فى القرآن الكريم خمس مرات فى الآيات التالية:

- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَقُلْ يُغْلِبُكُمْ وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ مَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾

النساء: ٩٠ .

- ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوا عَنْكُمْ وَلِغَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْلِبُوا فِيهِ تَقْلِيْبَهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء: ٩١ .

- ﴿وَأَلْفُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

النحل: ٢٨ .

- ﴿وَأَلْفُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٧) النحل .

- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ الزمر: ٢٩ .

السَّلَم فى هذه الآيات بمعنى: الانقياد والاستسلام^(٢)، عدا آية الزمر فمعنى قوله ﷻ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾: خالصا له لا يشركه فيه أحد^(٣) .

(١) انظر: الكشف ١٦٦/٢، ٥٣٩/٣، البحر المحيط ٥١٣/٤، ٨٥/٨ .

(٢) الكشف ٥٥٢/١، ٤٠٧/٢، ٤٢٤/٢ .

(٣) الكشف ٣٩٧/٣ .

- ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (سَلِمَ - سَلِمَ - سَلَمَ) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك جميعها في معنى الخلوص .
- فالسَّلْمُ: خُلوص الطاعة والإيمان والعمل لله ﷻ .
- والسَّلَمُ: خُلوص الرغبة في الصلح .
- والسَّلَمُ: خُلوص الانقياد والاستسلام، أو خلوص الشيء لمالكه فلا يَشْرِك فيه أحد .

□ ١٢/٣٢ صَدَّ - صُدود:

قال الله ﷻ:

- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَتْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ البقرة: ٢١٧ .

- ﴿فَيُظْهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحُلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَبِيرًا﴾ (١٦) النساء .

وقال ﷻ في موطن آخر:

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَوَفِّينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (١١) النساء .

- استعمل المصدر (صدًا) لما كان فعله متعديًا، أى: يَصُدُّونَ غيرهم، فهو بمعنى المنع .

- واستعمل المصدر (صُدودًا) لما لم يكن متعديًا، فهو بمعنى الإعراض .

□ ١٣/٣٢ صَوْم - صِيَام :

استخدم القرآن الكريم الفعل "صام" الذي يدل على معنى الإمساك عن الطعام والشراب، كما يدل على معنى الصمت وعدم الكلام .

وقد حرص القرآن على أن يميّز في المصدر بين النوعين، فاستخدم للمعنى الأول كلمة "صيام" كما في قوله تعالى :

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ البقرة .

واستخدم للمعنى الثانى كلمة "صوم" كما في قوله تعالى :

- ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنِ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾ مريم : ٢٦^(١) .

□ ١٤/٣٢ كَرِهَ - كُتِرَ :

○ كلا اللفظين مصدر (كَرِهَ) . وقيل : الكُرْهُ اسم، والكُرْهُ مصدر . وقيل : الكُرْهُ المشقّة، وهو فعل المختار، والكُرْهُ : أن تُكَلِّفَ الشىء فتعمله كارهاً، وهو فعل المضطرّ^(٢) .

وإذن فاللفظان يشتركان فى معنى إباء النفس للشىء وثقله ومشقته وعدم الرضا به .

أكثر أهل اللغة يرون أن اللفظين مترادفان، إلّا الفراء فإنه زعم أن الكُرْهُ

(١) كمال اللغة القرآنية، ص ١٠٢ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (ك ر ه) .

(بالضم): ما أكرهت نفسك عليه، والكُرْه (بالفتح): ما أكرهك غيرك عليه^(١).

وقد ورد لفظ (الكُرْه) بالضم فى القرآن الكريم ثلاث مرات^(٢)، فى الآيتين التاليتين:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ البقرة: ٢١٦ .

- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ الأحقاف: ١٥ .

وسياق الآيتين لا يُرجَّح ما ذهب إليه الفراء من أن الكُرْه - بالضم - هو ما أكرهت نفسك عليه، والأصحُّ أن يقال: إن الكُرْه: ما كَرِهَتْه النفس لمشقتها وثقله عليها، ولكن النفس تختاره وتُقبِل عليه برغم مشقتها، فالقتال كرهه للنفوس؛ لأنه يحول بين المقاتِل وبين طمأنينته ولذَّاته ونومه وطعامه وأهل بيته، ويعرِّضه للهلاك أو ألم الجراح، ولكن فيه دفع المذلَّة، فهو من الضرورات التى لا بد منها؛ لأن تركه يُفْضِي إلى ضرر أعظم وأشد . وكراهية الطبع لا تُنافى تلقى التكليف به برضا؛ لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة^(٣).

ومثل ذلك الحمل والوضع فى آية الأحقاف، فهما وإن كان فيهما ثقل ومشقة وألم - إلا أن المرأة تُقبِل هذه المشقة وتتجشَّمها راضيةً سعيدة، لأجل الولد .

● فى كلمة (كُرْه) ثلاثة ملامح دلالية:

١- الشدة والمشقة .

٢- الرضا بهذه المشقة .

(١) اللسان (ك ر ه) .

(٢) هذا على قراءة عاصم، وهو ما يوافق رسم المصحف، وقد اختلف الفراء فى بعض هذه المواضع، ولكنهم أجمعوا على ضم الكُرْه فى سورة البقرة (انظر: المفصل فى القراءات) .

(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٣٢٠-٣٢١ .

٣- كونه مفروضًا من الخارج .

أَمَّا (الْكُرْه) بفتح الكاف فقد ورد في القرآن الكريم خمس مرات^(١)، في الآيات التالية:

- ﴿أَفَعَدَّ دِينَ اللَّهِ يَجْعَلُونَ لَهْ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِئْتِيَهُ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) آل عمران .

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَقْضُوا عَنْهُنَّ إِتْذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبِيرًا كَثِيرًا﴾ (١٨) النساء .

- ﴿قُلْ أَنفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥١) التوبة .

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١٥) الرعد .

- ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١١) فصلت .

- ونخلص مما سبق إلى أن الملامح الدلالية المميّزة للكره في هذه الآيات: المشقة، والإجبار (ضد الطّوع والإرادة)، وعدم قبول النفس للأمر عن رضا .
- والملمح الأخير هو الملمح الدلاليّ الفارق بين الكرّه والكره؛ حيث يشتركان في ملمحين هما:

١- الشدة والمشقة .

٢- كونه مفروضًا من الخارج .

(١) هذا على قراءة عاصم، واختلف فيه القراء، ولم يُجمعوا إلا على ضم كلمة (الْكُرْه) في سور البقرة، كما سبق .

- ويتميز المضموم بملحح الرضا، بينما يتميز المفتوح بعدم الرضا .

□ ١٥/٣٢ ضَرَّ - ضَرَّ - ضَرَّ - ضَرَّ - ضَرَّ :

بمراجعة مادة (ض ر ر) فى المعاجم لم نظفر بطائل من ملامح دلالية تُفرِّق بين هذه الكلمات المختلفة، فمن ذلك ما ذكره ابن منظور:

"الضَّرُّ والضَّرُّ لغتان: ضِدُّ النفع . والضَّرُّ المصدر، والضَّرُّ الاسم، وقيل: هما لغتان كالشَّهْد والشُّهْد، فإذا جمعت بين الضَّرِّ والنفع فتحت الضاد، وإذا أفردت الضَّرَّ ضَمَمَت الضاد إذا لم تجعله مصدرًا كقولك: ضَرَرْتُ ضَرًّا، هكذا تستعمله العرب . قال أبو الدقيش: الضَّرُّ ضد النَّعْم، والضَّرُّ بالضم: الهُزال وسوء الحال . . . وكل ما كان من سوء حال وفقرٍ أو شدةٍ فى بدن فهو ضَرٌّ، وما كان ضدَّ النفع فهو ضَرٌّ . . . والضَّرُّ: ضد النفع، وهو فِعْلُ الواحد، والضَّرار فعل الاثنين، أى يُضارُّ كل واحد منهما صاحبه . . . والضَّرَاء: السَّنة (أى الجذب)، والضَّرَاء: الحالة التى تَضُرُّ من الفقر والشدة والعذاب^(١) .

وأما القرآن الكريم فيفرِّق بين هذه الألفاظ بملامح دلالية واضحة، على النحو التالى:

■ الضَّرُّ:

- تكررت هذه الكلمة فى القرآن الكريم تسع عشرة مرة، ومن شواهدنا:
- ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضِرُّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ الأنعام: ١٧، يونس: ١٠٧ .
 - ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ

(١) اللسان (ض ر ر) .

كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسْئُومٍ ﴿١٢﴾ . يونس:

- ﴿قَالُوا يَتَّخِذُ الْغَزِيرُ مَسْنَاً وَأَهْلَكَ الضُّرُّ وَجَحْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَنَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: ٨٨ .

- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ الإسراء: ٦٧ .

قال المفسرون: الضُّرُّ (بالضَّم): البلاء من مرض أو فقر أو غير ذلك^(١)، وهو ظاهر الآيات السابقة . فليس الضُّرُّ مقصوراً على نوع بعينه من البلاء، بل هو عامٌّ في كل بلاء يصيب الإنسان، وهو اسم للحال التي تؤلم الإنسان^(٢) .

● الضُّرُّ:

تكرّرت هذه الكلمة في القرآن الكريم عشر مرات، ومن شواهدا:

- ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلَا نَفْعاً﴾ المائدة: ٧٦ .

- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الاعراف: ١٨٨ .

- ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشْداً﴾ الجن .

وفي أكثر هذه الشواهد (٩) عُطِفَ الضُّرُّ على النفع، وفي شاهد واحد عطف الضُّرُّ على الرشد، ولم يرد الضُّرُّ (بفتح الضاد) مفرداً في القرآن الكريم . وهذا يؤكد ما قاله ابن منظور، وهو أن الضُّرُّ بالضم اسم، وبالفتح مصدر، وهو معنى قول أبي حيّان: الضُّرُّ (بالفتح): ضد النفع .

ومعنى هذا أن الضُّرَّ اسمٌ لحالة البلاء، أما الضُّرُّ فهو إلحاق الضُّرَّرَ بالآخرين .

فقول الله ﷻ: ﴿لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً﴾ معناه: لا يستطيع أن

(١) الكشف ٩/٢، البحر المحيط ٨٨/٤ .

(٢) التحرير والتنوير ١٦٣/٧ .

يُلْحَقَ بِكُمْ الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبُ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ^(١) .

فَالضَّرَّ حَدَثٌ أَيْ فِعْلٌ، يُلْحِقُهُ الْإِنْسَانُ بغيره .

● الضَّرَرُ:

لم يرد الضَّرَرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ سِوَى مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، فِي قَوْلِهِ ﷺ:

- ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ النساء: ٩٥ .

والمُرَادُ بِالضَّرَرِ: الْمَرَضُ أَوْ الْعَاهَةُ مِنْ عَمَى أَوْ عَرَجٍ أَوْ نَحْوَهُمَا^(٢) .

وَأَضَافَ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ أَنَّ أَشْهَرَ اسْتِعْمَالَاتِ الضَّرَرِ فِي الْعَمَى؛ وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْأَعْمَى: ضَرِيرٌ، وَبِنَاءِ الضَّرَرِ عَلَى صِيغَةِ (فَعَلَ) مِثْلُ بِنَاءِ الْعَمَى وَالْعَرَجِ وَالْحَصَرِ وَنَحْوِهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْعَاهَةُ . قَالَ: وَلَا نَعْرِفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِطْلَاقَ الضَّرَرِ عَلَى غَيْرِ الْعَاهَاتِ الضَّارَّةِ^(٣) .

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا ذَكَرَهُ الْعَلَّامَةُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الضَّرِيرِ، جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ . قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ . وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخَذَهُ عَلَى فَخْذِي فَثَقُلْتُ عَلَى حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخْذِي، ثُمَّ سُرِّي عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(٤) .

(١) الكشاف ٦٣٥/١، البحر المحيط ٥٣٨/٣ .

(٢) الكشاف ٥٥٥/١، البحر المحيط ٣٣٠/٣ .

(٣) التحرير والتنوير ١٧١/٥ .

(٤) البخاري: كتاب الجهاد والسير، رقم: ٢٦١٩، ٢٦٢٠، كتاب تفسير القرآن، رقم: ٤٢٢٦، ٤٢٢٧، ٤٢٢٨، كتاب فضائل القرآن، رقم: ٤٦٠٦؛ مسلم: كتاب الإمارة، رقم: ٣٥١٦، ٣٥١٧ .

ورأى الحديث هو زيد بن ثابت كاتب الوحي، فتعين أن المراد بالضرر في هذه الآية: العمى؛ وذلك لأن أشهر استعمالات الضَّرَر في العمى، ولأن الصيغة الصرفية (فَعَلَ) تُستعمل في الدلالة على العاهة، وأن سبب نزول الآية في شأن رجلٍ أعمى هو عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه.

● الضَّرار:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَأَنِسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّنَعْتُهُنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِلُنَّ إِنَّ آرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ التوبة .

الضَّرار: مصدر (ضارٌّ)، يقال: ضارَّه ضِرارًا ومُضارَّةً، نحو قاتله قتالًا ومقاتلة^(١).

وأصل صيغة المفاعلة (فعال ومفاعلة/ ضِرار ومُضارَّة) أن تدلَّ على وقوع الفعل من الجانبين مثل (خاصَمَ)، وقد تُستعمل في الدلالة على قُوَّة الفعل مثل: عافاك الله، والظاهر أنها مستعملة هنا للمبالغة في الضرر؛ تشنيعًا على من يفعله^(٢).

فالضَّرار: المبالغة في الضرر وإلحاق الأذى بالغير .

(١) انظر الكشف ٢/٢١٤، البحر المحيط ٢/٢٠٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٢/٤٢١ .

● الضَّرَاءُ :

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم تسع مرات، منها :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة .

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطَيْبِ الْغَنِيِّ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ الأنعام .

﴿ وَلَئِن أَدْقَنْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَغْنُ السَّاعَةَ فَأَيَّامَةٌ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ فصلت .

واتفق المفسرون على أن الضَّرَاءُ تعني: البلاء الذي يصيب البدن من أمراض وجوع وعُري، ونحوها^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الألفاظ (ضَرَّ - ضَرَّ - ضَرَّر - ضَرَّار - ضَرَّاء) بينها تقارب دلالي؛ حيث تشترك جميعها في معنى: البلاء والشدة .

ويختص كل لفظ منها بملمح دلالي مميز على النحو التالي :

● الضَّرَّ: اسم لحالة البلاء، وهو غامٌ .

(١) الكشاف ١/ ٣٣١، البحر المحيط ٨/ ٢، القرطبي ٦/ ٤٢٤ .

- الضَّرَّ: إحداث البلاء وإلحاقه بالغير .
- الضَّرَر: العاهة (والعمى خاصة) .
- الضَّرار: المبالغة فى إلحاق البلاء بالغير .
- الضَّرَاء: البلاء الذى يصيب البدن خاصة .

□ ١٦/٣٢ النُّعْمَة - النِّعْماء :

وردت كلمة (نُعْمَة) فى كثير من المواضع ، ولم ترد (نَعْماء) إلا فى موضع واحد من القرآن الكريم ، وهو قول الله ﷻ :

- ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرْاءَ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٦﴾﴾ هود .

ومن مواضع كلمة (نِعْمَة) قوله ﷻ :

- ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ البقرة: ٢٣١ .

● فالنُّعْمَة : هى الشئ الذى يَسْتَلْذُّ به الإنسان وينعم به ، والحالة الحسيَّة التى هو عليها من إحساس باللذة .

● والسياقات التى وردت فيها كثيرة ، وتشمل النُّعْمَة الظاهرة والنُّعْمَة الباطنة .

● أما النِّعْماء فالسياق الذى وردت فيه يحدّد معناها فى النُّعْمَة التى تكون بعد حال من الشقاء ، فقد وردت فى مقابل الضَّرَاء .

□ ١٧/٣٢ النُّعْمَة - النَّعِيم :

لم تُفَرِّق المعاجم اللغوية بين النُّعْمَة والنَّعِيم، جاء في اللسان:

"النَّعِيم والنُّعْمَى والنَّعْمَاء والنُّعْمَة، كلُّه: الخفص والدَّعَة والمال" (١).

ولكن الاستعمال القرآني للفظين خَصَّ (النُّعْمَة) بما أنعم الله به على عباده في الدنيا لا في الآخرة، سواء أكانت خيراً مادياً كالمال والجاه والصحة، أم خيراً معنوياً نحو الهداية والإرشاد إلى الصواب والتوفيق للعمل به . وجاء هذا المعنى في (٤٩) موضعاً من القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٤٠، ٤٧، ١٢٢ .

- ﴿فَنَبِّئْهُمْ صَاحِبَكُمَا مِن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل .

- ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نُمًّا إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر .

○ أما كلمة (نَعِيم) فقد استخدمها القرآن الكريم فيما أنعم الله به على عباده المقربين: في الآخرة دون غيرها، كما في قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ الطور .

- ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ الواقعة .

ولا خلاف بين المفسرين على أن المراد بالنَّعِيم هو ما ينعم الله به على عباده في الآخرة، إلا في قوله ﷻ:

- ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ التكاثر .

بعض المفسرين قالوا: نِعْمُ الدنيا، وبعضهم قالوا: نِعْمُ الآخرة^(١).

- ونخلص مما سبق إلى أن النِّعْمَةُ تُستعمل في القرآن الكريم - في الأعم الأغلب - للدلالة على ما أنعم الله به على الخلق في الدنيا . بينما اختص لفظ (النعيم) بالدلالة على ما أنعم الله به على عباده في الآخرة .
- ولعل السَّرَّ في هذه التفرقة يرجع إلى صيغة (فعل) الدالَّة على المبالغة، فالتَّعْيِمُ: نِعْمَةٌ كثيرة مضاعفة لا مثل لها في الدنيا .

□ ١٨/٣٢ ضلال - ضلالة:

الضَّلَال والضَّلالة في اللغة كلاهما مصدر (ضَلَّ - يَضِلُّ)، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقِّه، وكل جائر عن القصد ضالٌّ^(٢).

ولكن الاستعمال القرآني للكلمتين يوضح مدى دقة اختيار اللفظ في هذا الكتاب الحكيم، كما يتبيَّن من قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ يَنْفَوِرَ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ الأعراف .

قال الزمخشري: فَإِنْ قُلْتُ: لِمَ قَالَ: ﴿لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ وَلَمْ يَقُلْ (ضلال) كما قالوا؟ قُلْتُ: الضَّلالة أَخْصُّ مِنَ الضَّلَال فَكَانَتْ أْبْلَغُ فِي نَفْي الضَّلَال عَنْ نَفْسِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ بِي شَيْءٌ مِنَ الضَّلَال، كَمَا لَوْ قِيلَ لَكَ: أَلَلَّكَ تَمْرٌ؟ فَقُلْتُ: مَا لِي تَمْرَةٌ^(٣).

(١) خصائص التعبير القرآني ١/ ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٢) تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، اللسان (ض ل ل) .

(٣) الكشف ٨٥/٢ .

وعَلَّق ابن المنير فى حاشيته على كلام الزمخشري بقوله : التحقيق أن يقال : الضَّلالة أَدْنَى من الضلال وأَقْل؛ لأنها لا تُطْلَق إِلَّا على الفعلة الواحدة منه، وأَمَّا الضَّلَال فيُطْلَق على القليل والكثير من جنسه، ونفى الأَدْنَى أبلغ من نفى الأعلى، لا من حيث كونه أَخَصَّ، وهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

وهذا الذى ذهب إليه ابن المنير هو ما رآه الدكتور حسن طبل؛ حيث قال :

نفى سيدنا نوح ﷺ تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر (ضَلال) التى وردت بها تلك التهمة على لسان قومه، ولكنه عدل عن تلك الصيغة إلى صيغة اسم المرأة (ضَلالة)، مبالغة فى النفى؛ وذلك لأن المصدر يدل على القليل والكثير، أما اسم المرأة فلا يدلُّ إِلَّا على الفعلة الواحدة، ونفى الأَدْنَى أو الأَقْل أبلغ من نفى الأكثر .

لقد جاء الاتهام بالضلال على لسان الملام مؤكِّداً مبالغاً فيه، عن طريق التعبير بفعل الرؤية وتأكيده بإِنَّ واللام، ثم تعديته بحرف الجر (فى) المفيد لمعنى الإحاطة والظرفية، وقد اقتضى ذلك أن يسلك نفى هذا الاتهام على لسان نوح ﷺ مسلكاً أَكَدَّ وأبلغ؛ فكان الالتفات عن صيغة المصدر إلى اسم المرأة، وإيقاعها فى سياق النفى، ثم إيثار حرف الجر (الباء)؛ حتى ينفى على نحو قاطع أن يكون قد عَلِقَ به أدنى قدر ممَّا يُسَمَّى ضلالة^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الصيغة الصرفية (ضَلالة) - بدلالتها على المصدر واسم المرأة ممَّا - أفادت التقليل، بخلاف الصيغة (ضَلال) الدالة على المصدر فقط، فهى تنطبق على القليل والكثير .

(١) أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية، د . حسن طبل، ص ٧١، ٧٢ .

٣- اختلاف صيغ المشتقات (٣٢)

□ ١٩/٣٢ الرَّحْمَن - الرَّحِيم :

قال الله ﷻ: ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ۝۱﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝۲ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ۝۳﴾ الفاتحة .

جاء في الكشاف: " في (الرَّحْمَن) من المبالغة ما ليس في (الرَّحِيم)، ويقولون: إن الزيادة في البناء زيادة في المعنى، قال الزجاج في الغضبان: هو الممتلئ غضباً . ومما طَنَّ على أذن من مُلَحَّ العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشَّقْدَف، وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل؟ فقال: أليس ذاك اسمه الشقدف؟ قلت: بلى . قال: هذا اسمه الشقنداف، فزاد في بناء الاسم، لزيادة المسمى .

كما أن صيغة (فَعْلَان) تفيد الحدوث والتجدد، وصيغة (فَعِيل) تفيد الثبوت، فجمع الله ﷻ لذاته الوصفين؛ إذ لو اقتصر على (رَحْمَن) لَظَنَّ ظَانٌّ أن هذه صفة طارئة قد تزول كعَظْشَان ورَيَّان، ولو اقتصر على (رَحِيم) لَظَنَّ أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناه استمرار الرحمة وتجدها؛ إذ قد تمرُّ على الكريم أوقات لا يَكْرُم فيها، وقد تمرُّ على الرحيم أوقات لا يَرْحَمُ فيها، والله ﷻ متصفٌ بأوصاف الكمال، فجمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هي الرحمة، وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع؛ حتى لا يستبدَّ به الوهم بأن رحمة الله ﷻ تعرض ثم تنقطع أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه، فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه^(١) .

وقال ابن القيم: إن في اسم (الرَّحْمَن) الذى هو على وزن فَعْلان ما فيه من سَعَة هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به، ألا ترى أنهم يقولون: غَضبان، للممتلى غضبًا، ونَذمان وخَيْران وسَكْران ولَهْفان، لمن ملئ بذلك؟ فبناء (فَعْلان) للسعة والشمول؛ ولهذا يُقَرَن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيرًا، كقوله ﷺ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ الفرقان: ٥٩، فاستوى على عرشه باسم الرحمن؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها، فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات^(١).

وزاد السهيلي: "إِنَّ الرَّحْمَنَ مِنْ أبنية المبالغة كغَضبان ونحوه، وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان فى آخره ألف ونون كالثنية، فإن الثنية فى الحقيقة تضعيف، وكذلك هذه الصفة، فكان غَضبان وسَكْران لضعفين من الغضب والسُّكْر، فكان اللفظ مضارعًا للفظ الثنية؛ لأن الثنية ضِعْفان فى الحقيقة"^(٢).

وزاد ابن جماعة أن: (فَعْلان) صيغة مبالغة فى كثرة الشئ وعِظَمِه وألَّا مُثْلًا منه، ولا يلزم منه الدواء من ذلك، كغَضبان ونُؤمان وسَكْران، وصيغة (فَعِيل) لدوام الصفة ككريم وظريف، فكأنه قيل العظيم الرحمة الدائمها^(٣).

● ونخلص مما سبق إلى أن تجاور الصفتين (الرَّحْمَن - الرَّحِيم) يُراد به: الثبوت واللزوم المفهوم من صيغة فَعِيل فى اسم الله (الرَّحِيم)، والتجدد والاستمرار والمبالغة المفهومة من الصيغة الصرفية فَعْلان فى اسم الله (الرَّحْمَن).

(١) التفسير القيم ص ٣٣ .

(٢) بدائع الفوائد ٢٣/١ .

(٣) كشف المعاني فى مشابه المثاني ص ٥٠ .

□ ٣٢/ ٢٠ الرّازق - الرّزّاق :

ورد هذان الاسمان لله ﷻ في القرآن الكريم بداليتين متقاربتين ، كما في قول الله ﷻ :

- ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ المائدة: ١١٤ .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذاريات: ٥٨ .

- الوصف (رازق) صيغة اسم فاعل ، ومعناه أن الله ﷻ هو الذى يرزق عباده . والملاحظ فى جميع السياقات التى وردت فيها هذه الصيغة أنها جاءت جمعاً ومضافة إلى اسم التفضيل (خَيْرُ) . ومعنى ﴿خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ : أنه ﷻ أفضل الرّازقين وأكثرهم خيراً . وهذا يعنى أن صفة (الرّازق) ليست خاصّة بالله ﷻ ؛ ولذلك جاءت على وزن اسم الفاعل لتشمل المخلوقين ، والمركب الإضافى فى ﴿خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ يخصّص الله ﷻ بالخبرة والأفضليّة .
- أما الوصف (رَزَّاق) فورد بصورة المفرد ، فى آية الذاريات ، وهو صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال) لإفادة كثرة الرزق وتعدّد وجوهه ، ولم يوصف به غير الله ﷻ .

□ ٣٢/ ٢١ ساحر - سَحَّار :

قول الله ﷻ :

- ﴿قَالُوا أَتَجِدُ أَهْلَهُ وَأَرْسِلُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلَيْهِ﴾ الأعراف .

وفى موضع آخر قال ﷻ :

- ﴿قَالُوا أَتَجِدُ أَهْلَهُ وَيُعَثُّ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلَيْهِ﴾ الشعراء .

- استعملت صيغة اسم الفاعل (ساحر) فى آية الأعراف؛ لعدم الحاجة إلى المبالغة فى الوصف، حيث الآية السابقة لم يذكر فيها السحر، وهى قول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَإِذَا تَمُرَّدْتُمْ ﴿١٥﴾﴾ الأعراف .
- بينما استعملت صيغة المبالغة (سَحَّار) فى آية الشعراء؛ لتقدم قول الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ الشعراء: ٣٥، فلما وصفه بالسحر كان جوابهم عليه أن يأتوه بمن هو أعلى منه كعباً فى السحر، فاستخدمت صيغة المبالغة للتعبير عن هذا .

□ ٢٢/٣٢ مُشْتَبِه - مُتَشَابِه :

ورد هذان اللفظان فى آية واحدة، هى قول الله ﷻ:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهٍ﴾ الأنعام: ٩٩ .

- والفارق بين اللفظين أن (المُشْتَبِه) يحتمل معنيين:

○ الأول: التشابه . الثانى: اللبس المؤدى إلى الحيرة .

- فنفى (التشابه)، أى: التساوى والتماثل . وأثبت (الاشتباه)، أى: وجود شبه قوى يقود إلى اللبس والحيرة؛ وذلك لأن هذه الثمار مختلف بعضها عن بعض اختلافاً جوهرياً، وإن بدا أنها متشابهة ظاهرياً؛ مصداقاً لقول الله ﷻ:

- ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ كُلُّ بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾﴾ الرعد .

□ ٢٣/٣٢ صَبَّار - شَكُور :

قال الله ﷻ :

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾
إبراهيم .

● جاءت كلمة (صَبَّار) على صيغة (فَعَّال) الدالة على الكثرة، ولم تُستعمل صيغة (صَبُور - فَعُول) الدالة على المداومة؛ لأنَّ الصبر يكون على المكروه والأذى، وهو شيء لا تُطبق النفوسُ أن تدوم عليه، فاكتمى بالصيغة الدالة على الكثرة دون أن تدل على الدوام؛ رفقا بالعباد ورعاية للجانب البشري الضعيف في نفوسهم . وكأنَّ في الصيغة إيماء إلى أنه يكفي كثرة الصبر ولا حاجة إلى الدوام عليه .

● بينما جاءت كلمة (شَكُور) على صيغة (فَعُول) وهي صيغة مبالغة تدل على الدوام، والشكر يكون على النعم، وهي متجددة في كل وقت، فحتاج إلى الشكر في كل حين، فاختر لذلك الصيغة الدالة على الكثرة والدوام معاً . هذا مع مراعاة فواصل الآيات والجانب الموسيقي للألفاظ .

□ ٢٤/٣٢ ضَيِّق - ضَائِق :

قول الله ﷻ :

- ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْبَعُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ الأنعام: ١٢٥ .

- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ هود: ١٢ .

عبَّرت آية هود باسم الفاعل (ضائق)؛ لأنها في خطاب النبي ﷺ، للدلالة

على أنه شيء عارضٌ غير ثابت؛ لأن رسول الله ﷺ كان أفسَحَ الناس صدرًا، ومثله قولك: زيد سيّد وجواد، تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين؛ فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد^(١).

بينما عبّرت آية الأنعام بالصفة المشبهة (ضيق) الدالة على أمر مستقرّ ثابت؛ لأنها في وصف الضالّين.

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (ضيق - ضائق) بينهما تقارب دلاليّ؛ حيث إنّ كليهما دالٌّ على الضيق.

● ولكن كلمة (ضائق) تدلُّ على ضيق عارض عابر، وكلمة (ضيق) تدلُّ على ضيق ثابت متأصل. وهذا مستفادٌ من البناء الصرفيّ للكلمتين.

□ ٢٥/٣٢ عجيب - عَجَاب:

○ كلا اللفظين في اللغة يدلُّ على المبالغة في العجب. قال الخليل في الفرق بينهما: فأما العجيب فالأمر يُتَعَجَّبُ منه، وأما العَجَاب فالذي يُجَاوِز حَدَّ الْعَجَب. ومثل ذلك الطَّوِيل والطُّوَال، فالطُّوِيل في الناس كثير، والطُّوَال: الأهوج (أى المُفْرِط) الطُّول^(٢).

وقد ورد الوصف (عجيب) في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿قَالَتْ يَوَئَلَيْكَ آلُؤَدَّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿٧١﴾ هود.

(١) الكشف ٥٥٣/١، ٩٢/٢، ٤٢٦/٢، وانظر: شرح الرضى على الكافية ٢/٢٢٠، الأشباه والنظائر للسيوطي ٢/٢٠١، ٢٠٦، الكليات لأبى البقاء، ص ٢٣٢، شرح المفصل لابن يعيش ٦/٨٢، ٨٣.

(٢) المقاييس، اللسان (ع ج ب).

- ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا مَثِيءٌ عَجِيبٌ ﴿١﴾﴾ ق: ٢ .

الآية الأولى جاءت على لسان السيدة سارة زوج إبراهيم عليه السلام حين بشرتها الملائكة بإسحاق ومن وراءه يعقوب - عليهما السلام - فتعجبت أن يولد لها ولدٌ وهي عجوز وزوجها قد أسنَّ، وهو استبعاد بحكم ما اعتاده البشر في هذا الشأن^(١) .

وفي الآية الثانية تعجّب الكافرون من إرسال الرسل ومن البعث بعد الموت .

بينما وردت كلمة (عُجَاب) في القرآن الكريم مرةً واحدةً، في قول الله تعالى:

- ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ ص .

والسياق هنا سياق مبالغة في العجب؛ لأنهم تعجّبوا من فكرة الإله الواحد، إذ هم قد درجوا على تعدّد الآلهة، فلمّا دعاهم رسول الله ﷺ إلى التوحيد أنكروا ذلك إنكاراً شديداً وتعجّبوا منه أشدّ العجب؛ ولذلك عبّر القرآن الكريم بصيغة المبالغة (عُجَاب) على وزن (فُعَال) الدالّ على المبالغة أكثر من دلالة (فَعِيل/عَجِيب)، وكأنهم قالوا: أجعل الجماعة واحداً؟! إن ذلك من المُحَال^(٢) .

● ونخلص مما سبق إلى أن لفظي (عَجِيب - عُجَاب) بينهما تقارب دلاليّ؛ حيث إنّ كليهما دالٌّ على شدة العجب .

● ولكن كلمة (عُجَاب) أكثر مبالغة من (عَجِيب)، وهذا مستفاد من البناء الصرفيّ، كما في: طويل - طَوَال .

(١) الكشف ٢/ ٢٨١ .

(٢) الكشف ٣/ ٣٦٠ .

□ ٢٦/٣٢ عاصِف - عاصِفة:

قول الله ﷻ:

- ﴿جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ يونس: ٢٢ .

- ﴿وَلَسَلَيَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِى﴾ الانبياء: ٨١ .

• ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أى: ذات عَضَف، كقولهم: امرأة طالق وحائض وطامث، وقاعد للآيسة من الحيض، فلم يأتوا فيه بالتاء وإن كان وصفاً للمؤنث؛ وذلك لأنه لم يجر على الفعل، وإنما يلزم الفرق ما كان جارياً على الفعل، والوصف (عاصِف) هو بمنزلة المنسوب إلى العَضَف^(١) .

• ولما أراد الحدث أنث الصفة فقال ﷻ: ﴿وَلَسَلَيَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِى﴾ أى: تعصف .

• ونخلص مما سبق إلى أن لفظى (عاصِف - عاصِفة) بينهما تقارب دلالي؛ حيث إن كليهما دالٌّ على شدة هبوب الريح .

• ولكن كلمة (عاصِف) فى وصف الريح ذاتها، أمّا كلمة (عاصِفة) فهى فى وصف حركة الريح .

□ ٢٧/٣٢ عالم - عليم - علام:

كل هذه الألفاظ تفيد الاتِّصاف بالعلم، غير أن البنية الصرفية لكل واحد منها تجعل له ملمحاً دلاليّاً متميزاً .

■ فالعالم: اسم فاعل من (عَلِمَ)، وهو يفيد الاتِّصاف بالعلم .

(١) الشرح المفصل ١٠٠/٥ .

■ والعليم: صيغة مبالغة تفيد المبالغة في الوصف بالعلم، أى المحيط بظواهر الأمور وبواطنها .

■ والعَلَّام: صيغة مبالغة تفيد كثرة العلم.

وقد وردت الكلمات الثلاث في القرآن الكريم لأداء معنى الوصف بالعلم، ولكن لكل واحدة منها سياقات تقتضى هذه الكلمة دون تلك .

والملاحظ فى الاستخدام القرآنى لكلمة (عالم) أنها جاءت وصفاً لله ﷻ فى حال أفرادها، وفى كل المواضع التى وردت فيها بصيغة المفرد كانت مضافة: إمّا إلى (الغيب)، أو إلى (الغيب والشهادة)، أو إلى (غيب السماوات والأرض) كما فى الآيات التالية:

- ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الأنعام: ٧٣، الرعد: ٩، المؤمنون: ٩٢، السجدة: ٦، الحشر: ٢٢، التغابن: ١٨

- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فاطر: ٣٨ .

- ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الجن .

ونلاحظ فى جميع الآيات أفراد كلمة (الغيب)؛ لذلك أثر القرآن الكريم استخدام صيغة اسم الفاعل (عالم) الدالة على الاتِّصاف بالعلم، والمعنى: أن الله هو الذى يعلم الغيب والشهادة . ولا يسوغ هنا استخدام صيغة (عليم) التى تدل على المبالغة فى الوصف بالعلم؛ لأن سياق الآيات يُرادُّ به تقرير وإثبات صفة العلم بالغيب والشهادة لله ﷻ .

أما صيغة المبالغة (عليم) فجاءت فى سياقات تقتضى المبالغة فى الوصف بالعلم، وكثيراً ما جاءت مقترنة بوصف (الحكيم)، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة .

فالملائكة يصحُّ أن يُوصَفوا بالعلم، وكلُّ منهم (عالم) لما علَّمه الله، وقد

نَزَّهَ الملائكة (سلام الله عليهم) الله ﷻ ، فنَقَوْا عن أنفسهم العلم إلا ما عَلَّمَهُم الله ، وأما العلم الكامل - الذى يعنى الإحاطة بظواهر الأمور وبواطنها - فأسندوا ذلك إلى الله ﷻ ، وقرنوا ذلك العلم التام الكامل بوصف الحكمة: (العليم الحكيم) .

وأما صيغة المبالغة (فَعَّال/عَلَّام) الدالة - بنيتها الصرفية - على كثرة العلم وتعدُّده ، فالملاحظ فى الاستخدام القرآنى أنَّها قد أُضيفت دائماً إلى كلمة (الغيوب) بصيغة الجمع ، كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١٠٩ .

أى: إِنَّ عِلْمَهُ ﷻ لا يتَّهَى إليه علم أحد^(١) .

وقد استُخدمت كلمة (عَلَّام) بصيغة (فَعَّال) الدالة على التعدُّد فى هذه السياقات؛ لأنَّ هناك غيوباً وحجبات كثيرة لا يعلمها ولا يعلم ما وراءها إلاَّ الله ﷻ ، والمعنى أن علمه ﷻ كثير متعدد بتعدد الغيوب الكثيرة فى السماوات والأرض .

- ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى للأوصاف الثلاثة (عالم - عليم - عَلَّام) يفيد اشتراكها جميعاً فى معنى الوصف بالعلم .
- غير أن كلمة (عالم) تدل على مجرد الوصف بالعلم ، فهى أعمُّ هذه الألفاظ .
- والملمح الدلالى المميِّز لكلمة (عليم) هو: المبالغة فى الوصف بالعلم الشامل التام الكامل .
- والملمح الدلالى المميِّز لكلمة (عَلَّام) هو: كثرة العلم وتعدُّد أنواعه .

□ ٢٨/٣٢ الغافر - الغفور - الغفار - ذو المغفرة - أهل المغفرة:

○ الأصل اللغوي لمادة (غ ف ر): السَّتر والتغطية^(١).

غير أن لكل من هذه الألفاظ والتعبيرات في القرآن الكريم معناه الذي يتناسب مع سياقه وموقعه .

فالغافر ورد في القرآن الكريم مرتين، مرة بصيغة المفرد، وأخرى بصيغة الجمع، في الآيتين التاليتين:

- ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ الاعراف: ١٥٥ .

- ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ غافر: ٣ .

صيغة (فاعِل) تدل على الحدث والحدوث وفاعله^(٢)؛ ولذلك جاءت في الآيتين في صورة مركَّبٍ إضافيٍّ، فقوله ﷻ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ معناه: الْمُتَّصِفُ بالغفران وصفاً دائماً مستقراً^(٣)؛ ولهذا جيء بصيغة (فاعل/ غافر) الدالة على الحدث أي المغفرة، والحدوث أي حصولها، والمُحْدِث لذلك وفاعله وهو الله ﷻ .

وإِشار صيغة اسم الفاعل في الآيتين للجمع بين هذه الثلاثة، مع الإشارة إلى ثبوت هذه الصفة لله ﷻ وتجددتها معاً .

● أمّا كلمة (غفور) فقد وردت في القرآن الكريم إحدى وتسعين مرة، ومن شواهدا قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٩، المائدة: ٣٩، الأنفال: ٦٩،

التوبة: ٥، النور: ٦٢، الممتحنة: ١٢، المزمل: ٢٠ .

(١) مقاييس اللغة، اللسان (غ ف ر) .

(٢) معاني الأنبياء، ص ٤١، التصريح ٦٥/٢ .

(٣) تفسير الرازي، البحر المحيط ٤٤٨/٧ .

وقد تجاوزت الصفتان (عَفُور)، (رَحِيم) في أكثر هذه الشواهد القرآنية، كما جاءت في بعض الشواهد مقترنة بصفات أخرى مماثلة لها في الصيغة الصرفية مثل (عَفُوّ، وَدُود، شَكُور)، أو قريبة منها مثل (حَلِيم، عَزِيز). وفي هذا مراعاة للنغم الموسيقي للفاصلة القرآنية والصيغ المتجاورة عند رءوس الآي، إلى جانب توكيد صفة المغفرة وشمولها وتنوعها.

كذلك فإن صيغة (فَعُول) تفيد دوام الفعل وكثرته وقوّة الفاعل عليه^(١)، أي أن كلمة (عَفُور) يُراد بها دوام المغفرة وكثرتها مع قدرة الله ﷻ على ذلك. والسياقات التي وردت فيها هذه الكلمة تفيد هذه المعاني.

● وكلمة (عَفَّار) وردت في القرآن الكريم خمس مرات، ومن شواهداها:

- ﴿وَلِيَّ لَفْظًا لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿٨٧﴾ طه.

- ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقْرُ﴾ ﴿١٦٦﴾ ص.

- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَظَارًا﴾ ﴿١٢١﴾ نوح.

وصيغة (فَعَّال) تدل على كثرة وقوع الفعل وتكراره مرّة بعد مرة. كما أنها تُستعمل للدلالة على الحزفة نحو: عَظَّار، جَمَّال، بَقَّال، نَحَّاس، حَدَّاد... إلخ. ثم نُقِلَ هذا البناء الصرفي إلى معنى المبالغة، فعندما نقول: فلان صَبَّار، فكأنما هو شخص حرفته وصنعتة الصبر^(٢).

قال الفخر الرازي في تفسير آية نوح رقم (١٠):

"فكأن هذا هو حرفته وصناعتة"^(٣).

وعلى هذا فمعنى كلمة (عَفَّار): كثير المغفرة، مع تكرار ذلك وتجددته وملازمته، وتعدّد متعلّقات المغفرة وأسبابها.

(١) ديوان الأدب للفارابي ١/ ٨٥، مع الهوامع ٢/ ٩٧، درّة الغواص، ص ٨٩.

(٢) انظر شرح ذلك وتفصيله في: معاني الأبنية العربية، ص ٩٤ - ٩٦.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٣٠/ ١٣٨.

● وأما الوصف (ذو مَغْفِرَةٍ) فقد ورد في القرآن الكريم مرتين، في الآيتين التاليتين:

- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الرعد: ٦ .
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ فصلت: ٤٣ .

كلمة (ذو) تُستعمل بمعنى صاحب الشيء ومالكه، وأريد بها في الآيتين: مالك المغفرة القادر على منحها أو منعها؛ ولذلك اقترنت بالكلمة الدالة على معنى الملكية (ذو)، وعُطفت على الوصف بالعقاب الشديد أو الأليم .

فمعنى (ذو المَغْفِرَةِ): ذو القدرة على منحها أو منعها .

● وأما الوصف (أهل المَغْفِرَةِ) فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفِرَةِ ۝٥١﴾ المدثر .
أى: هو الحقيق بالمغفرة، الجدير بذلك دون غيره ﷻ^(١) .

● ونخلص ممّا سبق إلى تقارب هذه الصفات لله ﷻ، حيث تشترك جميعها في إثبات المغفرة لله ﷻ، وتختلف فيما بينها بلامح دلالية مميزة لكل صيغة صرفية أو تركيب نحوي بحسب ما أُضيف إليه الوصف:

● فالغافر: تتميز بالجمع بين وصف (المغفرة)، ووقوع هذه المغفرة، وفاعلها وهو الله ﷻ، وهذا يدل على الثبات والتجدّد معاً .

● والغفور: تفيد دوام المغفرة وكثرتها، وقدرة الله على ذلك .

● والغفار: تفيد كثرة المغفرة، وتكرارها، وتجددها، وملازمتها، وتعدّد متعلقاتها ودواعيها .

(١) انظر: الكشاف ١٨٨/٤، التحرير والتنوير ٣٣٤/٢٩ .

- والتعبير (ذو المَغْفِرَةِ) يفيد: ملكية الله ﷻ للمَغْفِرَةِ، مع قدرته ﷻ على منحها أو منعها .
- والتعبير (أهل المَغْفِرَةِ) يفيد الجدارة والاستحقاق لهذا الوصف .

□ ٢٩/٣٢ القادر - المُقْتَدِر - القدير :

وردت هذه الأسماء الحسنى فى مواضع متعددة من القرآن الكريم، ومن ذلك الآيات التالية :

- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الأنعام: ٣٧ .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٠، ١٠٩، ١٤٨ .

- ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴿٤٢﴾﴾ القمر .

○ الاسم (قادر) مَصْوَغ على وزن اسم الفاعل، الدالُّ على الاتِّصاف بصفة القدرة . والمقام يقتضى هذه الصيغة دون غيرها؛ لأن إنزال آية - عند الله - لا يحتاج إلى المبالغة فى القدرة، وكذا فى السياقات الأخرى التى استعمل القرآن فيها صيغة اسم الفاعل، نحو قوله ﷻ :

- ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ مُنْجَىٰ أَلْمُوتِ ﴿٥٠﴾﴾ القيامة: ٤٠ .

○ والاسم (قدير) مَصْوَغ على وزن من أوزان المبالغة (فعل) للدلالة على المبالغة فى اتِّصاف الله ﷻ بالقدرة، والسياق يقتضى استخدام صيغة المبالغة؛ لأنه يُنصُّ على إحاطة قدرة الله على (كلِّ شَيْءٍ)، واستُخدمت (إن) مع لفظ (كلّ) لتأكيد شمول القدرة الإلهية والمبالغة فيها .

○ والاسم (مُقتَدِر) مَصْوَغ على وزن اسم الفاعل (مُقتَعِل) من الفعل المزيد

(اقتَدَرَ)، والزيادة فى المبنى تدل على زيادة فى المعنى، فالمُقْتَدِر فيه معنى زائد على معنى (القادر)، وهو أبلغ وأشدُّ فى الوصف بالقدرة؛ ولذلك استُعْمِل فى سياقات العذاب كما فى آية القمر (٤٢).

كما استُعْمِل فى الدلالة على المُلْك كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٥٥) القمر .

أى: ملك مهيمن بالغ القدرة والسيطرة .

● ونخلص مما سبق إلى أن:

● القادر: وصف لله ﷻ بالقدرة .

● القدير: مبالغة فى وصف الله ﷻ بالقدرة على كل شيء، فلا يعجزه شيء ولا يخرج عن قدرته شيء .

● المُقْتَدِر: المهيمن والمسيطر، وغلب استعماله فى السياقات الدالة على المُلْك والعذاب .

□ ٣٢/٣٠ - القاهر - القَهَّار:

○ القاهر: اسم فاعل من القهر .

○ والقَهَّار: صيغة مبالغة من القهر .

والاسمان يشتركان فى وصف الله ﷻ بصفة القهر، أى: الغلبة والعُلُوّ والقدرة على ما أراد طوعاً وكرهاً^(١) .

إلا أن اسم الفاعل يدل على التجدد والحدوث؛ لمشايبته الفعل، فالمراد

(١) مقاييس اللغة، النهاية لابن الأثير، اللسان (ق هـ ر) .

بالقاهر مجرد إثبات صفة القهر لله ﷻ وتجدد تلك الصفة^(١) .

أما القَهَّار فيدل على المبالغة في القهر كمَّا وكيفًا^(٢) .

وقد ورد الاسم (القاهر) في القرآن الكريم مرتين، في قول الله ﷻ:

- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ الأنعام: ١٨، ٦١ .

ويلاحظ هنا ارتباط الوصف (قاهر) بكلمة (فوق)؛ ثم المضاف إليه (عباده)، فهو في سياق وصف الله ﷻ بالاستعلاء والغلبة والقدرة على عباده، وهذا المعنى لا يحتاج إلى المبالغة والتوكيد .

أما صيغة (القَهَّار) فتكررت في القرآن الكريم ست مرات في الآيات التالية:

- ﴿يَصْصِيحُ السَّجْنَءَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يوسف .

- ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد: ١٦ .

- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم .

- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ص .

- ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الزمر .

- ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر .

والملاحظ أن صفة القَهَّار في هذه الآيات جميعًا قد ارتبطت بلفظ

(١) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، د . أحمد مختار عمر، ص ١٢٨ .

(٢) المصدر السابق .

الجلالة، وصفة أخرى هي (الواحد)؛ كما أنها جاءت فى سياقات تقتضى المبالغة فى الوصف وتأكيدهِ وإثبات تعدُّد أنواعهِ، وهى سياقات الحديث عن مطلق القدرة والعظمة والتصرُّف والتمكُّن، كأهوال الآخرة، والمقارنة بين العبادة الحقَّة ﴿لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ﴾ وعبادة غير الله ﷻ، وفى سياق الآيات الكونيَّة، وكل هذا يقتضى المبالغة فى توكيد صفة القهر والعزَّة والغلبة، وبيان القدرة وتعدُّد صورها . وكلُّ ذلك عن طريق الصيغة الصرفية (فَعَّال/ قَهَّار) الدالَّة على المبالغة والتكثير والتوكيد .

- ونخلص مما سبق إلى أن الوصفين (القاهر - القَهَّار) يشتركان فى الاتِّصاف بالقهر .
- إلا أن صيغة (القاهر) لمجرد إثبات صفة القهر لله ﷻ .
- بينما جاءت صيغة (القَهَّار) لتوكيد الصفة والمبالغة فيها وبيان تعدُّد صورها .

□ ٣١/٣٢ كَبِير - كُبَّار :

وردت الصفة (كَبِير) فى كثير من آيات الذكر الحكيم، وتعددت معانيها بحسب السياقات الواردة فيها، ومن ذلك :

- الزائد فى الإحسان والعظمة وكلِّ معانى الجلال والجمال على غيره، كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝١﴾ الرعد .

- وصفٌ لتقدُّم السن، كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿قَالَنَا لَا سَمِيَّ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ القصص: ٢٣ .

- وصف للعدد أو الحجم، كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ البقرة: ٢٨٢ .

المراد فى الآية السابقة: حجم الدِّين، وهو هنا وصف للمعنوى، ومثله وصف الفضل والذنب والفساد وغير ذلك من المعنويات .

● الزَّعِيم والسَّيِّد المُقَدَّم على فومه كما نى قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ طه: ٧١ .

أما الوصف (كُبَّار) فقد ورد فى القرآن الكريم مرة واحدة وصفًا لمعنوى (هو المَكْر) فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ نوح .

والكُبَّار: أقصى مبالغة فى الوصف بالكِبَر؛ لأن الكبير يوصف بثلاث كلمات فى العربية تتدرَّج فى المبالغة على النحو التالى:

كَبِير - كُبَّار - كُبَّار .

إلا أن (الكُبَّار) لا يليق أن يوصف بها الله ﷻ؛ لأنَّ الله لا يوصف إلا بما جاء به الوحى فى كتابه أو على لسان أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه . كما أنه لا يحمل هذه الدلالات المتنوعة التى يحملها الوصف (كَبِير) .

● والخلاصة أن الكُبَّار أبلغ من الكبير، لكنه أخصُّ منه دلاليًا وأقل منه تعبيرًا عن تنوعات المعنى ودرجانه .

□ ٣٢/٣٢ كَفَّار - كَفُور:

قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفَظْلُومٍ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم: ٣٤ .

- ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح .

- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِلَّا أَلْبَلَغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَجَرَحَ بِهَا وَإِنْ نَضِيبُ سَنَتُهُ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (١٨) الشورى .

- ﴿ذَلِكَ جَزَائُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾ (١٧) سبا .

• كلمة (كَفَّار) على وزن فَعَّال، وهذا الوزن يفيد كثرة المزاولة للفعل وتكراره، قال ابن سيده: الباب فيما كان صنعة ومعالجة (يريد: ممارسة) أن يجيء على (فَعَّال)؛ لأن فَعَّالًا لتكثير الفعل، وصاحب الصنعة مداوم لصنعة، فجُعِلَ له البناء الدال على التكثير كالْبَزَّاز والعَطَّار وغير ذلك^(١) . فكان الْكَفَّار قد صار الكفر له حرفة يُزاولها .

• أما كلمة (كَفُور) فإنَّ صوغها على وزن (فَعُول) يفيد الدلالة على المبالغة مع التجدُّد والاستمرار، كأن المعنى أن الإنسان المبالغ في الكفر بمنزلة مادة تُسْتَفَد في الكفر وتفنى فيه؛ وذلك لأنه جاء على وزن منقول من أسماء الأشياء التي يُفَعَّل بها كالْوَضوء والْوَقود والسَّحور والغَسول والبُخور... إلخ، ومن هنا استُعير هذا البناء للدلالة على المبالغة التي ليس بعدها مزيد^(٢) .

وكلا الوصفين مقصود في وصف الكفر .

• والخلاصة أن كلمة (كَفَّار) تفيد التكرار والتجدُّد والاستمرار والملازمة، بينما كلمة (كَفُور) تفيد المبالغة التي ليس بعدها مزيد .

(١) المخصص ٦٩/١٥ .

(٢) معاني الأبنية في العربية، د . فاضل صالح السامرائي، ص ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، وانظر: المخصص ٦٩/١٥، شرح المفصل ١٣/٦، الخصائص لابن جني ٤٦/٣، إصلاح المنطق لابن السكيت، ص ٣٥٩، كشف الطرة، ص ٧٩، ٨٠، درة الغواص، ص ٨٩، المقتضب للمبرد ١٦١/٣، أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٥١، ٢٥٢، المزهر للسيوطي ٣٠٠/٢، همع الهوامع للسيوطي ٩٧/٢، مبادئ اللغة للإسكافي، ص ١١٩، ١٢٠، الكشف ٧/٣ .

□ ٣٣/٣٢ مَيِّت - مَيِّت :

وردت كلمة (مَيِّت) بالياء المشددة في القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة، للدلالة على مخلوق حتى ما زال فيه روح وهو ينتظر الموت، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١٥) الزمر .

بينما وردت كلمة (مَيِّت) بالياء الساكنة في القرآن الكريم خمس مرات، للدلالة على مخلوق فارقه الروح وأصبح جثة هامدة لا حياة فيها:

• فاستعمل للدلالة على الإنسان الذى وافاه أجله وانتهت حياته، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ الحجرات: ١٢ .

• وللدلالة على الأرض المجدبة التى لانبات فيها، كما فى قوله ﷻ:

- ﴿وَأَيُّهُ لَمُّ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ أَحْيَيْتَهَا﴾ يس: ٣٣ .

• البهيمة التى قُتلت أو نَفقت ولم تُذبح على الطريقة الشرعية، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيِّتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيغَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْلَقِسُوا بِالْأَرْزَالِ﴾ المائدة: ٣ .

• والفارق بين اللفظين كما توضّح السياقات القرآنية أن:

• المَيِّت (بالتشديد): يدل على حَيٍّ ينتظر الموت .

• المَيِّت (بالسكون): المخلوق الذى مات فعلاً وفارقه الروح .

٤- اختلاف صيغ الجموع (٣٢)

□ ٣٢/٣٤ أُسْرَى - أُسَارَى :

كلا اللفظين فى اللغة مأخوذ من مادة (أ س ر)، ومعناها: الحَبَسَ والإِمْسَاكُ^(١). وكلاهما جمع لأسير كما جاء فى المعاجم المختلفة كالتالى :
 "الأسير: المسجون، والجمع أُسْرَاءُ وَأُسَارَى وَأُسَارَى وَأُسْرَى"^(٢).
 وقيل: جمع الأسير أُسْرَى، والأُسَارَى والأُسَارَى جمع الجمع^(٣).
 ولم تفرّق المعاجم بين اللفظين بأكثر من هذا .

وقد ورد الجمع (أُسْرَى) فى القرآن الكريم مرتين فى الآيتين التاليتين:
 - ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ﴾ الأنفال: ٦٧ .
 - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَمِنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ الْأُسْرَى إِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنفال: ٨٥ .
 بينما ورد الجمع (أُسَارَى) مرة واحدة، وذلك فى قول الله ﷻ:
 - ﴿وَإِنْ يَأْتُواكُم أُسْرَى تَغْدُوهُمْ﴾^(٤) البقرة: ٨٥ .

وهناك فارق دقيق بين الجمعيتين فى الاستعمال القرآنى كما يتضح من الآيات المذكورة:

(١) مقاييس اللغة (أ س ر) .

(٢) اللسان (أ س ر) .

(٣) اللسان (أ س ر) .

(٤) هذه قراءة الجمهور، وقراء حمزة: "أُسْرَى"، ووافقه الأعمش والحسن (انظر: الميسر فى القراءات الأربعة عشر، ص ١٣) .

- فالأَسْرَى: الذين فى أيدي أعدائهم .
- والأسَارَى: الذين فى القيد^(١) .

والمعروف أن صيغة (فَعْلَى) يكثر استعمالها جمعاً فيما دلّ على هلاك أو توجّع، كالقتيل والمريض والجريح، وقد حُمِلَ عليه لفظ الأسير؛ لأنه لما أُصِيبَ بالأسر صار كالجريح واللّدِيع، فُجِّعَ على فَعْلَى^(٢) .

وأما صيغة (فُعَالَى) فقد كَثُرَ استعمالها فى معنى الضعف والتعب، نحو: كُسَالَى - سُكَارَى - فُرَادَى .

- وإذن فصيغة (أَسْرَى/فَعْلَى) جاءت للتعبير عن المأخوذى فى يد أعدائهم، فهم بمثابة القَتْلَى والصَّرْعَى والجَرْحَى ... إلى آخر ذلك من الصيغ الدالة على هلاك أو توجّع .

- بينما استُعْمِلَت الصيغة (فُعَالَى: أَسَارَى) للتعبير عن الأسرى الموثقين فى القيد، إشارة إلى حالتهم من الضعف والإعياء وقد أتوا قومهم تحت وطأة القيود .

ومما يدل على ما ذهبنا إليه أن صيغة (أَسْرَى) جاءت حيث كان المأخوذون فى يد أعدائهم: ﴿لَهُ أَسْرَى﴾ ، ﴿فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ ؛ على حين اقترنت صيغة (أَسَارَى) بكلمة ﴿يَأْتُوكُمْ﴾ ، فهم ليسوا فى أيدي أعدائهم، بل (أتوا) قومهم، فى حالٍ من الضعف والإعياء .

(١) ذكره أبو حيان عن أبى عمرو بن العلاء وأبى حاتم والأخفش (البحر المحيط ٤/ ٥١٨) .

(٢) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢٠٩ .

□ ٣٢/٣٥ آلاف - ألوف:

أصل اللفظين في اللغة: جمع لاسم العدد (ألف)، غير أن كلمة (آلاف) جمع للقلّة، فيقال: ثلاثة آلاف إلى عشرة آلاف، وكلمة (ألوف) جمع كثرة لما زاد على ذلك^(١).

وقد ورد الجمع (آلاف) في القرآن الكريم مرتين، هما قول الله ﷻ:

- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ۖ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۖ﴾ آل عمران .

والناظر إلى الآيتين يجد أن لفظ (آلاف) جاء في الأولى تمييزاً للعدد (ثلاثة)، وفي الآية الثانية تمييزاً للعدد (خمس). .

أما الجمع (ألوف) فقد ورد في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قول الله ﷻ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ البقرة: ٢٤٣ .
جاء في التفسير أنهم كانوا عشرة آلاف، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون، وفي لفظ الألوف دليل على الكثرة^(٢).

وسياق استعمال الجمع (ألوف) في الآية الكريمة يقتضي الدلالة على الكثرة، وذلك لإبراز التقابل بين ضخامة العدد، وما أصابهم من هلع وذعر حتى خرجوا من ديارهم مع كثرتهم^(٣).

● ونخلص مما سبق إلى أن اللفظين (آلاف - ألوف) قد وردا في القرآن

(١) اللسان (أ ل ف) .

(٢) الكشف ٣٧٧/١ .

(٣) التحرير والتنوير ٤٧٨/٢ .

الكريم جمعًا للعدد (ألف)، ولكن بينهما فارقًا دلاليًا يتمثل في:

○ دلالة (آلاف) على القلة .

○ ودلالة (ألوف) على الكثرة .

□ ٣٦/٣٢ أَبْحُر - بِحَار:

كلا اللفظين في اللغة: جمع لكلمة (بَحْر)^(١) .

والفرق بينهما أن صيغة (أَبْحُر) تأتي لجمع القِلَّة (من ثلاثة إلى عشرة)، وصيغة (بِحَار) تُستعمل لجمع الكثرة .

والاستعمال القرآني للفظين راعى هذه الدلالة الصرفية للكلمتين، فقد ورد الجمع (أَبْحُر) في موضع واحد من كتاب الله، وهو قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان: ٢٧ .

فناسب هنا تمييز العدد (سبعة) بجمع القِلَّة (أَبْحُر) .

قال الأنصاري: فإن قلت: المقصود هنا التفخيم والتعظيم، فكيف أتى بجمع القلة في قوله: ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ؟ قلت: جمع القِلَّة هنا أبلغ في المقصود؛ لأن جمع القِلَّة إذا لم ينفد بما ذُكِرَ من الأقلام والمِداد، فكيف ينفد به جمع الكثرة؟^(٢) .

بينما ورد جمع الكثرة (بِحَار) في موضعين من القرآن، هما:

- ﴿وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ ①﴾ التكوين .

(١) اللسان (ب ح ر) .

(٢) فتح الرحمن، ص ٣٣٠ .

- ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ فَجِرتَ ۖ﴾ (٣٢) الانفطار .

ومن الجَلِيَّ أن الآيتين فى سياق الكثرة، والمراد: جميع البحار، فناسب هنا استعمال صيغة جمع الكثرة .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستعمال القرآنى للصيغتين (أَبْخُر - بِحَار) يوردهما بدلالة متقاربة، مع وجود ملحق دلالى فارق هو:

○ استعمال صيغة (أَبْخُر) فى الدلالة على القِلَّة .

○ واستعمال صيغة (بِحَار) فى الدلالة على الكثرة .

□ ٣٧/٣٢ أُبْرار - بَرَرَة:

○ أصل مادة (ب ر ر) فى اللغة: الصدق، يقال: بَرَّتْ يمينه، أى صدقت، وَبَرَّ اللهُ حَجَّكَ وَأَبْرَهَ، وحجَّة مبرورة، أى قُبِلَتْ قبول العمل الصادق، وقولهم: يَبْرُ رَبِّه، أى يطيعه، وهو من الصَّدْق^(١) .

وعَمَّم بعض العلماء البرَّ فى الدلالة على الخير^(٢) .

واختُلِفَ فى صيغتي الجمع (أُبْرار - بَرَرَة)، فقليل: أُبْرار جمع بُرٍّ، وبَرَرَة جمع بارٌّ^(٣)، وقيل بالعكس^(٤)، وأنكر بعضهم صيغة (بارٌّ)^(٥) .

وذهب الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن كلا اللفظين جمع لمفرد واحد

(١) مقاييس اللغة (ب ر ر) .

(٢) مقاييس اللغة، تهذيب اللغة، اللسان (ب ر ر) .

(٣) اللسان (ب ر ر) .

(٤) مفردات الأصفهاني (ب ر ر) .

(٥) اللسان (ب ر ر) .

هو (بَرّ)؛ بدليل أن لفظ (بارّ) لم يرد في القرآن الكريم، كما أن القاعدة الصرفية تقول إن جمع (فاعل/ بارّ) على (أفعال/ أبرار) هو ممّا يُحَفَظ ولا يُقاس عليه^(١).

ويؤيده ما جاء في "عمدة الحُفَاط":

"رَجُلٌ بَارٌّ وَبَرٌّ، فُقِيلَ بوضعه على حِدَةٍ، وقيل: مقصور من بَارٌّ"^(٢).

وبتأمل السياقات القرآنية للفظين، نجد أن الجمع (أبرار) ورد في القرآن الكريم ست مرات، منها قول الله تعالى:

- ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ آل عمران: ١٩٣.

- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ﴾ الإنسان.

- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۖ﴾ الانفطار، المطففين: ٢٢.

بينما ورد الجمع (بَرّة) مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۖ﴾ عبس.

● والملاحظ أن الجمع (أبرار) في القرآن الكريم ورد في وصف البشر، بينما ورد الجمع (بَرّة) وصفًا للملائكة، وهذا يرجح ما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي؛ حيث يرى أن (الأبرار) جمع قلة، فهو وإن وُصِفَ به الناس (وهم كثرة) فهؤلاء قِلَّةٌ بالقياس إلى الفُجَّار من الناس.

● أما الجمع (بَرّة) فهو جمع كثرة؛ ولذلك استُعْمِلَ وصفًا للملائكة لأنهم جميعًا بَرّة^(٣).

(١) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢٣٥.

(٢) عمدة الحُفَاط (ب ر ر).

(٣) معاني الأبنية في العربية، ص ١٤٣.

هذا بالإضافة إلى ملائمة الصيغة للفاصلة القرآنية، فجاءت صيغة (بَرَّة) في سورة عبس لموافقة الفواصل قبلها وبعدها: (تَذْكِرَة - ذَكَرَهُ - مُكْرَمَة - مُطَهَّرَة - سَفَرَة - بَرَّة - أَكْفَرَهُ - فَقَدَّرَهُ ... إلخ).

□ ٣٨/٣٢ جاريات - جوارٍ:

كلا اللفظين جمع لـ (جارية)، وهى السفينة، والشمس، والريح، والنجوم أيضًا جوارٍ؛ لأنها تجرى^(١).

وقد ورد اللفظان فى القرآن الكريم جمعًا لـ (جارية).

وورد الجمع (جاريات) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَالْجَارِيَتِ يُسْرَا﴾ (٢) الذاريات.

أى السفن التى تجرى جَرِيًا ذا يُسْرٍ وسهولة^(٢).

فالكلمة مستعملة هنا مرادًا بها الوصفية، أى وصف السفن حال جريانها فى الماء.

وأما الجوارى فقد ورد فى القرآن الكريم ثلاث مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣) الشورى.

- ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٤) الرحمن.

- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَّاسِ ﴿٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿٦﴾ التكويد.

(الجوارى) فى آيتى الشورى والرحمن: السفن^(٣)، وهو وصف غلب

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ج ر ي).

(٢) الكشف ١٣/٤، البحر المحيط ١٣٣/٨.

(٣) الكشف ٤٧١/٣، ٤٥/٤، البحر المحيط ٥٢٠/٧، ١٩٢/٨.

على السفن حتى صار اسمًا لها، وأصل الكلام: السفن الجوارى، ثم حُذِفَ الموصوف (السفن) وأُقيمت الصفة مقامه^(١). والجوارى فى آية التكوير: النجوم، وهى جوارٍ فى السماء^(٢)، وقيل: الظُّباء^(٣).

وعلى كلا التفسيرين يتحدّد معنى الجوارى بأنه وصف غالب على النجوم؛ لأنها تجرى فى السماء، أو على الظُّباء لأنها تجرى فى الأرض. وهو أيضًا كسابقه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه.

● ونخلص مما سبق إلى أن الصيغة الصرفية (جاريات) أُريدَ بها الوصفية، أما صيغة (جوارٍ) فأُريدَ بها الاسمية^(٤).

□ ٣٩/٣٢ حُكَّام - حاكمون:

كلا اللفظين فى اللغة جمع لحاكم، وكلاهما من مادة (ح ك م)، وأصل معناها: المنع، وسُمى الحاكم بهذا الاسم لأنه يمنع من الظلم^(٥).

ورد الجمع (حُكَّام) فى القرآن الكريم مرة واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢٤﴾ البقرة.

الحُكَّام: القضاة^(٦).

(١) البحر المحيط ٧/٥٢٠.

(٢) انظر: دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢٢١.

(٣) الكشف ٢٢٣/٤، ٢٢٤، البحر المحيط ٨/٤٣٤.

(٤) البحر المحيط ٨/٤٣٤.

(٥) التهذيب، النهاية لابن الأثير، اللسان (ح ك م).

(٦) تفسير ابن كثير ١/٢٢٥.

وورد الجمع (حاكمين) في القرآن الكريم أربع مرات، مضافاً فيها جميعاً، وهي الآيات التالية:

- ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ الاعراف: ٨٧ .
- ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يونس: ١٠٩ .
- ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَيْتٍ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ يوسف: ٨٠ .
- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨) التين .

● والفرق بين الصيغتين (حُكَّام - حاكمين) أن المراد بالحُكَّام: القضاة الذين يحكمون بين الناس، فالمراد به الاسمية .

- والمراد بالحاكمين معنى الوصفية^(١)، أى كل مَنْ اتَّصَفَ بصفة الحكم .
- فالملمح البارز في (الحُكَّام) ثبات الصفة؛ للدلالة على الاسمية أو المهنة .
- والملمح البارز في (الحاكمين) أنه لمجرد الوصف، دون أن يكون هذا الحكم ثابتاً أو دائماً .

□ ٤٠/٣٢ حَمِير - حُمْر:

كلا اللفظين في اللغة جمع (حِمار)، سواء أكان أهلياً أو وحشياً؛ فجمع (حمار): أَحْمَرَةٌ، وَحْمُرٌ، وَحَمِيرٌ، وَحُمْرٌ، وَحُمُورٌ^(٢) .

ولكن الاستخدام القرآني للكلمتين قد اقتصر على ذكر (الحَمِير) جمعاً للحمار الأهلى المستأنس، كما في قول الله ﷻ:

(١) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢٢١ .

(٢) تهذيب اللغة، اللسان (ح م ر) .

- ﴿وَالْقَيْلُ وَالْقَالُ وَالْحَمِيرُ لِرَّكْبُوهَا وَزِينَةٍ﴾ (النحل: ٨) .

والقرينة على ذلك قول الله ﷻ: ﴿لِرَّكْبُوهَا﴾ ؛ وذلك لأن الحمار الوحشي لا يُرْكَب .

فى حين استخدم القرآن الكريم لفظ (حُمُر) جمعًا للحمار الوحشي، وذلك فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكُرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١) ﴿
المدثر .

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالحُمُر هنا: الحُمُر الوحشية؛ لأن من عاداتها النفار الشديد إذا استنفرها مُستنفِرٌ^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم قد استخدم كلمتى (حَمِير - حُمُر) جمعًا لـ (حِمار)، يَبْدُ أن:

● الحَمِير: جمع للحِمار الأهلى المستأنس .

● الحُمُر: جمع للحِمار الوحشي .

وفى هذا مراعاة للدقة والمغايرة، بدرجة لم تعرفها العربية نفسها؛ لأن العرب لم يفرّقوا فى الاستخدام اللغوى بين الجمعين (حَمِير - حُمُر) .

□ ٤١/٣٢ الخبائث - الخبيثات:

كلا اللفظين فى اللغة: جمع (خبيثة)^(٢) . لكن الاستعمال القرآنى للفظين فرّق بينهما بملح دلاليّ مميّز لكلّ منهما .

(١) انظر مثلاً: الكشف ٤/ ١٨٨، التحرير والتنوير ١٤/ ٣٢٩ .

(٢) اللسان (خ ب ث) .

فقد وردت كلمة (الخيثات) في القرآن الكريم مرتين في آية واحدة، هي قول الله ﷻ:

- ﴿الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثِثُ لِلْخَيْثِثِ وَالْطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ . النور .

رجَّح المفسِّرون أن الخيثات هنا بمعنى: النساء الموصوفات بالخبث، والمعنى: النساء الخيثات للرجال الخيثين، والنساء الطيبات للطيبين من الرجال، فهو قريب من قول الله ﷻ:

- ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ . النور .

ويرجح هذا التأويل مقابله للذكور، وأن الآية نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مما رماها به أهل الإفك، فبرأها الله ﷻ، ثم بيَّن أن النبي ﷺ مُبرِّأ من أن تكون له أزواج خيثات؛ لأن عِصْمته وكرامته على الله ﷻ يأبى الله معها أن تكون أزواج النبي ﷺ غير طيبات^(١) .

واستعمل جمع المؤنث السالم الدال على العاقل؛ لأن المراد هنا وصف النساء .

أما كلمة (الخبائث) فوردت في القرآن الكريم مرتين أيضاً، في الآيتين التاليتين:

- ﴿الَّذِينَ يَبْتِغُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ . الاعراف: ١٥٧ .

- ﴿وَلَوْ طَاءَ آيِنُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَيَجْئِنُهُ مِنَ الْقَزِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثُ﴾ .

الأنبياء: ٧٤ .

الخبائث هنا وصف لغير العاقل، أى الأعمال الموصوفة بالخبث، نحو الميتة والدم ولحم الخنزير وما أَهْلٌ لغير الله به، أو ما حَبِثَ فى الحكم كالرُّبا والرَّشوة وغيرها من المكاسب الخبيثة^(١).

- ونخلص مما سبق إلى أن (الخبائث - الخبائث) كليهما جمع (خبيثة).
- إلا أن (الخبائث) جمع مؤنث سالم؛ لذلك استُعْمِلَ لوصف العاقل.
- أمّا (الخبائث) فهي جمع تكسير؛ ولذلك استُعْمِلَ لوصف غير العاقل.

□ ٤٢/٣٢ خَزَنَة - خازنون:

كلا اللفظين فى اللغة جمع (خازن) من: خَزَنَ الشَّيْءَ، إذا حفظه وصانه^(٢).

وقد وردت صيغة الجمع (خَزَنَة) فى القرآن الكريم أربع مرات، فى الآيات التالية:

- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ الزمر .

- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ الزمر: ٧٣ .

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٨١﴾﴾ غافر: ٤٩ .

(١) الكشف ١٢٢/٢ .

(٢) مقاييس اللغة، اللسان (خ ز ن) .

- ﴿كَلَّمَآ أَلْنَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ الملك: ٨ .

أما صيغة (خازنون) فوردت في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله :

- ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا كُنُوزَهُ وَمَا أَنشَرْنَاهُمْ إِلَّا بِمِائِدَةٍ تَجْرِي آفَاقًا﴾ الحجر: ٢٢ .

والمراد بالخَزَنَةُ في القرآن الكريم: حُرَّاسُ الْجَنَّةِ في آية الزمر رقم (٧٣)،
وحُرَّاسُ جَهَنَّمَ في الآيات الثلاث الأخرى.

أما صيغة (خازنون) فالمراد بها: حافظون لهذا الماء نجعله مَعِينًا وينابيع
في الأرض، ولو شاء الله ^{عز وجل} لأغاره وذهب به ^(١) .

ومن دقة اللفظ القرآني استعمال صيغة (فَعَلَةٌ) للدلالة على الاسمية، أي
بيان وظيفة هؤلاء الحُرَّاس، بينما اسْتُعْمِلَت صيغة (خازنين) استعمالاً
وَصَفِيًّا، أي أريدَ بها بيان الحدث ^(٢)، أي: لستم بقادرين على أن تخزنوه
وتحفظوه من الضياع .

● وعلى هذا فالمراد بصيغة (خَزَنَةٌ): الاسمية لبيان وظيفة هؤلاء الحُرَّاس،
والأسماء تدلُّ على مُسَمَّاهَا دلالة ثابتة دائمة، فالخَزَنَةُ اسم ثابت لحُرَّاس
الجنة والنار .

● أما صيغة (خازنون) فالمراد بها: الوصفية لبيان الحدث، والأحداث
متجددة عارضة، أي: لا تقدر أن تحفظوه في أي وقت من الأوقات
المتجددة العابرة .

□ ٤٣/٣٢ خطايا - خطيئات :

كلا اللفظين في اللغة جمع (خطيئة) (خطايا): جمع تكسير،

(١) ابن كثير ٥٤٩/٢ .

(٢) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢٢٠ .

(خطيئات): جمع مؤنث سالم . وقد ورد اللفظان في آيتين متشابهتين - معنى ولفظاً - في القرآن الكريم، هما:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ البقرة .

- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ الاعراف .

وكلتا الآيتين في سياق تذكير اليهود بنعمة الله ﷻ عليهم .

غير أن آية البقرة استُخدم فيها جمع التكسير ﴿خَطِيئَتَكُمْ﴾ الدال على الكثرة؛ لأن هذه الآية تضمنت مزيداً من التكريم والفضل الإلهي تمثل في وصف الأكل بالرَّغَد؛ فناسب ذلك غفران (الخطايا) الكثيرة .

وأما آية الأعراف فلم تتضمن وصف الأكل بالرَّغَد، كما أن القول فيها مسند لمجهول (قيل)؛ فلم يقتضِ ذلك غفران الذنوب جميعها، فكان جمع القلة ﴿خَطِيئَتِكُمْ﴾ أنسب في هذا السياق^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى دقة الاستخدام القرآني للجموع المختلفة؛ حيث استُخدم جمع الكثرة (خطايا) في حال إسناد القول إلى الله (قلنا)، وفي حال وصف النعمة بالرَّغَد، ولما أُسند الخطاب لمجهول، ولم تُوصَف النعمة بالرَّغَد؛ لم يقتضِ ذلك غفران الذنوب الكثيرة .

□ ٤٤/٣٢ دُكور - دُكران:

ورد كلا اللفظين جمعاً لـ (ذَكَر) في موضعين من القرآن الكريم، ومن ذلك

(١) انظر: كشف المعاني ٥٩/١ .

قول الله تعالى :

- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَنْهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذُّكُورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥١﴾
الشورى .

وكلا اللفظين جمع لكلمة (ذَكَرَ)، إلا أن الشائع منهما (ذُكُور)، أما
(ذُكْرَان) فهو نادر، ولم يُستعمل فى العربية (فُعْلَان) جمعاً لـ (فَعَلَ) إلا هذه
اللفظة .

● ولعل القرآن الكريم استعمل الجمع الشائع (ذُكُور) وهو من صيغ جموع
الكثرة؛ للتعبير عن كثرة وقوع الحدث المذكور وشيوعه، وهو أمر جلىّ فى
آية الشورى رقم (٤٩)، وكذا فى قول الله :

- ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ ۖ لِّذُكُورِنَا﴾ الأنعام: ١٣٩ .

فشيوع الذكور بين الناس أمر جلىّ .

● أما الجمع (ذُكْرَان) فاستُعمل فى سياقات تشير إلى الغرابة والندرة، كما فى
آية الشورى رقم (٥٠)، حيث يندر ولادة التوائم قياساً على ولادة طفل واحد
ذكراً أو أنثى . والموضع الآخر الذى استُعمل فيه الجمع (ذُكْرَان) فهو قول
الله :

- ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۖ﴾ الشعراء .

وهو أمر نادر الحدوث شاذ لا يُقاس عليه .

وقد سلك القرآن أسلوباً فريداً فى التعبير عن الندرة، وذلك باستعمال
جمع نادر فى اللغة - من حيث الصياغة الصرفية - للتعبير عن ندرة الحدث
وغرابته .

□ ٤٥/٣٢ - رواسٍ - راسيات :

كلا اللفظين في اللغة جمع (راسية)، وأصل مادة (ر س و): الثبات^(١).
ولم تفرّق المعاجم بين صيغتي الجمع (رواسٍ - راسيات)، بيد أن
الاستعمال القرآني للكلمتين قد فرّق بينهما بملحح الاسم في (رواسٍ)،
وملمح الوصفية في (راسيات).

ففي جميع السياقات التي وردت فيها كلمة (رواسٍ) في القرآن الكريم،
كانت بمعنى: الجبال، وكأنّ الصفة حلّت محلّ الموصوف فأصبحت تعبّر
عنه بذاتها وبدون ذكر الموصوف بالرُسُو أي الثبات والاستقرار. وقد اختار
التعبير القرآني صيغة جمع التكسير (رواسٍ) للدلالة على الجبال، وجمع
التكسير أدلّ على الاسم من دلالة على الوصفية.

ومن شواهد الكلمة في القرآن الكريم:

- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ الرعد: ٣.

- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾

الحجر.

- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَيْخَانَتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ المرسلات.

والدليل على إرادة الاسم في صيغة (رواسٍ) وصفها بـ (شامخات) في آية
المرسلات، أي: جبلاً ثابتة مستقرة، وهو جمع (رواسٍ) الذي يُطلق على
الجل بمنزلة الوصف الغالب، وصيغة (فواعل) في جمع فاعل من النوادر في
العربية^(٢).

(١) مقاييس اللغة، اللسان (ر س و).

(٢) التحرير والتنوير ١٤/١٢١.

أما الجمع (راسيات) فقد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمَثِيْلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُوْرٍ رَاسِيَتٍ﴾
سيا: ١٣ .

والمراد بصيغة جمع المؤنث السالم (راسيات) هنا: الوصفية، أى وصف تلك القدور بالثبات والاستقرار، ولا نجد هنا ملمح الاسمى الذى للوصف بصيغة جمع التكسير .

● ونخلص ممّا سبق إلى أنّ الكلمتين (رواسي - راسيات) بينهما تقارب دلاليّ كبير؛ إذ يشتركان فى المعنى الأصليّ، ولا يفترقان إلّا فى ملمح دلاليّ واحد، ناشئ من الصيغة الصرفية لكلا الكلمتين، وهو ملمح الوصفية فى (راسيات)، وملمح الاسمى فى (رواسي) .

□ ٤٦/٣٢ رُكَّع - راكمون:

ورد كلا اللفظين فى عدة مواضع من القرآن الكريم، جمعًا لـ (راكم)، ومن شواهدهما:

- ﴿وَأَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾ البقرة .

- ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ أَن طَهَّرَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِيْنَ وَالْمُكْبِّيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُوْدِ﴾ البقرة: ١٢٥ .

● الرَّاكِعُونَ: جمع مذكّر سالم، وهو لمجرد الوصف دون مبالغة فى الصفة، ويدل على التجدّد والحدوث .

● الرُّكَّع: جمع تكسير، وصيغته تدل على المبالغة فى الركوع والمداومة عليه .

□ ٤٧/٣٢ زَرَّاع - زارعون:

كلتا الكلمتين جمع (زارع)، الأولى جمع تكسير، والثانية جمع مذكر سالم . وقد وردت كل منهما في القرآن الكريم مرة واحدة:

- ﴿تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرْتَنِّمُ رُكْعًا مُبْتَدَأً يَتَعَوْنَ فِضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُمْ فَتَازَرُوا فَاسْتَفَلَطُ قَاسَتْوَى عَلَى سُوقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

﴿٢٩﴾ الفتح .

- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٤﴾ الواقعة .

- استعمل (الزارعون) عند إرادة الوصفية؛ وذلك لأن اسم الفاعل يدل على إرادة الحدث، وهو يشابه الفعل^(١). والمراد أن الله هو الذى يُنبت الزرع .
- أما صيغة جمع التكسير (الزُّرَّاع) فاستعملت عند إرادة الاسمية؛ وذلك لأن جمع التكسير يبعد عن إرادة الحدث ويُقَرَّب الكلمة إلى الاسمية^(٢)، ومن هنا جاءت فى الآية للدلالة على مَنْ كانت مهنتهم الزراعة^(٣) .

□ ٤٨/٣٢ سُجَّد - سَجُود:

ورد اللفظان فى القرآن الكريم جمعًا لساجد، ومن شواهدهما:

- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْبَلَدَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ البقرة .

(١) معانى الأبنية فى العربية، د . فاضل صالح السامرائى، ص ١٢٦، ١٢٧ .

(٢) السابق، ١٢٧ .

(٣) دراسات لغوية فى القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

- ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْنَ اللَّطَائِفِينَ وَالْعَافِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥ .

● صيغة (سُجِّد) تدل على المبالغة في الاتِّصاف بالسجود والمداومة عليه، وهي الأكثر ورودًا في القرآن الكريم (إحدى عشرة مرة) .

● أما صيغة (سُجود) فليس فيها معنى المبالغة في الاتِّصاف بالسجود، إلا أنَّها جاءت في فاصلة آتى البقرة والحج لتحقيق التناسق الصوتي مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة .

□ ٤٩/٣٢ سنابل - سُنبَلات :

ورد اللفظان جمعًا لكلمة (سُنْبَلَة) في الآيات التالية :

- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْتَ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة .

- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ يوسف: ٤٣ .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لِّمَنِ أَزْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف .

● كلمة (سَنَابِل) من صيغ جموع الكثرة؛ ولذا استعملت في سياق التعبير عن زيادة الأجر ومضاعفة الثواب في آية البقرة .

● أما كلمة (سُنْبَلَات) فجاءت في صيغة جمع المؤنث السالم، وهو من جموع القلة، في سياق يدل على القلة؛ حيث جاءت تمهيدًا للعدد سبعة .

□ ٣٢/ ٥٠ أساور - أسورة:

كلا اللفظين جمع (سوار)، وقيل: الجمع أسورة، والأساور جمع الجمع^(١).

وقد ورد الجمع (أسورة) في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله :

- ﴿فَلَوْلَا أُلْفِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الزخرف .

● صيغة (أسورة) جاءت في هذا السياق على وزن (أفعلة)، وهو من الأوزان الدالة على القلة؛ وقد عبّر بها القرآن في هذا الموضع ؛ لأن الحديث عن فرد واحد هو موسى ﷺ، فاختر لذلك صيغة جمع القلة .

أما الجمع (أساور) فقد ورد في القرآن الكريم أربع مرات، في الآيات التالية :

- ﴿يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ الكهف: ٣١، الحج: ٢٣، فاطر: ٣٣ .

- ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الإنسان: ٢١ .

● وكلمة (أساور) - كما سبق - إما أنها من صيغ جموع الكثرة، أو هي جمع للجمع، فهي أيضاً دالة على الكثرة؛ ولذا عبّر بها في سياق الحديث عن نعيم الجنة، للدلالة على كثرة ما يُحَلَّى به أهلها من الحلى وأنواع الزينة^(٢) .

(١) انظر: اللسان (س و ر) .

(٢) انظر: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢٠٨ .

□ ٥١/٣٢ أشدّاء - شدّاد:

كلا اللفظين جمع (شديد) أى قوى^(١).

يَبْدُ أن الاستخدام القرآنى قد أعطى لكل من اللفظين ملامح دلالية تميّزه عن الآخر، فاستعمل الجمع (شدّاد) للدلالة على القوّة الماديّة كما فى الآيات التالية:

- ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يوسف: ٤٨ .

أى سبع سنوات مجدية، وهذا نوع من الشدة الماديّة .

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ التحريم .

فجمع للملائكة وصف الشدّة المعنوية بالوصف ﴿غِلَظٌ﴾ أى قساة فى معاملة أهل النار، والشدّة الماديّة بالوصف ﴿شِدَادٌ﴾ أى أقوياء الأبدان^(٢) .

- ﴿وَبَنَيْنَا قَوْقُمَ سَبْعًا شِدَادًا ﴿٧﴾﴾ النبا .

أى سبع سماوات موثقة البنيان مُحْكَمَةُ الْخَلْقِ^(٣) .

وأما كلمة (أشدّاء) فجاءت فى موضع واحد من القرآن الكريم هو قول الله ﷻ:

- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩ .

فالوصف ﴿أَشِدَّاءُ﴾ هنا تعبير عن القوة المعنوية، ففى مقابل كونهم رحماء

(١) مفردات الأصفهاني، اللسان (ش د د) .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٩١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٢ .

بينهم، هم أَشِدَّاء - أى قُساة - على الكفار^(١).

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني لكلمتي (أَشِدَّاء - شِدَاد) يُظهر اشتراكهما فى معنى القوة .

● والملح المميز لكلمة (أَشِدَّاء) هو القوة المعنوية .

● بينما الملح المميز لكلمة (شِدَاد) هو القوة المادية .

□ ٥٢/٣٢ أَشْهُر - شهور:

كلا اللفظين جمع شَهْر، يَبْدَأُ أن (أَشْهُر) جمع قِلَّة، و(شهور) جمع كثرة^(٢).

وقد راعى القرآن الكريم الدقة فى التعبير عن العدد، فاستخدم جمع القلة (أَشْهُر) فى تمييز عدد لا يزيد على أربعة، وذلك فى الآيات التالية:

- ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ البقرة: ١٩٧ .

- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن نِّسَائِهِمْ رَبْعُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ البقرة: ٢٢٦ .

- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

البقرة: ٢٣٤ .

- ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي

الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ التوبة .

- ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ التوبة: ٥ .

(١) الاشتراك والتضاد فى القرآن الكريم (دراسة إحصائية)، د . أحمد مختار عمر،

القاهرة: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٣، ص ١١٩ .

(٢) اللسان (ش ه ر) .

- ﴿وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ الطلاق: ٤ .

أما جمع الكثرة (شهور) فقد ورد في موضع واحد من كتاب الله هو قوله :

- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ التوبة: ٣٦ .

استُخدم هنا جمع الكثرة تمييزًا لعدد أكبر من عشرة: ﴿اثْنَا عَشَرَ﴾ .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني لكلمتي (أشهر - شهور) يفيد اشتراكهما في الدلالة على جمع شهر، غير أن الأول جمع قلة (لمعدود أقل من عشرة)، والثاني جمع كثرة (لمعدود أكبر من عشرة) .

□ ٥٣/٣٢ أشياع - شيع:

كلا اللفظين جمع (شيعة)، وهو كل جماعة اجتمعوا على أمر واحد^(١) .

والمتماثل في السياقات القرآنية التي ورد فيها كلا اللفظين يجد أن كلمة (أشياع) جاءت للدلالة على التجمع والتوحد، كما في قول الله :

- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ سبا: ٥٤ .

أى: بأمثالهم ومن كان مذهبه مذهبهم^(٢) .

أما الجمع (شيع) فقد ورد في سياق التفرق والتشردم والاختلاف، كما في قول الله :

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَنتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ الأنعام: ١٥٩ .

(١) اللسان (ش ي ع) .

(٢) الكشف ٢٩٧/٣ .

﴿وَكَاُنُوا شِيْعًا﴾ : أى فِرَقًا مختلفة^(١).

- ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآنى لكلمتى (أشْياع - شِيْع) يُظهر اشتراكهما فى الدلالة على معنى جمع شِيعَة أى جماعة وِفِرقة .
- والملمح المميّز لكلمة (أشْياع) هو التماثل والتشابه .
- بينما الملمح المميّز لكلمة (شِيْع) هو التفرُّق والاختلاف .

□ ٥٤/٣٢ طفل - أطفال :

قوله :

- ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ الحج : ٥ .

حيث جاء الحال بلفظ المفرد، وصاحبها بصيغة الجمع، وكلمة (طِفْل) مفرد لفظاً، جمع فى المعنى .

وهناك وجه آخر: أن تكون مفردة، والمعنى: ثم نخرج كلَّ واحد منكم طِفْلًا^(٢).

والملاحظ فى الاستعمال القرآنى أنه جاء بصيغة اسم الجمع (طِفْل) فى ثلاثة مواضع: (الحج : ٥، النور : ٣١، غافر : ٦٧). وفى هذه المواضع جميعاً يراد بالطفْل : الذين لم يبلغوا الحُلُم .

أما صيغة الجمع (أطفال) فقد وردت مرة واحدة فى قوله تعالى :

- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ النور : ٥٩ .

(١) الكشف ٦٤/٢ .

(٢) الكشف ٦/٣، البحر المحيط ٣٥٢/٦ .

ونلاحظ هنا أن صيغة الجمع (أطفال) مستعملة للدلالة على : الذين بلغوا الحلم .

وهذا سرٌّ من أسرار لغة القرآن ؛ حيث يستعمل الألفاظ المترادفة ، أو التي شاع استخدامها على الترادف ، لكي يشير - بهذا الاختلاف في الصيغة - إلى فارق دلاليّ دقيق قد لا يخطر بالبال في الوهلة الأولى ، ومع تتبّع السياقات القرآنية المختلفة وتأملها تنجلي هذه التمايزات ، والملامح الدلالية المرهفة التي تحتملها الألفاظ المختلفة في الصيغة ، وإن شاع اتفاقها في المعنى .

□ ٣٢/٥٥ عباد - عبيد :

ورد اللفظان في القرآن الكريم جمعًا لكلمة (عَبْد)، ومن شواهدهما :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦ .

- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ آل عمران: ١٨٢ ، الأنفال: ٥١ ، الحج: ١٠ .

● لفظ (عباد) جمع للعَبْد بمعنى العابد لربه .

● ولفظ (عبيد) جمع للعَبْد المملوك الرقيق .

وقد أُضيف إلى الله ﷻ ؛ لأن الله هو المالك الحق لرقاب الناس ، وهو المستحقُّ للعبودية دون سواه .

أما (العباد) فلم يُستعمل في القرآن إلا بمعنى العابدين المخلصين ، وإن ورد في بعض المواضع مضافًا إلى غير الله ﷻ فالمراد بذلك التنبيه على المساواة بين (العبيد المملوكين) وسادتهم ؛ لأن الجميع عبادٌ لله ﷻ ، وذلك في نحو قول الله ﷻ :

- ﴿وَأَنكِمُوا أَلْيَمَنَ مِّنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ النور: ٣٢ .

وذلك لحكمة هي الإشارة إلى أنه يجب معاملة هؤلاء العبيد كبشر لهم كامل الحق في الحياة، وبخاصة لما يتميزون به من صلاح وطاعة لله ﷻ^(١).

□ ٥٦/٣٢ أَعْيُن - عُيُون :

كلا اللفظين جمع (عَيْن) سواء أكانت العين حاسة الإبصار، أو عين ماء، أو غير ذلك^(٢).

ولكن المتأمل للسياقات القرآنية التي ورد فيها كلا اللفظين، يجد أن كلمة (أَعْيُن) جاءت جمعاً للعين التي هي حاسة البصر، كما في قول الله تعالى:

- ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٩﴾﴾
الأعراف .

- ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾
الأعراف: ١٧٩ .

- ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلَكُمُ فِيَ أَعْيُنِهِمْ يَقْنِىَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ الأنفال: ٤٤ .

وأما صيغة (عُيُون) فجاءت في جميع مواضعها من القرآن الكريم جمعاً لعين الماء، ومن ذلك قول الله تعالى:

- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ الحجر، الذاريات: ١٥ .

- ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ القمر .

وليس المعتبر في استخدام القرآن للكلمتين البنية الصرفية الدالة على جمع

(١) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ص ٢١٥ .

(٢) انظر: اللسان (ع ي ن) .

الكثرة في (عُيون)، وعلى جمع القلة في (أُعَيْن)؛ لورود كلٍّ منهما في سياقات تفيد الكثرة . ولكن القرآن عبّر بالبنية الصرفية (أُعَيْن) عن حاسة البصر، وعبّر بالبنية (عُيون) عن عُيون الماء^(١) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الاستخدام القرآني للكلمتين (أُعَيْن - عُيون) يُظهر اشتراكهما في معنى: جمع عُين، وكلمة (عَيْن) من المشترك اللفظي الدالّ على مدلولات كثيرة كحاسة البصر، وعين الماء، وعين الجيش (الجاسوس) ... إلخ .

● وقد خصّص الاستخدام القرآني الجمع (أُعَيْن) في أحد معاني هذا المشترك اللفظي، وهو جمع العين التي هي حاسة البصر، بينما خصّص الجمع (عُيون) في أحد معاني هذا المشترك اللفظي، وهو جمع عين الماء .

□ ٣٢/٥٧ عُرف - عُرفات :

ورد الجمع (عُرف) في القرآن الكريم ثلاث مرات، اثنتان منهما في قول الله ﷻ:

- ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ الزمر: ٢٠

أما الجمع (عُرفات) فقد ورد مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ سبا .

● وكلا اللفظين جمع لـ (عُرْفَة)، إلا أن (عُرف) من صيغ جموع الكثرة، و(عُرفات) من صيغ جموع القلة .

(١) الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، ص ١١٥، ١١٦ .

● وقد عبّر القرآن الكريم بصيغة جمع الكثرة فى سياق بيان كثرة الغُرف التى يسكنها أهل الجنة من المتقين، وهم كثير بالقياس إلى من اجتمع لهم مع التقوى المال والولد والنفوذ المتحدّث عنهم فى آية سبأ؛ ولذا عبّر فيها بجمع القلة (الغُرفات) لقلة عددهم بالقياس إلى عامّة المتقين المذكورين فى آية الزمر .

□ ٥٨/٣٢ - فُتَيَان :

ورد الجمع (فُتَيّة) فى موضعين من القرآن الكريم، هما :

- ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (١٧) الكهف .

- ﴿وَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (١٣) الكهف .

وورد الجمع (فُتَيَان) فى موضع واحد، هو قول الله ﷻ :

- ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْمَلُوا بِضَعْفَتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ يوسف: ٦٢ .

● الجمع (فُتَيّة) من صيغ جموع القلة؛ ولذا استعمل فى التعبير عن أهل الكهف وعددهم ما بين الثلاثة والسبعة، ولم يقل أحد من المفسرين إن عددهم جاوز السبعة .

● والجمع (فُتَيَان) من صيغ جموع الكثرة؛ ولذا عبّر به فى آية يوسف عن عَمّاله الموكّلين بالكيل، ولا شك أن عددهم كان كبيراً .

□ ٥٩/٣٢ فُجَّار - فَجَرَة:

كلا اللفظين جمع (فاجر)، وهو المنبث في المعاصي والمحارم^(١).
وقد ورد الجمع (فُجَّار) في القرآن الكريم ثلاث مرات، في الآيات التالية:

- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿٨٨﴾ ص .

- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ الانفطار .

- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجْنٍ ﴿٧﴾﴾ المطففين .

أما الجمع (فَجَرَة) فورد في القرآن الكريم مرة واحدة، في قول الله ﷻ:

- ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ﴿٤١﴾ عبس .

والصيغتان تشتركان في كونهما جمعاً لفاجر، إلا أن كلاً منهما قد استعملت في موقعها بدقة فتناسبت مع سياقها دلاليًا، كما ناسب ما جاورها من الفواصل موسيقياً .

ذلك أن كلمة (فُجَّار) على وزن (فُعَّال)، وهذا الجمع يدل على كثرة القيام بالفعل والمبالغة فيه، نحو: زُرَّاع، حُفَّاظ، قُرَّاء^(٢) .

ولا تُطلق مثل هذه الصفات إلا على من كثر منه الفعل حتى صار حرفة له أو كالحرفة^(٣) . كما أن كلمة (الفُجَّار) جاءت في فاصلة آية ص رقم (٢٨) مجاورة لمثيلاتها قبل وبعد:

(١) اللسان (ف ج ر) .

(٢) شرح ابن عقيل ٤٦١/٢ ، ٤٦٢ ، الهمع ١٧٧/٢ .

(٣) معانى الأبنية في العربية، ص ١٣٠ .

(النَّار - الألباب - الجِياد - الحِجَاب ... إلخ)، حيث خُتِمت فواصل هذه السورة بكلمة فيها ألف مدٌ بعدها حرف صامت .

أما كلمة (فَجَرَة) فهي على وزن (فَعْلَة)، وهذا الوزن ليس فيه معنى التكثير الذى فى صيغة (فُعَّال)، ولكن فيه معنى الاسمية، فهذا البناء يُحوّل الوصف إلى الاسمية كما فى: الباعة، الصّاعغة، الطلبة، القادة^(١) ... إلخ .

وتحويل الوصف إلى الاسمية يقتضى الدوام والثبات؛ لأن الاسم لا يَنفَكُ عن مُسمّاه .

وقد خُتِمت سورة (عبس) بكلمة (الفَجَرَة) للتعبير عن ثبوت هذا الوصف لهم، حتى استحقوا أن تغشاهم مظاهر الكفر والفجور من غيرة وفترة .

وكذلك جاءت صيغة (فَجَرَة) هنا لتناسب مع سائر الفواصل (سَفَرَة - مُسْتَبْشِرَة - غَبَرَة - فِتْرَة)، وأيضاً مع الكلمة المعطوفة عليها: (الكَفَرَة) .

● ونخلص مما سبق إلى أن الصيغتين (فُجَّار - فَجَرَة) كليهما جمع (فاجر)، وكليهما تدل على الوصف بالفُجور .

● إلا أن صيغة (فُجَّار) تتميز بملح دلالتى فارق هو الكثرة والمبالغة .

● بينما الملمح الدلالتى المميّز لصيغة (فَجَرَة) هو الدوام والثبات المأخوذ من دلالة الاسمية فى هذه الصيغة الصرفية .

□ ٦٠/٣٢ قاعدون - فُعود:

كلتا الصيغتين جمع (قاعد)، إلا أن الأول جمع مذكر سالم، وهو الأصل فى جمع الصفة؛ لأن الصفة (قاعد) تشبه الفعل (يقعد)، ومن هنا جُمِعت

(١) معانى الأبنية فى العربية، ص ١٣٢ .

على (قاعدون)، كما أن الواو تدل على الجمع فى الفعل (يقعدون)^(١) .
وهذا يدلُّنا على أن جمع السلامة يفيد معنى الحدث، فالجمع (قاعدون)
يدل على حدث القعود .

بينما الجمع (قُعود) جاء على صيغة المصدر (قَعَدَ - قُعودًا)، والجمع على
وزن المصدر يُراد به الدلالة على المعنى الحقيقى للفعل^(٢) .

وقد ورد الجمع (قاعدون) فى القرآن الكريم ست مرات، ومن شواهد:

- ﴿لَا يَسْتَوِ الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِ الْأَقْرَبِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ النساء: ٩٥ .

- ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا
هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة .

- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة .

والمراد بالقاعدين: الذين قعدوا عن الجهاد وتقاعسوا عنه، فالمنصوص
عليه هنا ذمُّ فعل القعود وفاعليه معًا، وصيغة (القاعدون) تعادل تركيب (الذين
قعدوا) .

أمَّا الجمع (قُعود) فقد ورد فى القرآن الكريم مرةً واحدة، فى قول الله ﷻ:

- ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُودِ﴾ ٩٠ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٩١﴾ البروج .

استُعملَ هنا لفظ الجمع (قُعود) على وزن المصدر، تعبيرًا عن ملازمتهم
للقعود على الأخدود لمراقبة المؤمنين الذين أُلْقِيَ بهم فى النار، هذا إذا

(١) شرح الرضى على الشافية ١١٦/٢ .

(٢) معانى الأبنية، ص ١٣٩-١٤٠ .

اعتبرنا الضمير (هم) عائداً على أصحاب الأخدود . وعلى احتمال أن المراد بالضمير : المؤمنون المعذبون ، فالقعود حقيقة ، واستعمل الجمع على صيغة المصدر للدلالة على حقيقة فعل القعود ، بأن كانوا يحرقونهم مربوطين بهيئة القعود^(١) .

هذا بالإضافة إلى مناسبة صيغة (قُعود) للصيغ الواردة في فواصل آيات سورة البروج المبنية على واو أو (ياء) المدّ، يليها حرف صامت كالجيم أو الدال ، مثل : (الْبُرُوج - الْمَوْعُود - مَشْهُود - الْأَخْدُود - الْوَقُود - قُعود - شُهُود - الْحَمِيد - شَهِيد ... إلخ) .

- ونخلص مما سبق إلى أن الكلمتين (قاعدون) ، (قُعود) كليهما جمع (قاعد) .
- إلا أن جمع السلامة (قاعدون) يدل على الفعل وفاعله .
- أما الجمع على وزن المصدر (قُعود) فيدل على حقيقة فعل القعود ، فهو منصرف إلى بيان حقيقة الفعل .

□ ٦١/٣٢ كُبراء - أكابر :

ورد اللفظان في القرآن الكريم مرة لكل منهما ، في قول الله ﷻ :

- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ (٧٧) الأحزاب .

- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ مَّجْرِمِينَ أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ لِيَمَكُرُوا فِيهَا﴾ الانعام .

- الكُبراء : جمع للصفة المشبهة (كبير) ، والمراد بها : رؤساء الأقوام وسادتهم .

- الأَكْبَرُ: جمع أَكْبَر، فهي جمع لاسم التفضيل، وهو أبلغ من الوصف (كُبراء).

□ ٦٢/٣٢ أموات - مَوْتَى - مَيِّتُونَ:

وردت الألفاظ الثلاثة في القرآن الكريم بمعانٍ متقاربة، كما يظهر من الآيات التالية:

- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ البقرة: ٢٨ .
- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ البقرة: ٢٦٠ .
- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠ .

- صيغة (أموات) جمع تكسير مفردة (مَيِّت) بسكون الميم، ولا يُستعمل إلا لما انقضى أجله وفارقه الروح .

- وصيغة (مَوْتَى) جمع تكسير مفردة (مَيِّت) بكسر الياء وتشديدها، وهو يُستعمل في الدلالة على ما فارقه الروح، وأيضاً لما ستفارقه الروح في المستقبل، لكن السياقات القرآنية حددت معناه في الموت الحقيقي ومفارقة الروح للبدن، ولعلَّ فيه مبالغة أكثر مما في الجمع (أموات)، فقد جاء هذا الأخير في مقابلة دلالية وانساق صوتي وصرفي مع (أحياء) خمس مرات، أما المَوْتَى فلم يرد في تقابل صوتي وصرفي مع الأحياء، وإنما اقترن - غالباً - بالفعل المضارع (يُحْيِي) .

- أما صيغة جمع المذكر السالم (مَيِّتُونَ) فهي جمع مَيِّت، وجميع سياقاته في القرآن الكريم تحدد معناه فيما يُتَظَر موته في المستقبل .

□ ٦٣/٣٢ أنصار - ناصرون:

ورد اللفظان في عدة مواضع من القرآن الكريم، ومن شواهدهما:

- ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ البقرة: ٢٧٠، المائدة: ٧٢ .

- ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ التوبة: ١٠٠ .

- ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ آل عمران: ٢٢، ٥٦، ٩١، النحل: ٣٧، الروم: ٢٩ .

● صيغة (أنصار) جمع نصير، نحو شريف وأشراف، فهو جمع لصيغة المبالغة الدالة على ثبوت الصفة مع المبالغة فيها؛ ولذا أُطلق على أهل المدينة ممن نصرُوا رسول الله وجاهدوا معه .

● وصيغة (ناصرين) جمع مذكر سالم مفردة (ناصر)، ويدل على مجرد إثبات الصفة دون مبالغة فيها؛ ولذلك جاء في أكثر سياقاته لنفي النصرة عن الظالمين، فنفي عنهم مجرد النصر . أما في نحو قول الله ﷻ:

- ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ آل عمران .

فقد أضيف إلى غيره مما يعنى الاشتراك في الصفة مع تفضيل الله ﷻ على ما سواه من الناصرين .

□ ٦٤/٣٢ أنعم - نعم:

ورد هذان اللفظان في القرآن الكريم بدالتين متقاربتين، الأولى في الآيتين التاليتين:

- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾

النحل .

- ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجِنَةً بِهِ هَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النحل .

والثانية فى قوله ﷻ :

- ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان: ٢٠ .

● صيغة (أَنْعَمَ) على وزن (أَفْعُل) وهو من أوزان جموع القلة، وقد وردت الكلمة فى موضعين من القرآن الكريم (النحل: ١١٢، ١٢١)، فى سياق الحديث عن أهل قرية واحدة بعينها (النحل: ١١٢)، وفى سياق الحديث عن شخص واحد هو إبراهيم ﷺ (النحل: ١٢١)، ومحدودية العدد اقتضت صياغة الجمع على صيغة من الصيغ الدالة على القلة، فالعدد المحدود من البشر يلائمه العدد المحدود من النعم .

● أما صيغة (نِعَمَ) فهى من صيغ جموع الكثرة، وجاءت فى سياق الحديث عن سعة العطاء الإلهى لجميع الناس، مع تنوع هذه النعم واختلاف أنواعها، فناسب ذلك أن يُستعمل جمع الكثرة (نِعَمَ) الدالّ على كثرة أفضال الله على عباده وسعة رزقه وجوده ﷻ .

٥- بين الإفراد والجمع (٣٢)

□ ٣٢/٦٥ دَرَجَة - دَرَجَات :

قال الله ﷻ :

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَائِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ النساء .

- جاءت كلمة ﴿دَرَجَةً﴾ مفردة في الآية الأولى ؛ لأن المراد: في الدنيا،
- وَجُمِعَتْ في الآية التالية ﴿دَرَجَاتٍ﴾ ؛ لأن المراد: في الآخرة .

□ ٣٢/٦٦ دار - دِيَار :

قال الله ﷻ :

- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ الأعراف: ٧٨ .
- ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثِيمًا ﴿٩٤﴾﴾ هود: ٩٤ .
- أفرد لفظ الدار في آية الأعراف ؛ لأن الرَّجْفَة - وهى الزلزلة - دَمَرَتْ بلدَهم تدميرًا ، فجاء اللفظ واحدًا باعتبار بلدَهم المدمر .
- وُجِّعَ اللفظ في آية هود ؛ لأن الصيحة جاءت من السماء ، وهى أقوى وأعنف من الرَّجْفَة ، فجاء اللفظ مجموعًا لبيان عِظَم التدمير وقوته وفداحة آثاره .

□ ٦٧/٣٢ ريح - رِيَّاح :

نَصَّت المعاجم العربية على أن الرِّيح مفرد الرِّيح^(١) .

ولكن بعض المفسرين فرقوا بين الكلمتين وقالوا: الرِّيحُ في العذاب، والرِّيح في الرحمة^(٢)، واستشهدوا لذلك بما تواتر من قراءة عاصم أنه كان يقرأ ما كان من رحمة بصيغة الجمع (رياح)، وما كان من عذاب بصيغة الإفراد (ريح) . وإن كان غير عاصم من القراء قد اختلفوا في الرحمة فمنهم من قرأه بالجمع ومنهم من قرأه بالإفراد، لكنهم جميعاً اتفقوا على ما كان من عذاب فقرأوه بصيغة المفرد (ريح)، قال الفراء بعد أن ذكر القراءات في الرِّيح والرِّيح:

"ونرى أنهم اختاروا الرِّيح للرحمة؛ لأن رياح الرحمة تكون من الصُّبَا والجَنُوب والشمال من الثلاث المعروفة، وما لا مطر فيه الدُّبُور؛ لأن الدُّبُور لا تكاد تُلْقَح؛ فَسُمِّيَتْ رِيحًا مَوْحِدَةً لأنها لا تدور كما تدور اللواقيح"^(٣) .

وهذا التوجيه مُطَّرِدٌ في أكثر مواضع الكلمتين في القرآن الكريم، ويزيده بياناً ورود اللفظين في آيات متتالية من سورة الروم، حيث تكررت صيغة الجمع مرتين في الآيتين (٤٦، ٤٨)، وهما في سياق الرحمة والبشارة، ثم جرى بصيغة المفرد في سياق العذاب في الآية رقم (٥١)، وهي الآيات التالية:

- ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَعْرِىَ أَلْفُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الروم: ٤٦ .

- ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَجَعَلَهُمْ كِسْفًا مَرَرَى الْوَدْقِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٨) الروم .

(١) تهذيب اللغة، الصحاح، لسان العرب (روح) .

(٢) مفردات الأصفهاني، عمدة الحُفَاط (روح) .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٩ .

- ﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٥١) الروم: ٥١ .

قال الزمخشري متفقاً مع الفراء: الرياح هي الجنوب والشمال والصَّبا وهي رياح الرحمة، وأما الدَّبُور فريحُ العذاب، ومنه قول النبي ﷺ: "اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً"، ... فإذا أَرْسَلَ رِيحاً فضرب زروعهم بالصفارِ ضَجُّوا وكفروا ... والريح التي اصفرَّ لها النبات يجوز أن تكون حروراً وحرَجَفًا، فكلتاها مما يُصَوِّح لها النبات ويصبح هشيماً^(١) .

وهذا الحديث الذي ذكره الزمخشري يدل على أن مواضع الرَّحْمَةِ والبُشْرَى أُولَى بصيغة الجمع، ومواضع العذاب أُولَى بالأفراد .

● والفرقة بين الصيغتين ليست على إطلاقها، فلا يقال إن الرِّيح للعذاب والرياح للرحمة، والأُولَى أن يُقَالَ: إِنَّ العذاب قد خُصَّ بلفظ المفرد (ريح)، ولا يُقال في العذاب (رياح) قَطُّ، أمَّا الرحمة فقد تكون بلفظ المفرد، والأكثر أن تكون بلفظ الجمع .

□ ٦٨/٣٢ السَّمْع - الأبصار:

وردت كلمة (السَّمْع) في جميع المواضع القرآنية مفردة، بينما وردت كلمة (الأبصار) بصيغة الجمع، وقُدِّم السَّمْع على الأبصار، وذلك في الآيات التالية:

- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١)

يونس .

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةُ لِمَلَكُم تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ المؤمنون

- ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١﴾ السجدة .

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ الملك .

أُفرد السمع وُجِّعت الأبصار حيثما وردا في القرآن الحكيم، كما قُدِّم السَّمْعُ على البصر؛ وذلك لأن:

- جهاز السمع والاتزان عند الجنين يكتمل في عمر (٧) أسابيع تقريبًا، بينما لا يرى الطفل الوليد مباشرة إلا بعد مرور حوالي (١٨) يومًا من ولادته .
- مجال السمع مقداره (٣٦٠) درجة، بينما مجال البصر مقداره (١٨٠) درجة .
- الطفل فاقد السمع لا يمكنه أن يتعلَّم الكلام؛ لأن تعلُّم الكلام يتأتَّى بالمحاكاة عن طريق سماع المحيطين به، بينما يستطيع الطفل الأعمى أن يتعلم عن طريق السمع .

- كما أنَّ المَشَاهِدَ التي يراها البصر متعدِّدة في المجال الواحد، فعن اليمين رؤية ومشهد، وعن اليسار مشهد آخر، ومن الخلف مشهد ثالث، ومن الأمام مشهد رابع، في حين أنَّ السَّمْعَ واحد لا يختلف باختلاف الجهة .

لكل هذا أُفرد السمع وُجِّعت الأبصار، وقُدِّم السَّمْعُ على البصر في النظم القرآني الحكيم .

□ ٦٩/٣٢ - ذَلِكَ - ذَلِكَ:

قول الله ﷻ:

- ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البقرة: ٢٣٢ .

- ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الطلاق: ٢ .

● جاء الخطاب في آية البقرة بضمير المخاطب المفرد، وهو للنبي ﷺ، وقُدِّمَ خطابه مفردًا تشريفًا له وتكريماً، ثم عُمِّمَ الخطاب ليشمل الأمة جميعاً في الآية نفسها، في قول الله ﷻ:

- ﴿ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَمْهَرُ﴾ البقرة: ٢٣٢ .

● أما آية الطلاق فالخطاب للنبي ﷺ وللأمة كلها، فكان ضمير الخطاب للجمع ﴿ذَلِكَ﴾، وقد تقدَّم في الآية الأولى من سورة الطلاق خطاب النبي ﷺ بقول الله ﷻ:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ الطلاق .

تشريفًا له ﷺ وتكريماً، ثم تلا ذلك في الآية الثانية خطابه وأمته في آن واحد بقول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ﴾ .

□ ٧٠/٣٢ أفراد الضمير وجمعه:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًا مَائِدًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ

الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ الأنعام .

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّرُوفَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يونس .

● آية الأنعام نزلت في أبي جهل والنضر بن الحارث وشيبة بن ربيعة، وهم قلة؛ وجاء ضمير المفرد مناسباً لعدددهم القليل .

● أما آية يونس الأولى فهي عامة في جميع الكفار؛ فناسبها ضمير الجمع في ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ .

● وآية يونس الأخرى أفرد فيها الضمير في ﴿يَنْظُرُ﴾ ؛ لأن المراد نظر المستهزئين، وهم قلة بالقياس إلى المستمعين للقرآن .

□ ٧١/٣٢ بنات العمّ والخال - بنات العمّات والخالات :

قال الله ﷻ :

- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْآ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُمْ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَّا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾

الأحزاب: ٥٠ .

● جاء لفظ العمّ والخال بصيغة الإفراد، أما سائر الألفاظ فجاءت بصيغة جمع المؤنث، وإفراد المذكر هنا يُراد به عموم الجنس؛ لأنه مفرد أضيف إلى الجمع: بنات عمّك، وبَنَاتِ خَالَكَ، ولم يقل: وبَنَاتِ أعمامك وبَنَاتِ أخوالك؛ لأن في هذا ثقلًا لفظيًا؛ فحقّق هذا الثقل بإفراد المذكر وإضافته إلى الجمع .

● أما (عمّاتك وخالاتك) فلا يجوز إفرادهما مع إرادة الجنس، فلو قيل:

وبنات عَمَّتِكَ وبنات خالتك؛ لاحتمل اللفظ أن المقصود بنات عَمَّةَ بعينها أو خالة بعينها، وهذا غير مقصود في الآية؛ إذ المراد فيها بيان حل كل بنات العم، وبنات الخال، وبنات العمات، وبنات الخالات .

والمفرد المذكر لا يلتبس إذا أضيف إلى الجمع، بينما المفرد المؤنث يؤدي إلى اللبس ولا يدل على عموم الجنس وإن أضيف إلى الجمع .

□ ٧٢/٣٢ ظُلُمَات - رَعْد - بَرَق :

قال الله ﷻ :

- ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعُمْ فِي ءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ البقرة: ١٩ .

● فأفرد الرُّعْدَ والْبَرْقَ، وُجِّعَت الظُّلُمَاتُ؛ وذلك لأن الرُّعْدَ والْبَرْقَ منشوهُما واحد، أما الظُّلُمَاتُ فمصادرُها متعددة كالليل وغياب الشمس والمطر وتكاثف السحب، والخسوف والكسوف، وغير ذلك .

● كما أن سياق الآية يركِّز على الخوف، فُجِّعَت الظُّلُمَاتُ لإثارة الخوف في النفوس، بينما جاء الرُّعْدَ والْبَرْقَ مفردين لأنهما يحملان الرجاء مع الخوف، فكثُر الخوف بإيراد ما يدل عليه وحده: ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ بصيغة الجمع، وإيراد ما يدل على غيره - أو يحمل في طياته معنى الرجاء والأمل - في صورة المفرد .

□ ٧٣/٣٢ النُّور - الظُّلُمَات :

في جميع المواضع التي وردت فيها كلمة (النُّور) في القرآن الكريم جاءت مفردة، بينما جاءت كلمة (الظُّلُمَات) في جميع المواضع جمعا .

• والحكمة في ذلك أن النور مصدره واحد وهو الله ﷻ، قال الله ﷻ:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءً عَلَيْهِ ﴿٣٥﴾ ﴾ النور .

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكَادُ يَكْدُّ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ النور .

• أمّا الظُّلُمَات فقد تعددت أسبابها ومصادرها، كالشياطين، والأصنام والأوثان، والأهواء، ورفاق السوء؛ ولهذا تعددت الظلمات تبعاً لتعدد مصادرها^(١) .

ومن المواضع التي تجاورت فيها الكلمتان:

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة .

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ البقرة: ٢٥٧ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ إبراهيم: ٥ .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ الرعد: ١٦

(١) خصائص التعبير القرآن، د . عبد العظيم المطعني ٣٩٦/٢ ، ٣٩٧ ، وانظر: الكشف ٣/٢ .

• ومن بديع القرآن وحكمة استعماله للكلمات أنه جمع الظُّلُمات وأفرد النُّور؛ إبرازاً للتناقض بينهما، حتى من حيث اللفظ، فالتناقض بين النور والظلمة له عدة أوجه:

(١) تناقض المصدر والمبدأ، فالنور مصدره إلهي، والظلمات مصادرها الشيطان والهوى والطاغوت ورفاق سوء .

(٢) تناقض المعنى، فالنور يعنى الإشراق، والهداية والإيمان، وكلُّها من عطاء الله، بينما الظلمات تعنى الكفر والمعصية والجهل والعذاب، وكلُّها شرور تجرُّ إليها شياطين الغواية والأهواء والضلال .

(٣) تناقض لفظي؛ حيث جاء النور بصيغة المفرد، بينما جاءت الظلمات بصيغة الجمع .



ثالثاً: الفروق الدلالية

بين التراكيب المتشابهة

□ الفواصل القرآنية المتشابهة

- تناسب الفواصل القرآنية مع المعنى
- التناظر في البناء الموسيقي للفواصل القرآنية والمعنى
- توافق الفواصل القرآنية وإن تعددت صورها

□ تنوع أساليب النظم في القرآن الكريم

- التنوع والدقة في ألفاظ الجملة القرآنية
- تنوع الاسم الموصول
- التنوع في أساليب العطف
- تنوع صور الاستفهام المنفى

□ التقديم والتأخير

الفواصل القرآنية المتشابهة (٣٣)

• تناسب الفواصل القرآنية مع المعنى:

الفواصل القرآنية تأتي في ختام الآية متفقة مع ما قبلها، ويمكن ملاحظة الفرق الدلالي بين الفواصل المتشابهة على النحو التالي:

□ ٣٣/١ لقوم يعلمون - لقوم يفقهون - لقوم يؤمنون:

قول الله ﷻ:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ الأنعام .

اختلفت الفواصل في رءوس الآيات؛ لاختلاف المخاطب بها:

• في الآية الأولى ذُكِرَ حركة الشمس والقمر والنجوم، والاهتداء بها، وذلك من شأن العلماء؛ فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .

• وفي الآية الثانية ذُكِرَ إنشاء الخلائق من نفس واحدة، ونقلهم من صلب إلى رحم، ثم إلى حياة وموت . . والنظر في ذلك كله يحتاج إلى تأمل وتدبر وتفكير عميق فعبر عن ذلك بالفقه، وهو الفهم العميق؛ فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ .

• أما الآية الثالثة ففيها ذُكِرَ نعمة الله على عباده، وسعة أرزاقه وتعدد أنواع

الثمار والأقوات، ومن أقرَّ بذلك كله مؤمنًا؛ لذلك ناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

□ ٢/٣٣ إِلَّا ضَلَالًا - إِلَّا نَبَارًا:

قول الله ﷻ فى موضعين من سورة نوح:

- ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ٧٢﴾ .

- ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ٧٨﴾ .

• لما قال فى الآية الأولى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ؛ ناسب قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ .

• وقال فى آخر السورة: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ٨٣﴾ ، وهو دعاء بالهلاك؛ ناسب قوله ﷻ: ﴿إِلَّا نَبَارًا﴾ أى: هلاكًا .

□ ٣/٣٣ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا - وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا:

قول الله ﷻ فى موضعين متقاربين من سورة الفتح:

- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١﴾ .

- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ٧﴾ .

• لما ذكر ذلك النصر وما يترتب عليه من فتح مكة ومغفرة له، وتمام لنعمته عليه، وهدايته، مع ظهور صدهم، وما لاقوا من عنت الكفار؛ ختم الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أى عليمًا بما يترتب على ذلك الصد من الفتح وصلاح الأحوال، حكيماً فيما دبّر له لك من كتاب

الصلح بينك وبين قريش، فإنه كان سبب الفتح .

• وأما في الآية الثانية فلما ذكر ما أعدّه للمؤمنين من الجنات وتكفير السيئات، وتعذيب المنافقين والمشركين؛ ختمها بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا﴾ أى قادرًا على ذلك، حكيماً فيما يفعله من إكرام المؤمن وتعذيب الكافر .

□ ٣٣/٤ : بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ - بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٥) الأنفال .

- ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ فَمَا كَانَ لَكُنَّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٣٦) الأعراف .

• آية الأنفال في قريش وكفرهم بصلاتهم عند البيت مكاءً وتصدية فناسب ختمها بوصف الكفر .

• وآية الأعراف في قوم ضلُّوا وأضلُّوا غيرهم، ف قيل لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أى: بما كسبوا من إضلال غيرهم مع كفرهم، فناسب زيادة العذاب وتضعيفه؛ لزيادة الكسب في الضلالة .

□ ٣٣/٥ : تَوَّابٌ حَكِيمٌ - رَءُوفٌ رَحِيمٌ :

قول الله ﷻ في سورة النور:

- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (١٧) .

وقال ﷺ بعده:

- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَهُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ⑤ .

• الآية الأولى تقدمها ذكر الزنا والجلد؛ فناسب ختمها بصفة (تَوَّاب)؛ حثاً على التوبة، وأنها مقبولة من التائب، وناسب أنه ﷺ (حكيم)؛ لأن الحكمة اقتضت ما قدّمه من العقوبة؛ لما فيه من الزجر عن الزنا وما يترتب عليه من المفساد .

• وأما الثانية فجاء قوله ﷺ: ﴿رَهُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بعد ما وقع به أصحاب الإفك، فبيّن أنه لولا رأفته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة على عظيم ما أتوه من الإفك؛ ولذلك قال ﷺ فيما تقدمه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَكَّرَ فِي مَا أَنْفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ⑦ .

□ ٦/٣٣ أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُثْلِقِينَ - أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى:

قول الله ﷻ في سورة الأعراف:

- ﴿قَالُوا يَسُوءُ سَيِّئًا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُثْلِقِينَ﴾ ⑩ .

وفي سورة طه:

- ﴿قَالُوا يَسُوءُ سَيِّئًا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ⑩ .

اختلفت فاصلتا الآيتين لتناسب كل منهما ما قبلها وما بعدها من فواصل:

• فآيات الأعراف السابقة واللاحقة تقوم فواصلها على المدّ بالواو أو (الياء) ثم النون غالباً أو الميم في النادر، ولتنظر إلى كلمات الفواصل للآيات (١٠٦-١٢٥)، وهى:

﴿الصَّادِقِينَ﴾ ، ﴿مُتَيْنَ﴾ ، ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ ، ﴿عَلِيمٍ﴾ ، ﴿تَأْمُرُونَ﴾ ،

﴿حَٰشِرِينَ﴾ ، ﴿عَلِيمٌ﴾ ، ﴿الْفَلِيلِينَ﴾ ، ﴿الْمُقَرَّبِينَ﴾ ، ﴿الْمُلْقِينَ﴾ ،
 ﴿عَظِيمٌ﴾ ، ﴿يَافِكُونَ﴾ ، ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿صَٰغِرِينَ﴾ ، ﴿سَٰجِدِينَ﴾ ،
 ﴿الْعَالَمِينَ﴾ ، ﴿وَهَارُونَ﴾ ، ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ ، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ، ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ ... إلخ .

• أما آيات سورة طه السابقة واللاحقة فتعتمد فواصلها على المد بالآلف اللينة، ومن ذلك فواصل الآيات (٥٥-٧٠)، وهى على النحو التالى:

﴿أُخْرَى﴾ ، ﴿وَأَبَى﴾ ، ﴿يَمُوسَى﴾ ، ﴿سُوءَى﴾ ، ﴿صُحَى﴾ ، ﴿أَنَّى﴾ ،
 ﴿أَفَرَأَى﴾ ، ﴿الْتَجَوَى﴾ ، ﴿الْمُنَى﴾ ، ﴿أَسْتَعْلَى﴾ ، ﴿الْفَى﴾ ، ﴿تَعْنَى﴾
 ﴿مُوسَى﴾ ، ﴿الْأَعْلَى﴾ ، ﴿أَنَّى﴾ ، ﴿وَمُوسَى﴾ ... إلخ .

□ ٧/٣٣ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ - لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ - لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ :

فى سورة الأنعام ثلاث آيات متتالية تنوعت رءوسها فُخِّمَتْ كل آية بما يليق بسياقها من معنى، وهى:

- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ قَاتِلُونَ أَوْلَادَهُمْ وَلَا تَهْوِ السَّيْفَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ الْيَتِيمَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلْ فَنَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ .

• اشتملت الآية الأولى على خمس وصايا كلها عظيمة ذات خطر وجلال، وهى:

(١) الابتعاد عن الشرك بالله، وذلك لا يكون مع العقل الذى يدل صاحبه على توحيد الله وعظمته وقدرته .

(٢) ترك عقوق الوالدين، وهو أمر ينفر منه العقل؛ لما سبق من إحسانهم وبرهم بكل الطرق .

(٣) النهى عن قتل الأولاد بسبب الفقر مع وجود الرزق، وذلك أمر ينهى عنه العقل أيضًا .

(٤) ترك الفواحش، وإتيانها أمرٌ ينافى العقل .

(٥) قتل النفس فى غير حق، ولا شك أن قتل النفس - بدافع الغيظ أو الغضب مثلاً - أمرٌ ينافى العقل .

كل هذا بالإضافة إلى أن العقل أشرف ما فى الإنسان؛ لذلك ناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

• أما الآية الثانية لتعلقها بالحقوق المالية والمعنوية، فالوصية فيها تجرى مجرى الوعظ والتذكير؛ فناسب أن تُختم بقوله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أى: لعلكم تذكرون فى أنفسكم أنكم لن ترضوا بضياع حقوقكم لو كنتم يتامى، ولن ترضوا بشهادة الزور لو كانت عليكم . فاذكروا ذلك حتى لا تضيعوا حقوق غيركم مالية كانت أو معنوية .

• وأما الآية الثالثة فاشتملت على الوصية باتباع الصراط المستقيم، واجتناب ما ينافيه وما يؤدى إلى عذاب الله؛ فناسب ذلك أن تُختم بقول الله ﷻ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ، أى: لعلكم تتجنبون ما يخالف الصراط المستقيم وما يؤدى إلى غضب الله وعذابه .

□ ٨/٣٣ أَفَلَا تَسْمَعُونَ - أَفَلَا تُبْصِرُونَ:

قول الله ﷻ فى سورة القصص:

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٨﴾﴾ .

• قدم ذكر الليل على النهار، وخُتمت الآية الأولى بقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ، وخُتمت الآية الثانية بقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ؛ وذلك لأن الليل هو الأصل السابق على الضياء بالشمس، لزواله بطلوعها، ولأن عموم منافع النهار أعظم من منافع الليل؛ فقدّم المنة بالنعمة العظمى .

• وقوله ﷻ في الآية الأولى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ؛ لأن عموم المسموعات في النهار - بسبب كثرة الحركات والكلام والمخاطبات والمعاش - أكثر من الليل؛ أو لأن الليل لا يبصر فيه الإنسان، وإنما يكون السمع أكثر من الإبصار؛ فناسب ذكر السمع . وقوله ﷻ في الآية الثانية: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ؛ لأن ظلام الليل يُغشى الأبصار كلها، أو لأن النهار به ضوء الشمس، وناسب لحاسة البصر أكثر من السمع؛ فناسب ختمها بذكر البصر .

□ ٩/٣٣ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ - إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٧﴾﴾ الزخرف .

- ﴿وَقَالُوا مَا مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ نُبَشِّرُكَ بِالْعَذَابِ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٨﴾﴾ الجاثية .

• آية الزخرف في جعلهم الملائكة بنات الله، وذلك كذب محض قطعاً؛

فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ .

- وآية الجاثية في إنكارهم البعث وليس عدمه عندهم قطعاً؛ فناسب ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ .

□ ١٠/٣٣ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ - وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ :

قول الله ﷻ في موضعين من سورة المجادلة:

- ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾ .

- ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ②﴾ .

- لما قابل في الآية الأولى الإيمان بالكفر في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ؛ قال : ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، وكل عذاب مؤلم مُهِينٌ .
- ولما قال تعالى في الآية الثانية: ﴿كُتِبُوا﴾ ، والكُتِبُ هو الإذلال والإهانة؛ ناسب ختمها بـ ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ .

□ ١١/٣٣ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ - وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ :

قول الله ﷻ:

- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ③﴾ آل عمران .

- ﴿قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ المائدة: ١١١ .

- آية المائدة في خطاب الله ﷻ لهم أولاً، وفي سياق تعدد نعمه عليهم أولاً؛ فناسب سياقها تأكيد انقيادهم إليه أولاً عند إيجائه إليهم .
- وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدد النعم، فاكتفى ثانياً

﴿بِأَنَّا﴾ ؛ لحصول المقصود به .

□ ١٢/٣٣ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ - أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ - مِنْ الْمُسْلِمِينَ :

قول الله ﷻ فى سورة الأنعام على لسان نبيِّنا محمد ﷺ :

- ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ١٦٣ .

وفى سورة يونس على لسان سيدنا نوح عليه السلام :

- ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٧٢ .

وفى سورة الأعراف على لسان سيدنا موسى عليه السلام :

- ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٤٣ .

• المراد فى آية الأنعام: أول المسلمين من أهل مكة المكرمة .

• وفى آية يونس: أن أكون واحدًا من المسلمين ؛ لأن نوحًا عليه السلام لم يكن أول المسلمين .

• وفى آية الأعراف: أول المصدِّقين بامتناع رؤية الله ﷻ فى الدنيا، وليس المراد بالإيمان الدين .

□ ١٣/٣٣ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ - وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ آل عمران : ١٢٦ .

- ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال : ١٠ .

• آية الأنفال نزلت في قتال بدر أولاً، مبيّنة أولاً أن النصر من عنده لا بغيره من كثرة عدَدٍ أو عُدَد؛ ولذلك علّله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره .

• وآية آل عمران نزلت في وقعة أُحُد ثانياً، فأحال في الثانية على الأولى بالتعريف، كأنه قيل: إنما النصر من عند الله العزيز الحكيم الذي تقدم إعلامكم أن النصر من عنده؛ فناسب التعريف بعد التنكير .

□ ١٤/٣٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ - إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا - إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا - وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ :

في سورة البقرة خُتِمت آية الربا بقوله ﷻ :

- ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة: ٢٧٦ .

وفي مواضع أخرى تغيّرت الفاصلة على النحو التالي :

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء: ٣٦ .

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ النساء: ١٠٧ .

- ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: ٢٣ .

وذلك لأن :

• آية البقرة نزلت في ثقيف وقريش حين أصرّوا على التعامل بالربا وعارضوا حكم الله ﷻ؛ فهم كُفَّار بالدين، آثمون بأكل الربا؛ ولذلك خُتِمت الآية بالصفتين الداليتين على ذلك (كُفَّار، أَثِيم) .

• وآية النساء رقم (٣٦) جاءت بعد الأمر بعبادة الله والإحسان إلى الوالدين،

والعبادة هي غاية الخضوع والتذلل للمعبود، كما أن الإحسان إلى الوالدين يقتضى التواضع لهما، وذلك يناقض الاختيال والفخر؛ فتناسب ذلك ختم الآية بالاختيال والفخر .

- وفى آية الحديد أيضًا تقدم النهى عن التفاخر والتجبر .
- أما آية النساء رقم (١٠٧) فقد نزلت فى طعمة بن أبيرق لما سرق درع قتادة ابن النعمان، والسرقه خيانة؛ فتناسب ذلك ختم الآية بصفتي الخيانة والإثم .

□ ١٥/٣٣ فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ - فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٧٥﴾ ❖ الأنبياء .
- ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ٨٨﴾ ❖ الصافات .
- وصفهم بالأخسرين فى آية الأنبياء؛ لأنهم أرادوا إهلاك نبي الله إبراهيم ﷺ بالإحراق فنجاه الله وأهلكهم، ففسدوا الدنيا والآخرة؛ فعبر عن ذلك بوصفهم بالأخسرين .

- أما آية الصافات فوصفتهم بالأسفلين؛ لما تقدم من قوله ﷻ :

- ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْغَيِّمِ ١٧﴾ ❖ .

فرفعه الله ﷻ، وجعلهم من الأسفلين فى الدنيا والآخرة؛ لأنهم قصدوا العلو على نبي الله إبراهيم ﷺ .

□ ١٦/٣٣ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ - قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ :

قول الله ﷻ :

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ١١ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿١٢﴾

الحاقة .

• حُتِمت الأولى بقوله ﷻ: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ؛ وذلك لأن مخالفة نظم القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة، فلا يخفى على أحد، فقول من قال: شعر، كفر وعناد محض؛ فناسب ختمه بهذا الختام .

• وأما مخالفته لنظم الكُهَّان والفاظهم فيحتاج إلى تذكير وتدبر؛ لأن كلاً منهما ليس على أوزان الشعر ونظمه، ولكن يفترقان بما فى القرآن من الفصاحة والبلاغة والبديع، وتَبَعُ بديعه لبيانه، والفاظه لمعانيه، بخلاف ألفاظ الكُهَّان؛ لأنها بخلاف ذلك كله ؛ فناسب ختمه بقوله ﷻ: ﴿قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ .

□ ١٧/٣٣ واللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ - واللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ - واللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ:

قول الله ﷻ فى ثلاثة مواضع متقاربة من سورة التوبة:

- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٨ .

- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٢٤ .

- ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِّعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ .

• خُتِمَت الآية الأولى بوصف (الظالمين)؛ لأنها تتحدث عن وضع الشيء في غير موضعه، وهو تصوُّرهم أن سقاية الحاج كالجهاد في سبيل الله . وهذا معنى الظلم: جعل الشيء في غير موضعه .

• وَخُتِمَت الآية الثانية بوصف (الفاسقين)؛ لأنها تتحدث عن المسلمين الذين اتخذوا من أقاربهم الكفار أولياء، وهذا خروج عن شرع الله، وهو معنى الفسق .

• بينما خُتِمَت الآية الثالثة بوصف (الكافرين)؛ لأنها بدأت بتقرير حكم الكفر على من كانوا يفعلون النسيء، وهو تأخير الأشهر الحرم عن موعدها لِيُحِلُّوا فِيهَا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ؛ فلما بدأت الآية بنسبة الكفر إلى من يفعل ذلك، خُتِمَت بما يناسبها .

□ ١٨/٣٣ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ - لِلْعَالَمِينَ - لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ - لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ :

قول الله ﷻ :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَنِّيَكُمْ وَأَلَوْنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ الروم .

• خُتِمَت الآية الأولى بقوله ﷻ : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ؛ لأن التفكير يصل بصاحبه إلى إدراك ما في السكن والمودة والرحمة والتألف من

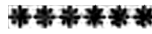
آيات الله، فهذه مشاعر وعواطف يناسبها التفكير في آيات الله ﷻ .

• وخُتِمت الآية الثانية بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ؛ لأن العلم هو الموصِّل لإدراك ما في السماوات والأرض واختلاف اللغات والألوان من آيات الله ﷻ . وقُرئ: (للعالمين) بفتح اللام، ومناسبته ظاهرة؛ لأن هذه الآيات ظاهرة للجميع .

• وخُتِمت الآية الثالثة بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ، أى: يستجيبون لما يدعوهم إليه .

• وخُتِمت الآية الرابعة بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ؛ لما ذُكِرَ من البرق والمطر وإحياء الأرض بعد موتها، وهذه آيات لا تظهر إلا لمن يعقل ما يراه .

وهكذا ناسبت كل فاصلة سياقها .



○ التناظر في البناء الموسيقي للفواصل القرآنية والمعنى:

□ ١٩/٣٣ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ - بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ:

من قواعد بناء الفواصل القرآنية مراعاة التناظر بين ألفاظها، ومن ذلك قول الله ﷻ:

﴿وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٦﴾﴾ الأعراف .

وفي موضع آخر في سياق القصة نفسها:

- ﴿وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٨٦﴾﴾ النمل .

● اختلفت فواصل الآيات في بنائها اللفظي، وبتأمل الآيات السابقة في كل من سورة الأعراف وسورة النمل نجد أن فواصل سورة الأعراف أغلبها أسماء (على صيغة جمع المذكر السالم)، والآيات (٧٤ - ٨١) من هذه السورة خُتمت كلها بأسماء على النحو التالي:

● ﴿مُفْسِدِينَ﴾ ، ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿كَافِرُونَ﴾ ، ﴿الرَّاسِلِينَ﴾ ، ﴿جَنِّينَ﴾ ،
﴿النَّاصِحِينَ﴾ ، ﴿الْعَالِينَ﴾ ، ﴿مُسْرِئُونَ﴾ .

● بينما خُتمت آيات سورة النمل في معظمها بأفعال، وكانت الآيات (٥٢ - ٥٦) كلها مختومة بأفعال، على النحو التالي:

- ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿يَلْقَوْنَ﴾ ، ﴿تُبْعِرُونَ﴾ ، ﴿تَجْهَلُونَ﴾ ، ﴿يَنْظَهُرُونَ﴾ .

وهذا التناظر في البناء اللفظي لفواصل الآيات سرٌّ من أسرار القرآن العظيم .

○ توافق الفواصل القرآنية وإن تعددت صورها:

في القرآن الكريم كثير من التراكيب التي قد نظنها متساوية في المعنى، لكن بنظرة متأملة متدبرة في كلام الله ﷻ يتبين لنا أن هناك فروقاً دقيقة في المعنى بين كل تركيب وغيره، وهذه بعض الأمثلة:

□ ٢٠/٣٣ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ :

في سورة الحجر نقرأ هاتين الآيتين:

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (٥٠) .

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥١) .

● جاءت الفاصلة في الآية الأولى ﴿لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ؛ لأنها ذُكرت في ختام

قصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، وقد ورد فيهما آيات متعددة؛ لذلك جاءت كلمة (آيات) في صورة الجمع، كما أنها آيات تخاطب كل ناظر (متوسم) يتأمل آثار الأمم السابقة، سواء أكان مؤمناً أم لا.

● أما فاصلة الآية الثانية فجاءت كلمة (آية) مفردة؛ لأن كل ما ذكر هو بمنزلة (آية)، وهذا باعتبار المخاطب بها، وهم المؤمنون؛ وخُصَّ المؤمنون بهذه الآية لأنها في خطاب المؤمنين وحدهم، ولم يسبق توجيهه إلى تأمل الآثار التي بقيت من الأمم السابقة، بل سبقها قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَهَا لِسَبِيلٍ مُّثَبِّرٍ ۝٦٦﴾ .

فناسب خطاب المؤمنين بهذه الآية؛ لأنهم هم الذين هداهم الله ﷻ إلى السبيل المقيم.

□ ٢١/٣٣ قاصراتُ الطَّرفِ عَيْنٍ - قاصراتُ الطَّرفِ أنْزَابُ:

قول الله ﷻ في وصف نساء الجنة:

- ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرفِ عَيْنٌ ۝١٨﴾ الصافات .

- ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الطَّرفِ أَنْزَابٌ ۝٥٧﴾ ص.

● جاءت فاصلة كلتا الآيتين متوافقة مع الفواصل السابقة واللاحقة في السورة، فسورة الصافات بُنيت فواصلها على المد بالياء أو الواو ثم النون أو الميم، ومن فواصلها:

(معلوم - مكرمون - النعيم - متقابلين - معين - للشاربين - ينزفون - عَيْن - مكنون ... إلخ) .

● أما سورة ص فقد بُنيت فواصلها على الردف بالالف ثم حرف صامت (هو

الباء غالبًا)، ومن فواصلها:

(مآب - الأبواب - وشراب - أتراب - الحساب - نفاد - مآب ... إلخ) .
وكلتا الكلمتين (عين - أتراب) من وصف نساء الجنة، ولكن استعمل كلُّ
وصف حيث توافق مع الفواصل السابقة واللاحقة .

□ ٢٢/٣٣ أن لهم أجرًا كبيرًا - أن لهم أجرًا حسنًا:

قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقَوْمٌ مَبْشُرُونَ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ① الإسراء .

- ﴿قَبِيصًا يَنْزِدُ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ② الكهف .

وُصِفَ الأجر في آية الإسراء بأنه كبير، وفي آية الكهف بأنه حسن،
والمراد بالأجر: الجنة، وهو أجر يتصف بالوصفين معًا: الكبير والحسن،
وغير ذلك مما وصف به ثواب الله ﷻ .

• لكن لختام الآية في كلتا السورتين سببًا صوتيًا، فأيات الإسراء تقوم
فواصلها على المد، نحو:

(وكيلًا، كبيرًا، مفعولًا، نظيرًا، تنبييرًا، حصيرًا، كبيرًا، أليما ... إلخ) .

• بينما بُنيت فواصل آيات الكهف على الحركات القصيرة المتوالية، نحو:

(عَوَجًا، حَسَنًا، أَبَدًا، وَلَدًا، كَذِبًا، أَسَفًا، عَمَلًا، جُرْزًا، عَجَبًا ... إلخ) .

□ ٢٣/٣٣ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ - فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ - فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ :

قول الله ﷻ في مواضع من قصة ناقة صالح عليه السلام :

- ﴿وَالِإِنَّ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفَوِرُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسَوِّرْ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٧٦﴾﴾ الأعراف .

- ﴿وَيَنْفَوِرُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسَوِّرْ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٧٦﴾﴾ هود .

- ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لِمَا شَرِبْتُمْ وَلَكُنَّ شَرِبْتُمْ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٠﴾﴾ وَلَا تَمْسُوهَا يُسَوِّرْ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥١﴾﴾ الشعراء .

● خُتِمَت آية الأعراف بقول الله ﷻ : ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ﴾ ؛ لأن في هذه السورة مبالغة في الوعظ والوعيد والإنذار، فتناسب ذلك وصف العذاب بأنه اليم .

● أما آية هود فُخِيت بقول الله ﷻ : ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ؛ لأن الآية التالية حددت لعذابهم موعداً قريباً، وهو قوله ﷻ : ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿١٥١﴾﴾ ؛ فتناسب وصف العذاب بالقرب .

● وأما آية الشعراء فُخِيت بقول الله ﷻ : ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فذكر اليوم؛ لتقدم قول الله ﷻ : ﴿لَمَّا شَرِبْتُمْ وَلَكُنَّ شَرِبْتُمْ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٠﴾﴾ ، فلما جاوزوا ما فرض الله وهو أن يشربوا يوماً، وتركوا الناقة تشرب يوماً؛ ذكر في ختام هذه الآية اليوم الذي سيُعذبون فيه، لتجاوزهم في اليوم المحدد لهم، ووصف ذلك اليوم الموعود بأنه يوم عظيم، لا يكمل هذه الأيام التي

يحيونها، بل هو يوم سينالهم فيه العذاب، وسيكون ذلك عظيمًا عليهم لا يطبقونه ولا يستطيعون له ردًا .

□ ٢٤ / ٣٣ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ - هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ :

قول الله ﷻ :

- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝١﴾ البقرة .

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ لقمان .

● فجعل للمتقين (الهدى) ، وجعل للمحسنين (الرحمة والهدى) ؛ والإحسان أعلى درجة من التقوى، فكان القرآن للمتقين هدى، وللمحسنين هُدًى ورحمة .

تنوع أساليب النظم في القرآن الكريم

○ بين التذكير والتأنيث :

□ ٢٥ / ٣٣ فَتَفَحَّخْنَا فِيهَا - فَتَفَحَّخْنَا فِيهِ :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زُرْحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَأَبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۝١١﴾ الأنبياء .

- ﴿وَنَزَّيْنَهُمْ أَتَيْنَ الْيَتِيمَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ زُرْحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ ۝١٧﴾ التحريم .

جاء الضمير التالى لحرف الجر فى آية الأنبياء مؤنثا، بينما جاء مذكرا فى

آية التحريم؛ وذلك لأن المقصود في سورة الأنبياء ذكر مريم عليها السلام، فأعاد الضمير عليها، بينما المقصود في آية التحريم ذكر إحصانها وعفتها، فعاد الضمير على الفرج، وهو مذكر .

□ ٢٦/٣٣ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ - نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل .

• جيء بالضمير مذكراً في (بُطُونِهِ)؛ لأنه يُراد به القِلة، فالمراد: الأنعام الإناث، والمعنى: نسقيكم مما في بطون بعضه (وهو الإناث خاصة)، فتقدير البعض أوجب استعمال الضمير المذكر ليعود على هذا البعض المُقَدَّر، والآية لم تذكر من منافع الأنعام سوى اللبن خاصة، وهو من الإناث دون الذكور .

وفي سورة المؤمنون جاء الضمير مؤنثاً في (بُطُونِهَا)، في قول الله ﷻ :

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون .

• وذلك ليعم الأنعام كلها؛ حيث عدت الآية كثيراً من منافع الأنعام إلى جانب اللبن، وهذه المنافع موجودة في ذكورها وإناثها، فكان ضمير المؤنث هو المناسب هنا ليعم المنافع التي تعود على الإنسان من الأنعام كلها ذكورها وإناثها .

□ ٢٧/٣٣ فَأَنْفُخُ فِيهِ - فَتَنْفُخُ فِيهَا :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ آل عمران .

- ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِصَ ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُّسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾﴾ المائدة .

• ذُكِرَ الضمير فى آية آل عمران ؛ لأنها تذكر كلام المسيح ﷺ قبل أن تكون للطير صورة ، فناسب ذلك إعادة الضمير إلى الطين ، وهو مذكر .

• أما آية المائدة فتذكر كلام الله ﷻ يوم القيامة للمسيح ﷺ ، وقد سبق له مرات عديدة أن صنع من الطين طيرًا بإذن الله ؛ فناسب ذلك تأنيث الضمير ليدل على جماعة الطير التى سبق أن صوّرها ونفخ فيها .

○ بين التعريف والتكبير :

□ ٢٩/٣٣ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ - فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ :

فى موضعين متقاربين من سورة البقرة نقرأ هاتين الآيتين :

- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَضَّعْنَ أَنْفُسِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَشْهُرًا وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٣٢﴾﴾ .
- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ حَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣٣﴾﴾ .

● جاءت كلمة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ في الآية الأولى معرفة بـ (ال) التي للعهد الذهني، أي الأحكام المعهودة التي شرعها الله وبيّنها لهنّ من التعرض للخطبة دون تجاوز هذه الأحكام . واقتربت الكلمة بحرف الإلصاق (الباء)؛ للدلالة على شدة التمسك بأحكام الله ﷻ .

● أمّا الآية الأخرى ففيها تخيير للنساء بين عدة أمور: كالتزّين للخطاب، والزواج أو عدمه، والسفر . . . وغير ذلك مما أُبيح لهنّ فعله؛ ولذلك جاء منكراً ﴿مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ ، لأن النكرة تفيد العموم، كما اقترن بـ (من) الدالة على التبعية؛ لبيان تخيير النساء في أن يفعلن في أنفسهن أي شيء من هذه الأشياء المذكورة .

□ ٣٠/٣٣ بِغَيْرِ الْحَقِّ - بِغَيْرِ حَقٍّ :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ الْمَسْكُونَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ البقرة: ٦١ .

- ﴿ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكُونَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ آل عمران: ١١٢ .

● فى سورة البقرة جاءت كلمة (الحَقَّ) معرفة، و(أل) فيها لتعريف العهد، أى: الحق الموجب للقتل، ذلك الحق المعهود فى الشريعة اليهودية، وإنما كان قتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً، وذلك فى شأن اليهود الأقدمين .

● أمّا آية آل عمران فهى فى شأن اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وقد كانوا حريصين على قتل النبي ﷺ، وسعوا لذلك كثيراً؛ حتى دسّوا له السم، ولكن الله نجّاه من كيدهم . وقد جاءت كلمة ﴿حَقَّ﴾ نكرة لتفيد معنى الشمول والعموم، أى: يقتلون الأنبياء من غير أن يكون لجُرمهم هذا أىُّ حقٍّ يُذكر .

ولا شك أن قتل الأنبياء يكون دائماً على غير حقٍّ، فلماذا ذُيِّلَت الآيات بعبارتى: ﴿يَغَيِّرُ الْحَقَّ﴾ ، ﴿يَغَيِّرُ حَقَّ﴾ ؟!

إن ذلك لمزيد من التشنيع والتقييح لجريمتهم؛ إذ إنهم يقتلون أنبياء الله، وفوق ذلك يقتلونهم بغير موجبٍ لذلك .

□ ٣٠/٣٣ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا - رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا :

قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ البقرة: ١٢٦ .

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إبراهيم: ٣٥ .

● المشار إليه فى آية البقرة هو المكان الذى أقيمت عليه مكة، أى لم تكن مكة قد بُنِيَتْ بعدُ؛ ولذلك جاء المشار إليه نكرة: ﴿بَلَدًا﴾ ، وسياق الآية فى دعاء إبراهيم عليه السلام عندما ترك هاجر وإسماعيل - عليهما السلام - فى ذلك الوادى .

● أما الآية الثانية فقد جاء المشار إليه فيها معرفة: ﴿الْبَلَدَ﴾ ؛ لأنه ذُكِرَ فى دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة بعد رجوعه إليها وبنائها، فالمشار إليه معرفة

موجود بالفعل .

□ ٣١/٣٣ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ - افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ الصف: ٧ .

وفى سائر المواضع :

- ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾

[الأنعام: ٢١، ٩٣، ١٤٤، الأعراف: ٣٧، يونس: ١٧، هود: ١٨، الكهف: ١٥،

العنكبوت: ٦٨] .

● المراد بآية الصف كذب خاص، وهو جعلهم البيئات سحرًا، والمراد فى بقية المواضع: أى كذب كان؛ ولذلك نُكِّرَ وعُطِفَ عليه: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الأنعام: ٢١، ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَى﴾ الأنعام: ٩٣، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ العنكبوت: ٦٨ . وشبه ذلك .

○ بين الفعل المضارع والوصف :

□ ٣٢/٣٣ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ - مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ :

فى سورة الأنعام نقرأ قول الله ﷻ :

- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ٥٥ .

وفى غير ذلك باستعمال الفعل المضارع، نحو قوله ﷻ :

- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾﴾ يونس .

- ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٧﴾﴾ الروم .

● فى آية الأنعام جاءت كلمة ﴿وَيُخْرِجُ﴾ على صيغة اسم الفاعل ؛ لوقوعها بين عدة أسماء فاعل نحو: ﴿فَالِقُ الْخَيْلِ وَالنَّوَى﴾ ، ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ ، واسم الفاعل يشبه كلاً من الاسم والفعل :

- يشبه الاسم فى دخول (أل) عليه ، وقبوله التنوين والنداء والجر ، وغيرها من علامات الاسمية .

- ويشبه الفعل لأنه يعمل عمله .

وقد رُوى فى آية الأنعام تشابه اسم الفاعل مع كل من الاسم والفعل ؛ فجاءت إحدى الجملتين بالفعل ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ، وجاءت الجملة الأخرى باسم الفاعل : ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ .

● وذلك بخلاف المواضع الأخرى التى جاءت الكلمتان فيها بلفظ الفعل فى الجملتين : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ ؛ لأن ما قبله وما بعده أفعال .

□ ٣٣/٣٣ وَأَنْصَحُ لَكُمْ - وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ :

قول الله ﷻ فى قصة نوح عليه السلام :

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ الأعراف .

وقال ﷻ فى قصة هود :

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾ الأعراف .

عبر بالفعل المضارع فى قصة نوح عليه السلام؛ لأن ما سبق من آيات تحدثت عن الضلال: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١٥﴾ قَالَ يَنْفَوْرُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦﴾ ، والضلال فعلٌ يتجدد بترك الصواب إلى ضده؛ فقابله بفعل يناسبه فى المعنى؛ فقال: ﴿وَأَنْصَحُ﴾ .

بينما عبر بالوصف (ناصح) فى قصة هود عليه السلام؛ لأن ما سبق من آيات تحدثت عن السفاهة: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ۝١٦﴾ قَالَ يَنْفَوْرُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٧﴾ ، والسفاهة صفة لازمة لصاحبها؛ فقابله بصفة فى المعنى، فقال: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ .

○ بين الوصف والإضافة:

□ ٣٤/٣٣ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ - وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْفَوْنُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٣٣﴾ الأنعام .

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ١٠٩ .

● فى آية الأنعام عُرِّفَت (الدار) ووصفت بالآخرة، فى مقابل ما تقدم أول الآية: ﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ ؛ ليكون هناك تناسق فى التراكيب، فلمَّا وُصِفَت ﴿الْحَيَوةُ﴾ مُعَرَّفَةً ﴿الدُّنْيَا﴾ ناسب أن يأتى فى مقابلة تركيب وصفى مكون من الموصوف والوصف (الدار + الآخرة)، وكذا قول الله ﷻ:

- ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْفَوْنُ﴾ الأعراف: ١٦٩ .

● أما في آية يوسف فنكّرت كلمة (دار) وأضيفت إلى (الآخرة)؛ حيث لم يتقدّمها وصف الحياة الدنيا، وكذا قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ يوسف: ١٠٩ .

○ بين إثبات الصفة وحذفها:

□ ٣٥/٣٣ قال المَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ:

في موضعين متقاربين من سورة الأعراف نقرأ قول الله ﷻ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ .

﴿وَإِلَّا عَادِ لَأَخْلَهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٢﴾ .

● وُصِفَ المَلَأُ من قوم هود في الآية رقم (٦٦) بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ؛ لأن بعض أشرف قوم هود ؑ قد آمنوا له .

● أمّا الآية رقم (٦٠) فقد خلت من الصفة؛ لأن المقصود بها جميع قوم نوح ؑ، لأنه لم يؤمن منهم أحد .

○ بين الفعل المتعدّي لواحد والمتعدّي لمفعولين:

□ ٣٦/٣٣ ولا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ - ولا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ:

قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٥٦) ﴿الأنبياء .
- ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدِيرِينَ﴾ (٥٧) ﴿النمل .
- ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدِيرِينَ﴾ (٥٧) ﴿الروم .

• فى آية الأنبياء استعمل الفعل المتعدى لواحد: (يَسْمَعُ)، فنسب السماع إليهم؛ لذا لم يَحْتَجْ إلى توكيد، والمعنى أنهم لا يسمعون الدعاء لتشاغلهم عن ذلك، فهم كالصُّم .

• أما فى آيتى النمل والروم، فاستعمل الفعل المتعدى لمفعولين: (تَسْمَعُ)، فنسب الإسماع إلى النبى ﷺ؛ لذا بالغ فى إظهار عدم القدرة على إسماعهم دعوته، فختم الآية بقوله ﷺ: ﴿إِذَا وَلَوْ مَدِيرِينَ﴾ مشبها إياهم تشبيهين: أنهم كالصُّم، وأنهم كالمولّى عن يدعوهم لكى لا يسمع كلامه . وهذه المبالغة مراد بها بسط العذر للنبى ﷺ، كما قال له الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ القصص: ٥٦ .

□ ٣٧/٣٣ فلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ - فلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ:

فى موضعين من سورة التوبة نقرأ هاتين الآيتين:

- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٥) .
- ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٨٥) .

• فى الآية الأولى جاءت (لا) مقترنة بالفاء الدالة على السببية؛ لما تقدمها

من أفعال مضارعة تتضمن معنى الشرط، كأنما قيل: إن اتصفوا بهذه الصفات، فلا تعجبك أموالهم ... إلخ .

كما عُطِفَت الأموال والأولاد بالأداة (ولا) لزيادة التأكيد؛ لما تقدم من أساليب التوكيد نحو ﴿إِلَّا وَهُمْ﴾ في قوله ﷺ: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَذِرُونَ﴾ التوبة: ٥٤ . فجاء التوكيد بزيادة ﴿وَلَا﴾، لمناسبة أساليب التوكيد المذكورة قبله .

ورُبطَ الفعلان (يريد) و(يعذبهم) باللام؛ لأنَّ مفعول (يريد) محذوف تقديره: إنما يريد الله ذلك (أى: أموالهم وأولادهم)؛ لأجل تعذيبهم فى حياتهم بما يصيبهم من جرّاء فقدها .

وذكر الموصوف ﴿الْحَيَوَةُ﴾؛ لأن ذلك واقع فى حياتهم، أى أنه عذاب لجسدٍ حىّ يحس ويتأثر .

• وفى الآية الثانية استعملت واو العطف بدلاً من الفاء؛ لما تقدم من أفعال ماضية لا تعطى معنى الشرط، فناسبها العطف بالواو .

وعُطِفَت الأموال على الأولاد بالواو لأنها لم تتضمن أساليب التوكيد التى تضمنتها الآية الأولى .

ورُبطَ الفعلان (يريد)، (يعذبهم) بالحرف (أن)؛ لأنَّ الأفعال السابقة عليه ماضية لا تصلح للشرط .

كما حذف الموصوف ﴿الْحَيَوَةُ﴾ وأقيمت الصفة مقامه ﴿الدُّنْيَا﴾ فى الآية الثانية؛ اكتفاءً بمرود الموصوف والصفة فى الآية السابقة .

□ ٣٨/٣٣ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ - هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ:

قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٧) الانعام .

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥،
القلم: ٧ .

• الأصل فى الوصف باسم التفضيل (أَعْلَمُ) أن تتبعه الباء، لتقوية العامل على العمل فيما بعده ، وعلى هذا جاءت آيتا النحل والقلم، وفقاً للأصل فى التركيب . وجاء الفعل فيهما (ضَلَّ) بلفظ الماضى ؛ لأنهما فى سياق الإخبار بِمَنْ وقع منه الضلال، فناسب الفعل الماضى .

• أما آية الأنعام فحذفت منها الباء؛ لورود قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤، واستُعْمِلَ الفعل المضارع (يَضِلُّ)؛ لإفادة وقوع الضلال فى المستقبل؛ ولتحقيق التناسب التركيبى مع ما تقدم من قوله ﷻ: - ﴿وَلَنْ تُلَاقَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأنعام: ١١٦ .
وكذلك لتحقيق التناسب التركيبى مع ما تلاه من قوله ﷻ:

- ﴿وَلَنْ كَثِيرٌ لَّيُضِلُّوا بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام: ١١٩ .

□ ٤٠/٣٣ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ - يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ - يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ:
قول الله ﷻ:

- ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ العنكبوت: ٦٢ .

وفى موضع آخر:

- ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ القصص: ٨٢ .

- ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ . [الرعد: ٢٦، الإسراء: ٣٠، الروم: ٣٧، سبأ: ٣٦، الزمر: ٥٢، الشورى: ١٢] .

وذلك لأن أحوال الناس في الرزق ثلاثة:

○ الأول: من يُسْطِرُ رزقه تارةً وَيُضَيِّقُ عليه أخرى، وهو يُفْهَم من آية العنكبوت بقوله ﷻ: ﴿لَهُ﴾ .

○ والثاني: يُوسِّع على قوم مطلقاً وَيُضَيِّقُ على قوم مطلقاً، ويُفْهَم من آية القصص .

○ والثالث: الإطلاق من غير تعيين بسطٍ ولا قبض، فأطلق من غير ذكر (عباد) .

● وَخُصَّت العنكبوت بالحال الأول؛ لتقدم قوله ﷻ: ﴿وَكَاْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ العنكبوت: ٦٠، ثم فَصَّلَ حالهم في بسطه تارة وقبضه تارة .

● وأما آية القصص فتقدمها قصة قارون؛ فناسب الحال الثاني أنه يسط الرزق لمن يشاء مطلقاً لا لكرامته، حتى ولو كان قارون، ويقبضه لمن يشاء لا لهوانه كالفقراء من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

● وأما بقية الآيات فمطلق من غير تعيين، كالأدميين وغيرهم .

□ ٤١/٣٣ كُلُّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى - كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لقمان: ٢٩ .

- ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فاطر: ١٣، الزمر: ٥ .

• آية لقمان تقدم عليها ذكر البعث والنشور بقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعَنُكُمُ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ١٨ ، وبعدها قوله ﷻ: ﴿وَآخِشُوا يَوْمًا﴾ لقمان: ٣٣؛ لذلك ناسب مجيء (إلى) الدالة على انتهاء الغاية، لأن القيامة غاية جريان ذلك .

• وفي فاطر والزمر تقدمها ذكر نعم الله ﷻ مما خلق لمصالح الخلق؛ فناسب المجيء باللام بمعنى (لأجل) .

□ ٤١/٣٣ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا - وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ١٩ البقرة .

- ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٧ الجمعة .

• جاءت آية البقرة في سياق دعواهم أن الدار الآخرة لهم خاصة؛ لذلك أكد نفى هذه الدَّعوى بـ(لن)، لأنها أبلغ في النفي من (لا)، وأيضًا وردت آية البقرة بعد ما تقدم منهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء، فناسب حرف المبالغة في نفى تمنيهام الموت، لما يعلمون ما لهم بعده من عذاب؛ لأن (لن) أبلغ في النفي عند كثير من أئمة العربية .

• وفي آية الجمعة ادَّعَوْا ولاية الله، ولا يلزم من الولاية لله اختصاصهم بثواب الله وجنته، فأتى بـ(لا) النافية للولاية، كما أن الجمعة لم يتقدمها ذكر خطاياهم من الكفر والعصيان وقتل الأنبياء؛ فجاءت بـ(لا) الدالة على مطلق النفي من غير مبالغة .

□ ٤٢/٣٣ ولا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ - وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَنْقَضُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾
البقرة: ٤٨ .

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ البقرة: ١٢٣ .

ما فائدة التقديم والتأخير، والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى؟ .

• والجواب: أن الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ في آية البقرة: ٤٨ راجع إلى النفس الأولى، وفي آية البقرة: ١٢٣ راجع إلى النفس الثانية، كأنه بيّن في الآية الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ، ولا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ؛ ولأن الشافع يُقَدِّمُ الشفاعة على بذل العدل عنها .

• وبيّن في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ عن نفسها، ولا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ شافع فيها، وقَدِّمَ بدل العدل الحاجة إلى الشفاعة عند رده؛ فلذلك كله قال في الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ، وفي الثانية ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ ؛ لأن الشفاعة إنما تُقْبَلُ من الشافع، وإنما تَنْفَعُ المشفوع له .

□ ٤٣/٣٣ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى - قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ:

قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ البقرة: ١٢٠ .

- ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ٧٣ .

- المراد بالهْدَى في البقرة تحويل القبلة؛ لأن الآية نزلت فيه .
- والمراد بالهْدَى في آل عمران الدين؛ لتقدم قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ آل عمران: ٧٣ ، ومعناه أن دين الله هو الإسلام .

○ التنوع والدقة في ألفاظ الجملة القرآنية:

□ ٤٤/٣٣ ولو شاء الله ما فعلوه - ولو شاء ربك ما فعلوه:

يأتى اللفظ القرآنى دقيقاً في محله مناسباً لسياقه؛ ولذلك تتباين الألفاظ وإن تقاربت دلالاتها، مثال ذلك قول الله ﷻ في موضعين من سورة الأنعام:

- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٧١)

- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (١٧٢) .

الفارق بين الآيتين أن الفاعل فى الأولى ﴿رَبُّكَ﴾ ، وفى الآية الأخرى ﴿اللَّهُ﴾ .

• جاء لفظ ﴿رَبُّكَ﴾ فى الآية الأولى؛ لتقدم لفظ الرب عدة مرات، نحو قوله ﷻ:

- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الأنعام: ١٠٤ .

- ﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الأنعام: ١٠٦ .

كما أن فى لفظ (الرَّبِّ) معنى الرعاية والحفظ، وقد تقدم فى أوّل آية الأنعام رقم (١١٢) قوله ﷻ:

- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ .

فناسب ذلك أن تُختم الآية بما فيه عزاء للنبي ﷺ، وذكر لفظ (الرَّبِّ) فى

مقام التصبير أدلّ وأنسب؛ لتضمنه معنى الحفظ والرعاية .

• أما في الآية رقم (١٣٧) فجاء لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ ؛ لتقدم قوله ﷻ في الآية السابقة :

- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الأنعام : ١٣٦ .

فناسب لفظ ﴿اللَّهُ﴾ في الآية التالية، أي: ولو شاء الله - الذي جعلوا له ذلك - ما فعلوه . ولفظ الجلالة هنا مُشعرٌ بالعظمة والقدرة ونفى الشركاء، وهو سياق الآية .

□ ٤٥/٣٣ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض - المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض :

قول الله ﷻ في صفة المنافقين :

- ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ التوبة : ٦٧ .

ثم قال ﷻ في صفة المؤمنين :

- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة : ٧١ .

• وذلك لأن المنافقين ليسوا بمتناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة، فكان بعضهم يهودًا وبعضهم مشركين، فقال ﷻ: ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ ، أي: في الكفر والنفاق .

• والمؤمنون متناصرون على دين الإسلام وشريعته الظاهرة فقال ﷻ: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة وفي اجتماع القلوب على دينهم؛ ولذلك قال ﷻ في المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات : ١٠ . وقال في المنافقين: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَقِيَّةٌ﴾ الحشر : ١٤ .

□ ٤٦/٣٣ وخلق منها زوجها - وجعل منها زوجها :

قول الله ﷻ :

- ﴿يَأْتِيْنَا النَّاسَ أَنْفُؤًا مِنْكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء: ١ .

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩ .
• آية النساء في آدم وحواء - عليهما السلام - ؛ لأنها خُلِقَتْ منه ؛ فناسب التعبير بقوله ﷻ : ﴿وَخَلَقَ﴾ .

• وآية الأعراف قيل : في قُصِيَ أو غيره من المشركين ، ولم تُخلق زوجته منه ، فقال ﷻ : ﴿وَجَعَلَ﴾ ؛ لأن الجعل لا يلزم منه الخلق ، فمعناه : جعل من جنسها زوجها .

□ ٤٧/٣٣ كذلك كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ - كذلك فعل الذين من قبلهم :

قول الله ﷻ :

- ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ الأنعام: ١٤٨ .

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ النحل: ٣٥ .

• عَبَّرَتْ آية الأنعام بالفعل (كَذَّبَ) ؛ لأنه تقدَّم عليها قوله ﷻ : ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾ الأنعام: ١٤٧ .

• وعَبَّرَتْ آية النحل بالفعل (فَعَلَ) لأنه تقدَّم عليها أفعال في مطلع الآية المذكورة ، وهو قوله ﷻ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ

مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٣٥﴾ .

□ ٤٨/٣٣ يُرْسِلُ الرِّيحَ - أَرْسَلَ الرِّيحَ :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ : الأعراف: ٥٧ .

- ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ : الروم: ٤٨ .

وفي مواضع أخرى بالفعل الماضى، كما فى قوله ﷻ :

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ : الفرقان: ٤٨ .

- ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فُسْفَنَتْهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْفُشُورُ ﴿٤٩﴾﴾ : فاطر .

• استعمل الفعل المضارع (يُرْسِلُ) فى آية الأعراف؛ لمناسبة ما تقدّم من قول الله ﷻ : ﴿يُعْشَى الْيَلِّ النَّهَارُ﴾ : الأعراف: ٥٤ ، وقوله ﷻ : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ : الأعراف: ٥٥ ؛ لأن الدعاء إنما يكون لما يأتى . وكذلك فى آية الروم؛ لمناسبة ما تقدّم عليها من قول الله ﷻ : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ : الروم: ٤٦ .

أما آية الفرقان فتقدّم عليها أفعال ماضية فى قوله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٥٠﴾ ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٥١﴾﴾ : وهو الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٥٢﴾﴾ .

• وأما آية فاطر فتقدّم عليها قوله ﷻ : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : فاطر: ٣ . وهو المطر، وإنما يُدَكَّرُ بشكر النعم

الماضية؛ فناسب استعمال الفعل الماضي: ﴿أَرْسَلَ﴾ .

□ ٤٩/٣٣ وما بَثَّ فيهما من دَابَّةٍ - وما يَبُثُّ من دَابَّةٍ:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٩﴾﴾ الجاثية: ٤ .

- ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ الشورى: ٢٩ .

المراد في آية الجاثية ذكر استمرار نعمة الله وقدرته على الناس قوماً بعد قوم، والمراد بآية الشورى ابتداء خلق الله الدواب وبثها في الأرض .

□ ٥٠/٣٣ محصنات غير مسافحات - محصنين غير مسافحين:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ النساء: ٢٥ .

- ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفَّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ المائدة: ٥ .

• آية النساء في نكاح الإماء، وكان كثير منهن مسافحات؛ فناسب جمع المؤنث بالإحصان .

• وآية المائدة في مَنْ يَحِلُّ للرجال من النساء؛ فناسب وصف الرجال بالإحصان، ولأنه تقدّم ذكر النساء بالإحصان فذكر إحصان الرجال أيضاً تسويةً بينهما؛ لأنه مطلوب فيهما .

□ ٥١/٣٣ أُبْلَغُكُمْ رَسُولَ رَبِّى - أُبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّى :

قول الله ﷻ فى قصة نوح وهود وشعيب عليهم السلام :

- ﴿أُبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّى﴾ الأعراف: ٦٢ ، ٦٨ ، ٩٣ .

وقال فى صالح عليه السلام :

- ﴿رَسُولَاتِ رَبِّى﴾ الأعراف: ٧٩ .

• وذلك لأن قصتهم - عليهم السلام - تَضَمَّنَتْ أنواعًا من التبليغات ، مع طول مدة نوح ؛ فجمع لذلك ، وقصة صالح ليست كذلك فأفرد .

□ ٥٢/٣٣ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ - إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ :

قول الله ﷻ فى سورة الأعراف :

- ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

وفى سورة فصلت :

- ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

• وذلك لأن آية الأعراف نزلت أولاً ، وآية فصلت نزلت ثانياً ، فَحَسُنَ التعريف فى آية فصلت ، أى : هو السميع العليم الذى تقدَّم ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان .

□ ٥٣/٣٣ حَقٌّ مَعْلُومٌ - حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ :

قول الله ﷻ :

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٧٤﴾ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٧٥﴾﴾ المعارج .

- ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (١١) الذاريات .

المراد بآية الذاريات: الصدقات النوافل؛ لقرينة تقدّم ذكر النوافل، والمراد بآية المعارج: الزكاة؛ لتقدم ذِكْرِ الصلاة، لأنها معلومة مقدّرة .

□ ٥٤/٣٣ متاعًا بالمعروفِ حقًا على الْمُحْسِنِينَ - متاعٌ بالمعروفِ حقًا على الْمُتَّقِينَ :

قول الله ﷻ في موضعين من سورة البقرة:

- ﴿وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْوَسْعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْفَقْرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٠) .

- ﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٢١) .

• الآية الأولى في المطلقة قبل الفرض والدخول، فالإعطاء في حقها إحسان لا في قبالة شيء ، وهو - وإن أوجبه قومٌ - في الصورة مجرد إحسان؛ فناسب قوله ﷻ: ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ .

• والآية الثانية في المطلقة الرجعية، والمراد بالمتاع عند المحققين: النفقة، ونفقة الرجعية واجبة؛ فناسب قوله ﷻ: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ، ورجّح أن المراد به النفقة: أنه ورد عقيب قوله ﷻ: ﴿مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ البقرة: ٢٤٠ . والمراد به: النفقة، وكانت واجبة قبل النسخ، ثم قال ﷻ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتِ﴾ فظهر أن المراد به: النفقة في عدة الرجعية، بخلاف المطلقة البائن بخلع، فإنَّ الطلاق من جهتها، فكيف تُعطى المتعة التي شُرِعتْ جبرًا للكسر بالطلاق، وهى الراغبة فيه وباذلة المال فيه؟ كما أنه تقدم حكم الخلع، وحكم عدة الموت، وحكم المطلقة بعد التسمية، وبقي حكم المطلقة الرجعية، فيُحمل عليه .

□ ٥٥/٣٣ إن تُبْدُوا شَيْئًا - إن تُبْدُوا خَيْرًا :

قول الله ﷻ :

- ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾

النساء .

- ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَاتِبٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ الأحزاب .

• مفعول ﴿تُبْدُوا﴾ في آية النساء ﴿خَيْرًا﴾ ؛ وذلك في مقابلة ذكر السوء في الآية السابقة، وهي قول الله ﷻ :

- ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ النساء : ١٤٨ .

فجاء الخير هنا في مقابلة السوء، ثم نبّه على ترك الجهر من المظلوم إما بعدم المؤاخذه أو العفو .

• أمّا مفعول ﴿تُبْدُوا﴾ في آية الأحزاب فهو أعمُّ الألفاظ : ﴿شَيْئًا﴾ ، وسياق الآية ذكر علم الله ﷻ بما في القلوب ؛ وذلك لتقدم قوله ﷻ : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الأحزاب : ٥١ . وكلمة (ما) اسم موصول مشترك بين المفرد والجمع، وبين العاقل وغير العاقل، فهو عامُّ الدلالة؛ فناسب ذلك استعمال اللفظ الدال على العموم خيرًا كان أو شرًا، كما أنَّ آية الأحزاب نزلت في شأن نساء النبي ﷺ ، والمراد : إن تبّدوا في أمر نساء النبي ﷺ شيئًا أو تخفّفوه، باللفظ الأعمّ؛ تخويفًا لهم .

□ ٥٦/٣٣ فلا تقربوها - فلا تعتدوها :

قول الله ﷻ في موضعين من سورة البقرة :

- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ البقرة : ١٨٧ .

- ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا﴾ البقرة: ٢٢٩ .

• الآية الأولى وردت في سياق ذكر المحرمات أثناء الصيام والاعتكاف، واقتصرت على ذكر هذه المحرمات (من الأكل والشرب والوطء)؛ فناسب ذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ ، لأنها جميعاً مُحَرَّمَات .

• أما الآية الثانية فقد وردت في سياق ذكر أحكام متعددة: في النكاح، وأحكام الطلاق والعدة والإيلاء والرجعة، وليست جميعها من المحرمات؛ لذلك كان لفظ ﴿فَلَا تَعْدُوهَا﴾ أليق بالمعنى المراد، أى: لا تتجاوزوا هذه الأحكام التى يبينها الله لكم فيما هو حلال وما هو حرام؛ ولذلك خُتِمت الآية بقوله ﷻ:

- ﴿وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

وخُتِمت الآية التالية بقوله ﷻ:

- ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ .

□ ٥٧/٣٣ فاتوا بسورة من مثله - فاتوا بسورة مثله - فاتوا بعشر سور مثله :

قول الله ﷻ فى التحدى بالقرآن :

- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة .

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يونس .

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود .

• في سورة البقرة بُدِئَت الآية بقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ، وهو تقرير لكون القرآن منزلاً من عند الله ﷻ ، ومعنى ﴿مِنْ مِّثْلِهِ﴾ : أَنَّهُ تَنَزَّلَ مَعَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنْ طَلَبِ الْمِمَاطِلِ إِلَى طَلَبِ شَيْءٍ مِمَّا يِمَاطِلُ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : لَا أَكْلِفْكُمْ بِالْمِمَاطِلَةِ التَّامَةِ ، بَلْ حَسْبَكُمْ أَنْ تَأْتُوا بِشَيْءٍ فِيهِ جِنْسُ الْمِمَاطِلَةِ وَمُطْلَقُهَا ، وَبِمَا يَكُونُ مِثْلًا عَلَى التَّقْرِيبِ لَا التَّحْدِيدِ ، وَهَذَا أَقْصَى مَا يُمْكِنُ مِنَ التَّنَزُّلِ ؛ وَلِذَا كَانَ هُوَ آخِرُ صَبْغِ التَّحْدِي نَزُولًا ، فَلَمْ يَجِئِ التَّحْدِي بِلَفْظِ ﴿مِنْ مِّثْلِهِ﴾ إِلَّا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ الْمَدْنِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْمَرَاتِ بِلَفْظِ (مِثْلِهِ) فِي السُّورِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ .

• وآية يونس بُدِئَت بقوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ ، وجاء الرد عليهم : فَأَنْتُمْ الْفَصَحَاءُ الْبُلْغَاءُ فَهَلْ تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلَ الْقُرْآنِ فِي فَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ؟ وَكَذَا فِي آيَةِ هُودٍ . . . إِلَّا أَنَّ آيَةَ هُودٍ زَادَتْ لَفْظَ (عَشْر)؛ وَذَلِكَ لِلتَّنَدُّجِ فِي التَّحْدِي بِالْقُرْآنِ ، فَتَحْدَاهُمْ أَوَّلًا أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ ، ثُمَّ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَعَجَزُوا وَأَقْرَبُوا بِعَجْزِهِمْ وَخَضَعَتْ لِكَلَامِ اللَّهِ أَعْنَاقُهُمْ .

□ ٥٨/٣٣ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا - ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا :

قول الله ﷻ :

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ الزمر: ٢١ .

وقال ﷻ في موضع آخر :

- ﴿كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ الحديد: ٢٠ .

• استعمل لفظ الجعل في آية الزمر؛ لأن الفعل أُسْنِدَ إِلَى اللَّهِ ﷻ وكذا ما قبله ، وهو قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ . فالله ﷻ هو الفاعل ، فَعُبِّرَ

بالفعل الدال على قدرة الله ﷻ، وهو (يجعل).

• أما في آية الحديد فاستعمل لفظ الكَوْن؛ لأنَّ الفعل مُسند إلى النبات، وكذا ما قبله، وهو قوله ﷻ: ﴿كَمْثِلَ غَيْثٍ أَحْبَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾، فاستعمل الفعل الدالُّ على اتصاف النبات بهذه الصفة، وهو ﴿يَكُونُ﴾؛ لأن المراد وصف النبات في مرحلة من مراحل تكوُّنه، والنبات لا يُكوِّن نفسه ولا يُحدِّث النمو بذاته؛ لذلك ناسب استعمال الفعل ﴿يَكُونُ﴾، وليس (يجعل).

□ ٥٩/٣٣ وبدا لهم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا - وبدا لهم سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٥٨) الزمر.

وفي موضع آخر قال ﷻ:

- ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٦٢) الجاثية.

• هناك خلاف يسير بين لفظ الآيتين، ففي الزمر استعمل لفظ ﴿كَسَبُوا﴾؛ لوقوعه بين عدة ألفاظ من مادة (ك س ب)، فقبله قول الله ﷻ:

- ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٦٤).

وبعده قول الله ﷻ:

﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥٩) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٩).

• وفي آية الجاثية استعمل الفعل ﴿عَمِلُوا﴾؛ لوقوعه بين عدة ألفاظ من مادة (ع م ل)، فقبله قول الله ﷻ:

﴿وَرَبِّى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يُنَاطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾ .

وبعده قوله ﷻ:

- ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ .

وهذا الأسلوب فى تجانس الألفاظ داخل السياق أو السورة خاصة من خصائص القرآن الكريم .

وقد عبرت سورة الزمر بالفاظ الكسب إشارة إلى نوعين من الكسب:

○ كسب حقيقى، وهو كسب الحسنات .

○ وكسب زائف، وهو كسب السيئات .

وكسب الحسنات يُراد به الإشارة إلى حُسن اختيارهم وحُسن عملهم، وعلى النقيض من ذلك استعمل الكسب فى السيئات تبكيًا وتقريعًا لهم، وكأنما قيل لهم: أردتم الكسب فماذا كسبتم لأنفسكم؟ والمراد: جنيتم على أنفسكم السيئات .

وهذا الأسلوب القرآنى من استعمال اللفظ الدال على الخير فى الدلالة على الشر، يُراد به بيان المفارقة والتناقض فى موقف هؤلاء، نحو قوله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الانشقاق: ٢٤ .

وأما العمل فهو لفظ عام يتضمن الخير والشر، فعُبر به عن الحسنات والسيئات؛ ولذلك جاء فى سياق ذكر أنواع مختلفة من عمل الخير والشر، لتقوم المقارنة فى ذهن المعتبر المتدبر المتأمل؛ فإن الإحساس بالخسارة يعظم حينما يُقَارَن عمل السوء بعمل الخير وما لهما من جزاء، فبضدّها تمييز الأشياء .

□ ٦٠/٣٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ - إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ:

قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران: ٩ .

وفي آخر السورة:

- ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران: ١٩٤ .

• الأول خبر من الله ﷻ بتحقيق البعث والقيامة .

• والثاني في سياق السؤال والجزاء، فكان الخطاب فيه أذعى إلى الحصول .

□ ٦١/٣٣ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ - كَذَلِكَ نَطْبَعُ:

قول الله ﷻ:

- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠١ .

- ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ يونس .

• آية الأعراف تقدم عليها قول الله ﷻ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ

مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ الأعراف؛ فناسب التصريح باسم
الجلالة .

• وآية يونس تقدم عليها أفعال مبدوءة بالنون الدالة على تعظيم الذات

الإلهية، في قوله ﷻ:

- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴿٢٢﴾ ؛ فَنَاسِبُ ﴿نَطَعُ﴾ بالنون .

□ ٦٢/٣٣ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ - يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأنعام : ٢٥ .

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٦) يونس .

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ (٢٧) يونس .

• آية الأنعام فى أبى جهل والنضر وأبى لما استعموا قراءة النبى ﷺ على سبيل الاستهزاء، فقال النضر: أساطير الأولين، فلما قلَّ عددهم أفردَ الضمير مناسبةً للمُضمَرين .

• وآية يونس عامة؛ لتقدّم الآيات الدالة على ذلك، كقوله ﷻ : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يونس : ٤٠؛ فناسب ذلك ضمير الجمع، وأفردَ ﴿مَنْ يَنْظُرُ﴾ ؛ لأن المراد: نظر المستهزئين، فأفردَ الضمير .

□ ٦٣/٣٣ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ - تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ :

قول الله ﷻ فى سورة التوبة :

- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُواهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢٤) .

قال البقاعى :

• "نَبَّهَ عَلَى عَمُومِ رِيَّهَا وَكَثْرَةِ مَائِهَا بِنَزْعِ الْجَارِ (مِنْ) عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ^(١)،
فَقَالَ: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾، أَى هِى كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ . . . وَلَعَلَّ
تَخْصِيسَ هَذَا الْمَوْضِعِ بِالْخِلَافِ (يَعْنِى أَنَّهُ الْمَوْضِعُ الْوَحِيدُ الَّذِى خِلَا مِنْ
حَرْفِ الْجَرِّ)؛ لِأَنَّهُ يَخْصُ هَذِهِ الْأُمَّةَ، فَلَعَلَّهَا تُخْصُ بِجَنَّةٍ هِىَ أَعْظَمُ الْجَنَّاتِ
رِيًّا وَحَسَنًا وَزِيًّا"^(٢).

□ ٦٤/٣٣ مِنْ عِنْدِنَا - مِنْ لَدُنَّا:

قول الله ﷻ فى سورة الكهف:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ١٥ .

قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى:

• "عِنْدَ" فى لسان العرب لِمَا ظَهَرَ، و"لَدُنْ" لِمَا بَطَنَ؛ فَيَكُونُ الْمُرَادُ
بِالرَّحْمَةِ: مَا ظَهَرَ مِنْ كَرَامَاتِهِ، وَبِالْعِلْمِ: الْبَاطِنُ الْخَفِيُّ الْمَعْلُومُ قِطْعًا أَنَّهُ
خَاصٌ بِحَضْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَأَهْلُ التَّصَوُّفِ سَمَّوْا الْعِلْمَ بِطَرِيقِ الْمَكَاشِفَةِ: الْعِلْمَ
اللَّدُنِّى، فَإِذَا سَعَى الْعَبْدُ فِى الرِّيَاضَاتِ يَتَزَيَّنُ الظَّاهِرُ بِالْعِبَادَةِ، وَتَتَخَلَّى النَّفْسُ
عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْقُوَّةُ الْعَقْلِيَّةُ قُوَّةً صَافِيَةً، وَرَبَّمَا كَانَتْ
النَّفْسُ بِحَسَبِ أَصْلِ الْفِطْرَةِ نَوْرَانِيَّةً إِلَهِيَّةً عَلَوِيَّةً قَلِيلَةً التَّعَلُّقِ بِالْحَوَادِثِ الْبَدَنِيَّةِ،
شَدِيدَةً الْاسْتِعْدَادِ لِقَبُولِ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ، فَتَشْرِقُ فِيهَا الْأَنْوَارُ الْإِلَهِيَّةُ وَتَفِيضُ
عَلَيْهَا مِنْ عَالَمِ الْقُدْسِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ، فَتَحْصِلُ الْمَعَارِفُ وَالْعُلُومُ مِنْ غَيْرِ
تَفَكُّرٍ وَتَأَمُّلٍ، فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّى^(٣).

(١) قرأ ابن كثير: "تجرى من تحتها".

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، للبِقَاعِى .

(٣) تفسير النيسابورى ١٩٧/٥، ٢٠٤، تفسير أبى السعود، تفسير الخازن، تفسير
النسفى .

• ورحمة من عندنا: هما الوحي والنُّبوءة كما يشعر بذلك تنكير الرحمة واختصاصها بجانب الكبرياء: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ، أى: علمًا خاصًا لا يُكْتَنَّهُ كُنْهٌ ولا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، وهو علم الغيوب .

□ ٦٥/٣٣ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ - يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ:

قول الله ﷻ:

- ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ النساء: ٤٦، المائدة: ١٣ .

- ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ المائدة: ٤١ .

• فى الآية الأولى جاءت (عن) لإفادة معنى المجاوزة؛ وذلك لأنها فى سياق ذكر اليهود الأوائل الذين كانوا يتجاوزون ما قال الله لهم، نحو تحريفهم كلمة (حِطَّة) إلى (حنطة) ونحو ذلك من التجاوز .

• أما الآية الأخرى فجاء فيها حرف الجر (من) ثم الظرف (بعد)؛ للتعبير عن فعل اليهود المعاصرين للنبي ﷺ وتغييرهم ما ثبت فى التوراة وآمنوا به، كآية الرجم ونحوها، فجاء بالظرف (بعد)؛ للدلالة على البُعد الزمنى، وسُبق الظرف بحرف ابتداء الغاية؛ لإفادة معنى إسراعهم فى تغيير ما استقر عليه من نصوص التوراة بمجرد أن علموا ببعثة سيدنا محمد ﷺ .

□ ٦٦/٣٣ يسومونكم سوء العذاب يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ - يسومونكم سوء العذاب وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ يَجْنَيْكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ البقرة: ٤٩ .

- ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ إبراهيم: ٦ .

• جملة ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ في آية البقرة بدل من ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ ؛ وَخُصَّ الذَّبْحُ بالذكر لِعَظَمِ وقعه عند الأبوين، ولأنه أشد على النفوس .

• وفي إبراهيم تقدم قوله ﷻ: ﴿وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ إبراهيم: ٥ ؛ فناسب العطف على سوم العذاب، للدلالة على أنه نوع آخر، كأنه قال: يعذبونكم ويذبحون ، ففيه يعدد أنواع النعم التي أشير إليها بقوله تعالى: ﴿وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ ؛ ليحصل نوع من تعدد النعم بأن أنجاهم من محن متعددة .

□ ٦٧/٣٣ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها ... - ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها ... :

قول الله ﷻ:

- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ النحل: ٦١ .

- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ فاطر: ٤٥ .

• آية النحل جاءت بعد وصف الكفار بأنواع كفرهم، من اتخاذهم إلهين اثنين، وشركهم في عبادة غير الله ﷻ، وجعلهم للأصنام نصيباً من مالهم، ووَاد البنات، وغير ذلك، وكلُّ ظلم منهم ناسب قول الله ﷻ: ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ ، وأما ﴿عَلَيْهَا﴾ في هذه الآية - والمراد الأرض - فإنه مستعمل شائع في كلام العرب؛ لظهور العلم به بينهم، وأيضاً لكرهية أن يجتمع ظاءان في جملتين

معاً؛ لأن الفصاحة تأباه .

- ولم يتقدم في فاطر ما جاء في النحل من أوصاف الكفار، فقال ﷺ:
- ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ ، للدلالة على العموم، وقد خلت هذه الآية من حرف
- الظاء، فقال ﷺ: ﴿ظَهَرَهَا﴾ ، مع ما فيه من تفنن الخطاب .

□ ٦٨/٣٣ وَإِنْ يَمْسَسْكَ خَيْرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - وَإِنْ يُرْذَكَ خَيْرٌ
فلا رادَّ لفضله:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِشَيْءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٧٧ الأنعام .
- ﴿وَإِنْ يُرْذَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يونس: ١٠٧ .
- في آية الأنعام عُبر عن الخير بالفعل ﴿يَمْسَسْكَ﴾ ، وجواب الشرط فيها: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .
- وفي آية يونس عُبر عن الخير بالفعل ﴿يُرْذَكَ﴾ ، وجواب الشرط فيها: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ .

واستوى الموضعان في الضر؛ لأن الضر إذا وقع لا يكشفه إلا الله ﷻ .
وأما الخير فقد يُراد قبل نيله بزمنٍ إماً من الله ﷻ، ثم يُنيله بعد ذلك، أو
من غيره، فهما حالتان: حالة إرادته قبل نيله، وحالة نيله، فذكرت الحالتان
في السورتين .

- فآية الأنعام تذكر الخير حالة نيله؛ فعبر عن ذلك بالمسّ المُشعر بوجود
الخير، ثم قال الله ﷻ: ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، أى: على ذلك وعلى

خيرات بعده، وفيه بشارة بنيل أمثاله .

• وآية يونس تذكر حالة إرادة الخير قبل نيّله، فعبر عن ذلك بفعل الإرادة: ﴿يُرَدِّكَ﴾ قال ﷻ: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ ، أى: إذا أَرَادَه قبل نيّله؛ ولذلك قال ﷻ: ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ .

وفى الآيتين بشارة للنبي ﷺ بإرادة الخير ونيّله إياه .

□ ٦٩/٣٣ ولم يكن جبارًا عصيًا . وسلامٌ عليه - ولم يجعلنى جبارًا شقيًا . والسلام على:

قول الله ﷻ فى يحيى عليه السلام:

- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ ٤٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝ ٤٥﴾ مريم .

وفى عيسى عليه السلام:

- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْنَا وَلَمْ يَجْعَلْنَا جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ ١٩﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ٢٠﴾ مريم .

• الآية الأولى إخبارٌ من الله ﷻ ببركته وسلامه عليه، والآية الثانية إخبار عيسى عن نفسه؛ فناسب عدم التزكية لنفسه بنفى المعصية، أدبًا مع الله ﷻ، وقال: ﴿شَقِيًّا﴾ : بعقوب أمّى، أو بعيدًا من الخير . وقوله:

﴿وَالسَّلَامُ﴾ معرفًا، أى: السلام المتقدم على يحيى على دائما .

□ ٧٠/٣٣ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث - ما يأتيهم من ذكر من الرحمن:

قول الله ﷻ:

- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ① الأنبياء .

- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ تُحَدِّثُوا إِلَّا كَأَنَّهُمْ مُمْرِسِينَ﴾ ② الشعراء .

• فى آية الأنبياء تقدّم قول الله ﷻ: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ ① الأنبياء: ١، وذكر إعراضهم وغفلتهم، وهو وعيد وتخويف؛ فناسب ذكر الرب المالك ليوم القيامة، المتولّى ذلك الحساب .

• وفى آية الشعراء تقدّم قول الله ﷻ: ﴿إِنْ شَأْنُ يُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ الشعراء: ٤ . لكن لم يفعل ذلك؛ لعموم رحمته للمؤمنين والكافرين، لم يشأ ذلك، ويقوّى ذلك تكرير قوله ﷻ فى السورة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ① [الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١] .

□ ٧١/٣٣ ولسليمان الريح عاصفة - فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ ① الأنبياء: ٨١ .

- ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ② ص .

العاصفة: الشديدة، والرخاء: الرخوة . فكيف اجتمع له الضدّان؟

• والجواب أنها كانت رخوة طيبة فى نفسها، عاصفة فى مرورها كما قال

﴿عَذُوبَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ سبا: ١٢، أو أَنَّ ذلك كان باعتبار حالين على حسب ما يأمرها سليمان ﷺ .

□ ٧٢/٣٣ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا... يَفْسُقُونَ - فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ... يَظْلِمُونَ :

قول الله ﷻ :

- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٥٩) البقرة .

- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (١٦١) الاعراف .

• لما سبق في الأعراف تبويض الهادين بقوله ﷻ : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٦١) ؛ ناسب تبويض الظالمين منهم بقوله ﷻ : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ، ولم يتقدّم مثل ذلك في البقرة، وقوله ﷻ : ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليس فيه تصريح بنجاة غيرهم، وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا؛ لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشد وقعاً من الإنزال؛ فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في البقرة، وختم آية البقرة ﴿يَفْسُقُونَ﴾ ولا يلزم منه الظلم، والظلم يلزم منه الفسق؛ فناسب كل لفظ سياقه .

● تنوع أدوات الربط:

○ اللام - أن:

□ ٧٣/٣٣ يريدون أن يطفئوا نور الله - يريدون ليطفئوا نور الله:

قول الله ﷻ:

- ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ التوبة .

وقال ﷻ فى موضع آخر:

- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) الصف .

● استعملت الأداة (أن) لربط الجملتين (يريدون، يطفئوا) فى آية التوبة؛ لأن (أن) وما بعدها فى تأويل مصدر فى موقع مفعول (يريدون) ، والتقدير: يريدون إطفاء نور الله .

● بينما استعملت اللام فى آية الصف؛ لأن المفعول محذوف تقديره: يريدون الاطفاء؛ لأجل إطفاء نور الله بأفواههم ، واللام هى الحرف المناسب للدلالة على العليلة .

ويظهر هذا فى ختام الآيتين، فأية التوبة خُتمت بقول الله ﷻ:

- ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .

بينما خُتمت آية الصف بقوله ﷻ:

- ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .

فلما أُظهِرت (أن) فى بدء آية التوبة؛ أُظهِرت فى ختامها، وحيث لم تظهر فى بدء آية الصف؛ لم تُذكر فى ختامها . وهذا من بديع التناسق التركيبى والتوازن الرائع بين جمل القرآن الكريم .

○ السين - سوف :

□ ٧٤/٣٣ فسوف يأتيهم - فسيأتيهم :

قول الله ﷻ :

- ﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ⑤ الانعام .

وفى موضع آخر قال ﷻ :

- ﴿فَقَدْ كَذَبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ⑥ الشعراء .

• فى آية الأنعام جاء الحرف الدال على الاستقبال (سوف) مع تفصيل المكذب به : ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ؛ لأن المقام هنا مقام تفصيل لنبوة النبى ﷺ والمعجزات الدالة على صدقه ، حيث لم يتقدم فى السورة تفصيل ذلك .

• بينما فى سورة الشعراء صُرح فى الآية السابقة بذكر القرآن الكريم ، وهو أعظم معجزات النبى ﷺ ، فى قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ⑤ .

وبناء آية الشعراء على الإيجاز ؛ فناسب هذا الإيجاز حذف المكذب به المذكور من قبل : ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ، وناسب أن يكون اللفظ الدال على الاستقبال هو السين .

○ بين الخطاب بالنداء والخطاب بغير نداء :

□ ٧٥/٣٣ يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم - اذكروا نعمة الله عليكم :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَلْقَوُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ المائدة : ٢٠ .

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إبراهيم: ٦ .

• جاء النداء بـ (يا قوم) فى آية المائدة؛ لأنه أبلغ وأخص فى سياق التنبيه، وفيه إشارة إلى العناية بالمنادى واختصاصه بالخطاب، فكان النداء مناسباً هنا؛ لأن آية المائدة تذكر أعظم النعم وأشرفها على بنى إسرائيل: من إعطائهم النبوة، والملك، والمن والسلوى؛ ولذلك تكرر النداء أيضاً فى الآية التالية:

- ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَفْئِدِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ .

• أما آية إبراهيم فجاءت فى سياق ذكر إنقاذ الله لبنى إسرائيل من بطش فرعون، وقد مضى على ذلك زمان، فهى نِعَمٌ غائبة عن أذهانهم وليست حاضرة كنعم النبوة والملك والمن والسلوى؛ فناسب هنا حذف النداء .

○ بين التوكيد وعدمه:

□ ٧٦/٣٣ فلا تكوننَّ من الْمُتَمَرِّينَ - فلا تكن من الْمُتَمَرِّينَ:

قول الله ﷻ فى سورة البقرة:

- ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ (٧٦) .

وفى سورة آل عمران:

- ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ (١٥) .

• أكَّد الفعل بالنون فى آية البقرة ليناسب ما تقدم من كلام مؤكَّد بالنون ولام القسم، فى قول الله ﷻ:

- ﴿فَدَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَيْسَكَ قِبَلَةٌ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٩٣﴾ .

• ولم يتقدم ذلك فى آل عمران؛ فجاء الفعل خالياً من نون التوكيد .

□ ٧٧/٣٣ ويكون الدين لله - ويكون الدين كله لله :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٩٣ .

- ﴿وَقَتْلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ الأنفال: ٣٩ .

• نزلت آية البقرة فى السنة الأولى من الهجرة، وأنشد كان كبار المشركين وطغاتهم أحياء، ولم يكن للمسلمين أملٌ فى إسلامهم على تلك الحال؛ فناسب ذلك قوله ﷻ : ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ ، أى : الدين الذى أنتم عليه .

• أمّا آية الأنفال فقد نزلت بعد مقتل كبار المشركين فى غزوة بدر؛ فكان للمسلمين آنشد أن يأملوا فى إسلام أهل مكة عامة، فأكد الدين بلفظ ﴿كُلُّهُ﴾ ، أى : لا يُعبدُ سوى الله ﷻ ، ولا يكون هناك دين آخر سوى دين الله .

□ ٧٨/٣٣ قادر - بقادر :

قول الله ﷻ :

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾

- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ﴾ يس: ٨١
 - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَنِينَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْمَوْتَى﴾ الأحقاف: ٣٣ .

- فى آية الإسراء ﴿قَادِرٌ﴾ خبر (أَنَّ) المثبتة؛ فلم تدخله الباء .
- وفى آية يس ﴿يَقْدِرُ﴾ خبر (ليس) النافية؛ فدخلت الباء فى خبرها .
- وفى الأحقاف لما أكد النفى بنفى ثانٍ وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَنِينَ﴾؛
 ناسب دخول الباء فى ﴿يَقْدِرُ﴾ .

○ بين التوكيد بضمير الفصل وعدمه:

□ ٧٩/٣٣ الذى خلقنى فهو يهدين . . . - والذى يميننى ثم يُخَيِّن:

فى سورة الشعراء خمس آيات متوالية تذكر بعض نعم الله على الإنسان، ثلاث منها جاءت مؤكدة بالضمير (هو)، والرابعة والخامسة خلتا من هذا التوكيد، وهى قول الله ﷻ:

- ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝﴾ .

• السرُّ فى توكيد الآيات الثلاث الأولى هو أن الأفعال المذكورة فيها ممَّا يمكن للبشر أن يدَّعوه، أمَّا الموت والحياة وغفران الخطايا يوم القيامة فليس مما يمكن لأحد أن يدَّعيه، فلم يَحْتَجْ إلى توكيد وإعلام بأن هذا من الله ﷻ لا من غيره .

□ ٨٠ / ٣٣ ما يدعون من دونه هو الباطل - ما يدعون من دونه الباطل :

قول الله ﷻ فى سورة الحج :

- ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ١٧ .

وقال ﷻ فى سورة لقمان :

- ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَإِنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٢٠ لقمان : ٣٠ .

• أكد الخبر فى الجملة الثانية من آية الحج بضمير الفصل (هو)؛ ليشق البناء مع ما تقدم من أساليب التوكيد المختلفة باللام، وضمير الفصل (هو)، والنون، وإن، فى قوله ﷻ :

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُنُوتُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٥٨ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٦١ .

وأيضاً ليشق مع ما تقدم من أساليب التوكيد المختلفة فى قوله ﷻ :

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ٦٢ لَمْ يَأْتِ السَّمَكُوتَ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْحَاكُمْ ثُمَّ يُثَبِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٥﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦٧ .

• أما آية لقمان فجاء الخبر فيها خاليًا من ضمير الفصل فى الجملة الثانية: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ ؛ حيث لم يتقدمها مثل ذلك من أساليب التوكيد .

□ ٨١/٣٣ وهم بالآخرة كافرون - وهم بالآخرة هم كافرون:

قول الله ﷻ فى سورة الأعراف:

- ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ ٥١﴾ .

وقال ﷻ فى سورة هود:

- ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُفُورُونَ ١١﴾ .

• آية الأعراف جاءت مطابقة للقاعدة اللغوية والقياس التركيبى، والتقدير: وهم كافرون بالآخرة . لكن تقدم الجار والمجرور لإحداث تناسق بين فواصل الآيات المختومة بالوار والنون .

• أما فى آية هود فأعيد الضمير ﴿هُمْ﴾ للتوكيد؛ لأنهم وُصفوا فى هذه السورة بالظلم والكذب على الله ﷻ، وحلَّت عليهم اللعنة بظلمهم؛ فناسب ذلك توكيد أنهم ﴿هُمْ﴾ بالآخرة كافرون .

□ ٨٢/٣٣ إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبِّكُمْ - إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبِّكُمْ:

قول الله ﷻ فى سورة آل عمران:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١﴾ .

وقال ﷻ فى سورة الزخرف:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ١١﴾ .

• زيدَ لفظ ﴿هُوَ﴾ فى آية الزخرف ؛ لأنها لم تُسبق بما يدل على توحيد الله ﷻ وعبودية المسيح ﷺ لله ، فجاء لفظ ﴿هُوَ﴾ لتوكيد انفراد الله ﷻ بالربوبية وحده . أما آية آل عمران وكذا آية مريم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾ فتقدمهما آيات دالة على توحيد الله ﷻ وقدرته وعبودية المسيح له ؛ مما أغنى عن التوكيد بالضمير .

□ ٨٣/٣٣ وبنعمة الله يكفرون - وبنعمة الله هم يكفرون :

قول الله ﷻ :

- ﴿أَفَيَاْبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ النحل : ٧٢ .

- ﴿أَفَيَاْبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾ العنكبوت : ٦٧ .

• أثبت ضمير الغائب (هم) فى آية النحل ؛ لأن سياقها للمخاطب وهو قول الله ﷻ فى أول الآية : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ ، ثم حدث التفات وانتقل من المخاطب إلى الغائب ، فجاء الضمير الغائب هنا - بالإضافة لما فيه من التأكيد - إشارة إلى غياب وعيهم وفقدان القدرة على إدراك نعم الله وإحساناته .

• أما آية العنكبوت فاستمرت من أولها إلى آخرها للغائب ، ولا ضرورة إذن لذكر ضمير الغائب فى آخر الآية .

□ ٨٤/٣٣ وإنَّ عليك اللعنة - وإنَّ عليك لعنتى :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٢٥﴾ الحجر .

- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٧٨ : ص .

• أثبت ضمير المتكلم فى الآية الثانية؛ لما تقدم من قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ يَإِيبْلِسُ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾ ص: ٧٥ .

فلما أضاف خلق آدم إليه ﷻ؛ تشريفاً له وتكريماً، فلذلك أضاف لعنة إبليس، طرداً له وخذلاناً، وزيادة فى كرامة آدم؛ لأن طرد عدوه ولعنه فيه مزيد من التكريم والتشريف لآدم ﷺ .

• بينما خلت آية الحجر من الإضافة إلى الضمير، وجاء لفظ (اللعة)

على العموم؛ لأنه لم يذكر قبلها خلق آدم مضافاً إلى الله ﷻ .

○ الجمع بين علامتين للمخاطب:

□ ٨٥/٣٣ أرايتم - أرايتكم:

من الظواهر الفريدة فى القرآن الكريم - على مستوى التركيب - الجمع بين علامتين للمخاطب، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعِزَّ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٥ ﴿الأنعام .

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةٍ أَوْ جَهَنَّةٍ هَلْ يُمْسِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٤٧ ﴿الأنعام .

وليس لهذا التركيب فى العريّة نظير؛ لأنه جمع بين علامتين للمخاطب هما التاء والكاف ، وفى سائر المواضع: (أرايتم) كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرْ كَيْفَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ ٤٦ ﴿الأنعام .

- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يونس .
 - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يونس .

- علامة الخطاب للتنبيه، فالجمع بين علامتين يدل على أن الأمر المنبه عليه شديد الخطر، ولا مزيد على خطره، وهو الإهلاك والعذاب المبالغت .
- وليس فيما سوى هذين الموضعين ما يدل على هذا؛ فاكتمى في سائر المواضع بضمير واحد للمخاطب هو التاء .

○ التوكيد باللام:

□ ٨٦/٣٣ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ - إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ:

قول الله ﷻ في سورة الأنعام:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٥﴾﴾ .

وفي الأعراف:

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ .

- لم يُؤكَّد خبر (إِنَّ) باللام في آية الأنعام؛ لأنه تقدم عليه قول الله ﷻ:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ . وهذا يشير إلى الكرم والإحسان؛ فناسبه توكيد المغفرة وترك توكيد العقاب .

- أما آية الأعراف فقد تقدَّم عليها ذكر ارتكابهم ما يغضب الله وعذابه (من استحلال السبت واتخاذهم العجل . . . إلخ)؛ فناسب هنا أن يُؤكَّد العقاب باللام .

□ ٨٧/٣٣ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ - إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ :

قول الله ﷻ في سورة طه :

- ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۖ﴾ (٥٦) .

وفي سورة غافر :

- ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ (٥١) .

• استعملت أداتان للتوكيد فى آية غافر، هما (إِنَّ)، واللام؛ وذلك لأن المخاطب بها هم الكفار، فاقضى ذلك قوة تأكيد الخبر .

• أما آية طه فالمخاطب بها هو سيدنا موسى ﷺ، وحاشاه أن يشك فى خبر أخبر به الله ﷻ، فلم يقتض توكيد الخبر كما فى آية غافر .

□ ٨٨/٣٣ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ - فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ :

قول الله ﷻ فى سورة النحل :

- ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِّدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۖ﴾ (١٦) .

وفي سورة الزمر :

- ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِّدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۖ﴾ (٢٧) .

• أثبتت لام التوكيد فى آية النحل؛ لما تقدم عليها من ذكر شدة كفرهم وضلالهم وإضلالهم غيرهم، وكذلك جاء ذكر جزاء المتقين مؤكداً باللام فى الآية التالية: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۖ﴾ (٢٥) .

• أما آية الزمر فلم يتقدم عليها مثل ذلك؛ فلم يؤكد أسلوب الذم باللام .

● تنوع الاسم الموصول:

○ ما - ماذا:

□ ٨٩/٣٣ ما تعبدون - ماذا تعبدون:

قول الله ﷻ في سورة الشعراء:

- ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ .

وفى الصفات:

- ﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ .

● الاستفهام ب (ما) هو سؤال عن حقيقة معبوداتهم؛ ولذلك أجابوه:

- ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَنكِينَ ﴿٧٦﴾﴾ .

● وأمّا الاستفهام ب (ماذا) فليس استفهاماً حقيقياً، وإنما هو استفهام إنكارى للتقريع والتوبيخ؛ ولذلك أتم كلامه بقوله:

- ﴿أَفَنُكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ .

وقد فهموا أنه قصد بسؤاله توبيخهم والإنكار عليهم، فلم يجيبوه فى آية

الصفات .

○ ما - الذى:

□ ٩٠/٣٣ ما كانوا يعملون - الذى كانوا يعملون:

قول الله ﷻ فى سورة النحل:

- ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ .

وفى سورة الزمر:

- ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٥) .

• خُصَّتْ آية الزمر بالاسم الموصول (الذي)؛ لموافقة ما قبله، وهو قول الله ﷻ: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ . وقوله ﷻ:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٢٣) .

• وَخُصَّتْ آية النحل بالاسم الموصول (ما)؛ لموافقة ما قبله، وهو قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٥) ، وقوله ﷻ في مطلع الآية رقم (٩٦): ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ .

○ ما - مَنْ :

□ ٩١/٣٣ من في السماوات والأرض - ما في السماوات وما في الأرض :

قول الله ﷻ:

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا هُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ (١٥) .
الرعد .

- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢١) .
النحل .

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨) .
الحج .

• غُبِرَ عن فاعل السجود في آيتي الرعد والحج بالاسم الموصول (مَنْ) الدال على العاقل ؛ لأن الموضعين يختصان بالعاقل ، فأية الرعد تقدمها قول الله ﷻ:

- ﴿لَمْ دَعُوهُ لَحَقٌ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْطِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝﴾ .

وقبله بقليل:

- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝﴾ .

وآية الحج تقدمها قول الله ﷻ:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝﴾ .

فبدأ بـ (مَنْ) الدالة على العاقل، ثم ذكر سجود الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب . . . إلخ .

• أمّا آية النحل فهي عامة في العاقل وغيره؛ لذلك غُلب فيها غير العاقل - وهو الأكثر بين مخلوقات الله ﷻ - ، وقد تقدم عليها قول الله ﷻ:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظُلُمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۝﴾ .

وكذا قول الله ﷻ:

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يونس: ٥٥ .

وقال ﷻ بعده:

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يونس: ٦٦ .

وبعده قوله ﷻ:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يونس: ٦٨ .

• الآية الأولى تقدمها قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ . فأغنى لفظه عن إعادته مع العلم بالمعنى .

• والآية الثانية تقدمها قوله ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ آلَ عَمْرَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ، فقال: ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ، إشارة إلى أنهم لا يضررونك فيما لم يقدره الله ﷻ؛ لأنهم ملكه وعبيده وفي تصرفه .

• والآية الثالثة أولها قوله ﷺ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أى هو الغنى المطلق عن كل شيء من اتخاذ الأولاد للقوة والظفر وغير ذلك، فأكد بزيادة (ما) لأن السياق يقتضيه .

□ ٩٢/٣٣ بعد الذى جاءك - بعد ما جاءك - من بعد ما جاءك:

قول الله ﷻ فى موضعين من سورة البقرة:

- ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمُ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٥٥﴾ .
- ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمُ أَهْوَاءُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ١٥٦﴾ .

وقال الله ﷻ فى سورة الرعد:

- ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمُ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾
الرعد: ٣٧ .

• الاسم الموصول (الذى) أبلغ فى التعريف والوصف والاستغراق من الاسم الموصول (ما)، لذلك جاء فى الآية الأولى، لأنها تضمنت اتباع عموم أهوائهم فى كل ما كانوا عليه من الباطل، والآية تبدأ بقوله ﷻ: - ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ بِلَهُمْ﴾ .

أى: تتبعهم فى كل أمرهم، فجاء فى عَجَز الآية أكثر الألفاظ عمومًا وشمولًا وتعريفًا وهو (الذى)، دون أن يُسَبَق بحرف (مِنْ) الدال على الابتداء .

• وجاء الاسم الموصول (ما) فى آية البقرة رقم (١٤٥)؛ لأنها لا تتضمن

العموم والشمول كآية الأولى، بل أريدَ بها اتباع بعض أهوائهم، وهو اتباع القبلة، والمراد: من بعد ما جاءك من العلم بأن قبلة الله هي الكعبة، وهذا بعض من العلم؛ فناسبه (ما). وجاءت (مِنْ) الدالة على ابتداء الغاية؛ لأن تقدير الكلام: ولئن اتبعت أهواءهم (في شأن القبلة) من الوقت الذي جاءك فيه العلم بها.

● وفي سورة الرعد جاء الاسم الموصول (ما) أيضًا؛ لأن المراد: بعد ما جاءك من العلم في ذلك البعض الذي أنكروه، وقد تقدم في الآية السابقة مباشرة قول الله ﷻ:

- ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبَ يَقْرُحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ﴾
الرعد: ٣٦.

ولم تُذكر (مِنْ) كما في آية البقرة رقم (١٢٠)؛ لأنها - أيضًا - غير مؤقنة بزمن كما في آية القبلة.

○ الإيجاز أو الإطناب في التراكيب القرآنية:

□ ٩٣/٣٣ فمتاع الحياة الدنيا - فمتاع الحياة الدنيا وزينتها:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا﴾ القصص: ٦٠.

- ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلَئِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الشورى.

● زاد في آية القصص: ﴿وَزَيَّنَّهَا﴾؛ لأن هذه السورة فصّلت أنواع الرزق تفصيلًا واستوعبتها، فجاء لفظ المتاع ليدل على كل ما يُتَنَفَّع به من مأكّل ومشرب وملبس ونكاح، وجاء لفظ الزينة للدلالة على كل ما يتجمل به

الإنسان وهو قادر على الاستغناء عنه .

• أما آية الشورى فاقصر فيها على لفظ المتاع للدلالة على ما لا غنى عنه، دون ذكر الزينة؛ فكل ما طلبوه هو النجاة والأمن في الحياة .

فناسبت كلتا الآيتين سياقها، وليس في أيٍّ منهما زيادة في اللفظ ولا نقص، فالتركيب القرآني يتفق دائماً مع مقتضيات المعنى .

□ ٩٤/٣٣ - كُتِبَ لَهُمْ - كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ :

قول الله ﷻ :

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَرْغِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ التوبة: ١٢٠ .

وقال ﷻ في الآية التالية :

- ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢١) .

• بزيادة ﴿عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ في الآية الأولى؛ وذلك لأن الآية الأولى تضمنت ما ليس من عملهم، فبين بكرمه ﷻ أنه يُكْتَبَ لَهُمْ بذلك عمل صالح، وإن لم يكن من عملهم .

• والآية الثانية تضمنت ما هو من عملهم القاصدين له، فقال ﷻ :

﴿كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي: ثواب ذلك العمل .

□ ٩٥/٣٣ وما أنتم بمعجزين في الأرض - وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ العنكبوت: ٢٢ .

وفى موضع آخر قال ﷻ :

- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ الشورى: ٣١، دون ذكر السماء .

• جمعت آية العنكبوت بين الأرض والسماء؛ لأن المخاطب بها هم النمرود وقومه، وقد كان النمرود يظن أن بإمكانه أن يصل إلى السماء، ف قيل لهم إنهم لا يُعْجِزُونَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَهُمْ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَلَا يُعْجِزُونَ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ .

• أما آية الشورى فاقْتَصَر فيها على ذكر الأرض؛ لأن المخاطب بها مؤمنون لا يعتقدون القدرة على الصعود في السماء

□ ٩٦/٣٣ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا - كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا :

وفى بعض الآيات نجد تراكيب زائدة على ما فى آيات أخرى نحو قول الله ﷻ :

- ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الحج: ٢٢ .

- ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ السجدة: ٢٠ .

• وسر زيادة تركيب الجار والمجرور ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ فى آية الحج هو ما تقدم على هذه الآية من ذكر تفاصيل العذاب وألوانه كالثياب المقطعة لهم من

النار، وَصَّبَ الحميم من فوق رءوسهم . . . إلى آخره؛ فناسب ذكر الغم في هذه الآية .

• بينما لم يتقدم في السجدة سوى ﴿فَمَا وَهُمْ نَارُ﴾ ولم تُذكر ألوان العذاب؛ فناسب عدم ذكر الغم هنا .

وكذلك جاء وصف نعيم الجنة مفصلاً في سورة الحج، ومجماً في سورة السجدة؛ ليقابل كلُّ مُقَابِلِهِ . وهذا التوازن من السمات الإعجازية في القرآن الكريم .

□ ٩٧/٣٣ يريد أن يخرجكم من أرضكم - يريد أن يخرجكم من أرضكم
بسحره:

قول الله ﷻ في سورة الأعراف:

- ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ .

وقال ﷻ في سورة الشعراء:

- ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ الشعراء: ٣٥ .

• الكلام في آية الأعراف جاء على لسان الملائكة، وآية الشعراء من كلام فرعون، ولما كان هو أشدّهم في رد أمر موسى ﷺ صرّح بأنه سحر، ويؤيده قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ طه: ٥٧، قاصداً بذلك كله تنفير الناس عن متابعة موسى ﷺ .

□ ٩٨/٣٣ بلغ أشدّه - بلغ أشدّه واستوى:

قول الله ﷻ في يوسف ﷺ:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يوسف: ٢٢ .

وفى موسى عليه السلام:

- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ القصص: ١٤ .

• وذلك لأن يوسف عليه السلام نبّه على ما يُراد منه قبل بلوغ الأربعين برؤياه الكواكب، وبالوحي حين أُلقيَ في الجبّ، وإلهامه علم التعبير، وغير ذلك كان في زمان حدّاته، وهو تعريض بما يُراد منه .

• أمّا موسى عليه السلام فلم يعلم المراد منه ولا نبّه عليه قبل بلوغ الأربعين وقبل مفارقة شعيب؛ فناسب فيه قوله ﷺ: ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ ، لا سيما على قول الأكثر: إن الاستواء بلوغ الأربعين؛ لأنها كمال العقل والنظر .

□ ٩٩/٣٣ وأنزل من السماء ماء - وأنزل لكم من السماء ماء:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٣٢ .

- ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ النمل: ٦٠ .

• جوابه: أنه لما قال هنا: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ ، وأقرن (لكم) بالرزق كان أبلغ في النعمة والمنّة؛ لذا أغنى ذكرها آخرًا عن ذكرها أولًا .

• وفى النمل صَدَّرَ ﴿لَّكُمْ﴾ مع ﴿وَأَنْزَلَ﴾ للمنة، وليس ثمّ ما يُغنى عنها فى المنّة عليهم .

□ ١٠٠/٣٣ رسولاً منهم - رسولاً من أنفسهم - رسولٌ من أنفسكم:

قول الله ﷻ:

- ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ البقرة: ١٢٩ .

- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسْمَةَ﴾ آل عمران: ١٦٤ .

- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٨) التوبة .

- جاءت آية البقرة فى سياق دعاء إبراهيم عليه السلام أثناء بنائه الكعبة المشرفة .
- أما الآيتان الأخريان فهما فى سياق تعداد المنن والنعم الإلهية على عباده المؤمنين، فناسب ذلك ذكر الوصف (من أنفسهم ، من أنفسكم) لمزيد من الرحمة والحنو والإنعام عليهم .

□ ١٠١/٣٣ وما أوتى النبیون - والنبیون:

قول الله ﷻ:

- ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَّا مِن رَّبِّنَا وَلَسْمِعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة .

- ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَّا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨١) آل عمران .

- آية آل عمران تقدّم عليها قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ آل عمران: ٨١

فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيًا .

- بينما لم يتقدّم مثل ذلك في البقرة، فصّرَح فيه بإيتائهم ذلك .

□ ١٠٢/٣٣ جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله - جاهدوا في سبيل الله - جاهدوا معكم:

وفي سورة الأنفال ثلاث آيات تتحدث عن الجهاد، وهى:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الأنفال: ٧٢ .

- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٣) الأنفال: ٧٤ .

- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَهِدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ الأنفال: ٧٥ .

• تضمّنت الآيات الثلاث ذكر الإيمان والهجرة والجهاد، إلا أن الجهاد في الآية الأولى ذُكر مقترناً بتركيبين للجار والمجرور هما: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

• وحُذف الأول منهما في الآية الثانية، اكتفاءً بوروده في الأولى .

• وحُذف كلا التركيبين في الآية التالية اكتفاءً بما في الآيتين اللتين قبلها .

وهذا سرٌّ من أسرار النظم القرآنى المعجز؛ لأنك لا تجد لفظاً ولا جملة ولا تركيباً غير مفيد، فلا مجال لوجود الزوائد فى هذا الكتاب الحكيم .

□ ١٠٣/٣٣ فأردت - فأردنا - فأراد ربك:

فى سورة الكهف تنوعات كبيرة للضمائر، ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ .

- ﴿فَأَرْدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَحْمَةً خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ .

- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٧﴾﴾ .

• في الآية الأولى أسند الخضرُ الفعلَ إلى نفسه فقال: ﴿فَأَرْدْتُ﴾ ؛ تأديبا مع ربه ﷻ ، فأسند العيب إلى نفسه .

• أما في الآية الثانية فقال: ﴿فَأَرْدْنَا﴾ مسندا الفعل إلى (نا) الفاعلين ، أى : أردت أنا قتلَ الغلام ، وأراد الله أن ينقذ والديه من الكفر ويبدلهما خيرا منه .

• أمّا الخير المحض فأسنده إلى الله ﷻ ، فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ ؛ لأن ذلك خير محض ، فنسبه إلى الله ﷻ وهو وحده المتفضل بالإحسان والنعمة على عباده .

• التنوع في أساليب العطف:

○ الواو - الفاء :

□ ١٠٤/٣٣ ومن أظلم - فمن أظلم :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الأنعام : ٢١ .

وفي موضع آخر قال ﷻ :

- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ يونس : ١٧ .

• استعملت الواو في آية الأنعام: ﴿وَمِنْ﴾ ؛ لأنَّ ما تقدمها من آيات عطفَت الجمل فيها بالواو: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾
﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ، كما أن آية الأنعام ليس ما قبلها سبباً لما بعدها؛ فجاءت بالواو المؤذنة بالاستئناف .

• واستعملت الفاء في آية يونس: ﴿فَمَنْ﴾ ؛ لأن الآيات المتقدمة عليها عُطِفَ بعضها على بعض بالفاء نحو قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١١) .

كما أن آية يونس ما قبلها سبب لما بعدها؛ فجاءت بالفاء المؤذنة بالسببية فبرأته من إشراكهم، وعلمهم بحاله سبب لكونهم أظلم، فكأنما قيل: إذا صحَّ عندكم أنه صدق، فمن أظلم ممن افترى .

□ ١٠٥/٣٣ وكلا - فكلا:

قول الله ﷻ في سورة البقرة:

- ﴿وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥) .

وفى سورة الأعراف:

- ﴿وَبَقَا يُدْأَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) .

• استعملت الواو في آية البقرة: ﴿وَكُلَا﴾ ؛ لأنَّ القول فيها مسندٌ إلى الله ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ﴾ ، فناسب زيادة الإكرام بالواو الدالة على الجمع بين

السكنى والأكل ؛ ولذلك قال في هذه الآية: ﴿رَعَدَا﴾ ، وقال: ﴿حَيْثُ شِتْمًا﴾ ؛ لأنه أعم .

• واستعملت الفاء في الأعراف: ﴿فَكَلَّا﴾ ؛ لأنه ليس فيها قول مُسْنَدٌ إلى الله ﷻ ، كما أن السكنى فيها: اتخاذ المسكن، فجاءت الفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها ؛ لأن الأكل يكون بعد الاتخاذ، ولذلك لم يذكر في هذه الآية: ﴿رَعَدَا﴾ ، وقوله ﷻ في آية الأعراف: ﴿مِنْ حَيْثُ شِتْمًا﴾ لا يعطى عموم معنى ﴿حَيْثُ شِتْمًا﴾ في آية البقرة .

□ ١٠٦/٣٣ ولما - فلما :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٨ هود .

فهذه الآية كان العطف فيها بالواو، بينما كان العطف بالفاء في قصة صالح ولوط - عليهما السلام - في قول الله ﷻ :

- ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ هود: ٦٦ ، ٨٢ .

• الآية الأولى تقص ما كان من أمر هود عليه السلام وقومه، وهود لم يحدد لعذابهم موعدًا ولم يتوعددهم بعذاب قريب، فجاءت الواو .

• أما الآيتان الأخريان فقد حدد النبيان صالح ولوط - عليهما السلام - لقومهما موعدًا قريبًا للعذاب، فقال لهم صالح عليه السلام :

- ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ ١٥ .

وأوحى الله إلى لوط عليه السلام :

- ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١) .

ولهذا جاءت الفاء الدالة على السرعة والتعقيب والسببية أيضًا .

○ ثم - الفاء :

□ ١٠٧/٣٣ ثم انظروا - فانظروا :

قول الله ﷻ :

- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١) . الانعام .

وفي مواضع أخرى :

- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ النمل : ٦٩ ، العنكبوت : ٢٠ ، الروم : ٤٢ .

● (ثم) تدل على التراخي وطول الزمن ، واستعملت في آية الأنعام لكثرة ما ورد في هذه السورة من الأمر بالنظر والتأمل للبلاد والآثار ، وذلك كثير ؛ فناسبه (ثم) ، لأنه يحتاج إلى وقت طويل ، ونظر متعمق زمانًا بعد زمان .

● ولم يتقدم مثل ذلك في سائر المواضع الأخرى ، فجاءت الفاء الدالة على التعقيب والسرعة في حدوث المعطوفين ؛ للإشارة إلى وجوب السير والنظر معًا .

□ ١٠٨/٣٣ فأعرض عنها - ثم أعرض عنها :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ الكهف : ٥٧

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ السجدة : ٢٢ .

الإعراض إمّا مصادمة وردّ من غير مهلة ، وإما أن يكون عن مهلة وروية .

● فلما تقدم في الكهف قول الله ﷻ : ﴿وَيَجْعِدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا

بِهِ اَلْقَىٰ وَاتَّخَذُوا عَآئِنِي وَمَا اُنْذِرُوا هَزُوًا ﴿٢٠﴾ ؛ ناسب ذلك الفاء المؤذنة بالتعقيب بالإعراض منهم عند مجادلتهم ودحضهم الحق .

• ولم يتقدم مثل ذلك فى السجدة، بل قال ﷺ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ السجدة: ٢٠، أى استمروا على فسقهم؛ فناسب ذلك: ﴿ثُمَّ﴾ المؤذنة بالتراخى .

○ ثم - الواو:

□ ١٠٩/٣٣ ثم تُرْذُونَ - وَسُتْرُذُونَ:

قول الله ﷻ فى موضعين من سورة التوبة:

- ﴿وَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرْذُونَ إِلَىٰ عِلَلِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٩) .

- ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِّرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ سُرُذُونَ إِلَىٰ عِلَلِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١١٠) .

• فى الآية الأولى كان العطف بالواو؛ لأنها عطف على ما قبلها: ﴿قَدْ بَيَّأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ ، وهى فى المنافقين، ولا يَطَّلِع على ضمائرهم إلا الله ﷻ، وما يُعْلِمُهُ لرسوله ﷺ؛ ولذلك اقتصر فيها على الله ورسوله . وجاءت ﴿ثُمَّ﴾ فى آخر الآية؛ لأن المراد بها الوعيد بالعذاب الذى ينتظر المنافقين فى الآخرة، فاستعملت ﴿ثُمَّ﴾ الدالة على البعد الزمنى والتراخى .

• بينما فى الآية الثانية استعملت الفاء؛ لأنها فى شأن المؤمنين، فجاءت الفاء الدالة على السببية، أى: بسبب ما تعملون سيرى الله عملكم . وعطف على الفاعل: ﴿وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ؛ لأن أعمال المؤمن ظاهرة لكل الناس . وجاءت الواو فى ختام الآية لأنها فى مقام الوعد لا الوعيد ، فالواو والسين تؤذنان بقرب الجزاء والثواب ، وبُعد العقاب ؛ فالمنافقون يُؤخَّر جزاؤهم عن نفاقهم إلى

موتهم ، فناسب ﴿ثُمَّ﴾ والمؤمنون يثابون على العمل الصالح في الدنيا والآخرة لقوله تعالى : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ النحل : ٩٧ .

□ ١١٠/٣٣ ثم مأواهم جهنم - ومأواهم جهنم :

قول الله ﷻ :

- ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ آل عمران : ١٩٧ .

وفي مواضع أخر قال ﷻ :

- ﴿وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ﴾ التوبة : ٧٣ ، ٩٥ ، الرعد : ١٨ ، التحريم : ٩ .

• جاءت ﴿ثُمَّ﴾ في آية آل عمران ؛ لأن هذه الآية قد سُبِّتَ بقوله ﷻ :

- ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (١٦١) .

وتقبلهم في البلاد يستغرق وقتاً وإن كان قليلاً ، فذكر حرف العطف الدال على التراخي : (ثم) .

• أما الآيات الأخرى فقد عُطفت بالواو لأنها لم تتضمن ما يدل على التراخي أو وجود فاصل زمني ؛ فناسب ذلك العطف بالواو الدالة على الاشتراك في الحكم دون الدلالة على التراخي . فمثلاً في آية الرعد :

- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَفِيهَا هُمْ فِي الْهَادِ﴾ (١٦١) .

وهذان في الآخرة وليس بينهما فاصل زمني . وفي الآيات الأخرى لم تُذكر الحياة الدنيا ومتاعها ، فجاء فيها بالواو دون (ثم) ؛ لإفادة وقوع هذه الأحكام جميعها عليهم .

● بين إثبات الواو وحذفها:

□ ١١١/٣٣ نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ - وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ:

قول الله ﷻ:

- ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١١١﴾﴾ آل عمران .

وفي موضع آخر قال ﷻ:

- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ العنكبوت .

● زيدت الواو في آية آل عمران؛ لاتصالها بما سبق من آيات تذكر صفات المؤمنين، نحو قول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٢١﴾﴾ ، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ ، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ ، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَآ فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ، ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ .

فناسب ذلك ورود واو العطف؛ إشارة إلى التعدد والتفخيم . ولم يتقدم ذلك في آية العنكبوت فجاء ختامها خاليًا من الواو .

□ ١١٢/٣٣ لكل أمة - ولكل أمة:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ الحج: ٣٤ .

وقال في آخر السورة:

- ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ الحج: ٦٧ .

• الآية الأولى تقدّمها ما هو من جنسها وهو ذكر الحج والمناسك؛ فحسّن فيه العطف عليه، بخلاف الثانية فإنه لم يتقدّمها ما يناسبها؛ فجاءت ابتدائية، وبيان ذلك قوله ﷺ: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ (١٨) الحج، ثم قال ﷺ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْ لَهُ أَسْلَمُوا وَيَشِرِ الْمُخْتَلِفِينَ﴾ (٢٢) الحج .

□ ١١٣/٣٣ ما أنت - وما أنت :

قول الله ﷻ في قصة صالح عليه السلام في سورة الشعراء:

- ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ (١٥٤) .

وفى قصة شعيب عليه السلام في سورة الشعراء أيضًا:

- ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِیْنَ﴾ (٨١) .

• حُذفت الواو في كلام قوم صالح؛ لأن قولهم: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾ هو بدلٌ من قولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِیْنَ﴾، فلم يغلطوا له ولا اقترحوا عليه آية معينة .

• وأمّا قوم شعيب ففي خطابهم غلظ عليه وشطط واقتراح ما اشتبهوه من الآيات، فقولهم: ﴿وَمَا﴾ جملة ثانية معطوفة على ما قبلها، فعابوه بأنه من المسحّرين، وبأنه بشر مثلهم، وأنه من الكاذبين، واقترحوا الآية عليه؛ فناسب أولُ كلام قوم صالح آخره، وأولُ كلام قوم شعيب آخره .

□ ١١٤/٣٣ لقد أنزلنا آيات مبينات - ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات :

قول الله ﷻ :

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ النور: ٣٤ .

وقال ﷻ بعده :

- ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ النور: ٤٦ .

بحذف الواو، و(إليكم) .

• الآية الأولى جاءت بعد ما تقدّم قبلها من المواعظ والآداب والأحكام؛
فناسب العطف عليه بالواو، وزيد فيها ﴿إِلَيْكُمْ﴾ ؛ لأنها عقب تأديب
المؤمنين وإرشادهم، فكانها خاصة بهم .

• والآية الثانية عامّة؛ لأن آيات القدرة للكل غير خاصة، ولذلك قال تعالى
بعده: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

□ ١١٥/٣٣ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا - وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا :

فى سورة الزمر نقرأ قول الله ﷻ :

- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

وبعده قوله ﷻ :

- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ .

• أثبتت الواو فى سياق ذكر أهل الجنة؛ وهذه الواو للحال، أى : جاءوها وقد فُتحت أبوابها قبل وصولهم إليها؛ إكرامًا لهم وحفظًا من وقوفهم أمام أبواب مغلقة .

• أما أهل النار فلا تُفتح لهم الأبواب إلَّا بعد وصولهم ووقوفهم أمامها مُهانين أذلاء؛ فلم تُستعمل واو الحال لهذا المعنى .

ويؤيد هذا الفهم قول الله ﷻ فى وصف الجنة :

- ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ۖ﴾ ص .

□ ١١٦/٣٣ سواءٌ عليهم - وسواءٌ عليهم :

قول الله ﷻ فى سورة البقرة :

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ .

وفى سورة يس :

- ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ .

• جملة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ فى آية البقرة خبر (إن)، فلم تُقترن بواو العطف .

• أما فى سورة يس فهى جملة مستقلة معطوفة على الجمل التى قبلها :

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْٓ أَغْشَٰئِهِمْ أَغْشَٰلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ .

□ ١١٧/٣٣ لقد أرسلنا - ولقد أرسلنا :

قول الله ﷻ :

- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩) الأعراف .

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٦٥) هود .

- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ﴾ المؤمنون : ٢٣ .

• آية الأعراف لم يتقدمها دعوى نبوة ولا ردٌّ من قومٍ مُدَّعى ذلك عليه، فهو كلام مبتدأ .

• وفى هود والمؤمنون تقدّم ما يُشعر بذلك، وهو قوله ﷺ فى سورة هود: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٧) ، فحسن العطف عليه بالواو، وتسليّة للنبي ﷺ، وتخويفاً لقومه بقوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ هود: ١٢، وقوله ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرُّهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) . وأما آية المؤمنون فتقدّم عليها ذكر نعم الله ﷻ على عباده بحملهم على الفلك الذى كان سبباً لوجودهم ونسلهم؛ فعطف عليه بالواو بقوله ﷺ: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (١٤) ؛ ولأنه تقدّم قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ المؤمنون: ١٧؛ فناسب العطف عليه بالواو .

• بين إثبات الفاء وحذفها:

□ ١١٨/٣٣ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ - فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ:

قول الله ﷻ فى سورة الأعراف:

- ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (١٥) .

وفى سورتي الحجر و ص:

- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٢٧) الحجر، ص: ٨٠ .

○ سر إثبات الفاء فى آيتى الحجر وص: أن القول هنا جاء إجابة لسؤال عدو الله إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦) الحجر، ص: ٧٩، فلما أثبتت الفاء فى السؤال أعيدت فى الإجابة؛ ليكون الكلام على نسق واحد .

● وسر حذفها فى آية الأعراف أن سؤال إبليس خلا من الفاء:

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤) ؛ فناسب أن تخلو الإجابة من الفاء أيضًا . هذا على مستوى تناظر التراكيب .

وعلى مستوى الدلالة:

● لا وجه للفاء فى آية الأعراف؛ لأن جملة ﴿أَنْظِرْنِي﴾ جملة مستأنفة غير مُسَبَّبة عما قبلها .

● أما فى آيتى الحجر وص، فجاءت الفاء؛ لأن الجملة مُسَبَّبة عما قبلها، والتقدير: إن أخرتنى فأنظرنى . فهو فى معنى الشرط، وجواب الشرط يقترب بالفاء إن كان فعل طلب .

□ ١١٩/٣٣ لهم أجر غير ممنون - فلهم أجر غير ممنون:

قول الله ﷻ:

- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (١٥) الانشقاق .

- ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ التين .

● الاستثناء فى سورة الانشقاق منقطع بمعنى (لكن)، ولتنظر إلى الآيات السابقة: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٣) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٣٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ

يَعَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٣﴾ ؛
 فالانتقال هنا إلى صنف مغاير ؛ لذا فلم تحتج الجملة للفاء ؛ لأنها على معنى
 الاستدراك ، أما سورة التين فلاستثناء فيها متصل فتم الكلام به ، فقد سبق
 قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَتَسْفَلُ سَفِيلِينَ ﴿٥﴾﴾ ؛ لأن المراد بـ ﴿أَسْفَلَ سَفِيلِينَ﴾ :
 هرمه وضعفه وضعف حواسه ، وعدم قدرته على الأعمال ، فصار تقديره :
 لكن من كان يعمل صالحًا ، فإننا لا نقطع ثوابهم وأجورهم بسبب ضعفهم ؛
 كما ورد في الحديث : " إذا اشتكى العبد المسلم قيل للكاتب الذى يكتب
 عمله : اكتب له مثل عمله إذا كان طليقًا ، حتى أقبضه ، أو أطلقه " (١) .

□ ١٢٠/٣٣ سوف تعلمون - فسوف تعلمون :

قول الله ﷻ فى سورة هود :

- ﴿وَيَقَوْمٍ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
 وَمَن هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٢٣﴾﴾ .

وفى سائر المواضع رُبطت الجملتان بالفاء (سوف) ، ومن ذلك قول
 الله ﷻ :

- ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ
 عَذَابَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْفَظْلِيُّونَ ﴿١٢٥﴾﴾ . الأنعام .

• آية الأنعام والمواضع الأخرى التى اقترنت فيها (سوف) بالفاء ، كان الأمر
 فيها أمر وعيد وإنذار من الله بقوله ﷻ : ﴿قُلْ﴾ ؛ فناسب ذلك تأكيد وقوع
 الوعيد بفاء السببية .

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده من طريق عبد الله بن عمرو ، الحديث ٢٠٥/٢ .

• أمّا آية هود فهي من كلام سيدنا شعيب عليه السلام، فلم يتقدّمها الأمر الإلهي (قل)؛ لذا لم تُؤكّد كسائر المواضع الأخرى، وجاءت في صورة جملة مستأنفة .

□ ١٢١/٣٣ قال يا قوم - فقال يا قوم:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُسُوا أَلِكِبَالًا وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرْبُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٩﴾﴾ هود .

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَبْقَرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٩٠﴾﴾ العنكبوت .

• جاءت آية العنكبوت مقترنة بالفاء؛ لأن ما سبقها من آيات قد اقترن بالفاء، كما في قوله ﷻ: ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩١﴾﴾ ، ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ، ﴿فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ ﴿٩٣﴾﴾ : ٢٦ ، ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ .

• بينما خلت آية هود من الفاء؛ لتناسب مع ما سبقها من الآيات قبلها، وهي خالية من الفاء .

وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن في تناسب آياته وتراكيبها .

□ ١٢٢/٣٣ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ - أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ:

تكرّر في عدة مواضع قول الله ﷻ:

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يوسف: ١٠٩، الحج: ٤٦، غافر: ٨٢، محمد: ١٠.

وفي مواضع أخرى:

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الروم: ٩، فاطر: ٤٤، غافر: ٢١.

• كل موضع جاء مقترناً بالفاء فإن ما قبله سبب لما بعده؛ لدلالة الفاء على السببية. وكل ما جاء مقترناً بالواو فليس فيه سببية، بل للعطف والدلالة على الاشتراك:

○ فآية الروم سبقها قول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (٨١)، وتلاها قوله ﷻ: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَحَمَاتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١).

○ وآية فاطر سبقها قول الله ﷻ: ﴿فَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ بُدِيلًا وَلَن يَجْعَلَ لِسَنَتِ اللَّهِ تُحْوِيلًا﴾، وتلاها قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ عَلَىٰ قَدِيرًا﴾ (٢٢).

○ وآية غافر (رقم ٢١) سبقها قول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢٦).

• أما الآيات التي جاء الاستفهام فيها مقترناً بالفاء، فقد وافق التركيب ما قبله وما بعده، على النحو التالي:

○ فآية يوسف سبقها قول الله ﷻ: ﴿أَفَأَمَتُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَنِيمةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ

تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٥﴾ ، وتلاها قوله ﷺ :
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

○ وآية الحج سبقها قول الله ﷻ : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ ﴿٤٥﴾ ، وتلاها قوله ﷻ :
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ﴿٤٦﴾ .

○ وآية غافر (رقم ٨٢) سبقها قول الله ﷻ : ﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ ،
وتلاها قوله ﷻ : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ .

○ وفي سورة محمد ﷺ سبقها قول الله ﷻ : ﴿ فَاحْطَبْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿١﴾ .

فجاء الاستفهام متوافقاً مع سياقه في كل موضع من هذه المواضع .

● بين إثبات (بل) وحذفها :

□ ١٢٣/٣٣ قالوا وجدنا - قالوا بل وجدنا :

قول الله ﷻ في سورة الأنبياء :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا
لَهَا عِبَادِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾ .

وفي سورة الشعراء :

- ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

● بزيادة ﴿بل﴾ في الجواب في آية الشعراء ، وهو حرف إضراب يُراد به نفى
الأول وإثبات الثاني ؛ لأنه قال لهم :

- ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ .

وهو استفهام إنكارى يُراد به النفى ، فجاءت إجابتهم مُصَدَّرَةً بحرف الإضراب ، وكأنهم قالوا : لا ، هم لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضررون ، ولكن وجدنا آباءنا يعبدونهم .

• أما فى آية الأنبياء فلم تُصَدَّرَ الجملة بحرف الإضراب ؛ لأنها إجابة مباشرة عن سؤال إبراهيم عليه السلام :

- ﴿ مَا هَذِهِ أَتَمَّائِلُ إِلَيْهِ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ٥٦ .

• تنوع صور الاستفهام المنفى :

□ ١٢٤ / ٣٣ أَلَمْ - أَوْ لَمْ - أَفَلَمْ :

جاءت الاستفهامات القرآنية التى تشير إلى القدرة والعظمة الإلهية والاعتبار بذلك ، على ثلاث صور :

○ بالهمزة فقط : ﴿ أَلَمْ ﴾ ، كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ ١ . الأنعام .

- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ الأعراف : ١٤٨ .

- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ النحل : ٧٩ .

- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَنِّكُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ النمل : ٨٦ .

- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ٢ . يس .

○ بالهمزة والواو : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا ﴾ ، كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ الرعد : ٤١ .

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيهِمْ ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ النحل .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٩﴾﴾﴾ الإسراء .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَهَّلْنَاهَا مِنْ كُلِّ نَجْعٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾﴾ الشعراء .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٢﴾﴾﴾ العنكبوت .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُورًا وَيُخَفَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنَنْعِمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾﴾﴾ العنكبوت .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾﴾ الروم .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾﴾﴾ السجدة .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧﴾﴾﴾ يس .

- ﴿﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظُنَّ﴾﴾ الملك: ١٩ .

○ بالهمزة والفاء: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ كما في قول الله ﷻ:

- ﴿﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾﴾ سبا: ٩ .

• الآيات التي جاء الاستفهام فيها بالهمزة فقط سياقها يقتضى النظر والاعتبار والاستدلال .

• والآيات التي كان الاستفهام فيها بالهمزة والواو سياقها يقتضى الاعتبار

بالمُشَاهَد الحاضر فقط . ومثلها الآيات التي جاء الاستفهام فيها مقروناً بالفاء، إلا أن الفاء أوثق اتصالاً بما قبلها .

● بين إثبات حرف الجر وحذفه:

□ ١٢٥/٣٣ وتنحتون من الجبال - وتنحتون الجبال:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ الأعراف: ٧٤ .

- ﴿وَكَاَنُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا مَّامِنِينَ﴾ الحجر .

- ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ﴾ الشعراء .

● الأصل في هذا التركيب استعمال حرف الجر (من) الدال على ابتداء الغاية والتبعض معاً، كما في آيتي الحجر والشعراء .

● أما آية الأعراف فقد تقدّم فيها حرف الجر (من) في قوله ﷻ:

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْحِتُونَ مِنْ سُھُولِهَا قُصُورًا﴾ ، فاكتمى بذكرها في الموضع الأول .

كما أن الآية أكّدت تمكينهم واستخلافهم في الأرض، وعُبر عن ذلك بقدرتهم على نحت الجبال لا بعض الجبال .

□ ١٢٦/٣٣ باليّنات والزُّبُر والكتاب المنير - باليّنات وبالزُّبُر وبالكتاب

المنير:

قول الله ﷻ في سورة آل عمران:

- ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (١٨٤) .

وفى سورة فاطر:

- ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (١٤٥) .

• فى آية آل عمران أُثْبِتَ الباءُ فى أول الأسماء الثلاثة المعطوفة:

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فقط؛ وذلك لأنها فى سياق الاختصار والإيجاز، وكذا حُذِفَ فاعل ﴿كَذَّبَ﴾ وُبْنِيَ الفعل للمجهول، كما جاء فعل الشرط ماضياً .. وكل هذا من طرق بناء الكلام على الإيجاز والتخفيف؛ فناسب ذلك أن تُحذف الباء من المعطوفين ليكون نظم الجمل متناسباً ومطبوعاً بسمة أسلوبية موحدة .

• أما فى آية فاطر فأُثْبِتَ الباء فى المعطوفات الثلاثة: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ؛ لأن نظم الآية كلها مبنئ على التفصيل والبسط، فقد ذُكِرَ الفاعل، كما جاء فعل الشرط فى صورة المضارع، وهذا من طرق البسط والتفصيل؛ فناسبه إثبات الباءات الثلاث ليكون الكلام على نسق أسلوبى واحد .

□ ١٢٧/٣٣ وذى القربى - وبذى القربى:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ البقرة: ٨٣ .

- ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ النساء: ٣٦ .

• أثبت الباء في آية النساء: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ، وحذفت من آية البقرة:

﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ ؛ وذلك لأن آية النساء في سياق ذكر الأقارب وأحكامهم في الموارث والوصايا؛ فناسبها أن تُؤكَّد بالباء الدالة على الإلصاق المعنوي، إشارة إلى ضرورة الإحسان بالوالدين وبذِي القربى .

• أما آية البقرة فهي في سياق العهد إلى بنى إسرائيل، ولا تتطلب من التوكيد ما تطلبه سياق آية النساء، فلم تُثَبِّت الباء في (ذِي القربى) .

□ ١٢٨/٣٣ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم - فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه :

قول الله ﷻ :

- ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ النساء: ٤٣ .

وفي موضع آخر:

- ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ المائدة: ٦ .

• كلتا الآيتين في سياق ذكر حكم التيمم . إلا أن آية النساء لم يُثَبِّت فيها حرف الجر (مِنْ)؛ لأنها في سياق النهي عن أداء الصلاة في حال اشتغال الذهن، فلا ضرورة هنا لتفصيل حكم التيمم .

• أما آية المائدة فقد تقدمها ذكر أحكام الوضوء وواجباته مفصلة؛ فناسب إثبات حرف الجر (مِنْ) في حكم التيمم، للإشارة إلى ضرورة الأخذ من الصعيد الطيب ووصوله إلى البدن .

□ ١٢٩/٣٣ فمن يملك من الله شيئاً - فمن يملك لكم من الله شيئاً :

قول الله ﷻ :

- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ المائدة: ١٧ .

- ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ الفتح: ١١ .

• أثبت حرف الجر (اللام) الدال على الاختصاص في آية الفتح؛ لأن المخاطب بها قوم معينون هم الأعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية .

• وخلت آية المائدة من اللام؛ لأن المخاطب بها جميع الناس، فلا وجه فيها للاختصاص .

□ ١٣٠/٣٣ يغفر لكم ذنوبكم - يغفر لكم من ذنوبكم :

هناك ثلاثة مواضع في القرآن الكريم خوطب بها الكافرون بشأن غفران ذنوبهم، وهى قول الله ﷻ :

- ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِكُمُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إبراهيم: ١٠ .

- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ الأحقاف: ٣١، نوح: ٤ .

• (مِنْ) فى هذه الآيات مستعملة للدلالة على التبعض؛ لأن الخطاب للكفار، فلم يُسوِّ القرآن بينهم وبين المؤمنين، وإنما خاطب المؤمنين فى شأن غفران الذنوب فلم تُستعمل (مِنْ) كما فى قول الله ﷻ :

- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

آل عمران .

□ ١٣١/٣٣ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً - لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَّا أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ

اللَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ النحل .

وفى موضع آخر :

- ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَّا أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ الحج : ٥ .

• حذف حرف الجر (من) فى آية النحل ؛ لأنها مجملة ، حيث لم تُفصل
مراحل الخلق ؛ فناسب ذلك ألا تُثبت (من) فيها .

• أما آية الحج فقد فصلت مراحل الخلق :

- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا

نَشَاءُ إِلَّا أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَفِّقُ

وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَّا أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ

هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥٠﴾﴾ .

فناسب ذلك إثبات (من) فى آخر الآية .

□ ١٣٢/٣٣ خلائف الأرض - خلائف في الأرض :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَ الْأَرْضِ﴾ الأنعام: ١٦٥ .

وفى موضعين آخرين :

- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يونس: ١٤ .

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ﴾ فاطر: ٣٩ .

• الترابط فى آية الأنعام حدث من خلال الإضافة، فالمركب الإضافى

﴿خَلِيفَ الْأَرْضِ﴾ يتكون من: المضاف ﴿خَلِيفَ﴾ ، والمضاف إليه ﴿الْأَرْضِ﴾ ، وهذا المركب يفيد الملكية، فهم مالكو الأرض المتمكنون منها المهيمنون عليها بما هيأ الله لهم ؛ وذلك لأن آية الأنعام تقدّمها ذكّر نعم الله عليهم، وتكرر ذكر المخاطبين عدة مرات ؛ فناسب ذلك تعريفهم بالإضافة فى ذكر الاستخلاف .

• أما فى آيتى يونس وفاطر فالترابط بين اللفظين تم عن طريق حرف الجر (فى) الدال على الظرفية، وهو الأصل فى مثل هذا التركيب ؛ لأن المخاطب فيها جاء على صورة النكرة، فلم يحسن تعريفه بالإضافة، وإنما جاء ذكر الاستخلاف منكراً ؛ لأنه ليس فى هاتين الآيتين من التمكن والقدرة ما فى سياق آية الأنعام .

• بين ذكر المخاطب بالقول وحذفه :

□ ١٣٣/٣٣ ولا أقول إننى ملك - ولا أقول لكم إننى ملك :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ الأنعام: ٥٠ .

وفى موضع آخر:

- ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ هود: ٣١ .

• فى آية الأنعام ذكر المقول له فى صورة ضمير الخطاب (الكاف) مسبقاً بلام التبليغ؛ لأنه لم يتقدم سوى مرة واحدة .

• أما فى آية هود فحُذفت اللام والضمير لتقدمهما عدة مرات، فحذفت هنا تخفيفاً للفظ .

□ ١٣٤/٣٣ ألم أقل إنك - ألم أقل لك إنك:

قول الله ﷻ فى موضعين متقاربين من سورة الكهف:

- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف: ٧٢ .

- ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ الكهف: ٧٥ .

زيادة (لك) فى الآية الثانية؛ لأنه لما تكرر إنكار موسى على الخضر - عليهما السلام - شدد عليه الخضر وأكد كلامه بلام التبليغ وضمير الخطاب (لك) فى المرة الثانية، أما فى المرة الأولى فلم يذكر لام التبليغ وكاف الخطاب تلطفًا وتأدبًا معه .

• بين إثبات نون الوقاية وحذفها:

□ ١٣٥/٣٣ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ - وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا

إليه:

قول الله ﷻ:

- ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١١٧﴾﴾ هود .

وفى موضع آخر:

- ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١١٨﴾﴾ إبراهيم .

• فى آية هود أثبتت نون الوقاية مع (إِنَّ)، وحُذفت من الفعل المضارع (تدعوننا) ؛ على العكس فى آية إبراهيم ؛ حيث تجاورت الكلمتان فى القرآن كلما أثبتت النون فى (إِنَّا) حُذفت من الفعل المضارع (تدعوننا)، وكلما حُذفت من (إِنَّا) أثبتت فى الفعل المضارع (تدعوننا) .

التقديم والتأخير

□ ١٣٦/٣٣ وهذا كتاب أنزلناه مبارك - وهذا ذكر مبارك أنزلناه:

قول الله ﷻ:

- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ الأنعام: ١٥٥ .

- ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء: ٥٠ .

• فى آية الأنعام قُدمت جملة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ وصفًا لكتاب الله ؛ لأنها فى سياق الرد على اليهود وادعائهم أن الله ما أنزل على البشر من شىء، فكان تنفيذ زعمهم أولًا للاهتمام به، ثم وصف كتاب الله بالمبارك .

• أما آية الأنبياء فجاءت على وفق القاعدة الأصلية وهى: تقديم الصفة المفردة على الصفة الجملة؛ لأنها فى سياق وصف كتاب الله لا الرد على من

زعم عدم إنزال الله على بشر من شيء .

□ ١٣٧/٢٨ لا إله إلا هو خالق كل شيء - خالق كل شيء لا إله إلا هو :

قول الله ﷻ فى سورة الأنعام:

- ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٥٧﴾﴾ .

وفى سورة غافر:

- ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَقُولُوا

- قُذِّمَتْ كلمة التوحيد على وصف (الخالق) فى آية الأنعام؛ لتقدم ذكر الشريك وزعم المشركين لله البنات، فجاء نفي الشرك وإثبات التوحيد أولاً، ثم تلاه ذكر الخلق .

• وفى آية غافر قُذِّمَ وَصَفُ (الخالق)؛ لأنها سُبِقَتْ بذكر الخلق فى قول الله ﷻ:

- ﴿لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ .

فجاء ذكر الخلق أولاً فى الآية رقم (٦٢)، ثم كلمة التوحيد .

فَقُذِّمَ فى كل سورة ما تقتضيه الآيات السابقة وتناسق المعانى والتراكيب .

□ ١٣٨/٣٣ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى - وجاء من أقصى

المدينة رجل يسعى:

قول الله ﷻ فى سورة يس:

- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٥) ﴿

وفى سورة القصص:

- ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّىٰ ابْنَ الْاَلَمَلَاءِ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاُخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (١٥) ﴿.

• فى آية يس قُدم الجار والمجرور ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ ؛ لأن الرجل جاء ناصحاً لهم فى شأن مخالفة دينهم، فمجيئه من البعد أنسب لدفع التهمة والتواطؤ عنه؛ فقُدم ذِكْرُ البعد لذلك . وفى آية القصص لم يكن نصحه لترك أمر يشق تركه كالدين، بل لمجرد نصح موسى ﷺ؛ فجاء على الأصل فى تقديم الفاعل على الجار والمجرور .

□ ١٣٩/٣٣ لقد وَعِدْنَا نحن وآبَاؤَنَا هذا من قبل - لقد وَعِدْنَا هذا نحن وآبَاؤَنَا من قبل:

قول الله ﷻ فى سورة المؤمنون:

- ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٢) ﴿.

وقال ﷻ فى سورة النمل:

- ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٢) ﴿.

• قُدم الضمير ﴿نَحْنُ﴾ فى آية المؤمنون؛ لأنه قد تقدّم عليها ذكر آباءهم بقوله ﷻ: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١) ﴿ المؤمنون: ٨١ . وهم آباؤهم؛ فناسب ذلك تقديم المؤكّد وهو ﴿نَحْنُ﴾ ، ليعطف عليه الآباء المقدّم ذكرهم، ثم تأخير المفعول الموعود لهم جميعاً، وهو المشار إليه بـ ﴿هَذَا﴾ .

• وأُخّر الضمير فى آية النمل؛ لأنها لم يُذكر فيها ﴿الْأَوَّلُونَ﴾ بل قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَيَنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (٧٧) ﴿؛ فناسب تقديم

المفعول الموعود ثم ذكر المؤكّد ليعطف عليه، ثم لم يُذكر أولاً، وحاصله أن تقديم مَنْ تقدّم ذكره أهمّ وأنسب، وتقديم المفعول الموعود وتأخير مَنْ لم يُذكر أهمّ وأنسب .

□ ٣٣/ ١٤٠ نرزقكم وإياهم - نرزقهم وإياكم :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَلَا تَقُولُوا أُولَٰئِكَ مِّنْ أَمْلَئِكَ نَحْنُ نَزُفُّكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الانعام: ١٥١ .
- ﴿وَلَا تَقُولُوا أُولَٰئِكَ خَشِيَءٌ أَمْلَئِكَ نَحْنُ نَزُفُّهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَلْبَهُمُ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ الإسراء .

• قدّم ضمير المخاطب (الكاف) على ضمير الغائب (إياهم) في آية الأنعام؛ لأن الخطاب فيها للفقراء؛ فحسُن أن يقال لهم: ﴿نَزُفُّكُمْ﴾ أولاً، كي يزول ما بكم من فقر، ثم عطف عليهم أولادهم لإفادة معنى: نرزقكم جميعاً .

• أمّا في آية الإسراء فقدّم ضمير الغائب: ﴿نَزُفُّهُمْ﴾ ، وتلاه ضمير المخاطب: ﴿وإياكم﴾ ؛ لأن الخطاب فيها للأغنياء؛ ولذلك استُخدم فيها المفعول لأجله: ﴿خَشِيَءٌ﴾ ، أى: بسبب خوفكم من احتمال تعرّضكم للفقير في المستقبل، فحسُن أن يبدأ برزق الأولاد فليل لهم: ﴿نَحْنُ نَزُفُّهُمْ﴾ فلن يصيبكم فقر بسببهم، ثم تلا ذلك ذكر رزق المخاطبين: ﴿وإياكم﴾ .

□ ٣٣/ ١٤١ السارق والسارقة - الزانية والزانى :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨ .

- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ النور: ٢ .

• قدّم السارق على السارقة فى آية المائدة؛ لأنّ الرجال أقوى وأشدّ جراً وإقداماً على السرقة من النساء . بينما قدّمت الزانية على الزانى فى آية النور؛ لأن ابتداء الزنا هو من شأن النساء؛ لتجملهن وتزيّنهن، وهنّ اللاتى يُمكنّ الرجال من الوقوع فى معصية الزنا .

□ ١٤٢/٣٣ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ - قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ :

قول الله ﷻ :

- ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾

النساء: ١٣٥ .

- ﴿يَتِيمًا الَّذِي مَآمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ المائدة: ٨ .

• آية النساء وردت فى سياق إعراض الرجال عن النساء، والإصلاح بين الزوجين، والإحسان إلى النساء واليتامى بالعدل؛ فناسب ذلك تقديم القيام بالقسط (أى العدل)، والمراد: قوموا بالعدل بين الأزواج وغيرهن، ثم تلا ذلك ذكر الشهادة لله .

• أمّا آية المائدة فقد وردت بعد ذكر أحكام الدّين والوفاء بالعهود والمواثيق وأوامر الله ونواهيه؛ فناسب ذلك تقديم القيام لله، أى: قوموا بما أمركم الله به أو نهاكم عنه، ثم جاء ذكر الشهادة بالعدل .

□ ١٤٣/٣٣ ضراً ولا نفعاً - نفعاً ولا ضراً:

من صور التقديم والتأخير فى القرآن الكريم تقديم أحد المعطوفين فى موضع، وتأخيره مرة أخرى، مع ثبات المعطوفين، نحو قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ المائدة: ٧٦

قُدِّم الضرُّ على النفع فى هذه الآية، وفى مواضع أخرى قُدِّم النفع على الضرر، كما فى قول الله ﷻ:

- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الأعراف: ١٨٨ .

القرآن الكريم يقدِّم النفع على الضرر فى سياقات الدعاء والعبادة؛ لأن النفع فى هذه الأحوال أهمُّ، بينما يقدِّم الضرر على النفع فى سياق المُلْك والقدرة؛ لأن دفع الضرر فى هذه الحال أوجب وأولى من جلب النفع .

والقاعدة الأصولية تُقرَّر أن "دفع الضرر مُقدَّم على جلب النفع"، بل إن دفع الضرر هو فى ذاته وجه من وجوه النفع . ولكن من تمام البيان وفصاحة الكلام أن يُقدِّم النفع فى مقام السؤال والعبادة والضراعة، وأن يُقدِّم الضرر فى مقام ذكر القدرة والمُلْك والعظمة .

وأكثر ما جاء فى القرآن من الجمع بين لفظى النفع والضرر، قُدِّم فيه الضرر على النفع؛ وذلك لأن العابد يعبد ربه خوفاً من عقابه، ثم رجاء ثوابه .

• والمواضع التى قُدِّم فيها الضرر جميعها، لمناسبة ما تقدَّم من لفظ يتضمن معنى الضرر، ففى قول الله ﷻ:

- ﴿يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَّالِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ البقرة: ١٠٢ .

قُدِّم الضرر هنا على النفع؛ لأن سياق الآية يذكر تعلمهم السحر، والسحر يضر أولاً، ثم لا يُرَجَى منه نفع .

وقوله ﷺ:

- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٦) المائدة: ٧٦ .

قُدِّم فيه الضر على النفع؛ لتقدم قول الله ﷻ:

- ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظَرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٧٥) المائدة .

وعبادتهم المسيح ﷺ تضرُّهم أولاً؛ لأنها تعرِّضهم لعذاب الله، ولا تنفعهم مع ذلك؛ ولأنَّ دفع الضرِّ أهمُّ من جلب النفع وإن كانا مقصودين؛ ولأنه يتضمنه أيضاً، فإذا تقدَّم سياق الملك والقدرة كان ذكر دفع الضرِّ أهمَّ، وإذا كان السياق في الدعاء والعبادة والسؤال كان ذكر النفع أولى وأهم؛ لأنه المقصود غالباً بالسؤال ولذلك قال في سورة الحج: ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ أى يدعو بالنفع لمن ضرُّه أقرب من نفعه المطلوب بالدعاء، ومثله قول الله ﷻ:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَّهُمْ خَوَّارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ (٨٨) أَفَلَا يَرْؤْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩) .

وقوله ﷻ:

- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ يونس: ١٨

قُدِّم الضرُّ هنا على النفع؛ لتقدُّم ذكر استعجال الكفار العذاب في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٨) فناسب تقديم الضرِّ على النفع ولذلك قال تعالى بعده ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا﴾ وكذلك كل ما قُدِّم فيه النفع والضرر فلتقدم ما يناسب ذلك التقديم أو تأخيره،

وذلك ظاهر لمن ينظر فيه .

• أما المواضع التي قُدِّم فيها النفع على الضرر؛ فقد ناسبها ما يدل على النفع والرجاء أولاً، ومن ذلك قول الله ﷻ :

- ﴿قُلْ لَا أَمَلُكَ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْغَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ الاعراف .

قُدِّم النفع في هذه الآية، وأُخِّر الضرر، لأن هذه الآية تقدِّمها ذكر الساعة في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ ؛ فناسب في حقِّه تقديم النفع الذي هو ثواب الآخرة، وتأخير الضرر الذي هو عذابها .

وقوله ﷻ :

- ﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ الرعد: ١٦ .

قُدِّم النفع ؛ لأن النفس ترتاح إليه ولا تسأمه ، فقُدِّمه لقوله تعالى : ﴿لَا تُفْسِدُهُمْ﴾ . هذا أمر ، وأمر آخر هو أنه لما قال تعالى : ﴿أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ، والولى دأبه نفع وليه مطلقاً سواء أصابه ضرر أم لم يصبه ، وسواء قدر على دفع الضرر أم لا ؛ فناسب تقديم النفع على الضرر .

وقوله ﷻ :

- ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ سبا: ٤٢ .

سبقه قوله ﷻ :

- ﴿قُلْ إِنْ رَزَقَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ سبا: ٣٦ .

فقُدِّم البسط على القدر؛ فناسب تقديم النفع على الضرر بعده .

وقوله ﷻ :

- ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ الانعام: ٧١ .

لتقدم قوله ﷻ:

- ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ .

وقوله ﷻ:

- ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ يونس: ١٠٦ .

لتقدم قوله ﷻ:

- ﴿وَأَنْ أَقْدِرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ يونس .

فلما قدم هنا الأمر بالتزام الدين الحنيف والنهي عن الشرك؛ ناسب تقديم النفع على الضرر في الآية التالية .

وقول الله ﷻ:

- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ الفرقان: ٥٥ .

لتقدم قوله ﷻ:

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٨٠﴾﴾ .

ثم عددت الآيات نعمًا كثيرة حتى الآية رقم (٥٤)؛ فناسب أن يتقدم النفع المذكور في الآيات السابقة .

وهكذا يتجلى لنا بوضوح أن التقديم والتأخير في الألفاظ القرآنية مرتبط بمعنى الآيات السابقة أو اللاحقة، فيقدم اللفظ الذي يقتضى المعنى تقديمه، ويؤخر ما يستحق التأخير .

□ ١٤٤/٣٣ لعب ولهو - لهو ولعب :

ذُكر اللعب واللهو معطوفين في عدة مواضع من القرآن الكريم، وقد تقدم اللعب في أربعة مواضع، وتقدم اللهو مرتين، ومن شواهدهما :

- ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ الأنعام: ٣٢ .

- ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ العنكبوت: ٦٤ .

• قُدِّم اللعب على اللهو في أكثر المواضع؛ لأن اللعب يكون في الصبا، واللهو في زمن الشباب، وزمان الصبا مقدَّم على زمان الشباب .

• أمَّا في الموضعين اللذين تقدم فيهما اللهو على اللعب، فذلك في القيامة، فذُكر بترتيب ما مضى من زمان الدنيا بالرجوع وراء، كما أن زمان الشباب (أى زمان اللهو) أطول من زمان الصبا (أى زمان اللعب)؛ فبدأت الآيتان الواردتان في سياق الحديث عن القيامة باللهو الذى هو أطول زمانًا، وثُنَّت باللعب، في المقارنة بزمان الآخرة الأبدى؛ ولهذا خُتِمت آية العنكبوت بقول الله ﷻ :

- ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾ .

□ ١٤٥/٣٣ خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار -

اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض :

قول الله ﷻ :

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

﴿١٤٥﴾ آل عمران .

- ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ يونس .

• فى آية آل عمران قُدِّم خلق السماوات والأرض؛ ليناسب ما تقدم فى الآية السابقة من قوله ﷻ:

- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ .

فأتبع مُلْكُ السماوات والأرض بخلقهما، ثم اختلاف الليل والنهار .

• أما فى آية يونس فقُدِّم اختلاف الليل والنهار؛ ليناسب ما تقدم فى الآية السابقة من قوله ﷻ:

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ .

والشمس والقمر آيتا الليل والنهار، وعدد السنين والحساب إنما يُعرف باختلاف الليل والنهار . ثم تلا ذلك ذكر ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ٦﴾ .

□ ١٤٣/٣٣ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء:

قول الله ﷻ:

- ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ البقرة: ٢٨٤ .

- ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المائدة: ٤٠ .

• قُدِّمَت المغفرة وأُخِّرَ العذاب فى آية البقرة المذكورة - وكثير من الآيات - ترغيباً فى المسارعة بطلب المغفرة، وإشارة إلى سعة رحمة الله ومغفرته ﷻ .

• أما آية المائدة فهى الوحيدة التى قُدِّم فيها العذاب وأُخِّرَت المغفرة؛ لأنها

جاءت بعد ذكر حكم السارق والسارقة؛ فناسب ذلك تقديم العذاب؛ إشارة إلى عذابهم في الدنيا .

□ ٣٣/ ١٤٧ المَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ - المَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا :

قد يأتي التقديم والتأخير في القرآن لأسباب نحوية مرتبطة باتصال الجملة بعضها ببعض، وهذا برهان للقرآن الذي أحكمت آياته من لدن حكيم خبير، ومن ذلك قول الله ﷻ في موضعين من سورة المؤمنون:

- ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ .

- ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ أَتَرْفُتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ .

• في الآية الأولى قُدِّمَت الصفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على الجار والمجرور: ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ ؛ لأن مقول القول وقع بعد الجار والمجرور بدون فصل، وقد تمت جملة الصلة فلا حاجة إلى تأخير الصفة .

• أما في الآية الثانية فأُخِّرَت الصفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقُدِّمَ الجار والمجرور ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ ؛ لأن جملة الصلة طالت: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ أَتَرْفُتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ؛ لكي لا يُفَصَّلَ بين الموصول وصلته بفواصل طويلة، ولو جاءت هذه الآية على نسق الآية الأولى لكانت : وقال المَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ . وهذا التفكك في البناء التركيبي وإن كان مقبولا في كلام البشر، فهو غير لائق بكلام الله ﷻ .

□ ١٤٨/٣٣ كفى بالله شهيداً بينى وبينكم - كفى بالله بينى وبينكم شهيداً :

قول الله ﷻ :

- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الرعد: ٤٣، الإسراء: ٩٦ .

- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللّٰهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ العنكبوت: ٥٢ .

• الأصل والقياس فى مثل هذا التركيب تقديم التمييز ﴿شَهِيدًا﴾ على الظروف ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ، وهو النسق التركيبى الذى بُنيت عليه الجملة فى آيتى الرعد والإسراء .

• أما آية العنكبوت فقد وُصف فيها التمييز ﴿شَهِيدًا﴾ بجملة: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ ؛ فتأخر التمييز عن الظرف، كى تتبعه جملة الوصف دون فاصل بين الصفة وموصوفها .

□ ١٤٩/٣٣ بشيراً ونذيراً - نذير وبشير :

قُدِّم الإنذار على التبشير فى قول الله ﷻ :

- ﴿اَلَا تَقْبَدُوْا اِلَّا اللّٰهَ اِنِّىْ لَكُمْ نَذِيْرٌ وَّبَشِيْرٌ﴾ ١ هود .

وفى سائر المواضع قُدِّم التبشير، كما فى قوله ﷻ :

- ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا وَّلَا تُسْئَلُ عَنْ اَصْحٰبِ الْجَحِيْمِ﴾ ١١٩ البقرة .

- ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَّمُبَشِّرًا وَّنَذِيْرًا﴾ الاحزاب: ٤٥ ، الفتح: ٨ .

- ﴿بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا فَاَعْرَضَ اَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُوْنَ﴾ ١١ فصلت .

• قُدِّم الإنذار على البشارة فى آية هود؛ لأنه متصل بقول الله ﷻ : ﴿اَلَا

تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴿١﴾ ، والخطاب فيه للناس ؛ فناسب ذلك تقديم الإنذار على البشارة .

• أمّا فى آيات البقرة والأحزاب والفتح فُقدِّمت البشارة ؛ لمقام المخاطب - وهو النبى ﷺ - كرامة له . وفى آية فصلت فُدِّمت البشارة أيضًا لتقدم ذكر الرحمة ، والبشارة رحمة ؛ فناسب ذلك تقديم البشارة وتأخير الإنذار .

□ ٣٣/ ١٥٠ خلق السماوات والأرض - خلق الأرض والسماوات :

فى أكثر المواضع من كتاب الله قُدِّم خلق السماوات على الأرض ، من ذلك قول الله ﷻ :

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ الانعام .

وقُدِّم خلق الأرض على السماوات فى قول الله ﷻ :

- ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿١﴾﴾ طه .

ولتقديم الأرض هنا سببان :

١ - موافقة فواصل الآى المبنيّة على المدّ فى آخرها ، نحو : (لنشقى - يخشى - العلى - استوى - الثرى . . . إلخ) .

٢ - أنه تقدّم ذكر إنزال القرآن تذكرةً لمن يخشى ، وهم سكان الأرض ؛ فُقدِّمت الأرض على السماء لتقدّم ذكر مَنْ فيها .

● تقديم الجار والمجرور وتأخيرهما :

□ ١٥١/٣٣ ولتطمئن قلوبكم به - ولتطمئن به قلوبكم :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ آل عمران: ١٢٦ .

وفى موضع آخر :

- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ الأنفال: ١٠ .

● فى آية آل عمران قُدِّم لفظ ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ على متعلق الفعل ؛ لإحداث تناسق وازدواج بين الجملتين : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ ، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ .

● أما آية الأنفال فلم يُذكر لفظ (لكم) ولا مجال - إذن - للازدواج ، فجاء ترتيب الجملة على الأصل ، وهو : الفعل ، ثم الجار والمجرور المتعلقان به ؛ لأن الفعل ومتعلقاته فى حكم وحدة لغوية واحدة ، ثم جاء الفاعل .

□ ١٥٢/٣٣ وما أَهْلٌ به لغير الله - وما أَهْلٌ لغير الله به :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِمَن دُونِ اللَّهِ﴾ البقرة: ١٧٣ .

وفى مواضع أخرى :

- ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّمَن دُونِ اللَّهِ﴾ المائدة: ٣ ، النحل: ١١٥ .

● فى آية البقرة تقدم الجار والمجرور (به) المتعلقان بالفعل : (أَهْلٌ) ؛ لأنها فى سياق ذكر المحرّم والمحلّل من الطعام ، فَقُدِّمَ المتعلق وضميره ؛

لأنه المنصوص على حرمة .

- والآيات الأخرى فى سياق تعظيم شعائر الله وأوامره وشكر نعمته ؛ فكان تقديم اسم الله ﷻ أليق فى هذه المواضع .
- والقاعدة فى البلاغة أن الأهمَّ أولى بالتقديم ، ولا شك أن المنصوص عليه فى السياق هو الأهم .

□ ٣٣/ ١٥٣ لا يقدرون على شيء مما كسبوا - لا يقدرون مما كسبوا على شيء :

قول الله ﷻ :

- ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ البقرة: ٢٦٤ .
- ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ إبراهيم: ١٨ .

- المثل فى آية البقرة للعامل ؛ فكان تقديم نفي قدرته والجار والمجرور المتعلقين به أنسب ؛ لأن ﴿عَلَى﴾ هنا متصلة بالفعل (يقدرون) .
- وفى آية إبراهيم ﷺ المثل للعمل ؛ لقوله ﷻ : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ، تقديره : مثل أعمال الذين كفروا ، فكان تقديم ﴿مِمَّا﴾ أنسب ؛ لأنه متعلق بـ ﴿شَيْءٍ﴾ ، وهو الكسب .

□ ٣٣/ ١٥٤ فى الأرض ولا فى السماء - فى السماوات ولا فى الأرض :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا

أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ ﴿يونس .

- ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سبأ: ٣ .

• قُدِّمَتِ الْأَرْضُ عَلَى السَّمَاءِ فِي آيَةِ يُونُسَ ؛ لِتَقْدُّمِ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّلَاوَةَ وَالْعَمَلَ فِي الْأَرْضِ ؛ فَنَاسَبَ ذَلِكَ تَقْدِيمَ الْأَرْضِ .

• بَيْنَمَا قُدِّمَتِ السَّمَاوَاتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي آيَةِ سَبَأٍ ؛ لِتَقْدُّمِ قَوْلِهِ ﷺ :

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ سبأ: ١ ؛ فَنَاسَبَ ذَلِكَ تَقْدِيمَ السَّمَاوَاتِ عَلَى الْأَرْضِ .

□ ١٥٥/٣٣ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ :

قول الله ﷻ :

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧١﴾﴾ الأنفال .

وفي موضع آخر :

- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٧٢﴾﴾ التوبة .

• فِي آيَةِ الْأَنْفَالِ قُدِّمَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهَا ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾

على الجار والمجرور الآخرين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ؛ لأنه تقدم عليها ذكر الغنائم والفداء ؛ فناسب ذكر المال أولاً .

- أما آية التوبة فتقدم عليها ذكر الجهاد في سبيل الله ؛ وذلك في قوله ﷻ :
 - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١٠﴾﴾ التوبة .
- فكان من المناسب تقدم الجار والمجرور ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ على الأموال والأنفس .

□ ١٥٦/٣٣ صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل - صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل :

قول الله ﷻ :

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ الإسراء : ٨٩ .

وفي موضع آخر :

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ الكهف : ٥٤

- قُدِّمَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ في آية الإسراء ؛ لتقدم ذكر الإنس والجن في قوله ﷻ :

- ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ الإسراء .

لما كان الإنس والجن هم المقصودين بالتحدي القرآني ؛ قُدِّمَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الآية التالية ؛ لأنهم المقصودون بإنزال القرآن الكريم وتصريف الأمثال فيه .

- أمّا آية الكهف فقُدِّم فيها موضع تصريف الأمثال : ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ ؛ لأن

القرآن هو المراد من الكلام، وذلك أن اليهود سألوا عن قصة أهل الكهف وذى القرنين، فأوحى الله إلى نبيه ﷺ ما كان من أمرهما (فى القرآن) .

● تركيب الفعل مع حرف الجر:

□ ١٥٧/٣٣ أنزل على - أنزل إلى:

ورد الفعل (أنزل) مركبًا مع حرف الجر (على) فى كثير من المواضع القرآنية، وكذا مع الحرف (إلى) . ومن ذلك قول الله ﷻ:

- ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ البقرة: ١٣٦ .

- ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ آل عمران: ٨٤ .

● (إلى) تدل على انتهاء الغاية، والانتفاء يكون من جميع الجهات .

● أما (على) فهى حرف استعلاء، وتركيبها مع الفعل (أنزل) يفيد النزول من جهة العلو دون سائر الجهات .

● والمتأمل للسياقات القرآنية التى ورد فيها التركيب (نزل/ أنزل - على) يجد أن الخطاب موجّه للنبي ﷺ ، والقرآن أنزل (عليه) من جهة العلو .

● أما التركيب (نزل/ أنزل - إلى) فسياقاته إمّا فى خطاب الأمة كلها، أو خطاب للنبي ﷺ مقترنًا بالتبليغ، أى تبليغ آيات الله ﷻ (إلى) الناس، ويكون ذلك من جميع الجهات، وهو ما يناسبه حرف انتهاء الغاية (إلى) .

□ ١٥٨/٣٣ آمن له - آمن به:

قول الله ﷻ:

- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاْمَنْتُمْ بِهٖ قَبْلَ اَنْ ءَاْذَنَ لَكُمْ﴾ الأعراف: ١٢٣ .

- ﴿قَالَ ءَاْمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ اَنْ ءَاْذَنَ لَكُمْ﴾ الشعراء: ٧١ .

• الضمير في ﴿بِهٖ﴾ يرجع إلى رب العالمين ، وفي ﴿لَكُمْ﴾ يجوز رجوعه إلى موسى أو إلى ما جاء به من الآيات ، أى : آمنتُم لأجل ما جاء به .

□ ١٥٩/٣٣ - كَذَّبُوا - كَذَّبُوا به :

قول الله ﷻ :

- ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا كَذَّبُوْا مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ يَطۡعُ اللّٰهُ عَلَىٰ قُلُوۡبِ الْكَافِرِيۡنَ﴾ الأعراف: ١٠١ .

- ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا كَذَّبُوْا بِهٖ مِنْ قَبْلُ كَذٰلِكَ نَطۡعُ عَلَىٰ قُلُوۡبِ الْمُتَعَدِّيۡنَ﴾ يونس: ٧٤ .

• عُذَى الفعل بالباء فى آية يونس عليه السلام ؛ لتقدم قوله ﷻ فى قصة نوح عليه السلام : ﴿وَاَعۡرَفۡنَا الَّذِيۡنَ كَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا﴾ يونس: ٧٣ ، فعُذَى (كذَّبُوا) بما عذاه أولاً .

• وأما آية الأعراف فلم يتقدم عليها التكذيب متعدياً بالباء ؛ كقوله ﷻ : ﴿وَلٰكِن كَذَّبُوْا فَاَخَذۡتَهُمۡ﴾ الأعراف: ٩٦ ؛ فناسب كل موضع ما قبله .

□ ١٦٠/٣٣ - ثلاثة رابعهم - خمسة سادسهم - سبعة وثامنهم :

قول الله ﷻ :

- ﴿سَيَقُوۡلُوۡنَ ثَلٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَذَّبُوۡا وَيَقُوۡلُوۡنَ خَمۡسَةٌ سَادِسُهُمۡ كَذَّبُوۡا رَجَمًا بِالْغَيۡبِ وَيَقُوۡلُوۡنَ سَبۡعَةٌ وَثَامِنُهُمۡ كَذَّبُوۡا﴾ الكهف: ٢٢ .

زیدت الواو بعد السبعة، وهذه الواو سَمَّاها بعض المفسرين والنحاة: واو الثمانية، وهي مَطْرَدَة بعد الرقم سبعة في القرآن الكريم، ومن ذلك آية الكهف المذكورة، وقوله ﷻ:

- ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِدُونَ الْحَمِيدُونَ الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الَّذِينَ اسْأَلُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنُتَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾ التوبة .

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَفَكَ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكَ مُّسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَزِينْنَ لَّكَ عِيَادَكَ سِجِّاتٍ يُنَبِّئُتِ وَأَنْكَارًا ﴿٥﴾﴾ التحريم .

والعرب تقول: إن الرقم سبعة هو نهاية العدد؛ ولذلك كثر ذكرها في الأخبار في التعبير عن الكثرة، واعتبروا ما بعدها بدءاً للعد من جديد؛ لذلك عطف بالواو .

والمتماملُ فيما بعد الواو في آيتي التحريم والتوبة، يجد أنَّ الواو لا مناص من ورودها؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما شيء واحدٌ مكوّن من صفتين، ففصل بينهما بواو العطف . وفي آية التحريم: الشيات والأبكار نوعان مختلفان ؛ فوجب الفصل بينهما بالواو .



تُبَّت المراجع

- (١) الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي . - بيروت: دار الفكر، ١٣٦٨ هـ.
- (٢) إحياء علوم الدين/ الغزالي. - ط١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.
- (٣) أدب الكاتب/ ابن قتيبة. - ط٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.
- (٤) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية/ حسن طبل. - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨.
- (٥) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية/ السيوطي. - ط١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.
- (٦) الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم: دراسة إحصائية/ أحمد مختار عمر. - ط١. - القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٣.
- (٧) إصلاح المنطق/ ابن السكيت. - ط٢. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٦.
- (٨) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية لغوية وبيانية/ عائشة عبد الرحمن. - ط٢؛ مزينة ومنقحة. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧.
- (٩) البحر المحيط/ أبو حيان النحوي. - القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٣.
- (١٠) البرهان في علوم القرآن/ الزركشي. - ط٣. - القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٤.
- (١١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ الفيروزآبادي. - بيروت: المكتبة العلمية، [١٩].
- (١٢) بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب/ ابن التركمان. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.
- (١٣) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب/ أبو حيان النحوي. - ط١. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣.

- (١٤) الترادف فى القرآن الكريم: بين النظرية والتطبيق/ محمد نور الدين المنجد. - ط١. - بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧.
- (١٥) تفسير ابن كثير/ ابن كثير القرشى. - ط٧، منقحة. - بيروت: دار القرآن الكريم، ١٩٨١.
- (١٦) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل/ البغوى. - ط١. - بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦.
- (١٧) تفسير التحرير والتنوير/ ابن عاشور. - القاهرة: الدار التونسية، [١٩-].
- (١٨) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل/ الخازن. - ط٢. - القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٩٥٥.
- (١٩) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب/ الفخر الرازى. - ط٢. - بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥.
- (٢٠) التفسير القيم/ ابن قيم الجوزية. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨.
- (٢١) تفسير النسفى/ النسفى. - بيروت: دار الكتاب العربى، ١٩٨٢.
- (٢٢) تفسير النيسابورى الجامع للقرآن الكريم/ النيسابورى. - القاهرة: مؤسسة الأهرام، ١٩٩٣.
- (٢٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ محمد سيد طنطاوى. - ط٣. - القاهرة: دار الرسالة، ١٩٨٧.
- (٢٤) تهذيب اللغة/ الأزهرى. - القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٧٥.
- (٢٥) التوقيف على مهمات التعاريف/ المناوى. - ط١. - القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٠.
- (٢٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم: تفسير القرطبى/ القرطبى. - القاهرة: دار الريان للتراث، [١٩-].

- (٢٧) الخصائص/ ابن جنى . - ط٣ . - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ .
- (٢٨) دراسات لغوية فى القرآن وقراءاته/ أحمد مختار عمر . - القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١ .
- (٢٩) ديوان الأدب/ الفارابى . - ط١ . - القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٥ .
- (٣٠) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم وسبع المثانى/ الألوسى . - بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣ .
- (٣١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/ ابن عقيل . - ط٢ . - القاهرة: دار التراث، ١٩٨٠ .
- (٣٢) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى/ أبى العباس ثعلب . - القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٤ .
- (٣٣) شرح المفصل/ ابن يعيش . - بيروت: عالم الكتب [- ١٩] .
- (٣٤) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهرى . - القاهرة: دار الكتاب العربى، ١٩٥٦ .
- (٣٥) صحيح مسلم بشرح النووى/ النووى . - القاهرة، بيروت: دار الفكر؛ دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ .
- (٣٦) عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ: معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم/ السمين شهاب الدين أبو العباس؛ تحقيق محمد باسل عيون السود . - ط١ . - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦ .
- (٣٧) العمدة فى غريب القرآن/ مكى بن حموش؛ شرح وتعليق يوسف عبد الرحمن المرعشلى . - ط١ . - مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ .
- (٣٨) فتح البارى شرح البخارى/ ابن رجب . - ط٢ . - المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٦ .

- (٣٩) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن/ الأنصارى. - ط ١. - بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥.
- (٤٠) الفروق الدلالية بين النظرية والتطبيق/ عمر عبد المعطى أبو العينين. - الإسكندرية: منشأة المعارف، [١٩ -].
- (٤١) الفروق اللغوية/ أبو الهلال العسكري؛ ضبطه وحققه حسام الدين القدسى. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١.
- (٤٢) الفروق ومنع الترادف/ الترمذى؛ تحقيق ودراسة محمد إبراهيم الجيوشى. - ط ١. - القاهرة: دار النهار، دار البيان العربى، ١٩٩٨.
- (٤٣) كتاب التعريفات/ الجرجانى. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.
- (٤٤) كتاب جمهرة اللغة/ ابن دريد. - ط ١. - بيروت: دار صادر، ١٣٥١هـ.
- (٤٥) كتاب غريب القرآن/ ابن عباس؛ حققه أحمد بولوط. - ط ١. - القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٩٣.
- (٤٦) كتاب كشف الطره عن الغرة/ السيد محمود. - [د.م: د.ن.]، ١٣٠١هـ.
- (٤٧) كتاب مبادئ اللغة مع شرح أبيات مبادئ اللغة/ الإسكافى. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.
- (٤٨) كتاب المقتضب/ المبرد. - القاهرة: المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى، ١٩٩٤.
- (٤٩) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل/ الزمخشري. - ط ١. - بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣.
- (٥٠) كشف المعانى فى متشابه المثنائى/ ابن جماعة؛ تحقيق محمد محمد داود. - ط ١. - القاهرة: دار المنار، ١٩٩٨.

- (٥١) الكليات: معجم فى المصطلحات والفروق الدلالية/ أبو البقاء. - ط ٢ . - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ .
- (٥٢) كمال اللغة القرآنية/ محمد محمد داود. - القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٧ .
- (٥٣) لسان العرب/ ابن منظور. - ط ٣. - بيروت: دار صادر، ١٩٩٤ .
- (٥٤) مجموعة فتاوى ابن تيمية/ ابن تيمية. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ .
- (٥٥) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية. - ط ١. - الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، ١٩٩١ .
- (٥٦) المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة/ ابن سيده. - ط ١. - القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٨ .
- (٥٧) المخصص/ ابن سيده. - بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨ .
- (٥٨) المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها/ السيوطى. - بيروت: منشورات المكتبة المصرية، ١٩٨٦ .
- (٥٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل/ ابن حنبل. - ط ١، جديدة ومصححة. - بيروت: دار إحياء التراث العربى، ١٩٩١ .
- (٦٠) معانى القرآن/ الفراء. - ط ٢. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ .
- (٦١) معانى الأبنية فى العربية/ فاضل صالح السامرائى. - ط ١. - عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ .
- (٦٢) معانى القرآن وإعرابه/ الزجاج؛ تحقيق عبد الجليل عبده شلبى. - ط ١. - القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٤ .
- (٦٣) معترك الأقران فى إعجاز القرآن/ السيوطى. - القاهرة: دار الفكر العربى، [١٩ -] .

- ٦٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني . - بيروت . دار الفكر، [- ١٩] .
- ٦٥) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم/ الجوالقي . - ط ٣ . - القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٩٥ .
- ٦٦) مقاييس اللغة/ ابن فارس . - ط ١ . - بيروت: دار الجيل، ١٩٩١ .
- ٦٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ البقاعي . - ط ١ . - القاهرة: دار ابن تيمية، ١٩٨٤ .
- ٦٨) النهاية في غريب الحديث والأثر/ ابن الأثير المحدث . - بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٦٥ .
- ٦٩) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع/ السيوطي . - ط ١ . - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ .

كشاف تحليلي بكلمات المعجم

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٨٣	الأنام	(أ ن م)	٢٢	أبق	(أ ب ق)
٩٠	الأوبة	(أ و ب)	٢٥	الأب	(أ ب و)
٩٤	التأويل	(أ و ل)	٢٧	آق	(أ ت ي)
٩٧	بئر	(ب أ ر)	٢٩	أثاث	(أ ث ث)
٤٢٦	البأس	(ب أ س)	٣٠	الأثر	(أ ث ر)
٤٢٦	البأساء	(ب أ س)	٣١	الإيثار	(أ ث ر)
٩٨	البائس	(ب أ س)	٣٢	الإثم	(أ ث م)
٥٢	البث	(ب ث ث)	٤٦	الأجر	(أ ج ر)
١٠١	انبجس	(ب ج س)	٤٨	إدّ	(أ د د)
٤٦٧	بحار	(ب ح ر)	٥١	الاستئذان	(أ ذ ن)
٤٦٧	أبحر	(ب ح ر)	٤٠٢	الآزفة	(أ ز ف)
١٠٣	البحر	(ب ح ر)	٤٦٤	أسارى	(أ س ر)
١٠٥	البخل	(ب خ ل)	٤٦٤	أسرى	(أ س ر)
١١٠	البديع	(ب د ع)	٥٢	الأسف	(أ س ف)
١١٦	البدن	(ب د ن)	٥٢	الأسى	(أ س و)
١٠٧	بدا	(ب د و)	٦٠	الأشر	(أ ش ر)
١١٩	التبذير	(ب ذ ر)	٦٢	أفك	(أ ف ك)
١١٠	البارئ	(ب ر أ)	٦٥	الإفك	(أ ف ك)
١٢٠	برأ	(ب ر أ)	٤٦٦	ألوف	(أ ل ف)
٤٦٨	بررة	(ب ر ر)	٤٦٦	آلاف	(أ ل ف)
٤٦٨	أبرار	(ب ر ر)	٦٦	ائلى	(أ ل و)
١٠٧	برز	(ب ر ز)	٦٦	آلى	(أ ل و)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٥٠٥	برق	(ب ر ق)	٦٩	أُمت	(أ م ت)
١٢٢	برهان	(ب ر هـ)	٤٨	إمر	(أ م ر)
١٢٤	البزوغ	(ب ز غ)	٧١	الأمل	(أ م ل)
١٢٦	بسر	(ب س ر)	٧٤	التأمل	(أ م ل)
١٢٧	الاستبشار	(ب ش ر)	٧٨	الأمُّ	(أ م م)
٨٣	البشر	(ب ش ر)	٨٠	الأمن	(أ م ن)
١٣٣	الإبصار	(ب ص ر)	٨٥	الإيمان	(أ م ن)
٥٠١	الأبصار	(ب ص ر)	٨٨	آنس	(أ ن س)
٦٠	البطر	(ب ط ر)	٥١	الاستثناس	(أ ن س)
١٨٨	جم	(ج م م)	١٣٦	بعث	(ب ع ث)
٣٢	الجُنَاح	(ج ن ح)	٤١٧	بَعِد	(ب ع د)
٣٩١	الجنة	(ج ن ن)	٤١٧	بَعُد	(ب ع د)
١٦٣	جانّ	(ج ن ن)	١٣٨	البغضاء	(ب غ ض)
١٩٠	الجوع	(ج و ع)	١٤٣	البغي	(ب غ ي)
١٩٣	الحُبّ	(ح ب ب)	١٤٩	بكّة	(ب ك ك)
١٢٧	الخبور	(ح ب ر)	١٥١	الابتلاء	(ب ل و)
١٢٢	الحجة	(ح ج ج)	١٢٧	البهجة	(ب هـ ج)
١٧٨	المحاجة	(ح ج ج)	١٥٣	ابتهل	(ب هـ ل)
١٩٦	حجرة	(ح ج ر)	٤١٨	تبع	(ت ب ع)
١٧٦	مُحَدِّث	(ح د ث)	٤١٨	اتبع	(ت ب ع)
١٩٨	الحرج	(ح ر ج)	١٥٧	نحت	(ت ح ح)
٥٢	الحزن	(ح ز ن)	١٥٨	تلا	(ت ل و)
٥٢	الحسرة	(ح س ر)	١٦٠	التمام	(ت م م)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٨٨	أَحْسَ	(ح س س)	٩٠	التوبة	(ت و ب)
١٨١	التحسس	(ح س س)	١٦٢	تثريب	(ث ر ب)
١٨٤	الحسن	(ح س ن)	١٦٣	ثعبان	(ث ع ب)
٣٩٣	الحسنى	(ح س ن)	٤٦	الثواب	(ث و ب)
١٩٩	الحظ	(ح ظ ظ)	١٦٧	الثياب	(ث و ب)
٢٠٢	الحفيظ	(ح ف ظ)	٩٧	جُبَّ	(ج ب ب)
٤٠٣	الحاقة	(ح ق ق)	١٧٢	جبل	(ج ب ل)
٣٤٨	حق اليقين	(ح ق ق)	١٧٤	جحدود	(ج ح د)
٤٧١	حاكمون	(ح ك م)	١٧٦	جديد	(ج د د)
٤٧١	حُكَّام	(ح ك م)	١٧٨	المجادلة	(ج د ل)
٦٦	حلف	(ح ل ف)	٤٧٠	جاريات	(ج ر ي)
٢٠٩	الحلال	(ح ل ل)	٤٧٠	جوارٍ	(ج ر ي)
٢٠٧	الحُلُم	(ح ل م)	١١٦	الجسد	(ج س د)
٢١٠	الحلية	(ح ل ي)	١٨١	التجسس	(ج س س)
٢١٤	الحمد	(ح م د)	١١٦	الجسم	(ج س م)
٤٧٢	تُحَر	(ح م ر)	١٨٢	جعل	(ج ع ل)
٤٧٢	حمير	(ح م ر)	١٨٤	الجمال	(ج م ل)
٤٨٩	درجة	(د ر ج)	٣٢	الحُوب	(ح و ب)
٢١٨	الدس	(د س س)	١٧٨	المحاورة	(ح و ر)
١٥٣	دعا	(د ع و)	١٦٣	حية	(ح ي و)
٢٥١	دَلَّ	(د ل ل)	٢١٦	الحيوان	(ح ي و)
١٢٢	الدليل	(د ل ل)	٢١٦	الحياة	(ح ي و)
٢٥٤	دمدم	(د م د م)	٢١٨	الخبء	(خ ب أ)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٢٥٤	دمر	(د م ر)	٢٢٢	إخبات	(خ ب ت)
٤٨٩	دار	(د و ر)	٤٧٣	الحبائث	(خ ب ث)
٣٩٦	دار السلام	(د و ر)	٤٧٣	الخبائث	(خ ب ث)
٤٨٩	ديار	(د و ر)	٢٢٩	الخبر	(خ ب ر)
٣٨٩	الذكر	(ذ ك ر)	٢٣٢	ختم	(خ ت م)
٤٧٧	ذُكران	(ذ ك ر)	٢٣٤	خدع	(خ د ع)
٤٧٧	ذكور	(ذ ك ر)	٤٧٥	خازنون	(خ ز ن)
٢٦٠	الذَلّ	(ذ ل ل)	٤٧٥	خَزَنَة	(خ ز ن)
٣٢	الذنب	(ذ ن ب)	٢٢٢	الخشوع	(خ ش ع)
٢٧٣	رءوف	(ر أ ف)	٢٣٦	خاشعة	(خ ش ع)
٢٦٢	الرياء	(ر أ ي)	٢٣٧	الخشية	(خ ش ي)
١٣٣	الرؤية	(ر أ ي)	٢٢٢	الخضوع	(خ ض ع)
٢٠٧	الرؤيا	(ر أ ي)	٢٤٥	أخطأ	(خ ط أ)
٤٠٥	الراجفة	(ر ج ف)	٤٧٦	خطايا	(خ ط أ)
٧١	الرجاء	(ر ج و)	٣٢	الخطيئة	(خ ط أ)
٢٦٤	الرجاء	(ر ج و)	٤٧٦	خطيئات	(خ ط أ)
٤٤٤	الرحمن	(ر ح م)	٢١٨	الإخفاء	(خ ف ي)
٢٧٣	رحيم	(ر ح م)	٢٤٨	خلف	(خ ل ف)
٤٤٤	الرحيم	(ر ح م)	١٢٠	خلق	(خ ل ق)
٦٠٥	الرادفة	(ر د ف)	١٨٢	خلق	(خ ل ق)
٤٤٦	الرزاق	(ر ز ق)	١١٠	الخالق	(خ ل ق)
٤٤٦	الرازق	(ر ز ق)	١٩٠	المخمصة	(خ م ص)
١٣٦	أرسل	(ر س ل)	٢٣٧	خوف	(خ و ف)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٤٧٩	راسيات	(ر س و)	٧٤	التدبير	(د ب ر)
٤٧٩	رواسٍ	(ر س و)	٤٨٩	درجات	(د ر ج)
٢٨٦	السخط	(س خ ط)	٢٥١	أرشد	(ر ش د)
٢٨٩	سدید	(س د د)	٢٣٧	الرعب	(ر ع ب)
٢٩١	سدى	(س د و)	٥٠٥	رعد	(ر ع د)
٢٩٢	الستر	(س ر ر)	٢٦٧	الرغبة	(ر غ ب)
١٢٧	السرور	(س ر ر)	٢٠٢	الرقیب	(ر ق ب)
١١٩	الإسراف	(س ر ف)	٤٨٠	راکعون	(ر ك ع)
١٩٠	المسغبة	(س غ ب)	٤٨٠	رُكَّع	(ر ك ع)
١٥٧	أسفل	(س ف ل)	٢٣٧	الرهبة	(ر ه ب)
٢٩٤	سقط	(س ق ط)	٢٦٩	رهط	(ر ه ط)
٢٩٦	السقم	(س ق م)	٥٠٠	رياح	(ر و ح)
٢٩٨	سكت	(س ك ت)	٥٠٠	ريح	(ر و ح)
٩٨	المسكين	(س ك ن)	٣٦٧	روضة	(ر و ض)
٨٠	السكينة	(س ك ن)	٢٣٧	الروع	(ر و ع)
٢٩٩	التسليم	(س ل م)	٢٧٥	ريب	(ر ي ب)
٤٢٨	السَّلم	(س ل م)	٤٨١	زارعون	(ز ر ع)
٤٢٨	السَّلم	(س ل م)	٤٨١	زُرَّاع	(ز ر ع)
٤٢٨	السَّلم	(س ل م)	٢٤٥	زل	(ز ل ل)
٣٠١	استمع	(س م ع)	٣٢	الزلزل	(ز ل ل)
٥٠١	السمع	(س م ع)	٢٧٨	زوج	(ز و ج)
٣٢	السيئة	(س و أ)	٢١٠	الزينة	(ز ي ن)
٤٨٣	أسورة	(س و ر)	٢٨١	سبيل	(س ب ل)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٤٠٦	الساعة	(س و ع)	٤٨٢	سنبلات	(س ب ل)
٤٤٧	متشابه	(ش ب هـ)	٤٨٢	سنابل	(س ب ل)
٤٤٧	مشتبه	(ش ب هـ)	٢١٨	الستر	(س ت ر)
١٠٥	الشح	(ش ح ح)	٤٨١	سُجِّد	(س ج د)
٤٨٤	أشداء	(ش د د)	٤٨١	سجود	(س ج د)
٤٨٤	شداد	(ش د د)	٤٤٦	ساحر	(س ح ر)
٣٠٣	شرعة	(ش ر ع)	٤٤٦	سحار	(س ح ر)
٤١٩	اشترى	(ش ر ي)	٤٢٧	سُخِرِيَا	(س خ ر)
٤١٩	شرى	(ش ر ي)	٤٢٧	سُخِرِيَا	(س خ ر)
٨٨	شعر	(ش ع ر)	٢٨٤	السخرية	(س خ ر)
٤٣٥	ضراء	(ض ر ر)	٢١٤	الشكر	(ش ك ر)
٤٣٥	ضَرَّ	(ض ر ر)	٤٤٨	شكور	(ش ك ر)
٤٣٥	ضرار	(ض ر ر)	٢٧٥	شكَّ	(ش ك ك)
٢٢٢	التضرع	(ض ر ع)	١٣٨	الشنآن	(ش ن أ)
٤٢٦	أضغاث	(ض غ ث)	٤٨٥	أشهر	(ش هـ ر)
٣٢٨	الضلال	(ض ل ل)	٤٨٥	شهور	(ش هـ ر)
٤٤٢	ضلالة	(ض ل ل)	٣٠٤	شهوة	(ش هـ و)
٤٤٢	ضلال	(ض ل ل)	٤٨٦	أشباع	(ش ي ع)
١٩٨	الضيق	(ض ي ق)	٤٨٦	شيع	(ش ي ع)
٤٤٨	ضائق	(ض ي ق)	٤٤٨	صبار	(ص ب ر)
٤٤٨	ضيَّق	(ض ي ق)	٣٠٨	صبي	(ص ب و)
٢٣٢	طبع	(ط ب ع)	٤٠٧	الصاخة	(ص خ خ)
٢٨١	طريق	(ط ر ق)	٤٣١	صدَّ	(ص د د)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
١٤٣	الطغيان	(ط غ ي)	٣١٣	صد	(ص د د)
٤٨٧	أطفال	(ط ف ل)	٤٣١	صدود	(ص د د)
٤٨٧	طفل	(ط ف ل)	٣١٣	صدف	(ص د ف)
١٢٤	الطلوع	(ط ل ع)	٨٥	التصديق	(ص د ق)
٨٠	الطمأنينة	(ط م أ ن)	٢٨١	صراط	(ص ر ط)
٢٦٧	الطمع	(ط م ع)	٦٢	صرف	(ص ر ف)
٧١	الطمع	(ط م ع)	٢٦٠	الصَّغار	(ص غ ر)
٤٨٠	الطامة	(ط م م)	٢٩٨	أصغى	(ص غ و)
١٧٢	طود	(ط و د)	٣١٧	الصفح	(ص ف ح)
٤٢١	اسطاع	(ط و ع)	٣١٩	صنع	(ص ن ع)
٤٢١	استطاع	(ط و ع)	٣٢١	الصنم	(ص ن م)
٣٣٣	طائفة	(ط و ف)	٣٢٣	صهر	(ص ه ر)
٢٠٩	الطيب	(ط ي ب)	٢٨٩	صواب	(ص و ب)
١٤٣	الظلم	(ظ ل م)	١١٠	المصور	(ص و ر)
٥٠٥	الظلمات	(ظ ل م)	٤٣٢	صوم	(ص و م)
٥٠٥	ظلمات	(ظ ل م)	٤٣٢	صيام	(ص و م)
١٠٧	ظهر	(ظ ه ر)	٤٣٥	ضُرّ	(ض ر ر)
٢٩١	عبث	(ع ب ث)	٤٣٥	ضرر	(ض ر ر)
٣٥٠	العمى	(ع م ي)	٣٣٤	عبد	(ع ب د)
٣٤٦	العهد	(ع ه د)	٤٨٨	عباد	(ع ب د)
٦٩	عوج	(ع و ج)	٤٨٨	عبيد	(ع ب د)
٣٤٨	عين اليقين	(ع ي ن)	٧٤	الاعتبار	(ع ب ر)
٤٨٩	أعِنُ	(ع ي ن)	١٢٦	عبس	(ع ب س)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٤٨٩	عيون	(ع ي ن)	٣٣٦	أعتد	(ع ت د)
٢٣٤	غمر	(غ ر ر)	١٤٣	العتو	(ع ت و)
١٩٦	غرفة	(غ ر ف)	٤٤٩	عُجَاب	(ع ج ب)
٣٩٩	الغرفة (الغرف - الغرفات)	(غ ر ف)	٤٤٩	عجيب	(ع ج ب)
٤٩٠	عُرِفَ	(غ ر ف)	٣٣٦	أعدّ	(ع د د)
٤٩٠	عُرُفَات	(غ ر ف)	٣٣٨	عدل	(ع د ل)
٤٠٩	الغاشية	(غ ش و)	٣٩٧	عدن	(ع د ن)
٢٨٦	الغضب	(غ ض ب)	١٤٣	العدوان	(ع د و)
٣١٧	المغفرة	(غ ف ر)	٣٤١	العذاب	(ع ذ ب)
٤٥٤	أهل المغفرة	(غ ف ر)	٣١٣	أعرض	(ع ر ض)
٤٥٤	ذو المغفرة	(غ ف ر)	٣٤٣	المعرفة	(ع ر ف)
٤٥٤	الغافر	(غ ف ر)	٤٥١	عاصف	(ع ص ف)
٤٥٤	الغفار	(غ ف ر)	٤٥١	عاصفة	(ع ص ف)
٤٥٤	الغفور	(غ ف ر)	٢٧	أعطى	(ع ط و)
٣٠٨	غلام	(غ ل م)	٣١٧	العفو	(ع ف و)
٥٢	الغمّ	(غ م م)	٣٤١	العقاب	(ع ق ب)
٣٢٨	الغنيّ	(غ و ي)	٣٤٦	العَقْد	(ع ق د)
٣٥٣	الغيث	(غ ي ث)	٤٥١	عالم	(ع ل م)
٢٨٦	الغيظ	(غ ي ظ)	١٧٢	عَلِمَ	(ع ل م)
١٥١	الفتنة	(ف ت ن)	٣٤٨	علم اليقين	(ع ل م)
٣٠٨	فتى	(ف ت و)	٣٤٣	العِلْم	(ع ل م)
٤٩١	فتيان	(ف ت و)	٣٠	العلامة	(ع ل م)
٤٩١	فتية	(ف ت و)	٤٥١	عَلَام	(ع ل م)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٤٩٢	فُجَّار	(ف ج ر)	٤٥١	عليم	(ع ل م)
٤٩٢	فجرة	(ف ج ر)	٣١٩	عمل	(ع م ل)
١٠١	انفجر	(ف ج ر)	٣٥٠	العمه	(ع م هـ)
٣٥٧	قصم	(ق ص م)	٣٢	الفاحشة	(ف ح ش)
٤٩٣	قاعدون	(ق ع د)	٣٢	الفحشاء	(ف ح ش)
٤٩٣	قعود	(ق ع د)	١٢٧	الفرح	(ف ر ح)
١٣٨	القلي	(ق ل و)	٤٠٠	الفردوس	(ف ر د س)
٢٢٢	القنوت	(ق ن ت)	٢٢	فرّ	(ف ر ر)
٣٦٥	القنوط	(ق ن ط)	٣٥٥	التفرق	(ف ر ق)
٤٥٨	القاهر	(ق هـ ر)	٢٣٧	الفرَق	(ف ر ق)
٤٥٨	القَهَّار	(ق هـ ر)	٣٨٧	الفرقان	(ف ر ق)
٢٦٩	قوم	(ق و م)	٣٣٣	فرقة	(ف ر ق)
٤١٠	القيامة	(ق و م)	٢٣٧	الفزع	(ف ز ع)
٤٩٥	أكابر	(ك ب ر)	٤٢١	تفسح	(ف س ح)
٤٦٠	كُبَّار	(ك ب ر)	٤٢١	فسح	(ف س ح)
٤٩٥	كبراء	(ك ب ر)	٩٤	التفسير	(ف س ر)
٤٦٠	كبير	(ك ب ر)	٣٥٧	فصم	(ف ص م)
٣٨٨	الكتاب	(ك ت ب)	٣١	التفضيل	(ف ض ل)
١٨٨	كثير	(ك ث ر)	١١٠	الفاطر	(ف ط ر)
٦٥	الكذب	(ك ذ ب)	٩٨	الفقير	(ف ق ر)
١٣٨	الْكُره	(ك ر هـ)	٣٦٠	الفقه	(ف ق هـ)
٤٣٢	كُره	(ك ر هـ)	٧٤	التفكر	(ف ك ر)
٤٣٢	كُره	(ك ر هـ)	٣٦٢	الفلاح	(ف ل ح)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
٤٢٢	اكتسب	(ك س ب)	٣٦٠	الفهم	(ف ه م)
٤٢٢	كسب	(ك س ب)	٢٩٩	التفويض	(ف و ض)
٤٦١	كفور	(ك ف ر)	٤٥٧	القادر	(ق د ر)
٤٦١	كفار	(ك ف ر)	٤٥٧	القدير	(ق د ر)
١٦٠	الكمال	(ك م ل)	٤٥٧	المقتدر	(ق د ر)
١٦٧	اللباس	(ل ب س)	١٥٨	قرأ	(ق ر ا)
٣٠٤	اللذة	(ل ذ ذ)	٣٨٥	القرآن	(ق ر أ)
٣٦٧	اللعب	(ل ع ب)	٤١٠	القارعة	(ق ر ع)
٣٧١	اللغوب	(ل غ ب)	٣٣٨	القسط	(ق س ط)
٣٧٣	اللمز	(ل م ز)	٦٦	أقسم	(ق س م)
٣٦٧	اللهو	(ل ه و)	٣٥٧	قصف	(ق ص ف)
٣٧٦	النصيحة	(ن ص ح)	١٦٢	لوم	(ل و م)
٤٩٧	أنصار	(ن ص ر)	٢٩	متاع	(م ت ع)
٤٩٧	ناصرون	(ن ص ر)	٢٥٤	محق	(م ح ق)
١٣٣	النظر	(ن ظ ر)	٢٥٤	محا	(م ح و)
٤٩٧	أنعم	(ن ع م)	٤٢٤	أمدّ	(م د د)
٤٩٧	نعم	(ن ع م)	٤٢٤	مدّ	(م د د)
٤٤١	النعيم	(ن ع م)	٢٧٨	امرأة	(م ر أ)
٤٤٠	النعمة	(ن ع م)	٢٩٦	المرض	(م ر ض)
٤٤٠	النعماء	(ن ع م)	٢٧٥	مرية	(م ر ي)
٤٤١	النعمة	(ن ع م)	٣٢٦	أمشاج	(م ش ج)
٢٦٩	نفر	(ن ف ر)	٣٥٣	المطر	(م ط ر)
٢٦٢	النفاق	(ن ف ق)	١٣٨	المقت	(م ق ت)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
١٧٤	الإنكار	(ن ك ر)	١٤٩	مكة	(م ك ك)
٣٢	المنكر	(ن ك ر)	٣٣٤	مملوك	(م ل ك)
٤٨	نكر	(ن ك ر)	٢٦٤	التمني	(م ن ي)
٣٠٣	منهاج	(ن ه ج)	٤٩٦	أموات	(م و ت)
٩٠	الإنابة	(ن و ب)	٤٩٦	موق	(م و ت)
٥٠٥	النور	(ن و ر)	٤٦٣	مَيّت	(م و ت)
٨٣	الناس	(ن و س)	٤٦٣	مَيّت	(م و ت)
٢٩١	هباء	(ه ب و)	٤٩٦	ميتون	(م و ت)
٢٥١	هدى	(ه د ي)	٤٢٤	أنبأ	(ن ب أ)
٢٢	هرب	(ه ر ب)	٤٢٤	نبأ	(ن ب أ)
٢٨٤	الاستهزاء	(ه ز أ)	٢٢٩	النبأ	(ن ب أ)
٢٥٤	أهلك	(ه ل ك)	٣٦٢	النجاح	(ن ج ح)
٢٣٦	هامدة	(ه م د)	٢٩٢	النجوى	(ن ج و)
٣٧٣	الهمز	(ه م ز)	٣٥٥	التنازع	(ن ز ع)
٣٠٤	الهوى	(ه و ي)	٣٨٩	التنزيل	(ن ز ل)
٢٠٢	المهيمن	(ه ي م ن)	٣٢٣	نسب	(ن س ب)
٣٤٦	الميثاق	(و ث ق)	٣٧١	النصب	(ن ص ب)
٣٢١	الوثن	(و ث ن)	١٩٩	نصيب	(ن ص ب)
٢٣٧	الوجل	(و ج ل)	٣٠١	أنصت	(ن ص ت)
٢٤٨	وراء	(و ر ي)	١٩٣	الودّ	(و د د)
٣٢	الوزر	(و ز ر)	٢١٨	المواراة	(و ر ي)
٤١١	الواقعة	(و ق ع)	٣٧٦	الوصية	(و ص ي)
٢٩٩	التوكل	(و ك ل)	٢٩٤	وقع	(و ق ع)

الصفحة	الكلمة	الجذر	الصفحة	الكلمة	الجذر
			٢٥	الوالد	(و ل د)
			٧٨	الوالدة	(و ل د)
			٣٠٨	ولد	(و ل د)
			٣١٣	تولى	(و ل ي)
			٣٦٥	اليأس	(ي أ س)
			٣٤٣	اليقين	(ي ق ن)
			١٠٣	اليم	(ي م م)
			٦٦	يمين	(ي م ن)

المحتويات

مقدمة

٥

٧

بين يدى هذا المعجم

١٧

أولاً : الفروق الدلالية بين معانى الكلمات

حرف الألف

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٢٥	الأب - الوالد:	٢٢	أَبَقَ - فَرَّ - هَرَبَ:
٢٩	أثاث - متاع:	٢٧	آتَى - أعطى:
٣١	الإيثار - التفضيل:	٣٠	الأثر - العلامة:
٤٦	الأجر - الثواب:	٣٢	الإثم، الجناح، الحوب، الخطيئة، الذنب، الزلل، السيئة، الفاحشة، الفحشاء، المنكر، الوزر
٥١	الاستئذان - الاستئناس	٤٨	إِذَ - إِمَرَ - نُكِرَ - نُكِرَ (نُكِرَ)
٦٠	الأُشْر - البَطَر:	٥٢	الأسف - الأسى - البث - الحزن - الحسرة - الغم
٦٥	الإفك - الكذب:	٦٢	أَفَكَ - صَرَف:
٦٩	أَمَت - عَوَج:	٦٦	آلى - ائْتَلَى - حلف - أقسم - يمِين
٧٤	التَّأَمَّل - التَّدَبُّر - الاعتبار - التفكُّر:	٧١	الأمل - الرجاء - الطمع
٨٠	الأمن - الطمأنينة - السكينة	٧٨	الأم - الوالدة:
٨٥	الإيمان - التصديق:	٨٣	الأنام - البَشَر - النَّاس
٩٠	الأوْبَة - التوبة - الإنابة	٨٨	آنَسَ - أَحْسَسَ - شَعَرَ:
		٩٤	التأويل - التفسير:

حرف الباء

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٩٨	البائس - الفقير - المسكين	٩٧	بئر - جُب
١٠٣	البحر - اليم	١٠١	انبجس - انفجر
١٠٧	بدا - برز - ظهر:	١٠٥	البخل - الشُّخ:
١١٦	البدن - الجسد - الجسم	١١٠	البديع - البارئ - الخالق - المصور - الفاطر
١٢٠	برأ - خلق	١١٩	التبذير - الإسراف
١٢٤	البُزوغ - الطُّلوع:	١٢٢	البرهان - الحُجّة - الدليل
١٢٧	الاستبشار - البهجة - الجبور - السرور - الفرح	١٢٦	بسر - عبس
١٣٦	بعث - أرسل:	١٣٣	الإبصار - الرؤية - النَّظَر
١٤٣	البغى - الطغيان - الظلم - العُتُو - العدوان	١٣٨	البغضاء - الشُّنآن - القلَى - الكُره - المَقْت
١٥١	الابتلاء - الفتنة:	١٤٩	بَكَّة - مَكَّة
		١٥٣	ابْتَهَلَ - دَعَا

حرف التاء

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
١٥٨	تلا - قرأ:	١٥٧	تحت - أسفل:
		١٦٠	التمام - الكمال:

حرف الثاء

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
تثريب - لوم:	١٦٢	ثعبان - جانّ - حيّة:	١٦٣
الثياب - اللباس:	١٦٧		

حرف الجيم

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
جَبَل - طَوْد - عَلَم:	١٧٢	الجحود - الإنكار:	١٧٤
جديد - مُخَدَّت:	١٧٦	المجادلة - المُحَاجَّة - المحاورَة	١٧٨
التجسُّس - التحسُّس	١٨١	جعل - خلق:	١٨٢
الجمال - الحُسْن:	١٨٤	جَم - كثير:	١٨٨
الجوع - الخمصة - السفبة	١٩٠		

حرف الحاء

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
الحُبّ - الود:	١٩٣	حُجرة - غرفة:	١٩٦
الخرج - الضيق:	١٩٨	الحظ - النصيب:	١٩٩
الحفيظ - الرقيب - المهيمن	٢٠٢	الحلم - الرؤيا:	٢٠٧
الحلال - الطيب:	٢٠٩	الحلية - الزينة:	٢١٠
الحمد - الشكر:	٢١٤	الحياة - الحيوان:	٢١٦

حرف الخاء

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٢٢٢	الإخبات - الخشوع - الخضوع - التضُّرع - القنوت	٢١٨	الحَبَاءُ - الإخفاء - الدَّس - السُّرَّ - المُوَاراة
٢٣٢	ختم - طبع	٢٢٩	الخَبَر - النَّبَأُ
٢٣٧	خاشعة - هامة	٢٣٥	خَدَع - عَرَّ:
٢٤٥	أخطأ - زَلَّ	٢٣٧	الخَشْيَةُ - الخوف - الرُّغْب - الرَّهْبَةُ - الرُّوْع - الفَرْق - الفرع - الوَجَل
		٢٤٨	خلف - وراء:

حرف الدال

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٢٥٤	دَمَدَم - دَمَّر - نَحَقَّ - نَحَا - أهلك:	٢٥١	دَلَّ - أَرَشَدَ - هَدَى:

حرف الذال

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
	٢٦٠	المسكنة:	الذُّلَّ - الصُّغَار -

حرف الراء

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
الرِّياء - النفاق:	٢٦٢	الرجاء - التَّمَنَّى	٢٦٤
الرغبة - الطمع	٢٦٧	رَهْط - قوم - نفر	٢٦٩
رءوف - رحيم	٢٧٣	ريب - شك - مِرْيَة	٢٧٥

حرف الزاي

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
زوج - امرأة	٢٧٨		

حرف السين

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
سبيل - صراط - طريق	٢٨١	السخرية - الاستهزاء	٢٨٤
السخط - الغضب - الغيظ	٢٨٦	سديد - صواب	٢٨٩
سُدَى - عبث - هباء	٢٩١	السَّر - النَّجْوَى	٢٩٢
سقط - وقع	٢٩٤	السقم - المرض	٢٩٦
سكت - أصغى	٢٩٨	التسليم - التفويض - التوكُّل	٢٩٩
استمع - أنصت	٣٠١		

حرف الشين

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٣٠٤	الشهوة - اللذة - الهوى	٣٠٣	شرعة - منهاج

حرف الصاد

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٣١٣	صدّ - صدّف - أعرض - تولّى	٣٠٨	صبى - غلام - فتى - ولد
٣١٩	صنع - عمل	٣١٧	الصفح - العفو - المغفرة
٣٢٣	صهر - نسب	٣٢١	الصنم - الوثن

حرف الضاد

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٣٢٨	الضلال - العتّى	٣٢٦	أضغاث - أمشاج

حرف الطاء

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
		٣٣٣	طائفة - فرقة

حرف العين

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٣٣٦	أَعَدَّ - أَعْتَدَ	٣٣٤	عَبْد - مَمْلُوك
٣٤١	العَذَاب - العقاب	٣٣٨	العدل - القِسْط
٣٤٦	العقد - العهد - الميثاق	٣٤٣	المعرفة - العلم - اليقين
٣٥٠	الْعَمَهُ - الْعَمَى	٣٤٨	علم اليقين - عين اليقين - حَقُّ اليقين

حرف الغين

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
		٣٥٣	الغيث - المطر

حرف الفاء

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
٣٥٧	فَصَم - فَصَفَ - قَصَمَ	٣٥٥	التَّفَرُّق - التَّنَازُع
٣٦٢	الفلاح - النجاح	٣٦٠	الفقه - الفهم

حرف القاف

الصفحة	المادة	الصفحة	المادة
		٣٦٥	القنوط - اليأس

حرف اللام

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
اللَّعِب - اللَّهْو	٣٦٧	اللُّغُوب - النَّصَب	٣٧١
اللمز - الهمز	٣٧٣		

حرف النون

المادة	الصفحة	المادة	الصفحة
النصيحة - الوصيَّة	٣٧٦		

٣٨١

ملحق بالفروق الدلالية بين معانى الكلمات

أسماء القرآن الكريم

القرآن	٣٨٥	الفرقان	٣٨٧
الكتاب	٣٨٨	الذكر	٣٨٩
التنزيل	٣٨٩		

أسماء الجنة

الجنة	٣٩١	الحُسْنَى	٣٩٣
دار السلام	٣٩٦	روضة	٣٩٧
عَدْن	٣٩٧	الْعُرْقَة (الْعُرْف - الْعُرْفَات)	٣٩٩
الفردوس	٤٠٠		

أسماء القيامة

الآزفة	٤٠٢	الحاقّة	٤٠٣
الراجفة، الرادفة	٤٠٥	الساعة	٤٠٦
الصّاخّة	٤٠٧	الطّامة	٤٠٨
الغاشية	٤٠٩	القارعة	٤١٠
القيامة	٤١٠	الواقعة	٤١١

ثانيًا: الفروق الدلالية بين الأبنية الصرفية المتشابهة ٤١٧

١- اختلاف صيغة الفعل

بَعَدَ - بَعِدَ	٤١٧	تَبَعَ - اتَّبَعَ	٤١٨
شَرَى - اشْتَرَى	٤١٩	اسْتَطَاعَ - اسْطَاعَ	٤٢١
فَسَحَ - تَفَسَّحَ	٤٢١	كَسَبَ - اكْتَسَبَ	٤٢٢
مَدَّ - أَمَدَّ	٤٢٤	نَبَأَ - أَنْبَأَ	٤٢٤

٢- اختلاف صيغة المصدر

البأس - البأساء	٤٢٦	سُخِرِيًّا - سُخْرِيًّا	٤٢٧
السُّلَم - السَّلَم - السَّلَم	٤٢٨	صَدَّ - صُدُّود	٤٣١
صَوْم - صِيَام	٤٣٢	كُرِهَ - كُرْهَ	٤٣٢
ضَرَّ - ضَرَّ - ضَرَّر - ضَرَّار - ضَرَّاء	٤٣٥	النعمة - النعماء	٤٤٠
النعمة - النعيم	٤٤١	ضلال - ضلالة	٤٤٢

٣- اختلاف صيغ المشتقات

٤٤٦	الرازق - الرزّاق	٤٤٤	الرحمن - الرحيم
٤٤٧	مشتبه - متشابه	٤٤٦	ساحر - سحّار
٤٤٨	ضيق - ضائق	٤٤٨	صَبَّار - شكور
٤٥١	عاصف - عاصفة	٤٤٩	عجيب - عُجاب
٤٥٤	الغافر - الغفور - الغفار - ذو المغفرة - أهل المغفرة	٤٥١	عالم - عليم - علّام
٤٥٨	القاهر - القهّار	٤٥٧	القادر - المقتدر - القدير
٤٦١	كفار - كفور	٤٦٠	كبير - كُبّار
		٤٦٣	ميت - مَيّت

٤- اختلاف صيغ الجموع

٤٦٦	آلاف - ألوف	٤٦٤	أشَرى - أسارى
٤٦٨	أبرار - بَرَرَة	٤٦٧	أبْجَر - بحار
٤٧١	حُكّام - حاكمون	٤٧٠	جاريات - جوارٍ
٤٧٣	الخبائث - الخبيثات	٤٧٢	خَمير - خُمُر
٤٧٦	خطايا - خطيئات	٤٧٥	خَزَنَة - خازنون
٤٧٩	رواسٍ - راسيات	٤٧٧	ذكور - ذُكران
٤٨١	زُرّاع - زارعون	٤٨٠	رُكّع - راكمون
٤٨٢	سنابل - سنبلات	٤٨١	سُجّد - سجد
٤٨٤	أشِدّاء - شِدَاد	٤٨٣	أساور - أسوَرَة
٤٨٦	أشياء - شَيْع	٤٨٥	أشهر - شهور

٤٨٨	عباد - عبيد	٤٨٧	طفل - أطفال
٤٩٠	عُرِفَ - عُرُفَات	٤٨٩	أعين - عيون
٤٩٢	فُجَّار - فَجْرَة	٤٩١	فِثْيَة - فِثْيَان
٤٩٥	كبراء - أكابر	٤٩٣	قاعدون - قعود
٤٩٧	أنصار - ناصرون	٤٩٦	أموات - موقى - مَيِّتُونَ
		٤٩٧	أنعم - نِعَم

٥- بين الأفراد والجمع

٤٨٩	دار - ديار	٤٨٩	درجة - درجات
٥٠١	السمع - الأبصار	٥٠٠	ريح - رياح
٥٠٣	إفراد الضمير وجمعه	٥٠٣	ذلك - ذلكم
٥٠٥	ظلمات - رعد - برق	٥٠٤	بنات العم والخال - بنات العمَّات والخالات
		٥٠٥	النور - الظلمات

ثالثاً: الفروق الدلالية بين التراكيب المتشابهة

٥١١

● تناسب الفواصل القرآنية مع المعنى

٥١١

لقوم يعلمون - لقوم يفقهون - لقوم يؤمنون

٥١١

إِلَّا ضَلَالًا - إِلَّا تَبَارًا

٥١٢

وكان الله عليماً حكيماً - وكان الله عزيزاً حكيماً

٥١٢

بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ - بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ

٥١٣

تَوَّابٌ حَكِيمٌ - رَّءُوفٌ رَحِيمٌ

٥١٣

أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْكَيْنِ - أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى

٥١٤

- ٥١٥ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ - لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ - لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
- ٥١٦ أَفَلَا تَسْمَعُونَ - أَفَلَا تُبْصِرُونَ
- ٥١٧ إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ - إِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ
- ٥١٨ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ - وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ
- ٥١٨ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ - وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
- ٥١٩ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ - أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ - مِنَ الْمُسْلِمِينَ
- ٥١٩ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ - وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ
- إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ - إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا - إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا - وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ...
- ٥٢٠ فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ - فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ
- ٥٢١ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ - قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ
- وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ - وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ - وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
- ٥٢٢ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ - لِلْعَالَمِينَ - لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ - لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
- ٥٢٣ ● التناظر في البناء الموسيقي للفواصل القرآنية والمعنى
- ٥٢٤ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ - بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ
- ٥٢٥ ● توافق الفواصل القرآنية وإن تعددت صورها
- ٥٢٥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
- ٥٢٦ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٍ - قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٍ

- ٥٢٧ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا - أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا
- ٥٢٨ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ - فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ
- ٥٢٩ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ - هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ
- ٥٢٩ • تنوع أساليب النظم في القرآن الكريم
- ٥٢٩ • بين التذكير والتأنيث
- ٥٢٩ فَتَنَفَّخْنَا فِيهَا - فَتَنَفَّخْنَا فِيهِ
- ٥٣٠ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ - نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا
- ٥٣١ فَأَنْفُخُ فِيهِ - فَتَنْفُخُ فِيهَا
- ٥٣١ • بين التعريف والتنكير
- ٥٣١ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ - فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ
- ٥٣٢ بَغَيْرِ الْحَقِّ - بِغَيْرِ حَقٍّ
- ٥٣٣ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا - رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
- ٥٣٤ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ - افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
- ٥٣٤ • بين الفعل المضارع والوصف
- ٥٣٤ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ - مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ
- ٥٣٥ وَأَنْصَحُ لَكُمْ - وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
- ٥٣٦ • بين الوصف والإضافة
- ٥٣٦ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ - وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
- ٥٣٧ • بين إثبات الصفة وحذفها
- ٥٣٧ قَالَ الْمَلَأُوا مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ

- بين الفعل المتعدى لواحد والمتعدى لمفعولين ٥٣٧
- ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ - ولا تُسْمِعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ٥٣٧
- فلا تُعْجِبِكَ أَمْوَالُهُمْ ولا أَوْلَادُهُمْ - فلا تُعْجِبِكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ٥٣٨
- هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ - هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ ٥٣٩
- يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ - يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ - ٥٤٠
- يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ٥٤٠
- كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى - كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ٥٤١
- وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا - وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ٥٤٢
- ولا يُقْبَلُ مِنْهَا شِفَاعَةٌ ولا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ - ولا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ولا تنفعها شِفَاعَةٌ ٥٤٣
- قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى - قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ٥٤٣
- التنوع والدقة في ألفاظ الجملة القرآنية ٥٤٤
- ولو شاء اللَّهُ ما فعلوه - ولو شاء رَبُّكَ ما فعلوه ٥٤٤
- المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض - المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ٥٤٥
- وخلق منها زوجها - وجعل منها زوجها ٥٤٦
- كذلك كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ - كذلك فعل الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ٥٤٦
- يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ - أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ ٥٤٧
- وما بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ - وما يَبِثُّ مِنْ دَابَّةٍ ٥٤٨
- محصنات غير مسافحات - محصنين غير مسافحين ٥٤٨

- ٥٤٩ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي - أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
- ٥٤٩ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ - إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
- ٥٤٩ حَقٌّ مَعْلُومٌ - حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ
- ٥٥٠ مُتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ - مُتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
- ٥٥١ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا - إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا
- ٥٥١ فَلَا تَقْرَبُوهَا - فَلَا تَعْتَدُوهَا
- ٥٥٢ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ - فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ - فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ
- ٥٥٣ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا - ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا
- ٥٥٤ وَبِذَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا - وَبِذَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا
- ٥٥٦ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ - إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ
- ٥٥٦ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ - كَذَلِكَ نَطْبَعُ
- ٥٥٧ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ - يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ
- ٥٥٧ تَجْرَى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ - تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
- ٥٥٨ مِنْ عِنْدِنَا - مِنْ لَدُنَّا
- ٥٥٩ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ - يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
- ٥٥٩ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ - يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ
- ٥٦٠ وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا . . . - وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا . . .

وإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - وَإِنْ يُرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ٥٦١
ولم يكن جَبَّارًا عَصِيًّا . وسَلَامٌ عَلَيْهِ - ولم يجعلني جَبَّارًا شَقِيًّا .
والسَّلَامُ عَلَيَّ ٥٦٢

ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ - ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةً - فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً ٥٦٣
فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا . . . يَفْسُقُونَ - فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ . . . يَظْلَمُونَ ٥٦٤

● تنوع أدوات الربط

● اللام - أَنْ

يَرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ - يَرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ٥٦٥

● السين - سَوْفَ

فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ - فَيَأْتِيهِمْ ٥٦٦

● بين الخطاب بالنداء والخطاب بغير نداء

يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ٥٦٦

● بين التوكيد وعدمه

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ - فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُفْتَرِينَ ٥٦٧

وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ - وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ٥٦٨

قَادِرٌ - بِقَادِرٍ ٥٦٨

● بين التوكيد بضمير الفصل وعدمه

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . . . - وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٥٦٩

- ٥٧٠ ما يدعون من دونه هو الباطل - ما يدعون من دونه الباطل
- ٥٧١ وهم بالآخرة كافرون - وهم بالآخرة هم كافرون
- ٥٧١ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ - إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
- ٥٧٢ وبنعمة الله يكفرون - وبنعمة الله هم يكفرون
- ٥٧٢ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ - وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي
- ٥٧٣ • الجمع بين علامتين للمخاطب
- ٥٧٣ أرايتم - أرايتمكم
- ٥٧٤ • التوكيد باللام
- ٥٧٤ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ - إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ
- ٥٧٥ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ - إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ
- ٥٧٥ فبئس مثوى المتكبرين - فلبئس مثوى المتكبرين
- ٥٧٦ • تنوع الاسم الموصول
- ٥٧٦ • ما - ماذا
- ٥٧٦ ما تعبدون - ماذا تعبدون
- ٥٧٦ ما كانوا يعملون - الذي كانوا يعملون
- ٥٧٧ • ما - مَنْ
- ٥٧٧ من فى السماوات والأرض - ما فى السماوات وما فى الأرض
- ٥٧٩ بعد الذى جاءك - بعد ما جاءك - من بعد ما جاءك
- ٥٨٠ • الإيجاز أو الإطناب فى التراكيب القرآنية
- ٥٨٠ فمتاع الحياة الدنيا - فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
- ٥٨١ كُتِبَ لَهُمْ - كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ

- وما أنتم بمعجزين فى الأرض - وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء ٥٨٢
كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍ أُعِيدُوا فِيهَا - كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ٥٨٢
- يريد أن يخرجكم من أرضكم - يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ٥٨٣
بلغ أشدَّه - بلغ أشدَّه واستوى ٥٨٣
- وأنزل من السماء ماءً - وأنزل لكم من السماء ماءً ٥٨٤
رسولاً منهم - رسولاً من أنفسهم - رسولٌ من أنفسكم ٥٨٤
- وما أوتىَ النبيُّونَ - والنبيُّونَ ٥٨٥
جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله - جاهدوا فى سبيل الله -
جاهدوا معكم ٥٨٦
- فأردت - فأردنا - فأراد ربُّك ٥٨٦
- التنوُّع فى أساليب العطف ٥٨٧
- الواو - الفاء ٥٨٧
- ومن أظلم - فمن أظلم ٥٨٧
وكُلا - فكُلا ٥٨٨
ولمَّا - فلمَّا ٥٨٩
- ثم - الفاء ٥٩٠
- ثم انظروا - فانظروا ٥٩٠
فأعرض عنها - ثم أعرض عنها ٥٩٠

- ٥٩١ ثم - الواو
- ٥٩١ ثم تُرَدُّون - وسُتْرَدُّون
- ٥٩٢ ثم ماواهم جهنم - وماواهم جهنم
- ٥٩٣ بين إثبات الواو وحذفها
- ٥٩٣ نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ - وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ
- ٥٩٣ لكل أمة - ولكل أمة
- ٥٩٤ ما أنت - وما أنت
- ٥٩٥ لقد أنزلنا آيات مبینات - ولقد أنزلنا إليكم آيات مبینات
- ٥٩٥ فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا - وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا
- ٥٩٦ سواءٌ عليهم - وسواءٌ عليهم
- ٥٩٦ لقد أرسلنا - ولقد أرسلنا
- ٥٩٧ بين إثبات الفاء وحذفها
- ٥٩٧ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ - فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ
- ٥٩٨ لهم أجر غير ممنون - فلهم أجر غير ممنون
- ٥٩٩ سوف تعلمون - فسوف تعلمون
- ٦٠٠ قال يا قوم - فقال يا قوم
- ٦٠١ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ - أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
- ٦٠٢ بين إثبات (بل) وحذفها
- ٦٠٢ قالوا وجدنا - قالوا بل وجدنا

- ٦٠٣ • تنوع صور الاستفهام المنفى
- ٦٠٣ أَلَمْ - أَوْ لَمْ - أَفَلَمْ
- ٦٠٥ • بين إثبات حرف الجر وحذفه
- ٦٠٥ وتنحتون من الجبال - وتنحتون الجبال
- ٦٠٥ بالبيّنات والزُّبر والكتاب المنير - بالبيّنات وبالزُّبر وبالكتاب المنير
- ٦٠٦ وذى القربى - وبذى القربى
- ٦٠٧ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم - فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه
- ٦٠٨ فمن يملك من الله شيئًا - فمن يملك لكم من الله شيئًا
- ٦٠٨ يغفر لكم ذنوبكم - يغفر لكم من ذنوبكم
- ٦٠٩ لكيلا يعلم بعد علم شيئًا - لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا
- ٦١٠ خلائف الأرض - خلائف فى الأرض
- ٦١٠ • بين ذكر المخاطب بالقول وحذفه
- ٦١٠ ولا أقول إننى ملك - ولا أقول لكم إننى ملك
- ٦١١ ألم أقل إنك - ألم أقل لك إنك
- ٦١١ • بين إثبات نون الوقاية وحذفها
- ٦١١ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ - وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
- ٦١٢ • التقديم والتأخير
- ٦١٢ وهذا كتاب أنزلناه مبارك - وهذا ذكر مبارك أنزلناه
- ٦١٣ لا إله إلا هو خالق كل شيء - خالق كل شيء لا إله إلا هو
- ٦١٣ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى - وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى

- ٦١٤ لقد وَعِدْنَا نحن وآبَاؤَنَا هذا من قبل - لقد وَعِدْنَا هذا نحن وآبَاؤَنَا من قبل ...
- ٦١٥ نرزقكم وإِيَّاهم - نرزقهم وإِيَّاكم
- ٦١٥ السارق والسارقة - الزانية والزاني
- ٦١٦ قَوَّامِينَ بالقسط شهداء لله - قَوَّامِينَ لله شهداء بالقسط
- ٦١٧ ضَرًّا ولا نَفْعًا - نَفْعًا ولا ضَرًّا
- ٦٢١ لعب ولهو - لهو ولعب
- خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار - اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض
- ٦٢١ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
- ٦٢٢ المَلَأَ الذين كفروا من قومه - المَلَأَ من قومه الذين كفروا
- ٦٢٣ كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم - كفى بالله بيني وبينكم شهيدًا
- ٦٢٤ بشيرًا ونذيرًا - نذير وبشير
- ٦٢٤ خلق السماوات والأرض - خلق الأرض والسماوات
- ٦٢٦ • تقديم الجار والمجرور وتأخيرهما
- ٦٢٦ ولتطمئنَّ قلوبكم به - ولتطمئنَّ به قلوبكم
- ٦٢٦ وما أَهْلٌ به لغير الله - وما أَهْلٌ لغير الله به
- ٦٢٧ لا يقدرُونَ على شئ مما كسبوا - لا يقدرُونَ مما كسبوا على شئ
- ٦٢٧ في الأرض ولا في السماء - في السماوات ولا في الأرض
- جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله - جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم
- ٦٢٨

٦٢٩	صَرَّفْنَا للناس في هذا القرآن من كل مثل - صَرَّفْنَا في هذا القرآن للناس من كل مثل
٦٣٠	• تركيب الفعل مع حرف الجر
٦٣٠	أنزل على - أنزل إلى
٦٣٠	آمن له - آمن به
٦٣١	كذبوا - كذبوا به
٦٣١	ثلاثة رابعهم - خمسة سادسهم - سبعة وثمانهم
٦٣٣	ثبت المراجع
٦٣٩	كشاف تحليلي بكلمات المعجم
٦٥١	المحتويات

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ



منتدى سور الأذربكيتة

WWW.BOOKS4ALL.NET